

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم

(٥)

محمد ﷺ

بين الكتاب والسنة
وسائر الكتب السماوية

المجلد الأول

آيت الله العظمي الصادقي الطهراني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المدخل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

وبعد فهذا الكتاب الذي بين يديك يتحدث عن الرسول محمد 3

على ضوء القرآن والسنة المحمديه فمحمد هو القرآن والقرآن محمد

على سواء فنحن هنا استخرجنا كافة ميزات الرساليّة كما في ونص

القرآن وظاهره والله على ما أقول شهيد والسلام عليكم ورحمة الله

وبركاته

قم المشرفة - محمد الصادقي الطهراني

سورة العلق - مكية - وآياتها تسع عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(أقرأ باسم ربك الذي خلق (١) خلق الإنسان من علق (٢) اقرأ وربك الأكرم (٣) الذي علم بالقلم (٤) علم الإنسان ما لم يعلم (٥) كلا إن الإنسان ليطغى (٦) أن رآه استغنى (٧) إن إلى ربك الرجعى (٨) أ رأيت الذي ينهى (٩) عبداً إذا صلى (١٠) أ رأيت إن كان على الهدى (١١) أو أمر بالتقوى (١٢) أ رأيت إن كذب وتولى (١٣) ألم يعلم بأن الله يرى (١٤) كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية (١٥) ناصية كاذبة خاطئة (١٦) فلیدع ناديه (١٧) سندع الزبانية (١٨) كلا لا تطعه واسجد واقترب (١٩))

ناصية الآيات الخمس الأول تشهد، ومعها الروايات، والمفسرون أجمع يشهدون: أنها أول ما نزلت من القرآن علي الرسول الأقدس صلي الله عليه وآله، وهي تحمل معنى البسمة بوجوب قرائتها قبل القرآن، فلا تنافيها الروايات القائلة أن الحمد هي الأولى، إذ أمر فيها بقراءة البسمة قبل الحمد كما قبل السور كلها، والحمد بما تحمل مجمل القرآن توحى أنها الأولى، وأما المدثر فليس إلا بعد تدثر الرسول إثر نزول أول الوحي المباغت، فليست هي - إذاً - إلا أول المفصل.

(أقرأ باسم ربك الذي خلق):

وقد يوحي (إقرء) أنه صلي الله عليه وآله وسلم لم يكن قارئاً قبله أي مقروء، فتأمره الآية أن يقرء القرآن مبتدئاً بالبسمة، فـ (باسم ربك) يشير إلى (بسم الله) و(الذي خلق): الرحمان، فإنه الرحمة العامة المدلول عليها بالخلق، فلا أعم منه، و(خلق الإنسان من علق... علم بالقلم): هو الرحيم، فإنه الرحمة الرحيمية الخاصة: خلق الإنسان وتعليمه ما لم يعلم، فما كان الرسول يتلوا من قبله من كتاب، فأخذ يتلوه هنا: (إقرء) وما كان يعلم (وعلمك ما لم تكن تعلم) فأخذ يتعلمه هنا: (علم الإنسان ما لم يعلم).

وتنقل الروايات عن النبي صلي الله عليه وآله قوله - إذ أمره ملك الوحي بالقراءة- : (ما أنا بقارىء، يقولها ثلاثاً فيضمه إلى صدره إيناساً بالوحي، فقال أخيراً: ما أقرء؟)

قال: إقرء باسم ربك..) ولم يبين هنا ماذا يقرء، إلا أصل قراءة الوحي باسم الله^١ ما يدل أيضاً علي أنه بداية الوحي، فقرء بإقراء الله: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين.. وإلى سائر القرآن، واعتباراً أن البسملة من القرآن فليستعد بالله قبلها (وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) مهما كان الأمر بها سابقاً أم لا حقاً.

إن الإنسان يجزيه: النفسي والجسدي، ليس كيانه - وكسائر الكائنات - إلا تعلقاً بالله، لا يستقل عنه ولا آناً. وليس انفصاله عن هذه العلقة إلا انفصاله عن الوجود، فهو في خلقه وعلمه وكل معطياته علق بالله، وهو يعيش علقاً منذ خلق وفي كل مراحل الحياة، وخلقته أيضاً من علق:

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ):

علق لا علقته، فإنها الحالة الثانية للجنين، الناشئة عن العلق، جنس الدودات الصغيرة العالقة وجمعها، وهو مني يني، فهذا المنى علق مجموعته، إذا يعلق بما يلحقه من ثوب أو بدن أو جدار الرحم، وعلق جميعه، إذا هو بحر لحي من ملايين النطف: الدودات العلقية، العالقة بعضها ببعض، والعالقة كلها بجدار الرحم، وليست الجرثومة الأولى هي العلقة: الحالة الثانية للجنين، ولا العلق: مجموعة الدودات، وإنما واحدة من العلق، إن كانت واحدة، وأكثر إن كانت أكثر، لذلك (خلق الإنسان من علق): بعض من البحر المنوي السابحة فيه ملايين العلقات: الدودات المنوية، لا كله، وهذا البعض هو النطفة من منى يني: (ألم يك نطفة من منى يني. ثم كان علقه فخلق فسوى) (٧٥: ٣٨).

فهنا علق، وهنا واحدة من العلق هي النطفة، وهنا علقه خلقت من هذه النطفة، فالعلق: النقطة الدموية العالقة، هي الحالة الثانية الجنينية، والثالثة المنوية، ومن المضحك المبكي تفسير العلق بالعلق، خلاف اللغة، وخلاف ترتيب الحلقة، وخلاف كافة الآيات

١. لما قال 3: «ما ان بقارئ» دل علي انه ما كان ليقراء لا بالوحي ولا بغير الوحي، فكيف يقرأ وماذا يقرأ؟ فلما ضمّه ملك الوحي الى صدره ثلاثا، اجابه: «إقرأ باسم ربك..»: إقرأ باسم الله الذي ربك.

المستعرضة لخلق الجنين، المبتدأة بالمني والنطفة والمنثية بالعلقة^١ ولم يكن هكذا تفسير إلا لقصور العلم مسبقاً عن أن المنى يحمل ملايين الدودات، يخلق من كل واحدة جنين واحد، لا من المنى كله.

ولقد بدر الوحي من الرسول الأُمِّي لأول ما بدر، بهذه المعجزة العلمية، التي اكتشف أخيراً شيء منها قليل، ويجنبه الكثير الكثير، مما علي الإنسان أن ينظر فيه: (فليُنظر الإنسان مم خلق)؟.

فلقد كان أصل الوحي عليه معجزة، تحمل معجزة علمية خالدة، والرسول كيانه الرسالي معجزة، فكيان الرسالة المحمدية مجذور مكعب من المعجزات!.

إن النطفة الأمشاج هي المجموعة من نطفة الذكر والأنثى، تتزاوجان فتصبحان واحدة، فكيف الزواج؟ وكيف النطفتان قبل الزواج وبعده؟ لقد أمرنا نحن أن ننظر كيف خلقنا، فنظرنا ووجدنا طرفاً من الحلقة العجيبة الطريفة، ما يزدادنا معرفة بالذي خلق. خلق الإنسان من علق^٢.

١. كآليات (٣٧: ٧٥) (٨٠: ١٩) (١٨: ٣٧) (٥: ٢٣) (٣٥: ١٠١) (٤٠: ٤٧) (٣٥: ١١).

ليوحي إليك.. بحول الله وقوة الله اقرأ: أصل القراءة الوحي فإنه باسم ربك الموحى إليك، وكل قراءة هي بالوحي فعليك ان تبدء فيها بالبسملة - ف«كل امر ذي بال لم يبدء فيه باسم الله فهو أبتر» وأي بال فوق بال الوحي؟

٢. لقد كشف العلم طرفاً من هذ المعجزة الأولى للقرآن، والخلق العجيب الطريف لمنزل القرآن، ولوحظ بالعيون المسلحة ان كيف النطفتان؟ وكيف تتزارجان؟..

الجنينات: بيضات دافقة من ترائب الانثى، كل منها كبيضة الدجاجة، إلا ان قطرها يتراوح بين جزء أو جزئين من عشرة اجزاء من المليمترات (١/١٠ أو ٢/١٠) ووزنها جزء من مليون جزء من الغرام، وفيها مح (Cytoplame) وفي المح الحويصلة الجرثومية (Nuelede) التي يبالغ قطرها جزء من ثلاثة آلاف جزء من القيراط، فيها تكمن النطفة الجرثومية (Noyau) التي يبلغ قطرها (١/٣٠٠٠) من القيراط.

هذه البيضة تتكون في ظلمة المبيض ضمن حويصلة تسبح في سائلها الألبوميني، فإذا نمت هذه الحويصلة، وازداد السائل الذي في باطنها، يتمدد غشاءها ويرق ثم ينفجر وتخرج البيضة منها ومن المبيض كله، فيألى اين تذهب هذه البيضة الصغيرة العزيزة العذراء وحدها في هذا الظلام؟.

(أَفْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ):

إن نعمة العلم بعد الخلق تحتل المنزلة الأولى بين النعم، وكما أنه تعالى أحسن الخالقين في خلق الإنسان، كذلك هو الأكرم في تعليمه، وكما أن الإنسان علق بربه في

إنها علي موعد مع العشير الذي تحلم به دون معرفة مسبقة بينهما، يتسارعان إلى بعض ويتلافيان في الطريق، ثم يسيران متعانقين متراوحين إلى بيت الزوجية، المهية هما، فهل لنا أن نعرف هذا العشير أيضاً كما عرفنا العشيرة، وقبل أن نعرف زواجهما؟.

إنها الكروموزومات، قطر كل منها لا يزيد عن ستين جزء من ألف ميليمتر (١٠٠٠/٦٠) فهو اصغر من خطيبه بكثير، وله عقبات في هذا الزواج: إنها اصغر من عشيقتها بكثير، إنها بين ملايين الخطاب الآخرين: الدودات المنوية الكروموزومية، والملتقي أيضاً بوق مظلم مظلم - ضيق ضيق - رفيع رفيع، قطره كشعرة محتجىء وراء الرحم، ويتمد إلى المبيض، إذا فكيف بالامكان الزواج مع هذه العقبات؟:

ليس هناك إلا الخلق العجيب لكل واحدة منها، حيث خلق الله لها رأساً مكوراً له عنق لولئ لبيّ وذنب طويل يضرب به الماء ويتبلط، وجعل هذا الذيل معقوداً بأنشوطه لينفك عنه إذ دخل إلى البيضة!.

فكر واحد من هؤلاء الذكور الكروموزومية كان اسرع وأقوي في هذا السباق، سبق مناوئيه إلى جدار البيضة العذراء، فيضرب برأسه الجدار بغية دخول الدار، من باب المجاذبية (Coneduttuaction) فإذا دخل اعلقت العذراء بابها، وقطعت جذبها واحصنت فرجها، وصدت الملائين الآخرين من الخطاب الآخرين ليموتوا حزناً، أو يحبوا خداماً لزميلهم السابق، ولكي يخلق جنيناً كاملاً.

فهكذا تتكون النطفة الأمشاج في بداية مشجها، ثم هناك أمشاج أخرى نبحت عنها في آية الأمشاج، وإليكم منها اشارة:

إن الرحم - البيت الزوجي - مضياف كريم، يستعد كل شهر لاستقبال العروسين وإيواءهما واطعامهما، فتنتفح خلايا غشائه المخاطي، وتتسع الشعيرات الدموية، وتنظط الغدد، فإذا تم الزواج استقبل الزوجين علي الرحب والسعة، وإن تعرقل الزواج بسبب من الأسباب تميز غيضاً وتمزق أسفاً وبكبي علي البيضة الميتة دماً غزيراً، أن الزواج بعد لا يكاد يتم حتى يبده العمل المشترك في بناء الانسان الجديد. فيمشج الشريكان، كل ما عنده بما عند الآخر من عناصر التخطيط: (الكروموزومات)، وما فيها من الخلق الحلقة: (الجينات) التي خطتها وخلقتها يد القدرة الإلهية بأقلام الإرث المنحدر عبر الأجيال، من الجدود والآباء الى الأبناء وابناء الأبناء:

وأقل الأمشاج ثلاثة: مشج النطفتين قبل الزواج، ومشجها بالزواج في البوق، ومشج الشريكين كل ما عنده، فالنطفة علي وحدتها أمشاج، كما الماء الدافق من الصلب والترائب واحد، وسوف تأتي بتفاصيل لخلق الإنسان في طيات الآيات المناسبة.

كيان الخلق، كذلك في إنسانيته القائمة علي العلم، فكافة علوم الإنسان من الله، من العلوم الغريزية: الفطرية والعقلية، ومن الإكتسابية الناشئة عنهما، النامية بهما، ومن علوم الوحي، فائقة الفطرة والعقل، المتحللة عن الإكتساب المعتاد، وهي أعلاها، الخاصة برجال الوحي، ولكي يعلموا الناس ما لم يكونوا يعلمون: (كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) (٢: ١٥١).

وقيّد العلم بالقلم، لأنه لا يقيد إلا به، وكما عن الرسول الأقدس صلي الله عليه وآله وسلم: (قيّدوا العلم بالكتابة) وإنما هذا القيد في غير الوحي، فإنه يقيد في صفحات قلوب أصحابه دون حاجة إلى قيد القلم: (سنقرءك فلا تنسى) فالله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، وما لم يكن يعلم، هو الذي يأمرك بقراءة الوحي، ويعلمك ما لم تكن تعلم: (وعلمك ما لم تكن تعلم).

وتأريخ الحضارات يشهد أن كافة التقدّمات العلمية الحضارية مستوحاة من وحي السماء برجاله الذين بيّضوا وجه التاريخ بتعاليمهم النيرة^١.

وهل العلم دون قيد العمل يكفي الإنسان كراماً؟ فكيف لم يقيد به هنا، الجواب: (إنما يخشي الله من عباده العلماء) و(إن العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل)^٢، وإن العلم من الله والعمل من الإنسان، وإن كان هو أيضاً بتوفيق الله.

والقلم - أي قلم - قلم الحبر، أو الحديد الكاتب علي الحجر ومثله، أو قلم الأمواج المستخدمة لمسجلات الصوت والصور، إنه مما يقيد العلم كأحسن وأءمن ما يكون، إلا قلم الوحي علي قلوب النبيين، فإنه في غنى عن الوسائل العادية والمحاولات البشرية، فكما الوحي معجزه، كذلك قلمه الذي يقيد، والأقلام كلها تخطيء إلا قلم الوحي!

(كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَيْطُفَى أَنْ رَأَهُ اسْتَعْنَى إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرَّجْعَى):

كلا: إنه لا ينتبه هذا الإنسان أنه علق خلق من علق، وإن ربه علمه، فهو متعلق

١. راجع كتابنا (تاريخ الفكر والحضارة).

٢. عن علي Δ وكما في روايات كثيرة، تعني العلم الحقيقي.

الذات والكمالات بربه، ولكنه ينسى فيطغى أن رأي نفسه مستغنياً عن ربه وليس به! إن رؤية الإستغناء هي الدافعة للطغوى: أن يحسب الإنسان نفسه مستغنياً عن ربه فيطغى عليه ويعصيه، ومستغنياً عن الخلق فيظلمهم، فلا الغنى ولا الإستغناء، ليس واقعاً يعيشه أي إنسان، وإنما الخطأ في الرؤية، أن يراه كذلك وليس به: (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) خطأ عامداً يندد به بأشده، كيف لا ينتبه أنه فقير إلى الله كما كان بداية أمره! وأن رجوعه إلى ربه، لا يستطيع الفرار عن رجوعه، مهما كان مبتداه!

هذه الرؤية الخاطئة قد تجعل الإنسان طاغياً علي الله وعباده في جملة واحدة، كالذي ينهي. عبداً إذا صلى: (أرأيتَ الذي ينهي (٩) عبداً إذا صلى (١٠) أرأيتَ إن كان علي الهدى (١١) أو أمر بالتقوى (١٢))

أبو جهل الطاغية يري الرسول صلي الله عليه وآله وسلم يصلي عند البيت ويقول لحزبه: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم، قال: فبالذي يحلف به لئن رأيتَه يفعل ذلك لأطأن علي رقبتَه، فقليل له: ها هو ذلك يصلي، فانطلق ليطأ علي رقبتَه فما فجئهم إلا وهو ينكص علي عقبه ويبقي بيديه، فقالوا: مالك يا أبا الحكم! قال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً وأجنحة، وقال نبي الله صلي الله عليه وآله وسلم: والذي نفسي بيده لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً، فأنزل الله سبحانه (أرأيتَ الذي ينهي..).

إنه ليس المحرم هو النهي عن الصلاة الصحيحة فحسب، بل الباطلة أيضاً، وكما أن علياً Δ ما نهى عنها سناداً إلى هذه الآية!

١. نور الثقلين ٥: ١٠٦: خرج علي Δ في يوم عيد فرأى أناساً يصلون فقال: أيها الناس قد شهدنا نبي الله 3 في مثل هذا اليوم، فلم يكن أحد يصلي قبل العيد، فقال رجل: يا أمير المؤمنين! ألا تنهى أن يصلوا قبل خروج الامام! فقال: لا أريد أن أنهي عبداً إذا صلى، ولكننا نحدثهم بما شهدنا من النبي 3 أو كما قال.

أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (١٤) كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَه لِنَسْفَعًا
بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٌ كَازِبَةٌ خَاطِئَةٌ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨)
السفع هو الأخذ بسفعة الفرس، أي سواد ناصيته، كناية عن تحديده علي ما يرام،
ولقد سفع الله ناصية هذا الكذاب الأشر، ووسم خرطومه يوم أحد إذ قتل، وهنا إذ منعه
عن وطىء رقبة الرسول 3 حين يصلي، معجزة حاضرة حاذرة، وآية ترهب حزبه
الخاطئين، أن الله تعالى ليس بمهمل للمؤمنين، وسوف يسفعه ويسم علي خرطومه:
(سنسمه علي الخرطوم) يوم البرزخ والقيامة (فليدع نادية) هناك، كما هدد بها الرسول
هنا، (سندع الزبانية): الملائكة الغلاظ الشداد التسعة عشر: (خذوه فغلوه. ثم الجحيم
صلوه. ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه).

(كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩))

ف (اقرب ما يكون العبد من الله إذا كان ساجداً) ٢ هنا يسجد الرسول صلي الله عليه
وآله قائلاً في سجوده: (أعوذ بالله، برضاك من سخطك، وبما فاتك من عقوبتك، وأعوذ
بك منك، حتى لا أحصي ثناء عليك. أنت كما اثنيت علي نفسك). ٣
فهذه من آيات السجدة الواجبة، والباقية هي: آية النجم (فاسجدوا لله واعبدوا)
(٥٣: ٦٢) وفصلت (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم
إياه تعبدون) (٣٧: ٤١) والسجدة: (إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خرّوا سجداً)
(٣٢: ١٥).

تسمى المجموعة العزائم الأربع، فتجب السجدة عند تلاوتها: قراءةً وسماعاً واسماعاً،
لاطلاق الآيات، وتعارض الروايات في السماع إيجاباً ونقياً يعالج رداً إلى القرآن فالأخذ
بالأول لموافقة الآيات، ولأن الناهية وغير الموجبة توافق سائر.

١. تقول الرويات أن أبا جهل هدد النبي قائلاً: «لقد علمت ما بها أكثر نادياً مني» فنزلت الآية.

٢. نور الثقلين ٥: ٦١١ عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله 3 قال:...

٣. نور الثقلين ٥: ٦١٢ من غوالي اللثالي روي في الحديث أنه لما نزل قوله تعالى: واسجد واقترّب.

سجد النبي 3 فقال في سجوده:...

سورة المدثر - مكية - وآياتها ست وستة وخمسون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَتَيَّابِكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمُنُّنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)

إن المدثر من فواتح الوحي، فهي بعد الآيات الخمس الأولى من العلق، وعلها بعد الحمد أيضاً، وإذ تحتل السورة - كالكثير من أمثالها - عدم نزولها دفعة واحدة، لذلك فأيات التوعيد والتنديد بالوحيد، الذي كان بآيات الله عنيداً، والتي تتحدث عن سائر الكافرين، بعد الآيات السبع الأولى من السورة، إنها لا تتنافى وكون هذه السبع هي النازلة بداية الوحي المفصل، بعد الخمس من العلق والسبع الثاني من الحمد أيضاً.

(يا أيها المدثر): لقد تدثر الرسول الأقدس 3 إثر ما أوحيت إليه الخمس والسبع، تدثر من وقعة الوحي المفاجيء الثقيل، وعلي حد المروي عنه 3 قال: (جاورت بحراء فلما قضيت جوارى فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ونظرت عن الشمال فلم أر شيئاً ونظرت خلفي فلم أر شيئاً فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس علي كرسي بين السماء والأرض، فجلست منه رعباً فرجعت فقلت: دثروني فدثروني فنزلت (يا أيها المدثر)'. هذا وكما كان متدثراً عن قيام البلاغ منذ كان حتى زمن الرسالة، فكان عليه - إذاً - دثاراً فوق دثار، فأمر بالتحلل عنهما إلى الإنذار.

إن الدثار ما يلبس فوق الشعار، وأصل المتدثر تدثراً بثيابه لينام أو ليستد فيء، وما تدثره في الرمضاء، إلا لما أخذته من رعشة الوحي وهيبته، كأن زالت حرارته بغزارة الوحي ورعشته، فتدثر وكان حقه أن يتدثر، وبما أن مكوثه هكذا بداية الوحي ولو قليلاً، يخيل أنه مسموح له الدثار نوماً أو تدفوفاً، يؤمر آنذاك بالقيام عنه إلى الإنذار، فلا

١. الدر المنثور ٦: ٢٨٠ عن جابر بن عبد الله الانصاري، وفيه أن المدثر أول ما نزل من القرآن - اي: بعد الخمس من العلق ويلمح له قوله 3 هنا «الذي جاءني بحراء» إذاً فهذا مجيئه الثاني - وعل الأول كان يحمل سورة الحمد اضافة الى الخمس كما تدل علي البسمة بالبيان المسبق في سورة العلق.

عليه ولا له وهو رسول أن يكون نائماً دُتوراً مستتراً مستدفئاً، وإن كان من وقعة الوحي، فليتعود القيام والإقدام طالما العراقل تحول بينه وبين القيام، وليعش القيام حياته: روحياً وجسدياً وعقلياً وعلمياً، وبكل ما يملكه وما ملكه ربّه من طاقات وإمكانات، فالعمر قصير، والسير عسير، ودافع القعود كثير، فلا يسمح له إذاً - الدثار - أيّ دثار، دثار الجسم والروح، دثار الانذار والتبشير، فليتجرد عن الدثار كلها، إلى الانذارات كلها.

وقد تتحمل السورة كلها أنها أنزلت بعد ما شاعت دعوة الرسول وواجهته السفاسف والأقاويل السوء: أنه مجنون أو كاهن أو شاعر، وكل ذلك من طواغيت قريش: أبو جهل وأبو لهب وأبو سفيان والنضر بن الحرث وأمّية بن خلف والعاص بن وائل والوليد بن مغيرة الذي تسميه الآيات الآتية وحيداً، وانتهى دور التكذيب اليه بما نقلته الآيات، فلما سمع رسول الله 3 ذلك اشتد عليه ورجع إلى بيته محزوناً فتدثر بثوبه فأنزل الله السورة. فهذه دُتْر ثلاثة: دثاره قبل البعثة، وديثاره بداية الوحي من رعشته، وديثاره إثر هذه الهجمات، والرسول يؤمر في هذه الدثار الثلاثة أن يقوم بالانذار كيفما كان الدثار، قياماً يستصغر فيه كل دوافع القعود وعراقل الإنذار: (قم) فلقد مضى وقت القعود والديثار، وحان زمن القيام والإنذار (قم) لله قانتاً بين الجموع المحتشدة الفالته عن ذكر الله وطاعته (وقوموا لله قانتين) (٢: ٢٢٨) وأقم الدين (ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) (٤٢: ١٣) واقم الوزن أيّاً كان (واقموا الوزن بالقسط ولا تحسروا الميزان) (٥٥: ٩) (واقم الصلاة) (١١: ١١٤) فانها عمود الدين، قم وأقم واستقم (فادع واستقم كما أمرت) (٤٢: ١٥).

(فأنذر) وليكن الانذار بداية القيام، فانه ينفع قوماً لُدّاً، فان التبشير هو بعد الإنذار، بعد ما تلين القلوب للايمان وتتنقى: (فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لُدّاً) (٩٧: ١٩) (لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك) (٢٨: ٤٦) فمن تأثر بالانذار فهو المنذر المبشّر (إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب) (٣٥: ١٨) (إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم) (٣٦: ١١).

فلئن أثر الانذار كان بعده ومعهُ التبشير، وإلا فلماذا التبشير؟ والانذار هو اظهر ما في الرسالات الإلهية، تنبيهاً للخطر القريب الذي يرصد الغافلين الشاردين السادرين في الضلال، عليهم يخافون العذاب الأليم، ومن ثم البشارة باللطف والعطف العميم.

(وربك فكبر) إن الفاء هنا توحى بشرطية مقدرة: (إن كان هو ربك فكبره) فلزام الإيمان بربوبيته تكبيره كما يلائمها، وليس تكبيره فقط قول: الله أكبر، فكثير هؤلاء الذين يقولونه ولا يكبرون الرب لمصغريه المشركين، به ولا في أعمالهم أنفسهم، فتكبير الرب غير التكبير لفظياً للرب، وإن كان يشمل قول (الله أكبر) كما يروى عنه 3.

(وربك فكبر) ربك وحده؛ فهو وحده الكبير المتعال الذي يستحق التكبير دون سواه، يوحى بهذا الإنحصار تقديم المفعول (ربك) على فعله (كبر) فكل شيء يجب الله صغير، والله وحده هو الكبير، وكل صغير يكبر عرضياً بالتكبير، والله هو ذاته كبير، وإنما الأمر بالتكبير يعنى تعظيمه عند الجاهلين به أو المعاندين والناكرين له، تكبيراً في عقولهم، بياناً للواقع، لا تكبيراً لواقعه، وليستعد الرسول خوضه في هذه المعركة تصغيراً لكل كيد وكل حول وقوة وكل معاكسة وكل عقبة وعرقلة، تكريساً لكافة الطاقات العقلية والمنطقية وسواها، وليعلم الجاهلون بالله والمتجاهلون، ان الله هو الكبير المتعال - ف (لم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيراً) (١٧: ١١١): تكبيراً يليق بساحته، ويصغر كل من سواه بجنبه، تكبيراً في عقولهم وضمايرهم وفطرتهم وفكرهم وواقع كيانهم في تفكيراتهم وتصرفاتهم، ولكى يرى ويلمس أنه الكبير المتعال في خلقه فيعيشوا ذللاً بجنبه وفي طاعته: (عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال) (١٣: ٩) المتعالى عن أن يكبر عن صغر، أو يتكبر عليه أحد ينازعه في ملكه، أو يستقل عنه أحد في كيانه - ف (هو

١. الدر المنثور ٦: ٢٨١ - اخرج ابن مردويه عن ابى هريرة قلنا يا رسول الله 3 كيف تقول اذا دخلنا في الصلاة، فانزل الله «وربك فكبر» فامرنا رسول الله 3 ان نفتح الصلاة بالتكبير - اقول هذا هو النزول الثانى للآية، فانها نزلت اولا بداية الوحي قبل الصلاة وقبل أبى هريرة، وليس هذا الا من تطبيق الآية على ادنى مراحل التكبير.

العلی الكبير) (٢٢: ٦٢) لا عن صغر مسبق - ف (إن الله كان علیاً كبيراً) (٤: ٣٤): كینوتة أزلية كما فی كونه، لا یشارکه فیہ أحد، وكما لا یعنی تكبیر الله تعالى هنا أنه أكبر ممن سواه، فلا كبير سواه حتى يكون هو أكبر منه، وكذلك قول (الله أكبر) لا یعنیہ، فان كونه أكبر من غيره تصغير له، وإشراك لغيره معه فی الكبر، وإنما یعنی - علی حد تعبير باقر العلوم Δ - (أنه أكبر من أن یوصف) وإن كان بوصف أنه أكبر ممن سواه! (٢٢: ٦٢) لا عن صغر مسبق (إن الله كان علیاً كبيراً) (٤: ٣٤): كینوتة أزلية كما فی كونه، لا یشارکه فیہ أحد، وكما لا یعنی تكبیر الله تعالى هنا أنه أكبر ممن سواه، فلا كبير سواه حتى يكون هو أكبر منه، وكذلك قول (الله أكبر) لا یعنیہ، فان كونه أكبر من غير تصغير له، وإشراك لغيره معه فی الكبر، وإنما یعنی - علی حد تعبير باقر العلوم (ع) - (أنه أكبر من أن یوصف) وإن كان بوصف أنه أكبر ممن سواه!

(وثيابك فطهر) إن كانت هی ثيابك فطهرها: فالفطرة مجبولة علی تطهيرها.

(ثياب - ك) و(ك) لا یختص البدن، وإنما یعمه الروح، والروح أخرى هنا، ولا سيما أن الخطاب وجه إلى الرسول 3، والرسالة الإلهية هی روحانية المصدر والفعل والمفعول، طالما تشمل الناحية الجسدانية أيضاً.

فلكل إنسان ثلاثة أثواب ١ - ثوب الجسد المتصل به، شعاراً ودثاراً، ٢ - ثوب المنفصل عنه: زوجته التي اعتبرت لباساً كالعكس (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) ٣ - وثوب الروح وهو لباس التقوى (يا أيها الناس إنا أنزلنا علیكم لباساً یوارى سو آتكم وریشاً ولباس التقوى ذلك خیر) (٧: ٢٦) وهذه الطهارة الثلاثية للإنسان تجعله فی قمة الطهارة والنزاهة، فیامكانه هجران الرجز كل رجز.

فمن طهارة الثياب تنظيفها عن الدنس والنجس، وترتيبها بحيث لا تتعرض للأدناس، كالثياب الطوال التي تجر علی الأرض فتتقدر هی، وتقدر أيضاً خلق أصحابها إذ تخلق فیهم الخیلاء والكبرياء، وهذا من تفسير الظاهر للآية وكما فسرها أئمة أهل البيت علیهم السلام (فطهر - أي فقصر) وكما أن من تطهيرها أيضاً لبسها بحيث لا تكون لباس الشهرة أو الهزء، تطهيراً لأصحابها عن التعرض للبهت والغيبة، وكذلك

تطهيرها عن أن تكون من مصادر محرمة: سرقة أو خيانة أو بحساً أم أياً كان من وجوه الحرام.

و منها تطهير الأزواج فانهن لباس ، أمره الله سبحانه أن يستطهر النساء ، فيختارهن طاهرات من دنس الكفر ودرن العيب ، لأنهن مظان الاستيلاء ، ومضام الأولاد ، ثم إذا إختارهن هكذا يلزم تطهيرهن عما لا يجوز قدر المستطاع فإن فلتت منهن فالتة - إذاً - فهي هي المسؤولة لا هو ، إذا أدى واجب الاختيار والتطهير.

و منها تطهير النفس ، ان يعيش تطهيرها عما يجرها ويدنسها ، فيزجرها عن الله ، يقال: فلان طاهر الثياب . أى: طاهر النفس والأفعال ، طاهر الضمير والأقوال (ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله) .

فكما للجسم ثياب يجب تطهيرها تنزيهاً للظاهر ، كذلك للروح ثياب تلبسها ، فتدئسها أحياناً وتطهرها أخرى ، فالفطرة السليمة والعقل السليم والقلب الواعي والعلم النافع ، التي تجمعها التقوى، إنها لباس التقوى ، تقوى بها الروح وتخرج إلى قمة الكمال ، وكما أنها تقوى بالروح الصافية الضافية.

فهذه الطهارة هي الحالة المناسبة لتلقى الوحي ، والضرورية لملازمة الانذار والتبشير، ومزاولة الدعوة في أوساط التيارات الجارفة ، والاهواء والمداخل والدروب، ولكي ينقذ الملوئين دون أن يتلوث.

و من ثم وبعد المراس الشاملة لهذه الطاهرة الثلاثية ، التي تُطمئنه إلى حياة الدعوة الدائبة ، يؤمر بالهجر عن كافة الاضطرابات فيها ودوافعها: (والرجز فاهجر) إن تعلمه رجزاً فاهجره ، فالفطرة مجبولة على هجر الرجز.

فأصل (الرجز) هو الاضطراب ، وناقرة رجزاء إذا تقارب خطؤها واضطرب لضعف فيها، فهو - إذاً - يشمل كل اضطراب وخروج عن اعتدال سببياً ومسيباً ، من العذاب وبواعثه ، فالخروج من اعتدال الفطرة والعقل رجز كما أن خلافه طهارة واعتدال ، وكما أن كافة المكارم داخلية في (وثيابك فطهر) كذلك التخلف عنها داخل في (والرجز فاهجر) فالرسول الأقدس 3 أمر في بداية الوحي وبزوع الرسالة بالانذار

وتكبير الرب بجناحي طهارة الثياب وهجر الرجز: تحلية بالمكارم ، وتزكية عن المحارم ، وليطمئن إلى الله متخلفاً بأخلاق الله ، ويُطمئن الناس إلى الله ، هاجراً كل رجز واضطراب في عقيدة ، أو عمل ، في دعوة أو عبادة ، ولذلك تسمى الأوثان رجزاً ورجساً ، كما يسمى العذاب المهين - المسبب عن عبادتها - رجزاً: (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) (٣٤: ٥) .

ذلك! وإن كان الرسول 3 عاش متطهراً هاجراً الرجز منذ ولادته إذ عافت فطرته السليمة كل انحراف وانجراف ، بما كان يسلكه ملك عظيم من ملائكة الله سبيل المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره ، على حدّ قول الامام على (ع) فكان يهجر المعتقدات الشوهاء والسبل الشائكة ، ورجز الأخلاق والعادات ، فلم يعرف عنه ولم ينسب إليه أنه شارك في شيء من خوض الجاهلية ، ولكنما هذا التوجيه يعني - فيما يعنيه - إعلان المفاصلة والتمييز الذي لا هوادة فيه ولا مسايرة ، ويعنى المداومة والمزيد من المطهارة وهجر الرجز منذ الدعوة بالعصمة الإلهية ، إضافة إلى ما يسعاه قبلها وبعدها ، لا انه كان عليه رجز ، فأمر بهجرها ، فما أكثر الحالات التي هو لابسها ويأمره الله بها ، إعلاناً عالمياً في إذاعة قرآنية أنه مؤمّر مطيع فلا يطمع فيه طامع للمهادنة والمسايرة ، وما أكثر المزريات التي عافتها فطرته السليمة - منذ كان حتى قبض - فينهاه الله عنها بهذا الدافع وأشباهه ، وليعلم العالمون أنه رسول مؤمّر ، لا يستقل في حسناته وعبقرياته عن ربه إلى نفسه وإن كانت نفسية قدسية! فالقرآن - بجانب ما يذكره من مكارم - الرسول ينهنا أنه رسول ، لا يملك لنفسه بجنب ربه ضراً ولا نفعاً (إلا بلاغاً من الله ورسالاته) .

من ثم - وبعد نكران الرجز وهجره - يوجه إلى نكران ذاته ، وعدم المن في معطياته ، كأن لم يعط شيئاً ، رغم تقديمه وبذله الكثير الكثير ، وجهده وعنائه العسير العسير في هذه السبيل الشاقة المتنوية:

(ولا تمنن تستكثر) صحيح أن الله يمن بك على المؤمنين: (لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من انفسهم ..) ولكنك - وأنت رسول - ليس لك المن

عليهم استكثاراً لما تبلغ من رسالات ربك ، واستكثاراً لرغبة المحتد عند الناس ، وإنما لك الاستكثار من فضل الله ورحمته ، دون ابتغاء أجر منهم أو شكور ، ولأن هذا التوفيق العظيم والفضل العميم يستحق الشكر لله وطلب المزيد من الله ، لا من الناس الذين لا يملكون ، ولا لأنفسهم شيئاً! وكما ليس له المن عليهم ان آمنهم بالله ، كذلك ليس لهم المن عليه أن آمنوا بالله: (يمينون عليك أن أسلموا قل لا تمناوا على اسلامكم بل الله يمين عليكم أن هداكم للإيمان) (١٧ : ٤٩) فالمن لله أولاً وأخيراً دون سواه ، (و لكن الله يمين على من يشاء من عباده) (١٤ : ١١) .

إن تحقيق الرسالة الإلهية نعمة من الله فلا يستحق المنّ عليه ، وصدقة عليا للمرسل اليهم وهي تبطل بالمن: (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) (٢ : ٢٤٦) .

و لئن سئلنا: إذا كان المن من غير الله محظوراً ، فكيف أصبح سليمان بينه وبين الإمساك مأموراً؟: (هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب) (٣٨ : ٣٩) والجواب أن المن هنا هو الإكثار من الإنعام كما يوحى به مقابله: الامساك ، من المن وهو الإكثار العملي ، لا المنّة وهي الإكثار الاستكثار القولي ومنّ الرسول الأقدس 3 كان أكثر المنن والعطايا بين الرسل ، ولكنه منع عن المنّة والاستكثار ، اللهم إلا المن والإكثار.

و إن صور الإحتمال في المنّ كالتالي: بين مرغوب عنه ومطلوب ، ممكن ومستحيل:
١ - المنّ العملي على الله ، وهو محال يناقى ألوهيته تعالى ، ويناقى أقل الإيمان فضلاً عن إيمان الرسول ، فلا يشمل النهي .

٢ - المنّ القولي على الله ، وهو على امكانيته مستحيل من الرسول البالغ في معرفة الله أقصاها الممكن ، فلا يشمل النهي ، اللهم إلا غيره.

٣ - المنّ العملي على الناس ، وهو الإثقال بالنعمة عليهم والإكثار منها ، وهو من أوجب الواجبات الرسالية ، أن يعيش الرسول حياته عطاء للناس وهدى ورحمة لقوم يهتدون ، فلا يشمل النهي أيضاً.

٤ - المنّ القولي للايذاء ، ولم يكن الرسول ممن يؤذى الناس ، وإنما كان يتأذى في

سبيل رفع الأذى عنهم ، فلا يشملهم النهي .

٥ - المنّ القولى لتذكير النعمة ، وليس إلا من الله فإنه ولى النعم ، فقد يشملهم النهي .

٦ - المنّ القولى حال الاستكثار ، وكما أن (تستكثر) هنا حال ، لمكان الرفع ، لاجزاء الشرط المقدر ، فقد يكون استكثاراً لمنّ الله عليه وعليهم فهو ممدوح لا يُنهى عنه .

٧ - وقد يكون استكثاراً لجهوده وجهاده في تبليغ رسالاته ، فهو المشمول للنهي ، فليستقل بلاغاته بجنب الله ، وليعرف أنه ما عبده حق عبادته وما عرفه حق معرفته ، ولذلك كان يستغفر ربه كل يوم سبعين مرة ، لا لذنوب يقترفها ، وإنما إعلاماً وإعترافاً بالقصور عما يحق عليه الله ، إذا فكيف يستكثر ؟ فهل يستكثر امتثاله لهذه الأوامر الإلهية من قيامه بالانذار ، وتكبيره ربه وتطهيره ثيابه وهجره الرجز ، ودعوته إلى ربه؟ وهو عبد لا يملك إلا ما ملكه الله ، فليستقل عمله بجنبه ، وليستكثر نعمه عليه ، دون أن يستكثر ما عمل من خير الله وكما عن الرسول 3 نفسه^١ .

٨ - وقد يكون استكثاراً لتعظيم الناس له ، ورفع مقام عندهم ، فمن هم الناس حتى يرجوا إكثارهم ، وهم لا يملكون ولا لأنفسهم شيئاً ، وهو المأمور (قل لا أسألكم عليه أجراً) ولا (جزاء ولا شكوراً) فكيف يستكثر منهم وإنما عليه العطاء ، دون ابتغاء أجر ولا شكور ولا جزاء ، لا قليلاً ولا كثيراً ، إلا من الله العلى القدير .

٩ - وقد يكون استكثاراً من الله ، فما هى الصلة بين المنّ على الناس والاستكثار من الله ، إلا فى المنّ العملي كما سبق ، فعليه أن يتقبلهم بنعمة البلاغ وله أن يستكثر من ربه الجزاء الوفاق .

١٠ - وقد يمن عليهم عملياً يستكثر اهتداءهم ، فيقدر ما يجاهد فى سبيل الدعوة له أن يرجوا انعطافهم الى الحق ، وهذا أمر مرغوب فيه .

١. نور الثقلين ٥: ٤٥٤ عن الصادق (ع) قال رسول الله (ص) فى الآية: « تستكثر ما عملت من خير الله » .

فتلك عشرة كاملة في صور المن بين مستحيل ومأمور به ، ومنهى عنه .
 فالله تعالى يريد من رسوله الكريم ألا يظل يستعظم ما يقدمه ويستكثره مهما كان
 بجنب الله أو الناس أم في نفسه ، فان هذه الدعوة لا تستقيم وتدوم في نفس تحس بما
 تبذل في سبيلها ، فعلى الرسول أن يتناسى ما يقدمه لكي يستجد العطاء دوماً كأنه أول
 العطاء ، فلا يمل من كثرة العطاء ومعاكسة المعطى لهم بالتخلف والغباء ، ولا يمين على
 المهتمدين فيقطع عنهم العطاء ، وإنما عليه أن يعيش عناء في عطاء وابل دون انقطاع .
 (ولربك فاصبر) تقديم الظرف يوحى بأن الصبر يجب أن يختص بدافع رضى الرب
 فلا يصبر لنفسه لأنها تستحليه ، ولا لغيره فيسترضيه ، إنما لربه فيرضيه لأنه ربه ، ثم
 الفاء توحى بسبب هذا الاختصاص ، أنه ربوبيته تعالى ، جزاءً لشرط مطوى (إن كان
 هو ربك فله إصبر) فالصبر في سبيل الله وانحصاره بالله يتسببان من ربوبيته تعالى، فان
 معركة الرسالة طويلة ضيقة ، والصبر هو زادها الاصيل.

سورة المزمل - مكية - وآياتها عشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ
وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا
وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٧) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ
تَبَتُّلًا (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩) وَأَصْبِرْ عَلَى مَا
يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (١١)
إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣) يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ
وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا (١٤) إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا
أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا (١٦) فَكَيْفَ
تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (١٨)
إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (١٩) إِنْ رَبِّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ
ثُلثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ
تُحْصِيَهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ
وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَنُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرُونَ يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا
لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ (٢٠)

(يا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢):)

يؤمر نبي الله 3 - بعد أمره بقراءة الوحي: (إقرأ باسم ربك) وبعد حمله الرسالة الكبرى - يؤمر هنا بالقيام ليلاً وبالسيح الطويل نهاراً ، ويؤمر في المدثر بقيام الإنذار وتكبير الرب ، وعل القيام الثاني هو السبح الطويل نهاراً ، والقيام الأول لتهيؤ الثاني: (إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قليلاً ، إن لك في النهار سبحاً طويلاً) فليعش الرسول الأقدس حياته قياماً دون فتور، وسبحاً في بحر المجتمع المتلاطم ، لينجى الغرقى

فانه سفينة النجاة.

يوحى النص (المزمل) بأنه كان متزماً حين الأمر، ولماذا؟ وفي رمضاء الحجاز! لا بد وأنه من وطأة وفجأة، أو طأة الوحي الثقيل الذى بزغ له قبل قليل؟ كما قيل أم الحملة العنيفة السافرة في وجهه من صناديد قريش؟^١ كما توحى له آيات من السورة: (و اصبر على ما يقولون... ذرى والمكذبين) فتزمل من رعشة الوطئة، فأمر بالقيامين في المزمل والمدثر، قياماً لتنفيذ الرسالة ومجاهمة عراقيلها، دون أن يتزمل ويتدثر.

(قم) إنه لا يناسبك التزمل والتدثر، فليكن دثارك القيام وزميلك الإقدام ليلك ونهارك، (قم الليل إلا قليلاً) قدر الضرورة الذى يساعدك في قيامك، فليكن مبدؤك القيام حتى في أوقات المنام رغم أن الناس نيام.

أنت تتلف بثوب لتنام دفعا لهم الإيذاء، وغم الاستهزاء، وتخفيفاً من وقعة الوحي؟ لا! بل عليك القيام، والإستعانة بالصبر والصلاة ومكافحة الكروب العظام، والنوائب الجسام.

(قم الليل إلا قليلاً) قم للأمر العظيم والقول الثقيل الذى سيلقى عليك، والعبيء المهيأ لك، قم فقد مضى وقت النوم، قم فأنت لست لتعيش لنفسك، ولقد عرف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هذا الأمر مسبقاً من ملامح الوحي وقدره، فقال لخديجة رضى الله عنها - وهى تدعوه أن يطمئن وينام -: (مضى عهد النوم يا خديجة!).
أجل - انه مضى وما عاد منذ اليوم إلا السهر والتعب والجهد الشاق والسيح الطويل في بحر المجتمع المتلاطم.

(قم الليل إلا قليلاً . نصفه او انقص منه قليلا . او زد عليه):

١. الدر المنثور ٦: ٢٧٦ - اخرج البزار والطبراني في الاوسط وابو نعيم في الدلائل عن جابر قال اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا: سمو هذا الرجل اسما تصدر الناس عنه فقالوا: كاهن - قالوا ليس بكاهن، قالوا: مجنون - قالوا: ليس بمجنون - قالوا: ساحر - قالوا: ليس بساحر - قالوا: يفرق بين الحبيب وحبيبه فتفرق المشركون على ذلك فيبلغ ذلك النبي (ص) فتزمل في ثيابه وتدثر فيها فأتاه جبرائيل فقال: يا ايها المزمل يا ايها المدثر .

يتخير نبي الله هنا في قيام الليل ونومه بين مقادير أربعة: ١ - قيام الليل إلا قليلاً: ثلثيه فما فوق ، فأكثر القليل منه ثلثه ثم أقل وأقل^١ ٢ - نصفه ، وهو ليس قليلاً من الليل ، وإنما نصفه عدلاً بين قيامه ونومه إذا احتاج إليه ، ٣ - أقل من النصف ، أن ينقص من نصف القيام قليلاً ٤ - أكثر من النصف أن يزيد على نصف القيام ، فأكثر الواجب في قيامه من ثلثي الليل وما فوقها ، وأقله أقل من النصف قليلاً ، وبينهما متوسطات ومنها نصفه.

نرى التركيز هنا وهناك على قيام الليل - أي كان - دون تصريح بنومه إلا إجماع الضمائر: (قم الليل إلا قليلاً) ابتداء بقيام ثلثي الليل ، ثم (نصفه) أو قم نصفه (أو انقص منه قليلاً): انقص من نصف القيام قليلاً (أو زد عليه): زد على نصف القيام ، فنصيب النقص ليس إلا قليلاً ، ونصيب الزيادة لا حد له إلا قدر المستطاع.

فطالما الليل سكن ونوم للناس لاستراحة البدن ، ولكنه قيام لرسول الله إلى الناس ليشد وطأه ويقيم قبيله ، تأزيراً لقوة القلب والروح ، وتقويماً لنطق اللسان. فعلى رسول الله قيام الليل قدر المستطاع ، كله أحياناً وأكثره أخرى ونصفه أحياناً وينقص منه قليلاً أخرى ، ولكننا الزيادة على النصف قدر المستطاع هي المرغوب الأصل: (أو زد عليه).

فأكثر الواجب إذا قيامه ثلثي الليل: (قم الليل إلا قليلاً) كما ويؤيده (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه) فليكن الواجب مخيراً بين ثلثيه ونصفه وثلثه ، فأقله ثلث الليل: (أو انقص منه قليلاً) فنقص القليل من النصف ثلث النصف ، فيبقى ثلث الليل^٢.

١. فما يروى ان القليل المستثنى من الليل هو نصفه خطأ أو جهل من الرواة لا المروى عنه كما رواه في المجمع عن الصادق (ع) قال: القليل النصف.
٢. نفرض ان الليل ١٢ ساعة فنصفه ٦ ساعات فاذا نقص منها ساعتان يبقى اربع ساعات وهي نصف الليل المفروض.

(او زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً) ولماذا ثلثا الليل ، ولماذا الزيادة على النصف والنصف أيضاً ، الصلاة الليل ولا تشغل إلا سويحات ؟ كلا - وإنما الزيادة لترتيل القرآن ، تخلقاً بأخلاق الله في تنزيله: (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً) (١٧: ١٠٦) وفي ترتيله: (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً) (٢٥: ٣٢) .

و ترتيل القرآن هو ارساله بسهولة واستقامة ، سهل التعبير ، مستقيم المعنى وكما يروى عن النبي 3 (إذا قرأت القرآن فرتله ترتيلاً وبيّنه تبييناً ، لا تنثره نثر الدقل ولا تهذه هذ الشعر ، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ، ولا يكونن هم أحدكم آخر السورة)^١ .

أقول: وهذا من مقربات الفهم ومجذبات الإتياع ، فقد فرق الله القرآن طوال البعثة دون أن ينزله جملة واحدة، ليثبت به فؤاد الرسول وليقرأه على الناس على مكث ، ورتله عليه بتسهيل التعبير والمعنى ليرتله هو أيضاً ترتيلاً ، وهو يعم اللفظ والمعنى تعبيراً وأداءً وسبكاً وكيفية^٢ ، كل ذلك لسهولة الإلقاء والتلقي متحلاً عن كافة الصعوبات هنا وهناك ، وهذا هو معنى الإعجاز في فصاحة التعبير وبلاغة المعنى، فليس التشابه في بعض الآيات من قصور الدلالة ، وإنما من قصور المستدل ونبوغ المعنى ، وعلى حد تعبير الامام الرضا (ع) (المتشابه ما اشتبه علمه على جاهله) .

(إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً) فما هذا القول الثقيل الذي سيلقى عليه ، ولكي يتلقاه عليه أن يقوم لياليه مصلياً مرتلاً للقرآن ؟ .

١. الدر المنثور ٦: ٢٧٧ أخرجه الديلمي عن ابن عباس مرفوعاً عنه (ص) . وأخرجه العسكري في المواعظ عن علي (ع) عنه Δ .

٢. و عن الامام الصادق (ع) ان الترتيل هو ان تتمكث فيه وتحسن به صوتك ، وفي الدر المنثور ٦: ٢٧٧ عن النبي (ص) قال: يقال لصاحب القرآن يوم القيامة اقراء وارقء ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها، وفيه سئل 3 اى الناس احسن قراءة ؟ قال: الذى اذا سمعته يقرأ رايت انه يخشى الله.

هل هو القرآن ولو بعضاً منه؟ وقد نزل عليه بعضه وأمر بترتيبه! أم هو البعض الباقي: أكثره؟ فما هو الفرق بين قليله وكثيره، وكله ثقيل بأى معنى قيل! أم هو القرآن المحكم النازل عليه ليلة القدر، بين هذه السورة وبينها أقل من شهرين؟ علّه هو، إضافة إلى باقى القرآن المفصل، ففى القرآن المحكم النازل عليه دفعة واحدة، الملقى عليه ليلة القدر، إن فيه ثقلاً ليس فى مفصله النازل عليه نجومياً طوال البعثة، ثم يتلوه ثقل الباقي من مفصله وهو أكثره، وفى وحدة القول هنا (قولاً) وأنه يلقي (سنلقى) شاهداً لفظياً على أنه القرآن المحكم، إضافة إلى القرينة المعنوية المسبقة.

ان القرآن قول ثقيل لعظم قدره، ورجاحة فضله، وخلوده، دون أن يمسه نسخ أو تحريف، وقد يثقل الأمة المتمسكة بحبله، المنفذة لأحكامه، ولذلك سماه الرسول 3 أكبر الثقيلين وأعظمها وأطولهما وأتمها فيما تواتر عنه، وسمى عترته الثقل الأصغر.

و لقد كان القرآن ثقيلاً لدى الله فى أم الكتاب (وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) (٤:٤٣) فعُلوّه هناك وحكمته: ثقله، ثم نزل ليلة القدر دفعة، ثم طوال البعثة نجومياً، نزل ثقيلاً على الرسول 3 حيث يقول: (فما من مرة يوحى إلىّ إلاّ ظننت أن نفسي تقبض) ^١ (فانه كان يتغير حاله عند نزوله ويعرق، وإذا كان ركباً تبرك راحلة ولا تستطيع المشى) ^٢ وهذا ثقله فى القرآن المفصل، قم القرآن المحكم المجمل النازل ليلة القدر يزداده ثقلين ١ - نزوله دفعة دون تفاصيل ٢ - القاءه عليه دون وساطة ملك الوحي، إذ لم يكن بينه وبين الله أحد، إذاً فالقول الثقيل الذى سيلقى عليه هو القرآن المحكم، إضافة إلى باقى المفصل النازل عليه مفصلاً: ثقلاً على ثقل.

هذا ثقله فى وحيه وقبله، ثم هو ثقيل فى ميزان الحق - فان موازينه ثقيلة لا تخف أبداً - ثقيل فى تطبيقه، ثقيل على الاخفاء الناكرين له، فلا بد من ثقله فى قلبه المنير لحدّ يفرغ قلبه عما سواه من مقال كما فرغ عنم سوى الله، ولقد أثر فى قلبه هكذا

١. الدر المنثور (٦: ٢٧٨) عن عائشة عنه (ص).

٢. نور الثقلين (٥: ٤٤٧) عن عبد الله بن عمر.

ولحدّ كان ينفل على قلبه ، فصاحب هذا القلب بحاجة في تلقى هذا الفيض الثقيل إلى مراس في تزكية قلبه بقيام لياليه بترتيبه وذكر الله.

هذا هو القول الثقيل ، فإن القرآن ليس في معناه ثقيلًا ولا في تفهمه وتذكره: (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) فقولُه - إذًا - ثقيل من حيث القول ، وكيفية إلقائه، وعرقلات تنفيذه.

إنه لا بد للرسول إلى الناس كافة - وكثير منهم من النسناس - أن يحمل هذا القول الثقيل ، لأن التعامل مع الحقائق الكونية الكبرى ثقيل ، والإستقامة على هذه الرسالة الشاملة الأخيرة وراء الأهواتف والجواذب والمعوقات والعراقيل ، إنها لثقيل ثقيل ، فلا بد له في ميادين الكفاح من حمل هذا القول الثقيل ، فليتزود من قيام الليل لتلقي هذا الثقيل ، ولكي يسبح في نهاره الطويل الطويل سباحًا طويلاً.

(إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً) ثقيل المصدر والصدور ، ثقيل المحتد والدوام ، ثقيل المنزل والنزول ، ثقيل التنفيذ ومستحيل الأقول ، على سلاسة تعبيره ، ونفاذ أمره وعبيره .

(إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قبلاً)

فرض عليك - كرسول إلى الناس كافة - قيام الليل لدوافع ومنافع عدة:

١ - (إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً) فلا بد له من التهيؤ ٢ - (إن لك في النهار سباحاً طويلاً) لا يبقى لك معه مجال القيام بالصلاة وترتيل القرآن ٣ - (إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قبلاً): فناشئته الليل هي العبادة التي تنشأ بعد العشاء ، نشوء النور في الظلام ، فالعبادة التي هي وليدة الليل وناشئته ، تفضل على عبادة النهار من حيث الوطء والقيام ، ولقد كان قيام الرسول 3 بعد العشاء بسويحات منامه القليل ، وهو إذ أمر بقيام الليل كان أمراً بقيامه: عن النوم ، وبالعبادة ، تهجداً في آثائه ، وترتيلاً للقرآن في آثائه.

(هي أشد وطأً): مواطأة: يواطئ فيها السمع القلب ، واللسان العمل ، لقلته الشواغل العارضة ، واللوات الصارفة ، ولأن اللب فيه أجمع ، والقلب أفرغ ، فالقراءة

فيه أقوم ، والصلاة اسلم .

هى أشد مواطأة هكذا ، ولأنها أشد وطأة: أوعث مقاماً وأصعب مراماً ، فان مغالبة هتاف النوم وجاذبية الفراش ، بعد كدّ النهار وسبحه الطويل ، لها وطأتها وشدتها التى لا يطيقها إلا المخلّصون ، فناشئة الليل ووطأة أشد.

(وأقوم قبلاً) لأن قبيله ثقيل إلا على الخاشعين ، وأنه يصدر من لباب القلب وخالق القلب أعلم بمداخله وأوتاره ، وما يتسرب اليه ويوقع عليه ، وأى الأوقات يكون فيها أكثر تفتحاً واستعداداً ، فللصلاة فيها خشوعها ، وللمناجاة شفافيتها ولترتيل القرآن نورانيته: إذا فوطأتها أشد ، وقيلها أقوم ، فإعدادها لسبح النهار - الطويل - أتم .

(إن لك فى النهار سبحةً طويلاً) ولا يناسب السبح إلا فى غمرات المياه المضطربة الواسعة الفسيحة ، فان لك اضطراباً فى غمرات المجتمع ، وتقلباً فى جهاته ، ومتصرفاً ومتسعاً ، ومذهباً منفسحاً ، تقضى فيه أوطارك ، وتبلغ مآربك ، وتنجى الغرقى من ورطات الغمرات العميقة ، وتحارب أمواجه الضاربة فى الأعماق المضطربة ، فهذا السبح الطويل فى نهارك ، بحاجة إلى تسييح طويل فى ليلك ، تسييح يعدك للسبح ، ولكى تنجو من ورطاته ، وتنجى الناس جميعاً من غمراته ، فانك سفينة النجاة! .

(واذكر اسم ربك وتبتّل اليه تبتيلاً): فقيامه 3 يشمل ناشئة الليل ، بصلاة وترتيل القرآن ، وذكر اسم الرب ، والتبتل اليه تبتيلاً ، وليأخذها زاداً فى سبحة الطويل .

(واذكر اسم ربك): ولأنك تحمل فى رسالتك بلاغ الربوبية والتربية الإلهية ، فعليك أن تذكر اسم ربك بقلبك ، فهو مصدر الذكر ومورده أولاً وبقالبك: بلسانك وجوارحك وفى كافة تصرفاتك ، ذكر القلب الحاضر مع اللسان الذاك ، واكمله الصلاة فأنها كلها ذكر الله وتمجيده وتمجيده وتعظيمه بالأقوال والأفعال والإشارات .

(وتبتل اليه تبتيلاً) .. هكذا ذكر شامل كامل يبتلك إلى ربك ، فالانقطاع إلى الله على قدر الواقع من ذكر الله ، والتبتل إلى الرب هو الانقطاع الكلى عما سواه والاتجاه التام اليه ، والإنفلات من كل شاغل وخاطر ، لكنما المرجو من تبتلك أن يحمل معه

التبتيل: (وتبتل الى تبتيلاً) لا (تبتلا) تبتلا لك يحمل تبتيلا لمن أرسلت اليهم ، فكما كان قيامك بالليل تهيؤاً لتلقى القول الثقيل ، ولتسيح نهارك الطويل ، كذلك ليكن تبتلك للتبتيل .

فليس الإتيان بالتبتيل هنا لمجرد رعاية الوزن والتجميل (طويلا . تبتيلا) فالقرآن كتاب وزان المعنى قبل أن يحمل الوزن في التعبير ، وقد يناسب وزُن المعنى وزن التعبير كما هنا (وتبتل اليه تبتيلاً) تبتلا ينحوا في طياته منحى التبتيل لتقطع إلى الله ، لك كمحمد ، وللمرسل اليهم كرسول ، فكما على الرسول أن يتبنى شخصه ليصلح لحمل الرسالة ضمن صناعة نفسه كعبد شكور، فعليه - كرسول - أن يتبني المجتمع الذي أرسل اليهم .

ثم هناك نكتة أخرى هي أدق وأرقى: أن المنقطع إلى الله مشغول عما سواه والمنقطع إلى ما سوى الله مشغول عن الله ، فالجمع بين التبتل - وهو الاشتغال التام بالله - وبين التبتيل ، وهو الاشتغال بغير الله ليقطعهم عما سوى الله: ان هذا الجمع لصعب مستصعب ، لكننا الرسول يؤمر في تبتله بالتبتيل ، ففي حين انه مشغول بالله عما سواه ، إنه يشتغل بما سواه لتوجيههم إلى الله ، وهذا هو مقام الجمع في الوحدة والوحدة في الجمع ، يسبح نهاره طويلا في الدعوة إلى الله ، ويلاقي الصعوبات والحرمانات في الله ، وهو متبتل إلى الله ومتبتل سواه عما سوى الله ، فذكره ذكر واحد، وعمله واحد ، طالما يختلف في صور الصلاة وترتيل القرآن وذكر الله ، وفي الجهاد والدعوة إلى الله ، فإنه ينحوا في هذا السبح الطويل منحى الله ، فتبتله تبتيل ، وتبتيله تبتل!

و لطيفة ثالثة: هي أن التبتل هو تقبل للتبتل ، والتبتيل هو فعله ، فقديعنى بالأول قبوله العصمة الإلهية في انقطاعه إلى الله ، وبالتالي محاولته انقطاعه ومن سواه إلى الله ، والنتيجة أن انقطاعه الخاص إلى الله ليس من فعله هو فحسب ، وليس تسييراً إلهياً فحسب ، وإنما هو أمر بين أمرين ، جذبة إلهية متممة لمحاولة الانجذاب والإنقطاع إلى الله ، وكما العصمة في كافة مراحلها ليست إلهية خالصة ولا بشرية خالصة ، إنما هي سعى حسب المستطاع من المعصوم في البداية ، ثم جذبة إلهية، ثم سعى ثان يوافق

ويساير تلك العصمة الخاصة الإلهية .

فحاصل المعنى من الآية أنه 3 أمر بتبتل التبتيل: ينقطع إلى الله على ضوء توفيق الله وسعيه هو كما يناسب تبتل العصمة ، وفي نفس الوقت يبتل غيره إلى الله ، ثم لا يشغله الاشتغال بغير الله في رسالته عن الله ، معان ثلاثة هامة تعنى من كلمات ثلاث (و تبتل إليه تبتيلاً) .

و ليكن كذلك (واذكر اسم ربك): انه ذكره تعالى في نفسه وأعماله وعلاقاته الشخصية مع الله (واذكر اسم ربك في نفسك) وذكره في نفس الوقت لمن أرسل اليهم: (وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً) (٤: ٦٣) دون تفاوت بين الذكرين ، فانهما ذكر واحد لله ، كما ان تبتله واحد لله .

(رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذة وكيلاً) .

لئن سئلت: لماذا التبتل إليه وحده لا سواه ؟ فالجواب أنه (ربك) لا فقط بل و(رب المشرق والمغرب): العالم كله بما أنه لا يخلوا من شارق وغارب أيأ كان ، فالكون كله بين مشرق ومغرب ، لا يخلوا عنها أي كائن ، ولأنه رب الكائنات أجمع . ف (لا إله إلا هو) ولربوبيته المطلقة وألوهيته الوحيدة (فاتخذة وكيلاً) .

فالوكالة هي الاعتماد - فيما تقصر عنه القدرة والعلم والحياة - على من له هذه القدرات أكثر من الموكل، أو ما يقصر عنه الوقت لكثرة الأشغال، والخلق كلهم قاصرون في هذه وتلك: مهما كان البعض أقوى من البعض، ولذلك يتوكل الضعيف على القوي، ولكنه لا غنى في هذه الوكالة القاصرة، وإنما الوكالة الإلهية هي الكافية الكافلة لما نبيغه، بعد ما كلت مساعينا عن الوصول إلى المأمول، ما لم يكن خلاف الحق والمصلحة: (و من يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً) (٣:٦٥).

إن أسس الوكالة الناجحة غير الفاشلة، لا توجد إلا في الله لا سواه: من سعة العلم: (وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا) (٧:٨٩) والعزة والحكمة: (و من يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم) (٨:٤٩) والحكم في التكوين والتشريع: (إن

الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) (٦٧:١٢) وانه المرجع للأمر كله: (وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه) (١٢٣:١١) ولحياته السرمدية: (وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده) (٥٨:٢٥) وبصورة جامعة لأنه الله لا إله إلا هو كما في عشرات من الآيات، وهو خالق كل شيء وبذلك هو الوكيل على كل شيء دون توكل، وعلى ما نبغيه مما له نسعى وإياه نطلب بالتوكل: (خالق كل شيء فاعبده وهو على كل شيء وكيل) (١٠٢:٦) فلولا وكالته تعالى على كل شيء لخرجت إلى اللا شيء، ولو لا التوكل عليه لكنت المساعي دون الوصول إلى ما نبغيه من شيء.

إنه ليست هناك وكالة إلهية لأحد على أحد ولا للرسول: (انما أنت نذير والله على كل شيء وكيل) (١٢:١١) اللهم ألا وكالات فاشلة جزئية لا غنى فيها عن الوكالة الإلهية، ولا تعني وكالة الله بطلان المساعي والأسباب بالتوكل على الله خالق الأسباب والساعين (وكفى بالله وكيلاً) (٨١:٤).

فالمسموح فيه هو السعي وتوكيل الغير بغية الوصول إلى المأمول، والمحظور هو التوكل على غير الله، على نفسه أم سواها، فالله يوكل ويتوكل عليه، ومن سواه يوكل ولا يتوكل عليه، وعلينا وكلاء وموكلين جميعاً أن نتوكل على الله في إطارات ثلاث: نتوكل عليه فيما نعمل رجاء النجاح، ونتوكل عليه فيما نأمل من وكلائنا، ويتوكل وكلائنا على الله فيما توكلوا فيه من موكلينهم، فإنه يرجع الأمر كله. وكفى بالله وكيلاً. (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرًا جميلاً. وذرنى وامكذبين أولى النعمة وملهم قليلاً)

أن الصبر على تقولات الكافرين، وهجرهم هجرًا جميلاً، وعلى تكذيبهم لهذه الرسالة السامية، كل ذلك دليل أن المزمل نزلت بعد المدثر، نزلت بعد ظهور الدعوة ومجابتها العراقل ونعرات الفرية والتكذيب، كما وان السبح الطويل نهاره، دليل على أن المزمل نازلة بعد تطبيقه القيام السافر العام في المأمور به في المدثر، بذلك تؤيد الرواية الثانية أنه 3 تزمّل ذعراً ساخطاً على تقولات قريش في ندوتهم الكافرة: انه ساحر أو مجنون تتربص به ريب المنون.

فهنا يؤمر الرسول بالصبر والهجر الجميل والتمهيل القليل، بدل الجزع أو المقابلة بالمثل أو التنكيل، وأنه صبرٌ لصالح الدعوة، لا صبر المسائرة والاستسلام، بل صبر يحمل كل جميل في الدعوة، للداعي والمدعويين.

فالأمر بالصبر هنا يعني عدم الجزع الدافع الى الفرار عنهم: (فالصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت) (٤٨:٦٨) (.. إذ ذهب مغاضباً) (٨٧:٢١) خروجاً عن الدعوة وفراراً عن المرسل اليهم، وكذلك عدم التزمل والوقوف عن الدعوة، أو النقص فيها والتمهيل عنها: (واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله) (١٠٩:١٠) وعدم التحزن عليهم: (واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم) (١٢٧:١٦) وعدم الاستعجال لهم بالدعاء عليهم: (فاصبر كما صبر أولوالعزم من الرسل ولا تستعجل لهم) (٣٥:٤٢) وأن يكون استقامة في الدعوة واتكالاَ فيها على نصر من الله: (واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) (٤٨:٥٢) لا صبر المسائرة والطاعة لهم والإنفلات عن الدعوة: (فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً) (٢٤:٧٦).

وأخيراً الصبر عليهم نظراً النعمة الإلهية على الصامدين في الكفر: (فاصبر صبراً جميلاً. انهم يرونه بعيداً. ونراه قريباً) (٦:٧٠).

فالصبر منه جميلٌ كهذه، ومنه قبيح: كالصبر على هدر الأموال والنفوس وانتهاك الدين والناموس وجاه الظالمين، والصبر على نقص الدعوة وانتفاضها عن المدعويين والصبر على الظلم والضميم، و الصبر على ما للانسان أن يدافع عنه: وإنما عليه الصبر الجميل والهجر الجميل والكلام الجميل والسكوت الجميل والنصيحة الجميلة التي تضم كل جميل في الدعوة، وليس الهجر الجميل إلا هجراً عن الهجر والتنكيل حق يحكم الله، والهجر في تقولاتهم اللاذعة، عن المقابلة بالمثل، ولا خروجاً عنهم وعن دعوتهم.

إن الرسول الأقدس 3 لم يكن ليحارب المكذبين بداية الدعوة، لقلّة العدد والعُدّة، ولما تكمل الدعوة! ولذلك أمر بتأجيل الجهاد إلى زمن الهجرة، حين تكمل العِدّة والعُدّة: (واتبع ما يوحى اليك حتى يحكم الله) (١٠٩:١٠) وقد حكم الله بالجهاد منذ الهجرة، وحكم على الكافرين بالنار منذ الموت وليوم القيامة، ولقد كانت أخلاقه 3

جميلة مع الناس كافة على طول الخط، لحد يعفوا عن الكفار عند فتح مكة المكرمة وهم في قبضته، علّهم يؤمنون، أو يندمون على ما فعلوا وافتعلوا.

(و ذرني والمكذبين أولي النعمة) الذين يزدادون تكذيباً لأنهم مترفون: والنّعمة هي هنا الحياة الدنيا، والنّعمة هي الحالة الحسنة الشاملة للحياتين (كم تركوا من جنات وعبون. وزروع ومقام كريم. ونعمة كانوا فيها فاكهين. كذلك وأورثناها قوماً آخرين) (٢٨:٤٤) ذلك لأنهم (بدلوا نعمة الله كفرأو أحلوا قومهم دارالبوار) وهذا هو تبادل النّعمة نعمة عليهم ونقمة (جهنم يصلونها وبئس القرار) ذرني وإياهم، فأنا حسبهم. (ومهلهم قليلاً) بينك وبين الهجرة الحاسمة جذورهم بالجهاد، وبينهم وبين قتلهم أو موتهم إلى عذاب النار وبئس القرار.

فلقد كان صبره جميلاً على طول الخط، وامهاله القليل جميلاً، كله بأخلاقه وتصرفاته جميلاً أينما كان، فحق له قول الله (وإنك لعلى خلق عظيم). فحمل الرسالة الإلهية وتنفيذها ببلاغها بحاجة إلى صبر جميل: صموداً واستقامة للوصول إلى المغزى في سبيلها الشاق الطويل، فالصبر للرسول - هكذا - زاد وعتاد، وجئنة وسلاح، وملجأ وملاذ، بجانب ما عنده من وسائل الدعوة وتدابيرها، صبراً مع النفس وشهواتها وانحرافاتنا وضعفها وشرودها وعجلتها وقنوطها، وصبراً مع أعداء الدعوة وكيدهم، وصبراً مع المؤمنين، على قتلهم، وقلة صبرهم، وكثرة استعجالهم، و صبراً مع عامة النفوس التي لا تخلوا من تسرعات في حق أو باطل.

(و مهلهم قليلاً) ولو مهلتهم عمر الدنيا فهو قليل، فكيف بأعمارهم التي ليست إلا قليلاً في قليل، وكيف بإمهالهم إلى زمن الهجرة وهو أقل من القليل، فلتصبر هنا وهناك صبراً جميلاً، ولتمهلهم قليلاً:

(ان لدنيا أنكالاً و جحيماً وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً).

فلدينا من أنكال ما ليس لديك مهما كان نكالك عليهم شديداً.

إن أنكال النار وقبورها وأغلالها هي التي قدموها لأنفسهم يوم الدنيا إذ كانوا أنكالاً في ضد سبيل الله، وكانت عليهم اغلال الشهوات فأتاقلوا إلى الأرض ورضوا بالحياة

الدنيا من الآخرة، فأكملت شهواتهم يو الدنيا، ثم ظهرت أنكالا يوم الدين جزاءً وفاقاً.
(وطعاماً ذا غصة): الذى يمزق الحلوq ويمحرق الحناجر، كما كانت حياتهم غصة
وكان الحق شجى في حلوقهم، كما كانوا شجى في حلوق المؤمنين وقذى في اعينهم،
وبصيغة شاملة كانت حياتهم عذاباً أليماً على الدعوة والداعين والمدعوين، فانتقلت إلى
عذاب إليم عليهم يوم الدين:

(يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيباً).

رجفة الأرض والجبال - هذه: هي الرجفة الأولى المدمرة لها، ثم تتلوها الرجفة
الثانية الرادفة لها، المحيية لأمواتها: (يوم ترجف الراجفة. تتبعها الرادفة) ومواصلة
الرجفتين تجعل الأولى كأنها الثانية، ولأنها بداية القيامة، فتعتبر الأولى - وهي رجفة
الإماتة- كأنها يوم النكال، والطعام ذو غصة والعذاب الأليم، وهي كلها بعد الرجفة
الثانية: الإحياء!.

و على أثر هذه الرجفة المدمرة تصبح الجبال كأنها (كانت) منذ كانت (كثيباً مهيباً):
(يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزو لله الواحد القهار) والكثيب المهيل
هي الرمل المتراكم المنقلب أسفله أعلاه، فكما تخرج اثقالها في زلزالها، كذلك الجبال
تقلب في ترمّلها وتدمرها، فتظهر قواعدها الأعماق ومترامها محترقاً.
فإذا تفتت الأرض وتنهار، وتكشب الجبال وتحتار، فكيف إذا تكون أحوال الناس
المها زيل الضعاف في قبضة العزيز القهار؟

(انا أرسلنا اليكم رسولاً شاهداً عليكم كما ارسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى
فرعون الرسول فأخذناه أخذةً وببلا).

(رسولاً شاهداً عليكم): تلقياً لما تقولون وتعملون وتفكرون يوم الدنيا وإلقاءً لهذه
الشهادة يوم الدين، فكما أن لكل أمة شهيد هو رسول لهم: كذلك على كافة الشهداء
والمشهود عليهم يوم الدين: (ويوم نبعت في كل امة شهيداً عليهم من أنفسهم وجننا
بك شهيداً على هؤلاء) (٨٩:١٦) فهو يحتمل شهادتهم يوم الدنيا ويؤديها كما تحمّل ،
يوم الدين.

(كما أرسلنا إلى فرعون رسولا) فرسالة محمد3 أشبه برسالة موسى ممن سواه، وكما تحكم بهذه المماثلة السامية آية تورانية تحمل بشارة مهمة للرسول الأقدس محمد3 وها هي باللغة العبرانية:

(نابىء آقيم لاهم مقرب احيجم كموشه وناتتى دبارى بفيو ويدبر إلو هيم إت كال
أشير إصونو) (سفر التثنية ١٧:١٨)

(نبي أقيم لهم من أقرباء أخيهم كموسى وأضع كلامي في فمه لكي يبلغهم جميع ما أمره به)١ .

و هذه المماثلة هي في استقلال الشريعة، وأن كتابه من وحي الله لفظاً ومعنى وفيما أصيب محمد من كفار قومه كما أصيب موسى من آل فرعون، فأخذه الله أخذاً وبيلا: ثقيلاً هو وإبل العذاب كالطر الجارف، هنا الآية تتهدد العصاة الطغاة على الرسالة المحمدية بالأخذ الويل، يهزُّ قلوبهم هزاً ساحقاً، يخلعها بعد رجفة الأرض وكتب الجبال المهيل، عليهم يتذكرون ويحذرون من أخذة الدنيا والآخرة، فليأخذوا حذرهم بين الأخذتين في هذه الحياة القصيرة، فليتقوا هنا بأس الله قبل أن يأتيهم:

(فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً. السماء منفطر به كان وعده

مفعولاً).

إناقة أندی وأبدى ولنفرض أنكم اتقيتم عذاب الله يوم الدنيا، أم لم يأتكم فيها (فما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) (فكيف تتقون إن كفرتم) و متم على الكفر (يوماً) يوم الرجفة الطامة التامة، من وقعته وشدته: (يجعل الولدان شيباً) فانه الهول الذي تتشق منه السماء وتخر الجبال هدأً، فكيف بالولدان الضعاف، فتراهم كأنهم شيب من بياض نواصيهم وانحداب ظهورهم، وانكماش جلودهم، لا لخطيئة اقترفوها فانهم قاصرون، وإنما هذه طبيعة هذا اليوم التي ترسم في الطبيعة الصامتة أيضاً، ففي الانسانية الحية اولى! وإذ يصبح الولدان شيباً وهم قاصرون فكيف بالكفار المكذبين وهم مقصرون،

١. التفصيل الى كتابنا «رسول الاسلام في الكتب السماوية» ص ٣٣

فهناك وقعة تتقى هي عذاب الله، تتقى بالإيمان بالله، ووقعة لا تُتقى، وليست هي عذاباً، وإنما توحى بشدة بالغة لا تبقي ولا تذر، وهي رجفة الإمامة والتدمير، فالولدان الذين هم أطفال، لو جاز أن يشيخوا لرأى خطب، أو طارق كرب، لشابوا في هذا اليوم لعظيم أهواله وفضاعة أحواله، وإنما وقعة هي كعذاب: (السماء منفطر به) تنفطر به السماء وتنشق وتكشط وترجع رجعاً، فكيف لا ينظف هذا الإنسان الهزيل الذليل؟ (و كان وعده مفعولاً) لا هوادة فيه ولا رجعة منه!

(إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى به سبيلاً).

و إنها تذكرة بالغة لمن أراد أن يتذكر، فمن شاء الإدكار اتخذ إلى ربه سبيلاً، ومن شاء أن يسلك سبيلاً إلى ربه فزادته أن يتذكر، إن السبل إلى الله كثيرة وكذلك إلى الشيطان: (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (١٥٣:٦) وأنجح السبل إلى الله هو صراطه المستقيم، ثم ما دونه من السبل من حق اليقين وعين اليقين وعلم اليقين وظن اليقين (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى).

أئمة محمد مع أئمة دعوته من أدلة أممية رسالته القرآن بنفسه شاهد على رسالته.
(وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ) (٢٩:٤٧)

(وكذلك) الأسلوب الذي أنزلنا إلى من قبلك الكتاب (أنزلنا إليك الكتاب) فالمصدر واحد والصادر وحي واحد مهما اختلفت شرعة من الدين عن شرعة في البعض من الطقوس الظاهرية، حلقات متصلة من الوحي، موصولة الهدى إلى (والله أعلم حيث يجعل رسالته).

(وكذلك) البعيدة المدى، الشاملة الهدى، الصادرة للردى (أنزلنا إليك الكتاب) يا رسول الهدى، الكتاب الذي يخلق وحيه على كل كتاب وزيادة، مشابهاً وحيه وحيها وزيادة (فالذين آتيناهم الكتاب) هم بطبيعة الحال، ونتيجة الاطلاع على وحي الكتاب والبشارات المودعة فيه بحق هذا الكتاب ونبيه (يؤمنون به) حيث الملاح نفس الملاح والمسارح والمصارح نفس المسارح والمصارح، مهما تعنت عنه جماعة متعندة! وبإشراق

اقوى و، ثم (ومن هؤلاء) المشركين البعيدين عن وحي الكتاب (من يؤمن به) حيث الكتاب بنفسه برهان لا مرد له أنه من الله، مهما كانت الخبرة السابقة بوحى الكتاب تزيد برهاناً مشياً على برهانه الا صيل (وما يجحد بآياتنا) كتاباً ورسولاً وحجة أخرى للرسالة غير الكتاب (إلا الكافرون) الذين عميت بصائرهم وأغلقت أبواب قلوبهم، فتجاهلوا عن آيات الله البينات التي هي كالنار على المنار وكالشمس في رابعة النهار. ومما يقرب الفريقين إلى الايمان به، شاهداً ممن أرسل به اضافة إلى آية الكتاب:

(وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) (٤٨:٢٩).

هنا (من كتاب) تستأصل كل كتاب سماوي أو أرضي (وما كنت) تستأصل كيانه كرسول القرآن أن يتلوا من قبله من كتاب، لا أنه ما تلاه وهو قادر على تلاوته تقيّة مصلحية الحفاظ على وحي القرآن، فان (ما كنت) تُحيل عليه كل تلاوة وكتابة لاي كتاب قبل القرآن إحالة تكوينية وتشريعية، فلم يكن يستطيع أية تلاوة قبله، ولا كانت مسموحة له لو استطاعها.

ثم و(تتلوا) تنفي كل ائتمام بأى كتاب قبل القرآن، قراءة وإقراءً وتعلماً وتفهماً، وعلى الجملة سبيل التلاوة له مطلقة محلقة على كل تلاوة قلبية أو ليلية، والأولى تعم تلاوة السمع والبصر واللسان، وتلاوته بيمينه وهي الكتابة، وقد افردت بالذكر بعد التعميم لأنها من المصاديق الخفية للتلاوة.

و الثانية تعم التلاوة العقلية والقلبية، ومن ثم التلاوة التطبيقية.

إذاً فلسبية التلاوة كما تحلق على كل كتاب قبل القرآن، كذلك تحلق على كل ائتمام واتباع لكتاب قبله، فقد كان منفصلاً عن كل كتاب تلاوة له وخطاً بيمينه (إذاً) لو كان يتلوا ويخط من قبله من كتاب (لارتاب المبطلون) لحجة القرآن علّه مما تلاه من كتاب فجمعه خطأ بيمينه كتاباً سماوياً كما يهرفه الخارفون أنه جمعه من كتابات السماء، ام كتاباً أرضياً، كما يتقوله آخرون (وَقَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلِي عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (٥:٢٥)، ولماذا (بيمينه) والكتابة بطبيعة الحال تكون (بيمينه)؟ علّها تعنى -

إضافة إلى يمين الجارحة وهي المتعودة للكتابة - تعني يمين القدرة، فلم يكن بمستطاعه أي كتب لأي كتاب سواءً في سجلات القراطيس وأشباهاها، ام في سجلات خاطراته المقدسة لو سمع شيئاً من كتاب، وهكذا كان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ أن كان فطيماً حتى أنزل عليه القرآن، لم تُعرف منه أية تلاوة عن كتاب أم عن ظهر الغيب، ولا مراجعة إلى أي من اهل الكتاب ولا مدارس لوجي الكتاب وسواه، ومن هنا نتلمح كصرح أنه ما كان يتبع شرعة تقليدية من ذي قبل، حيث السلبية المطلقة لتلاوته اي كتاب من قبل تنفي كل ائتمام واتباع لأي كتاب، فاتباع كتاب الشرعة يتطلب قراءته، او اقراءه على من لا يقره، حتى يتطلع إلى فرائضه ومحاذيريه، (وما كنت تلو) تستأصل أية قراءة واتباع، أن ياتم بأي كتاب ولا أي صاحب كتاب، فما قلد محمد 3 قبل القرآن أية شرعة تقليدية حاضرة زمنه! إذاً فما كانت شرعته - وهو افضل المصطفين - قبل شرعته وبعده؟

حين نتأكد أنه ما كان يتلو من قبله من كتاب من ناحية، وانه كان أعرف أهل زمانه وأعبدهم لربه قضية الإصطفاء للرسالة الأخيرة من أخرى، إذا فأمره محصور بين أمرين: ^١ أنه كان يوحى إليه بنبوءة شخصية، معرفية متصلة متواصلة، وعملية منفصلة الوحي، وكما يشهد له قول الامام امير المؤمنين علي: (و لقد قرن الله به منذ أن كان فطيماً أفضل ملكٍ من ملائكته يسلك به سبيل المكارم ويرشده إلى افضل أخلاق العالم ليلة ونهاره ..)!

و مما يؤكد تلك السبيلة الجامعة آية الشورى (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان) (٥٢).

ثم (من قبله) هنا تحدد تلك السلبية إلى حد نزول القرآن، حيث اصبح بعده أقرء

١. لاطلاع اكثر على الموضوع راجع ج ٣٠:٣٤٧ من الفرقان وتفسير الاية «ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان» (٥٢:٤٢).

١. مثل مكاتيب الرسول 3 للشاهرودي، وسواه.

القراء وأتلى التالين للكتاب والحاطين له بيمينه خطأً في أية سجلة من السجلات، فهل توجد تلاوة لكتاب بكل حواياه وزواياه مثل تلاوته القرآن لنفسه وعلى الناس كافة؟ كما وكتاباتة 3 وتوقعاته إلى الملوك والرؤساء والشيوخ معروفة، ومنها ما هي مسجلة في كتاب فذ.

فهذه الآية تستأصل جذور الأرتياب في ذلك الكتاب (لأريب فيه هدى للمتقين) إجابة عن شطحات القيلات الجاهلة القاحلة: (وقالوا اساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً. قل أنزله الذين يعلم السرفي السماوات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً) (٦:٢٥) ، ولقد ذكرت امية محمد 3 في كتابات السماء بصيغ مختلفة كما في كتاب اشعيا ٢٨: ٩-١٤ عن اصله العبراني:

(إت مي يوره دعاه وإت مي ي بين شموعا غكمولي محالب عثممي مشاديم) (٩): لمن ترى يعلم العلم ولمن يفقه في الخطاب ألمفطومين عن اللبن للمفصولين عن الندي) (٩) ... ثم يستمر في مواصفات وحي القرآن.

وفي نص عبراني آخر من التوراة: (يدعو بيسرائيل إوايل حنبيا مشوكاغ إيش هاروح عل روب عوئخا ورباه مشطمة):

بنو اسرائيل يعلمون ويعرفون بأن النبي الأمي المصروع صاحب روح إلهامي وصاحب الوحي، وهنا يقول (ربي حيمم ويطال) في كتاب (عصحييم) أن القصد من النبي الأمي هنا إنما هو محمد بن عبدالله الذي بعث في عهد عبدالله بن سلام.

(بل هو آيات بيئات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد باياتنا إلا الظالمون)

(٤٩).

٢. نورالتقلين ٤:١٦٤ في عيون الاخبار في باب مجلس للرضا Δ مع أهل الاديان والمقالات في التوحيد قال الرضا Δ في اثناء المحاورات: وكذلك امر محمد 3 وما جاء به وامر كل نبي بعته الله ومن آياته ان كان يتيماً فقيراً راعياً أجيراً لم يتعلم كتاباً ولم يحتلف إلى معلم ثم جاء بالقرآن الذي فيه قصص الانبياء عليهم السلام واخبارهم حرفاً حرفاً واخبار من مضى ومن بقي إلى يوم القيامة.

(بل) هنا إضراب عن كل قبيلة علييلة حول القرآن (هو) القرآن (آيات) تدلنا بنفسها على انها إلهيات (بينات) الدلالات على ذلك: (في صدور الذين اوتوا العلم): ما به يميز الآية عن سواها، سواء في ذلك علم الكتاب كما لأهل الكتاب، أم علم لغة الكتاب كما لسواهم كالمشركين وسواهم، العارفين لغة الكتاب، وحتى غير العارفين حين يترجم لهم الكتاب، فالفطرة والعقلية السلمية تكفيان للإتقان أنها آيات الله، مهما اختلفت درجاته حسب درجات (الذين اوتوا العلم) وأعلامهم هو الرسول 3 وأئمة أهل بيته عليهم السلام، فكما آياته لهم بينات الدلالة على إلهيتها، كذلك هي بينات الدلالة على مداليلها فانهم هم الراسخون في العلم في بُعدي الدلالة والتدليل للقرآن العظيم ثم (بينات) تحلّق على كل بينة في كافة الحقول المعرفية، بينات الدلالة وبينات التدليل لأعلى القمم العالية الكافية لمن يتحرى عن هدىً.

فلا يختص (الذين اوتوا العلم) بالرعييل الأعلى من أهل بيت الرسالة المحمدية صلوات الله عليهم أجمعين، حيث القصد هو العلم الذي يكون ذريعة للحصول على بينات الكتاب وهو درجات بين العبارة والإشارة واللطائف والحقايق، فقد تكفي العبارة وهي المعاني المطابقة الترجمانية الساذجة، دليلاً على بينات آياته.

و (اوتوا العلم) يعم العلم الفطري والعقلي المؤتيان لكل مكلف، والعلم التعقلي المؤتي لمن يطلبه بتفكير أو دراسة، وعلم الإلهام ثم علم الوحي المؤتيان للأهلين لهما على درجاتهم، فالعلم أياً كان طبيعته الكشف عن الحق، فبقدر العلم المستخدم لتفهّم الكتاب (هو آيات بينات) درجات حسب الدرجات، ان استعمل العلم في صالحه كشفاً عن الحق المرام.

(بل) هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) هم منازل وحي القرآن، دون وسيط كالرسول 3 ام بوسيطه كما الأئمة المعصومون عليهم السلام، كما (هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم) ككل، فمهما لم تكن آياته في صدورهم، فهي بينات في صدورهم لما تتلى عليهم أم يتلونها.

إذاً ف هو (آيات بينات ...) - (آيات في صدور) و(بينات في صدور) بينات

الدلالة والتدليل (في صدور الذين اتوا العلم) كَلَّهُ بالكتاب وهم الرعيل الأعلى^١.
ثم في صدور الحفاظ لها لفظياً ومعنوياً كالعلماء الربانيين في علوم القرآن، في
الدلالة والتدليل على أقدارهم، ثم في صدور حفاظها معنوياً مهما لم يحفظوها لفظياً، في
الدلالة والتدليل، على أقدارهم.

و أخيراً في صدور المستدلين بها على كونها إلهيات، مهما اختلفت صدور عن
صدور، وبينات بين الأدنى والأعلى وبينهما متوسطات.

فهنا مثلث: الحفظ لفظياً، والدلالة على كل حقائقها، والتدليل بها على إلهيتها، هي
الخاصة بالمعصومين عليهم السلام^٢.

ثم التدليل بها - فقط - على إلهيتها، يعم كل مَنْ بإمكانه التعرف إلى حالة المعنى
وهالة المعنى منها، وبينهما متوسطات في أبعاد الحفظ لفظياً ومعنوياً، والدلالة والتدليل.
(وما يجحد بآياتنا) أيًا كانت: آفاقية وأنفسية، رسولياً ورسالياً وكتابياً (إلا الظالمون)
أنفسهم والظالمون الحق الناصح، تغافلاً عن فطرهم وعقولهم وفكرهم، وتجاهلاً عن العلم
الذي أوتوه من ربهم، فكل بصيرة - مهما كانت قليلة - تبصر ربوبية الوحي الرسالي
في القرآن ونبيه، فما أظلمهم وأجهلهم هؤلاء الأوغاد المناكيد المجاحدين لآية القرآن
وسواه من آيات الله البيّنات!

وهنا (الظالمون) قبال (الذين اتوا العلم) بدلاً عن الذين لم يؤتوه، أو الجاهلون T
للتدليل على ان المجاحدين بآيات الله ليسوا يفقدون العلم الذي به تُعلم آياته البيّنات،
بل هم ظلموا الذي أوتوه من العلم، تنازلاً عنه وتجاهلاً وتغافلاً عاماً أم متساهلاً، فقد
ظلموا بذلك ما أوتوه من العلم ف(جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) ام لم

١ . حسب هذا الاحتمال فالقرآن آيات بينات في صدورهم بكل مراحلهم دون ابقاء، ثم يتلوهم من هي
بينات في صدورهم مهما كانت آيات - كذلك - في صدورهم كالحفاظ ام ليست في صدورهم إلا
بينات، وكما الصدور درجات فالبيّنات ايضاً درجات.

١ . نورالثقلين ٤: ١٦٤ - روى باسانيد عدة عن الصادقين H انهم الائمة عليهم السلام.

يدبروا القرآن لكي يستيقنوا فيؤمنوا به.

فليس المجاهد بآيات الله إلا ظالماً، عالماً أو جاهداً، ما دام انه مقصر في ذلك الجحود، حيث لم يستعمل العلم المؤتى له في صالحه.

ولماذا (في صدور ..) ؟ لأنها أولى مقامات الايمان الإلتقان، حيث يغربل العلم فطرياً وعقلياً وعلمياً وحسياً إلى الصدور ومنها إلى القلوب، فما لم يصل إلى الصدور لم تحصل بينة على ضوءه، فكثير هؤلاء الذين يعلمونها دون صدورهم ليست لهم بينات! (وَقَالُوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ) (٥٠).

(من ربه) هنا دون الله - أو- رب العالمين تعريضة عليه ساخرة، أنه لو كان ربّه فكيف أهمله إذ أرسله دون آية تدل على رسالته، فهل ضنّ به أم غفل عنه، أم هو كاذب في دعوى الرسالة؟! .

وهنا الآيات المقترحة عليه هي الملموسة المحسوسة المتعوّده عليها طيلة الرسالات السالفة جهلاً منهم أو تجاهلاً أن ليس على الله إلا الآيات التي تثبت الرسالة، واما كون الآيات الرسالية على نسق واحد فلا، بل المفروض في كل رسالة ان ثلاثها الآيات الرسالية، فالرسالة المحدودة تكفيها الآيات الوقتية المحدودة ككل الرسالات قبل الأخيرة، والرسالة المحلّقة على كل عصر ومصر لا تكفيها الآيات المحدودة، بل الآيات الخالدة التي هو اقوى من كل الآيات الرسالية مادة ومدة، مادة تجذب كل العقلاء على مراتبهم وفي كل حقولهم العقلية والعلمية، ومدة تستمر إلى آخر زمن التكليف.

فالآيات الرسالية المادية التي صاحبت اصحاب الرسالات من قبل في غضون البشرية و عنفوانات الوحي ما كانت حجة إلا زمن كل رسول حين تظهر على يديه، وهذه الرسالة الأخيرة البالغة لأعلى القمم الرسالية، من الضروري لها الحجة الحاضرة في الطول التاريخي والعرض الجغرافي، محلّقة على كل المجالات في كل الحالات، دون أية غيبوبة لشمسها، بل ولتزدد إشراقه فوق إشراقه على غرار تقدم العقول والعلوم، متفتحة كنوزها لكافة الأجيال.

فآيتها الرسالية: (القرآن) دائبة الدلالة في كل زمان ومكان، دون اختصاص بالحياة الرسولية كما في سائر الآيات الرسالية لسائر المرسلين، بل وتحیی للحياة الرسالية كما الرسولية - بل واقوى وأندى - حيث تظهر منها حقائق ورقائق وتبهر، ما لم يكن الجليل المحضور زمن الرسول ليدركوها، فإن للقرآن آيات متشابهات يفسرها الزمن. و هؤلاء المجاهيل حين يقترحون على هذا الرسول آيات مادية وقتية كالفقه، قد يسخرون منه بقولتهم المتحدية (لولا انزل عليه آيات من ربه) إن كان ربه، فكيف تركه ربه وهو يدعي خاتمة الرسالة وأقواها!؟

والجواب القاطع القاصع يتشكل من سلب وإيجاب، فالسلب يعني انه لا يملك من الله آيات حتى يبرزها أو يستزلها: (قل انما الآيات عند الله): كل الآيات الرسالية مادية ومعنوية هي عند الله لا سواه، عند الله علماً وقدرة وحكمة لإنزالها (ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إنني معكم من المنتظرين) (٢٠:١٠) - فالآيات الرسالية هي من الغيب المخصوص بالله بكل أبعادها: (وانما انا نذير مبين): رسالتي انا محصورة في (نذير) عن بأس الله (مبين) في نذرتي دون ابهام، وأما سند الرسالة، فهو كاصلها، فليس إلا عند الله، فكما الله هو الذي أرسلني وأوحى الي، كذلك هو الذي ينزل علي آية الرسالة المثبتة لها، ثم الجواب الإيجابي هو آية القرآن الكافية عن كل آية:

(أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (٢٩:٥١).

وألوا هنا تعطف إلى محذوف هو بطبيعة الحال آية كما القرآن آية، وليست إلا الرسول نفسه، ألم تكفهم انت بها تحمل أعلى قمم التربية الرسالية (و ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ..) وكما المرسلون دونه يستدلون لرسالتهم الإلهية بالتربية الرسالية اللامعة فيهم: (قَالُوا رَبَّنَا عَلِّمْنَا لِنَا إِيَّاكَ لَعَلَّكُم مَّرْسَلُونَ) (١٦:٣٦).

فقد يكفي محمد 3 بنفسه، بحاله وأفعاله وأقواله وان لم يأت بالقرآن، يكفي آية بينة رسالية برسوليته، فهو هو القرآن، متجسداً في كل احواله (وما علمناه الشعر وما ينبغي له إلا هو إلا ذكر وقران مبين) . . فهو القرآن نفسه تكويناً كما كتابه المنزل عليه قرآن تدويناً! وقد تلى عليكم كتاب حياته رسالية قبلها! وإذا لم تكفهم أنت آية لرسالتك لكل البصر وقصر النظر (أولم يكفهم أنا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ..) تلاوة هي

على الأسماع أسهل، وعمرها أطول، فهي على هذه الرسالة أدلّ وأنبى، فقرآن محمد ومحمد القرآن آيتان بارعتان كلُّ تؤيد الأخرى، أم هما آية واحدة والثانية القرآن هي استمرارية للأولى: رسول القرآن، حيث يعيش في كل الحياة الرسالية ويعيَس بآيتها البارعة كل متحر عن حق الرسالة وحقها.

(أولم يكفهم) عن كل آية رسالية ان يحلق الوحي الآية الزمن الرسولي بنجومه ليل نهار ودونما انقطاع نزولاً على الرسول، ثم ويحلق الزمن الرسالي بما بين دفتيه مؤلفاً بوحى كما نزل بوحى، شمساً مشرقة على قلوب وأفكار المكلفين إلى يوم الدين.

إن القرآن آية كافية، آية خالدة وكتاب شرعة خالدة على حد قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (كفى بقوم حمقاً أو ضلالة ان يرغبوا عما جاء به نبيهم اليهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم ..) وقوله 3: (لو نزل موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم، أنا حظكم من النبيين وأنتم حظي من الأمم) ١.

١. الدر امتثور ٥: ١٤٨ عن يحيى بن جعدة قال جاء ناس من المسلمين بكتب قد كتبوها فيها بعض ما سمعوه من اليهود فقال رسول الله 3: .. فنزلت هذه الآية، وفيه عن ابي هريرة عنه 3 مثله.

٢. المصدر اخرج عبد الرزاق وابن الضريس والحاكم في الكنى والبيهقي في شعب الايمان عن عبد الله بن ثابت الانصارى قال دخل عمر بن الخطاب على النبي 3 بكتاب فيه مواضع من التوراة فقال: هذه اصبتها مع رجل من أهل الكتاب اعرضها عليك فتغير وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تغيراً شديداً لم أر مثله قط فقال عبد الله بن الحارث لعمر اما ترى وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال عمر رضينا بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً فسرى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: لو نزل موسى .. وفيه عن الزهري ان حفصة جاءت إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بكتاب من قصص يوسف في كتف فجعلت تقرأه عليه والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يتلون وجهه فقال: والذي نفسي بيده لو اتاكم يوسف وانا نبيكم فاتبعتموه وتركتموني لضللتم، وفيه اخرج عبد الرزاق والبيهقي عن ابي قلابة ان عمر بن الخطاب مرّ برجل يقرأ كتاباً فاستمعه ساعة فاستحسنه فقال للرجل اكتب لي من هذا الكتاب قال نعم، فاشترى اديماً فهبأه ثم جاء به إليه فنسخ له في ظهره وبطنه ثم اتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فجعل يقرأه عليه وجعل وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يتلون فضرب رجل من الانصار بيده الكتاب وقال نكلتك امك يا ابن اخطاب اما ترى وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ اليوم وانت تقرأ عليه هذا الكتاب فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عند ذلك انما بعثت فاتحاً وخاتماً واعطيت جوامع الكلم وفواتحه واختصر لي الحديث اختصاراً فلا يهلككم المتهوكون، «و فيه عن عمر بن الخطاب قال

و يقول لعمر بن الخطاب حين قال له (صلى الله عليه وآله وسلم): يا رسول الله إن أهل الكتاب يحدثونا بأحاديث قد أخذت بقلوبنا وقد هممنا ان نكتبها! يا ابن الخطاب! أمتهوكون انتم كما تهوكت اليهود والنصارى (أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتمكم بها بيضاء نقية ولو لكنني أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الحديث اختصاراً).^١

اجل وفي هذا القرآن كفاية عن كلما دق وجل، المذكورة في كل كتابات السماء والأرض، وهو المحور الأصيل رداً لكل شارد وايراداً لكل وارد، لا يُقبل إلا ما واقفه، ويُنكل بكل ما فارقه، و(ان في ذلك) الوحي الآيية، البالغ في بعدي وحي الرسالة وبرهانها، النهاية (لرحمة) رحيمية ربانية خالدة على مدار الزمن (وذكرى) تذكر كل منسي ومجهول (لقوم يؤمنون) بآيات الله، حيث القرآن خير آية رسولية ورسالية قاصعة

قاطعة لا ريب فيها، ف(قوم يؤمنون) زمن الرسول وبعده إلى يوم الدين، لهم في آية القرآن الكفاية التامة الطامة، دون حاجة إلى آية أخرى بصرية أو بصيرية، فانها الشهادة الكاملة الكافلة الإلهية بين الرسول وكافة العالمين:

(قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (٥٢:٢٩).

و ليس هذا كلاماً خطابياً ودعوى فاضيه عن برهان، بل هو اتقن برهان لוחي القرآن انه شهادة إلهية كافية للرسول وكافة العالمين، فطالما لله شهادات لسائر الرسل في سائر الآيات الرسالية، ولكنها ما كانت لتكفي إلا وقتية محدودة بحدودها المقررة لها، وأما القرآن - كما ورسول القرآن - فهو شهادة ذاتية كافية ما اكفاها لحق الرسالة

سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن تعلم التوراة فقال: لا تتعلمها وآمن بها وتعلموا ما انزل اليكم وآمنو به» و(٤٤) الثانية في نفس المصدر.

اقول: وهذه النواهي لا تشمل ما إذا قورنت آيات من الكتب السماوية بآيات قرآنية تثبتاً لוחي القرآن وصدقه وانه افضل واكمل من سائر الوحي، وقد الفنا في المقارنات كتبنا الثلاثة «المقارنات - رسول الاسلام - عقائدنا» والقرآن يأمرنا في آيات بتلك المقارنات التي فيها اثباتات وتأييدات لموقف القرآن.

. المصدر ١١٤٨ . ١

بجاقها، لا تختص بزمان دون زمان، ولا بأهل زمان دون آخرين، بل هي حجة رب العالمين إلى يوم الدين، فكما الله (يعلم ما في السماوات والأرض) كذلك كتابه الشهيد يحوي من علم الله ما في السماوات والأرض، علماً يختص بالله، فالقرآن الحاوي لذلك العلم ليس إلا من الله: (لكن الله يشهد لما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً) (١٦٦:٤) والرسول بقرآنه هما بينة من ربه:

(أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١٧:١١) وهو شاهد أصيل (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا ..) (٤٥:٣٣) كما القرآن شاهد: (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ... (١٩:٦) فكل من القرآن والرسول شاهد رباني على هذه الرسالة السامية، وهما متعاضدان، ف(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا) (٢٨:٤٨) - ثم بعدهما علي Δ شاهد منه، متصلًا به مهما كان منفصلًا عنه كما القرآن.

(والذين آمنوا بالباطل) وهو هنا وجاه الله كل ما سوى الله، اللهم إلا إيماناً برسول الله وهو إيمان بالله (.. آمنوا بالباطل وكفروا بالله) وبرسل الله الحاملين شرعة الله.. (أنتك هم) لا سواهم (الخناسرون) نشأتى الحياة مهما اختلف خسران عن خسران في الآخرة والأولى.

فالإيمان بالله كسب في ذاته، وكسب في اتجاهاته وإنتاجاته، فانه طمأنينة في الحياة ككل، واستقامة في مكاسب الحياة، وثقة على أحداثها ومتراس في أكرائها، ويقين بالعاقبة الحسنى، وكل ذلك يخسره الكافرون.

قرآن محمد 3 برهان على رسالته العليا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤)
تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥) لِنُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦))

حكمة القرآن يشهد لرسالة محمد

هذه سورة يس تبتنى من تفاصيل الأصول الثلاثة ما تميّزها في حقولها عن سائر السور التي تحويها، مبتدأة بدعامتي هذه الرسالة السامية: القرآن ونبيّ القرآن، ثم المبدأ، ومن ثم المعاد، حيث الأوليان تعرّفان الرسالة وتبينان أصلي المبدء والمعاد. ولأن هذه الأصول هي القرآن كله، وهي قلب القرآن وريحانته، إذاً فياسين هي القرآن كله^١ وهي قلب القرآن وريحانته^٢ بل هي قلب القلب^٣ حيث القرآن قلب الكتب كلها!

وإنها ذات الفواصل القصيرة، والإيقاعات السريعة اليسيرة، ملتحمة بملاحم عميقة الإيجاء من براهين بارعة في مختلف الحقول، تدق على الفطر والحواس والعقول دقات متوالية متعالية، تعمل على مضاعفات آثارها في أعماق الضمائر والألباب.

(يس) هي من الحروف المقطعة - وعلى حدّ تعبير الإمبراطور^٤: (من مفاتيح كنوز القرآن) المغيبة عن غير أهل بيت القرآن، ولكنها من بينها قد تلمح إلى معناها، وتلمح فيها مغزاها، ف(إنك لمن المرسلين) تلمح لذكر سابق عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يسبق إلاّ (يس) إذاً فهي نداء للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بيائها،

١. الدر المنثور ٥: ٢٥٦ أخرج ابن مردويه عن ابن عباس أن رسول الله ٣ قال: لكل شيء قلب وقلب القرآن يس ومن قرأ يس فكانما قرأ القرآن عشر مرات، وفي ثواب الاعمال باسناده إلى أبي عبد الله Δ مثله إلا في ذيله.

٢. تفسير البرهان ٤: ٣ في مجالس الشيخ باسناده قال: قال أبو عبد الله Δ : علموا أولادكم يس فانها ریحانة القرآن.

٣. الدر المنثور عن انس قال: قال رسول الله ٣: ان لكل شيء قلباً وقلب القلب يس.

وتسمية له (صلى الله عليه وآله وسلم) بحرفٍ من صفة الرسالة، السابقة عليها، المعبّدة الطريق إليها، ك(السامع الوحي)^١ (والقرآن الحكيم) واقع موقع البرهان على سماع الوحي النبوءة وبث الوحي الرسالة، وإن كانت في صيغة الحلف.

فكما أن (ن) اسم من اسمائه وعلها اختصار عن نبوته، كذلك (س) عن سماعه الوحي^٢ وقد تفرقان ان الاولى مقسم بها والثانية منادى، مهما تشتركان في اشارة النبوءة وسماع الوحي! فهو بكيانه ككل، بقلبه وسمعه سماعٌ واستداعة للوحي ومن ثم إذاعة له، وهما في افضل مراتبهما وأكملهما.

(وَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ) هي في صورة الحلف وسيرة البرهان، وكما هي السنة الدائبة في أحلاف القرآن، فالقرآن بحكمته البارعة أديباً بأعلى قمم الفصاحة والبلاغة، ومعنوياً بأرقى درجات اللباقة، يكفي شاهد صدق على رسالة من جاء به: (أَ وَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ) (٥١:٢٩).

دليل واحد حكيم بين مدلولين اثنين، بين سين رمزاً إلى سماع الوحي النبوءة و(إنك لمن المرسلين) في تصريحه الرسالة على صراطٍ مستقيم، فحكمة القرآن في بيانه وتبيانه قد سدّت دونه ثغرات وإحتمالات أنه من عند غير الله، فمهما بلغ الكلام من غير الله إلى مطلق الحكمة، ليس ليبلغ إلى حكمة مطلقة دون أية هفوة وثغرة، حيث الكمال القمة اللانهائية هي التي تقتضي الحكمة القمة، فكل درجة من حكمة الكلام دليل على

١. البرهان ٣:٤ - ابن بابويه بسند متصل عن سفيان بن سعيد الثوري عن الصادق Δ قال له يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما معنى قول الله عزوجل: «يس»؟ قال: اسم من اسماء النبي ومعناه ايها السامع الوحي، اقول واحتمال أنه «يا إنسان» عن ابن عباس، ام «يا رجل» عن الحسن وابي العالية، ام «يا محمد» عن سعيد بن جبير ومحمد بن ضغنة أم «يا سيد» لا دليل عليه ولا سيما الذي ليس فيه «سين» حتى تكون إشارة إليه.

٢. نورالتقليد ٣٧٤:٤ ج ١٠ في كتاب الخصال عن ابي جعفر Δ قال: ان لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عشرة اسماء خمسة في القرآن وخمسة ليست في القرآن، فأما التي في القرآن فمحمد واحمد وعبد الله ويس، أقول ومنها في القرآن «طه» كأنها ساقطة من قلم الناسخ.

نفس الدرجة من حكمة المتكلم حتى تبلغ إلى الدرجة القمة التي لا تدانيها حكمة، فهي - إذاً - من حكمة الله لا سواه، حكمة ملأت قلب الرسول نبوءة (يس) ثم تخطته إلى العالمين رسالةً في أعلى درجاتها (إنك لمن المرسلين) ثم نبوءة عالية (على صراط مستقيم).

فالقُرآن حكيم لا مدخل فيه بأية شعرة في مثلث الزمان من أي إنس والجنان، وفي أي حقل من حقوله المتمازجة على مختلف أبعادها، حيث تحلق على كل العلوم في كل أبعاد الزمان، لا عوج فيه ولا ريب يعتريه، فلا انفصام لعروته (نورٌ لا تطفأ مصابيحُه وسراج لا يُخبوء توقُّده، وبجر لا يُدرك قعره، ومنهاج لا يضلُّ نهجُه، وشعاع لا يُظلم ضوءُه، وفرقان لا يُخمد برهانه، وتبيانٌ لا تُهدم أركانه ... حبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته ..)¹.

وما أحسنه برهاناً حكمة القرآن، توجيهاً إليها بصورة الحلف، ولكي يعيش الناس تدبُّراً فيه وإمعاناً في ألفاظه ومعانيه، دون أن يوضَّح جناباتِ حكمته فلا تتحرك العقول، فتبوء إلى عطالة دون حراك!

(إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلِي صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (٤) رسالة عليا، على صراط مستقيم أعلى، حيث الحكمة القرآنية أعلى الحكم فلا أعلى منه ولا تدانيها حكمة، فالصراط المستقيم الذي لا عوج له هو طبيعته وماهيته.

إنه (على صراط مستقيم) في (الصورة الإنسانية)² والعبودية: (إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) (٥١:٣) والإيمان والإعتصام بالله (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) (١٧٤:٤) (وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (١٠١:٣) (قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (١٦١:٦).

١. من خطب الامام امير المؤمنين في النهج ٣٠٢ ص ١٩٣.

٢. تفسير الصافي عن الامام الصادق Δ.

ولانه مليء من الصراط المستقيم ف (إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (٥٢:٤٢) هداية أصلية بالكتاب: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (٥:١١٦) وأخرى هامشية بسنته القاطعة (من يطع الرسول فقد أطاع الله) (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول).

فهو (على صراط مستقيم) في شخصه ورسالته، في الصورة الإنسانية، وصراط العبودية والإيمان، والإعتصام بالله، وفي هدي كتاب الله، وفي رسالته، وإسلامه، وتوحيده لله، سبعة كاملة بافضل درجاتها، منقطعة النظر بين كل بشير ونذير في ملائكة العالمين من الملائكة والجنه والناس اجمعين^١.

(إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) في بعدين فمالم يستقم البعد الاول من الصراط لم يستقم الثاني: (أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَيَّ الْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) فقد كان الرسول على صراط الانسانية المستقيم، وصراط العبودية حتى اصطفاه الله على صراط مستقيم من الوحي والرسالة والنبوة باكمل درجاتها.

وقد يعني (القرآن الحكيم) - إلى جانب قرآن محمد - محمد القرآن، لأنه تجسيد لحكمة القرآن وأحكامه ومعارفه، وقد كان حُفَهِ القرآن^٢ فهو الثقلان مهما كان القرآن أكبر الثقلين، فهو عقله وقلبه القرآن الحكيم بما فيها من تفاصيل المعارف الإلهية، ما يحتاجه ويحتاجه العالمون أجمعون إلى يوم الدين.

وقد يتأيد بما يأتي من إجابة المرسلين (قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) حيث استندوا لإثبات رسالتهم بظاهر التربية الخاصة الرسالية فيهم.

وأوضح من ذلك آية ثانية في يس (وما علينا الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) فالرسول³ هو القرآن المبين كما القرآن مبين، لانه يجسده بكل مظاهره،

١. راجع تفسير الاية «اهدنا الصراط المستقيم» ج ١ الفرقان.

٢. وكما سئل ابن عباس ما كان خلق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: كان خلقه القرآن.

ويفسره بسنته.

فالقُرآن مع الرسول كما الرسول مع القرآن جناح واحد في الدعوة.

(تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) (٥) ولأنه تنزيل العزيز فهو عزيز: (إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (٤١:٤١) عزيز لا يُغلب بنسخ أو تحريف، أو تحوير وتجديف، وفي (تنزيل) مصدراً منصوباً إشارتان إلى عظيم موقف القرآن، فلا يوصف بالتنزيل إذ هو فوق الوصف الذي ليس لزاماً لموصوفه،^١ والتنزيل لزام القرآن وكيانه، ليس له وراء (تنزيل العزيز الرحيم) موقف حتى يوصف به، إذا فالوصف هنا هو الموصوف، والموصوف هو الوصف دون فارق! ثم المصدر دليل ثان على ذلك الكيان المجيد للقرآن، أنه من عزة الله ورحمته المنزلة على خلقه، فلا يحمل كياناً إلا ربوبياً في أعلى مظهره.

وقد يعني (تنزيل) نبي القرآن مع القرآن فإنه منزل (قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً) (١٠:٦٥) ومنزل حيث الدرجات المتتالية منزلة عليه من العزيز الحكيم منذ كان طفيماً حتى بلوغه وحتى رسالته وإلى قضاء نجه.

فمحمد القرآن وقرآن محمد هما تنزيل العزيز الرحيم، كما هما على صراط مستقيم، وكما يحملان مع بعض، هذه الرسالة القمّة دون فكاك. ولأنه تنزيل الرحيم فهو كتاب رحيم يعم برحمته وكما رسوله (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (١٠٧:٢١).

كتابٌ عزيزٌ رحيم، تنزيل العزيز الرحيم على رسول عزيز رحيم، عزة في التنذير ورحمة في التبشير وفي كلما يتطلب عزة ورحمة.

(لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ) علة غائبة للارسال والتنزيل. صحيح أن القرآن لإنذار الناس أجمعين، من أنذر آباءهم وأنفسهم أم لم يندروا: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) (٢٥:١١) ولا الناس فقط بل العالمين: (تَبَارَكَ

١. فان تنزيل منصوب اما على المختص او على المدح او انه مفعول اعني.

الَّذِي نَزَلَ الْفُرْقَانَ عَلَيَّ عَبْدَهُ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١:٢٥) ولكن المحور الأوَّل لإِنْذاره (قوماً ما أَنْذَرَ آبَاءَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ) فَانْهَمِ أَصْلِدَ وَأَصْلَبَ، فَغَيْرَهُمْ أَقْوَى تَأْثُرًا وَأَعْبَدَ (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا بِلسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا) (٩٧:١٩) لُدًّا فِي عَرُوبَتِهِمْ، وَلُدًّا إِذْ لَمْ يَنْذِرُوا مِنْ قَبْلِ وَلَا آبَاءَهُمْ، أَمْ لَمْ يَنْذِرُوا مَهْمَا أَنْذَرَ آبَاءَهُمْ (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) (٣:٣٢) .. لَعَلَّهُمْ يَنْذِرُونَ (٤٦:٢٨) (مَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ) (٤٤:٣٤) .

فَالَّذِينَ أَنْذَرُوا، هُمْ وَأَبَاءَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ أَنْذَرَ آبَاءَهُمْ دُونَهُمْ، ثُمَّ مَنْ أَنْذَرُوا هُمْ دُونَ آبَائِهِمْ، ثُمَّ مَنْ لَمْ يُنْذِرُوا هُمْ وَلَا آبَاءَهُمْ، هُمْ كَلِّهِمْ مِنَ الْعَالَمِينَ تَشْمَلُهُمْ آيَةُ الْفُرْقَانِ، وَلَكِنَّمَا الْعَرَبُ الَّذِينَ لَمْ يُنْذِرُوا، هُمْ وَلَا آبَاءَهُمْ، فِيهِمْ عِرَاقِيلُ ثَلَاثَ وَجَاهٍ إِنْذَارَ الْقُرْآنِ، وَإِذَا كَانَتْ عِزَّةُ الْقُرْآنِ وَرَحْمَتُهُ لِحَدِّ تَوَثُّرٍ فِي هَوْلَاءَ بَعْرَاقِيلِهِمُ الثَّلَاثِ، فَبِأَحْرَى تَأْثِيرِهَا فِيهِمْ دُونَهُمْ عِرْقَلَةً، فَالْتِحْلُلُ عَنِ الْقَوْمِيَّاتِ يَعْجِدُ، وَإِنْذَارُ الْآبَاءِ يَعْجِدُ، وَإِنْذَارُهُمْ أَنْفُسَهُمْ يَعْجِدُ، تَعْبِيدَاتُ ثَلَاثَ لَتَقْبَلُ الْإِنْذَارَ عَلَى سَهُولَةٍ وَيَسْرًا.

وَلَأَنَّ هَذِهِ الْغَفْلَةَ لَيْسَتْ لِحَدِّ يَسْقُطُ مَعَهَا التَّكْلِيفُ، فَوَاجِبُ الْإِنْذَارِ يُوَجِّهُ إِلَيْهِمْ عَلَى صَعُوبَاتِهِ وَعِرَاقِيلِهِ.

فَثَلَاوُثُ الْغَفْلَةِ التَّامَةِ، الطَّامَةِ أَنْفُسَهُمْ، النَّاتِجَةُ عَنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ، تَجْعَلُ مِنْهُمْ مَعَانِدِينَ مَتَعْنَتِينَ لِحَدِّ.

محمد 3 معروف عنه أهل الكتاب

(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ
الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (١٤٦:٣).

إيتاء الكتاب هنا هو الإيتاء معرفياً، دون مجرد الانتساب انه كتابي ولا يعلم الكتاب
إلا أمانى.

و (يعرفونه) بعد (آتيناهم الكتاب) دليل أن الرسول 3 معروف لديهم في الكتاب
كمعرفة الأبناء - وهي قمة المعرفة المعروفة - حيث الضمير راجع اليه دون القرآن، فان
تعبيره الصحيح - إذاً - كما يعرفون كتبهم، كما نجد نفس الآية في الأنعام بنفس المعنى
ونفس السند: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (٢٠) .

ولماذا (أبناءهم) دون (آباءهم - أو - أمهاتهم) ؟ لأن كلاً من الأبوين يعرف ما ولده
دونما استثناء، وقد لا يعرف الولد من ولده، إذ وُلد بعد موته أم مات في صغره، إذاً
فأعرف التعريف بهذا الرسول 3 في معرفة أهل الكتاب هو (كما يعرفون أبناءهم) .
و يا له من معرفة نظرية بمواصفة كتابية، تشبه معرفة حسية في قمتها، وهم له
منكرون، مؤولين إسمه المذكور في كتبهم تارة بغير إسمه، وصفاً أو فعلاً، ومسقطين له
عن الترجمات أخرى، وناظرين محمداً غيره ثالثة دون حجة عليه إلا أنه غير إسرائيلي،
وقد جاء بما لا تهوى أنفسهم، وهو مذكور باسمه ورسمه ومولده ونسبه وحسبه ولكن لا
حياة لمن تنادي.

و جواباً عن سؤال: مهما بلغت البشارات الكتابية بحق الرسول 3 واضحة، لم تأت
بمعرفة له كما يُعرف الأبناء، فان هذه حسية لا ريب فيها، وتلك بالإسم والمواصفة وقد
تعترضها ريبة ؟ .

نقول: (يعرفونه) دون (عرفوه) مما يدل على معرفة لاحقة بعد ظهوره بآيات صدقة

فإنها كافية لتصديقه رسولاً مهما لم تكن هناك معرفة سابقة، وحين تجتمعان لأهل الكتاب في مثلث: البشارات الكتابية - مماثلة الوحي الكتابي في قرآنه - بينات رسالته، فهم - إذأ - يعرفونه كما يعرفون أبناءهم دون أية ريبة وشبهة (و إن فريقاً منهم ليكتمون الحق) الناصع اللامع (وهم يعلمون) أنه الحق وأنهم كاتموه.

وقد جاء في الأصل العبراني من كتاب هوشع الآية (٧): (بأثوا يمي هفقوداه باثوا يمي هشلوم يدعو يبسرائيل إويل هنابي مشوكاع إيش هاروح عل رب عوثا ورباه مسطماه) :-

(تأتي أيام التمييز، تأتي أيام الجزاء سيعلم إسرائيل أن النبي السفية ورجل الروح مجنون لكثرة وإثمك وشدة الحنق) - أجل (ويقولون إنه لمجثون وما هو إلا ذكرٌ للعالمين!) وقد جاءت في ترجمة أخرى عنها: (بنو إسرائيل يعلمون ويعرفون أن النبي الأمي المصروع صاحب روح الهامي وصاحب الوحي) وقد قال ربي حبيم ويطال في كتابه (عصحييم) إن القصد من النبي الأمي هنا هو محمد بن عبدالله زمن عبدالله السلام.

ويا لعبدالله السلام من سلام يجيب السائل عن هذه الآية: (لقد عرفته حين رأيته كما أعرف إبني إذ رأيته مع الصبيان وأنا أشد معرفة بمحمد مني بإبني ...) ^١.

أجل وهم (يعرفون محمداً والولاية في التوراة والإنجيل كما يعرفون أبناءهم في

١. الدر المنثور ١: ١٤٧- اخرج التعلبي من طريق السدي الصغيرة عن الكلبي عن ابن عباس قال: لما قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة قال عمر بن الخطاب لعبدالله بن سلام قد انزل الله على نبيه «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم» فكيف يا عبدالله هذه المعرفة؟ فقال عبدالله بن سلام يا عمر: ... فقال عمر كيف ذلك؟ قال: انه رسول الله حق من الله وقد نعته الله في كتابنا ولا ادري ما تصنع النساء، فقال له عمر: وفقك الله يا ابن سلام. وفيه اخرج الطبراني عن سلمان الفارسي قال: خرجت أبتغي الدين فوقع في الرهبان بقايا اهل الكتاب قال الله تعالى: «يعرفونه كما يعرفون أبناءهم» فكانوا يقولون: هذا زمان نبي قد أطل يخرج من ارض العرب له علامات من ذلك شامة مدورة بين كتفيه خاتم النبوة.

منازلهم)¹.

(الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَمَتِّينَ) (٢:١٤٧)

وليس ذلك الخطاب - كأمثاله - يعني ان الرسول 3 - وعوداً بالله - كان من الممتريين في الحق من ربه، فإنما ذلك له تثبيت، وللممتريين من أهل الكتاب تثبيت، ولكل دعاية ضالة تمويت وتفويت.

(الحق) كله (من ربك) الحق الرسالي بالقرآن الحكيم الذي هو كل الحق، محلّق على كل حق، إنه (من ربك) لا سواه (فلا تكونن من الممتريين) فيه، وذلك إيماء صارم الى من وراءه من المسلمين تثبيتاً، والى الناكريين من أهل الكتاب تثبيتاً، ثم ومتعلّق الإيماء ليس يختص بأصل رسالته، أم وقيلته، بل وأنهم يكتمون الحق وهم يعلمون، إذ كانوا يرتابون فيه كأنهم لا يعلمون، أم هم شاكون (فلا تكونن من الممتريين) أنهم يعرفونك كما يعرفون أبناءهم، وأنهم يكتمون حقاك وهم يعلمون.

(وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيُّهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٢:١٤٨).

هنا محتملات حسب عديد الإحتمالات أفضلها ما لم تطارد أدب اللفظ والمعنى: (ولكل) من الناس: ملحدين ومشركين وكتاييين ومسلمين أم (لكل) من الثلاث

١. نور الثقلين ١: ١٣٨ في اصول الكافي عن الأصبع بن نباتة عن امير المؤمنين Δ حديث طويل وفيه يقول: فأما أصحاب المشأمة فهم اليهود والنصارى يقول الله عزوجل «الذين آتيناهم...» وان فريق منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون. «الحق من ربك» أنك الرسول إليهم «فلا تكونن من الممتريين» وفيه في تفسير القمي عن ابي عبد الله Δ قال: نزلت هذه الاية في اليهود والنصارى يقول الله تبارك وتعالى «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه» يعني رسول الله «كما يعرفون أبناءهم» لان الله عزوجل قد انزل عليهم في التوراة والانجيل والزبور صفة محمد 3 وصفة أصحابه ومبعثه ومهاجرته وهو قوله تعالى «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ورحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً بيتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل» فهذه صفة رسول الله 3 في التوراة والانجيل وصفة أصحابه، فلما بعثه الله عزوجل عرفه أهل الكتاب كما قال جل جلاله «فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به».

الآخرين، أو الآخرين، أم المسلمين.

(وجهة) قلبية أو قلبية، فالثانية هي القبلة لدعاء وصلاة، والأولى هي لكل الحالات والصلوات.

(هو) الله (موليها) أيها، أم (هو) صاحب الوجهة مولى نفسه أيها، وهذه ستة عشر وجهاً في الوجهة المولاة، تضرب في استباق الخيرات مادة ومدة ومدة وعدة وعدة فهي (٦٤) احتمالاً، والأصل في معارك الوجيهات والإتجاهات هو (فاستبقوا الخيرات) في كل المجالات، فمهما كانت وجهة الملحد المادي هي المادة قلباً وقالياً، ووجهة المشركين - كذلك - هي الآلهة المختلفة المختلفة، ووجهة الكتابين قبله هي القدس والمشرق، وروحية هي مختلف اتجاهاتهم في شرعة الله، ووجهة المسلمين كقبلة قدساً لفترة وكعبة على طول الخط، وفي كل جهات حسب مختلف الوجيهات في المعمورة وسواها، والوجهة الروحية حسب مختلف المذاهب والإتجاهات (هو) الله (موليها) تكويناً وتشريعاً، و(هو) صاحبها (موليها) اختياراً دونما اضطرار ...

(فاستبقوا الخيرات) و(سابقوا الى مغفرة من ربكم ..) (٢١:٥٧) في ذلك المسرح الواسع الحافل بمختلف الوجيهات والواجهات، و(الخيرات) هي التي يوليها الله إياكم دون سواه، فاجعلوا الحياة ميدان سباق في الخيرات كلها، في كل وجهة واتجاهة قلبية وقلبية، استباقاً في موادها ومُددها وعددها وعُددها، فإن استباق الخيرات والمصارعة فيها هي بعدها كأصل أصيل في الحياة، فرضاً أو ندياً:

(يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ) (١١٤:٣) (إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ. وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ...) (٦٢:٢٣).

إن استباق الخيرات والمصارعة فيها أصل حيوي تحلق على كافة النشاطات الصالحة للصالحين، يتسابقون في الخيرات ما استطاعوا، ويسارعون فيها ما استطاعوا، ومن أفضل الخيرات الصلاة، واستباقها يعم ظاهرها وباطنها وقبلتها كما هو موليتها، وزمانها

ومكانها كما أمر الله، مجردة عن كافة الصلوات إلا بالله، وعن كافة النزعات إلا نزعته
الله، وعن كافة الوجوه إلا وجه الله.

ذلك! ومن ثم يصرف الله المسلمين عن الإنشغال بما يبته أهل الكتاب وسواهم من
دسائس وفتن في أقاويل وأفاعيل، يصرفهم إلى استباق الخيرات حيث مصير الكل إلى
الله:

(إنما تكونوا) مكاناً ومكانةً ومُكنةً وفعليةً وفاعليةً، وفي أية إتجاهة خيرة أو

شريرة.

(يأت بكم الله جميعاً) مع بعضكم البعض ليوم الجمع، و(جميعاً) مع كل أعمالكم

واتجاهاتكم ليوم الحساب، ولا يعزب عنه منكم ومن أعمالكم ...

٤

توصيلات لوحى الله

حتى وصل لوحى القرآن فى ختامه وهو خير ختام

(وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (٥١:٢٨).

وانه قول الوحى الهدى حيث تترى على مدار الزمن دونما انقطاع (وما نريهم من آية إلاّ وهي اكبر اختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون) (٤٨:٤٣) (ولقد) في بعدي الرسل والرسالات، وهما والكتابات، وهما والمعجزات (وصلنا لهم القول) الحق المطلق (لعلهم يتذكرون) به ولما، إلاّ شذراً منهم قليلاً وأكثرهم كافرون.

فهؤلاء المشركون الناكرون لوحى القرآن دونما اية حجة إلاّ لحجة غامرة من الهوى، غير عامرة بالهدى، ثم أولاء أهل الكتاب وكأنهم لم يؤثوا الكتاب، وأما:

(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ) (٥٢:٢٨)

اترى ضميرى الغائب في (قبله- به) راجعان - فقط - إلى القرآن، لانه هنا كان محلّ النقض والابرام كما (قل أتوا بكتاب ..) ؟ والحق في (فلما جاءهم الحق من عندنا) هو الرسول الحق برسالة حقة في القرآن: (قالوا لولا أوتي) هذا الحق الرسالي (مثل ما أوتي موسى ..)! أم هما راجعان إلى رسول القرآن ؟ و(إذا يتلى عليهم) لا تعني إلاّ القرآن! الوجهان هما المعنيان، والرسول يُتلى عليهم كما القرآن، بل وهو ايضاً قرآن: (و ما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلاّ ذكر وقرآن مبين) وحتى إذا لا تناسبه أن يتلى، فهذه قرينة أنه القرآن، وتلك (..الحق من عندنا) إنه نبي القرآن، فهما - إذاً - معنيان، فهما واحدٌ مع أنهما اثنان.

ف(الذين آتيناهم الكتاب من قبله) رسولاً وقرآناً (هم به) قرآناً ورسولاً (يؤمنون) وطبعاً ليسوا هؤلاء كل الذين أوتوا الكتاب، بل هم (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقًّا

تِلَاوَتِهِ أَوْلِيكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢: ١٢١). اجل أولئك الأكارم يؤمنون به قرآناً ونبية، لا فحسب بل و(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) (٢: ١٤٦) (...الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون) (٦: ٢٠). وقد نص عليه في التوراة كما في النص العبراني التالي (يدعوا ييسرائل إوايل حنبياً مشوكاع إيش هاروح عل روب عويخا ورباه مشطماه):

بنو اسرائيل يعلمون ويعرفون ان النبي الإمي المصروع صاحب روح الهامي

١. الدر المنتور ٥: ١٣١ - اخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابي رفاعه قال: خرج عشرة رهط من أهل الكتاب منهم ابو رفاعه إلى النبي 3 فأمنوا فنزلت «الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون» وفيه اخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في الاية كنا نحدث انها انزلت في اناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق يأخذون بها وينتهون اليها حتى بعث الله محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) وصرهم على ذلك وذكر لنا ان منهم سلمان وعبد الله بن سلام. وفيه (١٣٣) اخرج ابن أبي حاتم عن السدي في الاية قال: نزلت في عبدالله بن سلام لما اسلم أحب ان يجبر النبي 3 بعظمته في اليهود ومزلته فيهم وقد ستر بينه وبينهم سترأ فكلهمم ودعاهم فأبوا فقال: اخبروني عن عبدالله بن سلام كيف هو فيكم؟ قالوا: ذاك سيدنا وأعلمنا، قال: رأيتم ان آمن بي وصدقني أتؤمنون بي وتصدقوني؟ قالوا: لا يفعل ذاك هو افقه فينا من أن يدع دينه ويتبعك! قال 3: رأيتم ان فعل؟ قالوا: لا يفعل! قال: رأيتم ان فعل؟ قالوا: إذا نفعل، قال: اخرج يا عبدالله بن سلام فخرج فقال 3: ابسط يدك فبسطها فقال أشهد أن لا إله إلا الله وانك رسول الله فبايعه فوقعوا به وشتموه وقالوا: والله ما فينا أحد علماً ولا أجهل بكتاب الله منه، قال 3: أولم تشنوا عليه انفاً؟ قالوا: إنا حبيينا أن تقول اغتبتهم صاحبكم من خلفه فجعلوا يشتمونه فقام اليه امين بن يامين فقال: اشهد أن عبدالله بن سلام صادق فابسط يدك فبايعه فانزل الله فيهم «الذين آتيناهم الكتاب ..» وعن سعيد بن جبير نزلت في سبعين من القسيسين فبعثهم النجاشي فلما قدموا على النبي 3 قرأ عليهم «يس والقرآن الحكيم» حتى ختمها فجعلوا يبكون واسلموا ونزلت فيهم هذه الاية «الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون» .

(١): الدر المنتور ٥: ١٣١ - اخرج البخاري في تاريخه وابن المنذر عن علي بن رفاعه قال: كان ابي من الذين آمنوا بالنبي 3 من أهل الكتاب وكانوا عشرة فلما جاؤا جعل الناس يستهزئون بهم يضحكون منهم فانزل الله: «ولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا...» .

وصاحب الوحي!) و(المصروع) هنا تعريض عليهم حيث (يقولون انه لمجنون وما هو إلا ذكر للعالمين)!

(وَ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ)
(٥٦:٢٨)

(وإذا يتلى عليهم) القرآن - أو- ونبي القرآن عرضاً عليهم (قالوا آمنا به) نبياً بكتابه، وإن اختصت التلاوة بالقرآن، فحين يتلى عليهم يقولون آمنا به: تالياً وملتواً عليهم، حيث القرآن برهان أن من جاء به رسول من عند الله (قالوا آمنا به) الآن (انه الحق) المطلق (من ربنا) بل ليس فحسب الايمان الآن فد(إنا كنا من قبله مسلمين) لما بُشِّرنا في كتاباتنا السماوية بالقرآن ونبيه، وكنا ناظرين ظهور ذلك الحق المبين، ف:
(أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُؤْنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (٥٤:٢٨) .

مرة من الأجر المعود بما آمنوا بكتابتهم ونبيه، واخرى أن آمنوا بما يتلى عليهم من القرآن ونبيه^١ أو الأولى بما آمنوا به من قبل، واخرى لما يتلى عليهم، أم الأولى بأولى بإيمانهم في المرحلتين، ثم (بما صبروا) في المرحلتين من الايمان، (صبروا) على عقبات الايمان وعقوباته من ضفة اللآيمان، لا فحسب انهم صبروا على الأذى بل واستعملوا على الكبرياء النفسية:

(ويدفعون) يدفعون أو يرفعون (ب) الطريقة (الحسنة) وبنفس الحسنة (السيئة) وكما امروا (ادفع بالتي هي أحسن) (٣٤:٤١) (و مما رزقناهم ينفقون) في سبيل الايمان، ودرء السيئة بالحسنة دفعاً عن الايمان وقبيله وعن انفسهم، بما وقوة في الروح أو

١. الدر المنثور ٥: ١٣٣، أخرج احمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن مردويه والبيهقي عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله 3 ثلاثة يؤتون اجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بالكتاب الاول والكتاب الاخر ورجل كانت له امة فادبها فأحسن تأديبها ثم اعتقها وتزوجها وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيدة، وفيه اخرج أحمد والطبراني عن ابي امامة قال قال رسول الله (صلى الله وآله وسلم): من اسلم من أهل الكتاب فله اجره مرتين.

الجسم.

وقد تعني الحسنه والسئيه الحياه، فبالحياء الحسنه وهي الايمانيه الصابره المتابره، يدفعون الحياه السيئه المتكاثرة المكابره، والتقويه في مجالاتها الصالحه من الحسنه والاذاعه في غير صالحها سيئه^١: (وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ) (٢٢:١٣).

ثم الدرء قد يكون دفعاً ولما تُصِبه السيئه وهي مشرفه، أم رفعاً كما التوبه الرفاعه للمعصيه، وكذلك ترك كبائر السيئات وفعل كبائر الحسنات، وعلى أية حال فسئته الحياه الايمانيه المليئه بالشبكات والشوكات والحرمانات هي - حتى المقدره - ان تدرء السيئه بالحسنه، فقد تكون الحسنه هي التقويه وأخرى هي الجهاد والمقاتله كل في سبيل الحفاظ على صالح الايمان والمؤمنين، فالحياء التي تفنى في سبيل القضاء على الكفر هي من الحسنه التي تدرء بها السيئه، كما وكلما ينفق من مال وحال ومنال وعقل وعلم في سبيل درء السيئات هي من الحسنه، (فلا تكونن ممن يقول في شيء أنه في شيء خاص) ما وسعت الدلاله لمدايل واسعه شاسعه.

(وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ) (٥٥:٢٨).

اولئك الأكارم من الكتاب، المؤمنون بالقرآن ونبيه، هم صابرون في ايمانهم صامدون، ومن تصبرهم في الله (إذ سمعوا اللغو) حين انتقلوا من كتابهم الى القرآن، سمعوا من أهل ملتهم السابقين (اعرضوا عنه) والإعراض عن اللغو هو عدم التأثر به، والإجابة

١. الدر المنشور ٥:١٣١ - اخرج البخاري في تاريخه وابن المنذر عن علي بن رفاعه قال: كان ابي من الذين آمنوا بالنبي 3 من أهل الكتاب وكانوا عشرة فلما جاؤا جعل الناس يستهزءون بهم يضحكون منهم فأنزل الله: «ولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ...» .

(٢) نورالثقلين ٤:١٢٣ في أصول الكافي عن ابي عبد الله Δ في قول الله عزوجل: «ولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا» على التقية، «ويدرون بالحسنه السيئه» قال: الحسنه التقية والسيئه الاذاعه.

عنه، وهو من شيم المؤمنين الصادقين (و إذا مرؤا باللغو مرؤا اكراماً) (٧٢:٢٥) ولم يقولوا لغواً جواباً عن لغو بل (وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم) فلماذا اللغو إذاً، فكما لا تُسمعكم لغواً إذ لم تؤمنوا فلا تُسمعونا لغواً إذ آمننا، وليس منها إلا (سلام عليكم) في لفظة القال وواقع الحال والأعمال (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً)!

(ولا نبتغي الجاهلين) اللاغين بلغو القول وزخرفه رغم ما يبغون علينا هؤلاء الجاهيل، وهذا من درء السيئة بالحسنة، (لا نبتغي الجاهلين) إلا أن ننصحهم ونهديهم إلى صراط مستقيم.

وهذه مفاصلة حسنة بينهم وبين اللاغين، اعراضاً عن المقابلة بالمثل أولاً، وجدالاً بالتي هي احسن ثانياً، وسلام عليهم اعلماً أنهم ليسوا لهم إلا سلامة ثالثاً، ثم متاركة معهم أخيراً: (لا نبتغي الجاهلين) أن نكالمهم أو نجالسهم إذا هم مصرون على الجهالة^١.
ويا له من ادب بارع يقابلون به السوء الهارع، إذ هم يحتاجون إلى مزيد من صامد الايمان، فلا يحتاجون أمام اللغو من قولة للإيمان، وإنما هو الترفع والسماحة وحب الخير حتى للمسيئين، مهما اقتضى الخير استئصالهم إذا كانوا مفسدين.

(إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)

(٥٦:٢٨).

إن رسول الهدى كان يجب ان يهدي الضالين كلهم أو جلّهم فيضيق صدرًا بما يرى

١. روى محمد بن اسحاق في السيرة «ثم قدم على رسول الله 3 وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريباً من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد فجلسوا إليه وكلموه وسألوه ورجال من قريش في انديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مسألة النبي 3 عما أرادوا دعاهم إلى الله تعالى وتلا عليهم القرآن فلما سمعوا القرآن فاضت اعينهم من الدمع فا استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من امره فلما قاموا عنه اعترضهم ابو جهل بن هشام في نفر من قريش فقالوا لهم خبيكم الله من ركب! بعثكم من وراءكم من اهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بجبر الرجل فلم تظمن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال؟ ما نعلم ركباً احق منكم! فقالوا لهم: سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما انتم عليهم لما نال انفسنا خيراً.

من صمودهم على الضلال قلقاً، ويحاول ليل نهار ان يحصل على عدد أكثر ممن يهتدي إلى الله، فنزلت هذه واضرابها مسلّية خاطره القلق (إن عليك إلاّ البلاغ) - (ليس عليك هداهم) .. و(انك لا تهدي من أحببت) هداها (ولكن الله يهدي من يشاء) هدى التوفيق إلى صراط مستقيم بدلالاتك الرسالية الوافية، فلا بد لواقع الهدى من ضم الهديين، هدى منك تدليلاً إلى شرعتك، وهدى من الله توفيقاً لتقبلها والإقبال إليها، وليس يوفق الله عبداً إلاّ ان يريد هو الهدى فاهتدى بما تحرّى ووقفه الله (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) (١٧:٤٧).

و قد يروى عن رسول الهدى قوله في واقع الضلالة والهدى: (بعثت داعياً ومبلغاً وليس إليّ من الهدى شيءٌ وخلق ابليس مزيناً وليس اليه من الضلالة شيءٌ)، وهو (صلى الله وعليه وآله وسلم) لا يعني من السلب إلاّ التدليل في الهداية أو التضليل، ولا من الايجاب إلاّ واقعهما في حقل التخيير وليس التسيير.

فليس الرسول هادياً إلاّ في حقل الدلالة الرسالية: (و إنك لتهدي الى صراط مستقيم) (٥٣:٢٢) ثم الهدى الواقعية توفيقاً لها فوصولاً إليها هي من الله لا سواه، فالتابته له هي هداية البيان، والمسلوبة عنه هي هداية التوفيق.

هذه هي الوجهة العامة للآية واضرابها، وأما الخاصة، المتناحرة فيها بين روايات

١ . الدر المنثور ٥:١٣٤ - اخرج العقيلي وابن عدي وابن مردويه والديلمي وابن عساكر وابن النجار عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله 3: ... وفي نورالتقلين ٤:١٣٤ في أصول الكافي محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن ابن فضال عن علي بن عقبة عن أبيه قال قال أبو عبدالله Δ: اجعلوا امركم هذا لله ولا تجعلوه للناس، فأما ما كان لله فهو لله وما كان للناس فلا يصعد إلى السماء ولا تخصموا بدينكم الناس فان المخاصمة ممرضة للقلب إن الله عزوجل قال لنبيه 3 «إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء» وقال «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» ذروا الناس فإن الناس اخذوا عن الناس وإنكم اخذتم عن رسول الله 3 وعلي Δ ولا سواء واني سمعت ابي Δ يقول: إذا كتب الله على عبدان يدخله في الامر كان اسرع إليه من الطير إلى وكره، وفي كتاب التوحيد مثله سواء.

العامّة والخاصّة فمهما يجب ان نذود عن ساحة القرآن الحكيم، ما يمس من ساحة الرسول (صلى الله وعليه وآله وسلم) ام ربيّه ووصيه علي امير المؤمنين، نكاية أوى علي الرسول مصارحة، وثانية عليه إشارة في الإزراء بأخيه في ابي طالب ابيه، ومن اشنع ما رووه ان النبي (صلى الله وعليه وآله وسلم) كان يحب إسلام ابي طالب فنزلت (انك لا تهدي من احببت ...) وكان يكره إسلام وحشي قاتل حمزة فنزلت فيه (يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقطنوا من رحمة الله ..) فلم يسلم ابو طالب وأسلم وحشي! وذلك البعيد البعيد عرض للمعارضة بين حب الله ورسوله، نكاية بالامام علي Δ والمختلق اعمى!

و روايات ائمة أهل البيت عليهم السلام عن رسول الله 3 متظافرة في ايمان ابي طالب، وقد ألفت فيه كتب فذة وأنشدت أشعار، الشعر والنثر المنقول عنه شاهد لإيمانه، وقد آوى النبي 3 صغيراً وحماه كبيراً وحتى النفس الأخير من حياته كان من أعظم المناصرين له 3! وقد تبلغ أشعاره في مدح النبي وتصديقه سِفرًا فذًا، كما الروايات في إيمانه.

١. في المجمع قيل نزول قوله «نك ...» في ابي طالب فان النبي 3 كان يحب ... رووا ذلك عن ابن عباس وغيره، وفي الدر المنثور ٥: ١٣٣ عن ابي هريرة قال: لما حضرت وفاة ابي طالب أتاه النبي 3 فقال يا عماء قل لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله يوم القيامة، فقال: لولا ان تعيرني قريش يقولون ما حمله عليها إلا جَزَعُهُ من الموت لأقررت بها عينك فأنزل الله: «نك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين».

٥

محمد 3 هو بشير ونذير بالحق كله

(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ) (١١٩:٢).

(إنا) بجمعية الصفات الربانية (أرسلناك) بجمعية العطايات جمعية الميزات الرسالية (بشيراً ونذيراً) مزوداً ببيانات الآيات، فاذا حققت البشارة والنذارة كما حقّت (لا تسأل عن أصحاب الجحيم) الراضين لآياتك ودعواتك الرسالية، فلا تحزن عليهم لو لا يؤمنون، ولا على نفسك لأنهم لا يؤمنون، فلست أنت - كرسول بشير نذير - مسؤولاً عن أصحاب الجحيم، لماذا لم يؤمنوا؟ وإنما تسأل لو كنت مقصراً في دعوتك، على تقصيرهم في قبولها والإقبال إليها، وقد بلغت القمة في دعوتك، ثم لا عليك أن يصحبوا من أصحاب الجحيم.

(وَكَانَ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) (١٢٠:٢).

قد تلمح (لن ترضى) أن الرسول 3 كان يدأب محاولاً ترضية اليهود والنصارى حتى يؤمنوا، فأيسه الله أولاً بإحالة رضاهم إلا أن يتحول إلى ملتهم، وثانياً (لئن اتبعت..) بتهديد شديد، فليس الحق ليقبل أنصاف حلول ولا جعل البلد بلدين، او الشطر شطرين، ف(قل) لهؤلاء الحماقي الأنكاد، المحاولين لتحويلك إلى ملتهم (إن هدى الله هو الهدى) وليست هي الهوى، فامض في صراط الحق، وامش في دعوتك صارحة ناصحة ناصعة، ولا تتحول عن هدى الله قيد شعرة، وان وعدوك - إذاً - إلتباعك في ملة الحق، فليس الباطل - أيّاً كان - ليبتدّرّع به إلى الحق، فإما حقاً وإما باطلاً ولا عوان في ملة الحق! .

وكيف تتبع أهواءهم ليتبعوك وهم عارفوك بما عرفهم إياك في كتب السماء:
(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ

فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢:١٢١).

هناك باطلٌ تلاوة الكتاب، كالتي «للأُميين الذين لا يعملون الكتاب إلا أمانياً وإن هم إلا يظنون»، والتي للمحرفين الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم، فهم لا يؤمنون بالقرآن ونبيه وهم يعلمون.

ثم الذين (يتلونونه حق تلاوته) كما أنزله الله وقصده، إيماناً به خالصاً دونما شائبه (اولئك يؤمنون به) لا سواهم منهم (ومن يكفر به من الأحزاب) شركية وكتابية فإن تلاوة كتاب الوحي تحمل على الإيمان بالقرآن من زاويتين اثنتين، زاوية الأنس بالوحي فوحي القرآن أنس، وأخرى هي البشارات القرآنية المحمدية في كتابات الوحي، وفي كل منهما كفاية للإيمان بهذه الرسالة السامية.

ولأن التلاوة - لاسيما المجردة عن حروف جازة كما هنا - هي المتابعة، فهي هنا (يتبعونه حق اتباعه)^١ وما حقُّ اتباعه إلا بعد حق معرفته وتديبره إيماناً ف(إنما هو تدبر آياته والعمل بأحكامه)^٢ والقصر هنا في (اولئك يؤمنون به) نسبي في الحقل الكتابي، إذ يؤمن به من غير اهل الكتاب من يتحررون عن الحق.

ثم (آتيناهم الكتاب) كما تعني أهل الكتابين حيث يؤمنون بالقرآن على ضوء تلاوة

١. الدر المنثور ١:١١١ - أخرج الخطيب في كتاب الرواة عن مالك عن ابن عمر عن النبي 3 في الآية قال: «يتبعونه حق اتباعه».

٢. تفسير بيان السعادة ١:١٤١ نسب الى الباقر Δ انه قال: يتلون آياته ويتفقهون فيه ويعلمون بأحكامه ويرجون وعده ويخافون وعيده ويعتبرون بقصصه ويأتمرون بأومراه ويتنهون بنواهييه، ما هو والله حفظ آياته ودرس حروفه وتلاوة سوره، ودرس أعشاره وأحماسه، حفظوا حروفه وأضاعوا حدوده، انما هو .. قال الله تعالى: «كتاب انزلناه اليك مبارك ليديره آياته» فالذين آتاهم الكتاب وشرفهم بذلك يحزنهم ترك الرعاية، والقصور والتقصير في مراعاته، والذين آتاهم الشيطان الكتاب أو أخذوه من الاباء بحسب ما اعتادوه او تلفقوه من الرجال بحسب ما تدارسوه فانهم يعجبهم حفظ الرواية ولا يباليون بترك الرعاية.

وفي ارشاد الديلمي عن الصادق Δ مثله باختلاف يسير، مثل «يرتلون» بدلاً عن «يتلون» وليس فيه ذيله من قال الله ..

كتبهم حق التلاوة، كذلك تعني أهل القرآن حيث يزيدهم حق تلاوته إيماناً به. كما (ومن يكفر به) تعمُّ كفار أهل الكتاب والمشركين، وكذلك كفار المسلمين وهم الذين لا يتلونونه حق تلاوته (فأولئك) ككل (هم الخاسرون) إذ خسروا الحق وهم على نبعته.

(يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين . وآتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدلٌ ولا تنفعها شفاعَةٌ ولا هم ينصرون) (١٢٣:٢).

ذلك هو الهتاف الأخير ببني إسرائيل بعد طويل المجاهدة في الحجاج على طول اللجاج، وهم على أبواب الإهمال والإغفال والتدجيل والإدغال، متورطين في التجرد النهائي عن شرف الأمانة العظمى بالنسبة للرسالة الأخيرة الكبرى. يذكرهم هنا مرة أخرى بـ(يوماً لا تجزي) وتكفي (نفس عن نفس شيئاً) على الإطلاق في نفس أو شيءٍ سواها.

(ولا يقبل منها عدل) بديل (ولا شفاعَةٌ) ككفيل (ولا هم ينصرون) بعد هذا المثلث السليب بأيٍّ من الأساليب، فلا كافي ولا عدل ولا شفاعَةٌ ولا نصرَةٌ، إلا كفاية الإيمان، وعدلٌ عمل الإيمان، وشفاعة الصالحات إيماناً وعملاً، ونصرة الله - إذاً - فيما يتبقي من لمم وعصيانات.

٦

أليس محمد 3 رسولاً بعد هذه البيئات ؟

(وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عَقَّبَى الدَّارَ (٤٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) (٤٣:١٣).

ان (الذين كفروا) - متعنتين معاندين - لم يكونوا ليؤمنوا مهما آتيتهم بكل آية، فلئن يطلبوا آية على هذه الرسالة فإنها تملك الآية القممة الخالدة وهم بها كافرون، فضلاً عن الآيات الحسية العابرة فإنهم بها أكفر وأنكر وأمكر!

فتراهم بعد كل هذه الحجج يقولون (لست مرسلًا) فهناك يا رسول الهدى (قل) قولك الاول والأخير كحجة دامغة (كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب).

فكتاب الله: القرآن هو شهادة كافية لله، ورسول الله شهادة، ومن عنده علم الكتاب - وهو شاهد من رسول الله حيث رباه كما رباه الله، وهو العالم من اهل الكتاب - هما شهادة من الله، شهادات أربع (كفى بالله شهيداً).

فالقرآن شهادة كافية في بعدي الرسالة وآيتها الخالدة: (وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين. أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون. قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً..) (٥٢:٢٩).

والرسول شهادة هو بنفسه لرسالته وكما المرسلون أجمع: (قالوا ربنا يعلم اننا اليكم المرسلون) (١٦:٣٦) حيث التربية الرسالية لائحة في أحوالهم، ظاهرة في أقوالهم وأعمالهم.

خليفة الرسول شهادة لهذه الرسالة، كما العلماء الربانيون من أهل الكتاب (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ

مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١٧:١١).

فالرسول على بيته من ربه هي القرآن ونفسه المقدسة، وشاهد منه الذي يتلوه هو الإمام علي Δ حيث صنعه كنفسه ورباه كما رباه ربه على عينه ورعايته، فهو من آيات رسالته كما هو استمرارية لرسالته، (ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة) حيث يحمل بشارات في تصريحات وإشارات بحق القرآن وونبي القرآن وشاهد منه! (ومن عنده علم الكتاب) قرآناً كمن يتلوه شاهداً منه وعترته المعصومون اجمعون، وتوراةً كعلماء أهل الكتاب الربانيين حيث يفرحون بما أنزل إليك وهم به يؤمنون.

أفبعد هذه القواعد الأربع من الشهادات الإلهية (لست مرسلًا) فلتن أتي بآيات النبيين أجمع لم يكن مرسلًا - في زعمكم - بطريقة أولى، فإنها أدنى من شهاداته العليا. النسخة الأصلية الأولى ممن عنده علم الكتاب هو (شاهدٌ منه) علي اميرالمؤمنين Δ واضرابه^١ والنسخة الثانية علماء اهل الكتاب كعبدالله بن سلام وأضرابه، وافضل الشهود بين الأربعة هو القرآن ونبي القرآن، ثم شاهدٌ منه (علي) من ثم علماء اهل الكتاب. والكتاب هنا في القدر المشترك بين (من عنده علم الكتاب) هو كتاب التدوين قرآناً وسائر كتابات الوحي، وفي الحد الخاص بالأئمة المعصومين هو كتاب التكوين بإذن الله، فقد كان عند آصف بن برخيا وزير سليمان علم من كتاب التكوين إضافة إلى كتاب التدوين ففعل ما فعل: (وقال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال إنه من فضل ربي ...) (٢٧:٤٠).

١. الدر المنثور ٤:٦٩٠ أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قدم على رسول الله 3 اسقف من اليمن فقال له رسول الله 3 هل تجدني في الإنجيل رسولاً؟ قال: لا فانزل الله «قل كفى بالله ...» يقول: عبدالله بن سلام، أقول: وفي روايات عدة ان عبدالله بن سلام كان يفتخر بنزول الآية فيه في مواطن عدة، وفي روايات أخرى منهم عبدالله بن سلام والجارود وقيم الداري وسلمان الفارسي، أقول: وكون السورة مكية لا ينافي كون امثال عبدالله بن سلام من مصاديق «من عنده أم الكتاب» فإنه من باب الجري كما الائمة المعصومون وسائر علماء اهل الكتاب بعد العهد المكي كلهم من مصاديق هذه الآية دوغماً استثناء.

فهذا الذي عنده علم من الكتاب، فكيف ترى من عنده علم الكتاب؟ وهو عليّ والمعصومون من ولده الطاهرين، فهم على هذه الخوارق باذن الله أقدر^١.
علماء اهل البيت المعصومين يجمعون الى علم كتاب التدوين قرآناً وسواه من كتابات النبيين، علم كتاب التكوين، والحجة الشاهدة لهذه الرسالة السامية هي في شخص عليّ Δ فانه شاهد منه، وذلك يجري في ولده المعصومين، ثم (من عنده علم الكتاب) توراة وإنجيلاً حيث يعرف البشارات الموجودة فيهما بحق هذا الرسول 3 دون ان يهرف فيها او يخرف او يُحرّف، ولقد افردنا كتاباً مستقلاً يحمل قسماً من هذه البشارات: رسول الإسلام في الكتب السماوية أوردنا فيه ستين بشارة بحق محمد 3 من مختلف الكتب السماوية وغيرها.

١. في تفسير البرهان ٣: ٣٠٢ عن الكافي باسناده عن سدير قال كنت انا وابو بصير ويحيى البزاز وداود بن كثير في مجلس ابي عبد الله Δ اذ خرج علينا وهو مغضب فلما اخذ مجلسه قال يا عجباً لأقوام يزعمون انا نعلم الغيب ما يعلم الغيب الا الله عزوجل، لقد هممت بضرب جاريتي فهربت مني فما علمت في اي بيوت الدار هي قال سدير فلما ان قام من مجلسه وصار في منزله دخلت انا وابو بصير وميسر وقلنا له جعلت فداك سمعنا وانت تقول كذا وكذا في أمر جاريتك ونحن نعلم انك تعلم علماً كثيراً ولا تنسبك الى علم الغيب قال فقال يا سدير اما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قال فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزوجل «قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك» قال قلت جعلت فداك قد قرأته قال: فهل عرفت الرجل وهل علمت ما كان من علم الكتاب؟ قال قلت فاخبرني به قال: قدر قطرة من الماء في البحر الاخضر فما يكون ذلك من علم الكتاب؟ قال قلت جعلت فداك ما اقل هذا قال فقال يا سدير ما اكثر هذا ان ينسبه الله عزوجل الى العلم الذين اخبرك به سدير فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزوجل ايضاً «قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب»؟ قال قلت جعلت فداك قرأت قال: فمن عنده علم الكتاب كله أفهم أم من عنده علم الكتاب بعضه؟ قال قلت: بل من عنده علم الكتاب كله وأومى بيده الى صدره وقال: علم الكتاب والله كله عندنا علم الكتاب والله كله عندنا.

٧

محمد 3 جاء على فترة من الرسل

(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسوئنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير) (١٩:٥) .
 (..يبين لكم) - (كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب) سلباً لحراف وانحرافات و(يبين لكم) قصاً عليكم (أكثر الذي هم فيه يختلفون) و(يبين لكم) ما تخص به هذه الشريعة الأخيرة، فقد بينت لكم (يبين لكم) أن هذا الرسول يبين كل شيء تحتاج إليه الأمة الرسالية إلى يوم الدين:

(وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (٥٢:٧) - (هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) (٢٠٣:٧) - (وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ) (٥٧:١٠) . (وَلَكِن تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (١١١:١٢) .

ذلك وبصورة عامة (وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (٦٤:١٦) .

فتبيين القرآن - وعلى ضوء السنة - يخلق على السلبيات المفروضة في الشريعة الأخيره (لتبين الذي اختلفوا فيه) والإيجابيات المؤاتية لشرعة الخلود: (وهدى ورحمة) وهنا (يبين لكم) تعمهما.

(يبين لكم على فترة من الرسل) التي بعدتكم بطبيعة حال الفترة الرسولية عن طبيعة الرسل والرسالات الإلهية: (أرسله على حين فترة من الرسل وإختلاف من قبل الملل وانقطاع من السبل ودروس من الحكمة وطموس من أعلام الهدى والبيانات).

١. نورالثقلين ١: ٦٠٢ في الكافي بسند عن عبدالعظيم بن عبدالله قال سمعت أبا الحسن Δ يخطب بهذه الخطبة: الحمد لله العالم بما هو كائن - إلى أن قال - وأن محمداً 3 عبده ورسوله المصطفى ووليّه المرتضى وبعته بأهدى أرسله ...

فتعالوا الآن معي لتقضي فترة في الحصول على المعني من (فترة من الرسل) إذ لم تأت في القرآن إلا في هذه المرة البييمة.

فالفتور لغوياً هو سكون بعد حِدَّةٍ ولين بعد شدة، وضعف بعد قوة، ففترة من الرسل تعني إنقطاعاً في سلسلة الوحي بانقطاع الرسل لردح من الزمن، إذ لا يوجد رسول فاتر في رسالته، وفترة الرسالة هي سكونها بعد حراكها بانقطاع رسلها الداعية، فحين تنقطع الرسالة بدعاتها الرسل، لفتور القوة الدعائية، ولا سيما بين الألداء من الأقوام،

أقول: والروايات في سني تلك الفترة مختلفة بين / ٥٠٠ سنة و ٦٠٠ سنة، كما هي مختلفة في أن فيها رسلاً أم لا والمصدقة من الاخيرة، تصدقها آية الفترة أن هذه السنين كانت خلواً من الرسل، مهما كان فيها أوصياء غير معصومين وعلماء.

وإليكم بعضاً من هذه الاحاديث ففي نورالثقلين ١: ٦٠٢ عن تفسير القمي سألت نافع بن الازرق أبا جعفر محمد بن علي H فقال: أخبرني كم بين عيسى ومحمد H من سنة! فقال: أخبرك بقولي أو بقولك؟ قال: أخبرني بالقولين جميعاً، قال: أما بقولي فخمسمائة وأما بقولك فستمائة، وفيه عنه عن بشير النبال عن أبي عبد الله Δ قال بينا رسول الله 3 جالساً إذ جاءته امرأة فرحت بها وأخذ بيدها أفعدها ثم قال: ابنة نبي ضيعه قومه خالد بن سنان دعاهم فأبوا أن يؤمنوا، وفيه عن كمال الدين وتمام النعمة عن الصادقين مثله وفيه فصافحها وأدناها وبسط لها رداءه ثم أجلسها إلى جنبه ثم قال: «هذه ابنة نبي ضيعه قومه خالد بن سنان العيسى وكان اسمها محياة بنت خالد بن سنان» أقول: أخذ بيدها فصافحها، مما يطرد الرواية بمع أنها خلاف نص آية الفترة، وفيه عن كمال الدين عن أبي عبد الله Δ عن النبي 3 يقول في حديث: وأوصى عيسى إلى شمعون بن حمون الصفا وأوصى شمعون إلى يحيى بن زكريا وأوصى يحيى بن زكريا إلى منذر وأوصى منذر إلى سليمة وأوصى سليمة إلى بردة ثم قال رسول الله 3: ودفعتها إلى بردة وأنا ادفعتها إليك يا علي.

أقول: ومما يحير العقول قول الصدوق بعد ذكر هذه الاحاديث في كمال الدين: يعني الفترة أنه لم يكن بينهما رسول ولا نبي ولا وحي ظاهر مشهور كمن كان قبله وعلى ذلك دل الكتاب المنزل أن الله عزوجل بعث محمداً 3 على حين فترة من الأنبياء والأوصياء ولكن قد كان بينه وبين عيسى H انبياء وأئمة مستورون خائفون منهم خالد بن سنان العيسى نبي لا يدفعه دافع ولا ينكره منكر لتواطؤ الأخبار بذلك عن الخاص والعام وشهرتهم عندهم وكان بين مبعثه ومبعث نبينا 3 خمسون سنة، أقول: لا معنى لخفاء الرسول والنبي حيث الإجهار من لزامات الرسالة، ثم الفترة تقتضى انقطاع الرسالة جاهرة وخافية.

فعند ذلك الطامة الكبرى، وكما يروى عن الإمام علي أمير المؤمنين من خطبة له: (أرسله علي حين فترة من الرسل وطول هجعة من الأمم وإعتزام من الفتن وإنتشار من الأمور وتلظّ من الحروب، والدنيا كاسفة النور، ظاهرة الغرور، علي حين إصفرار من ورقها، وإياس من ثمرها، وإغورار من ماءها، قد درست منار الهدى، وظهرت أعلام الردى، فهي متجهمة لأهلها، عابسة في وجه طالبها، ثمرها الفتنة وطعامها الجيفة ودثارها السيف ..)¹.

(بعته والناس ضلّال في حيرة وخابطون في فتنة قد استهوتهم الأهواء، واستنزلتهم الكبرياء، واستخفتم الجاهلية الجهلاء، حيارى في زلزال من الأمر وبلاء من الجهل فبالغ صلى الله عليه وآله في النصيحة، ومضى علي الطريقة ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة)².

١. نهج البلاغه باب الخطب ص ١٥٦:١٥٧.

٢. أقول: وهنا خطب أخرى كالتالية: «إلى أن بعث الله سبحانه محمداً رسول الله 3 لانجاز علقته وتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهوراً سماته، كريماً ميلاده، وأهل الأرض يوئساً ملل متفرقة، وأهواء متشعبة، وطرائق متشتتة، بين مشبه لله بخلقه، أو ملحد في السمّة، أو مشير إلى غيره، فهدهم به من الضلالة، وأنقذهم بمكانة من الجهالة...» (الخطبة ١/٣٢).

«أرسله بالدين المشهور، والعلم المأثور، والكتاب المسطور، والنور الساطع، والضياء اللامع، والأمر الصادق، إزاحة للشبهات، إحتجاجاً بالبينات، وتحذيراً بالآيات، وتخويفاً بالمثلات، والناس في فتن انجذم فيها حبل الدين، وتزعزعت سوارى اليقين، واختلف النجر، وتششت الامر، وضاق المخرج، وعمى المصدر، فالهدى خامل، والعمى شامل، عُصي الرحمن ونُصر الشيطان، وحُذِل الايمان فأنهارت دعائمه، وتنكرت معالمه، ودرست سُبُلُه، وعفت شُرُكُه، أطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه، ووردوا مناهله، بهم سارت أعلامه وقام لواءه، في فتن داستهم بأخفافها، ووطئتهم بأظلافها، وقامت على سنايكةا فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون، في خير دار وشر جيران، نومهم سهود، وكحلهم دموع، بأرض عالمها ملجم، وجاهلها مكرم» (٣:٣٦).

«ان الله بعث محمداً 3 نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شر دين وفي شر دار، منيخون بين حجارة حُسن، وحيات صُم، تشربون الكدر وتأكلون الجشيب، وتسفكون دماءكم، وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم منصوبة» (٣٦:٧٣).

ولئن سأل سائل هلا تكون (فترة من الرسل) خلواً عن حجة الرسالة نقضاً لبالغ الحجة فإعذاراً للمعتذرين وحجة للناس على الله رب العالمين، فإنهم: (رُسُلًا مَبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) (١٦٥:٤) فلا بد من حجة رسولية أو رسالية بين المكلفين لئلا يكون للناس على الله حجة.

و الجواب أن (فترة من الرسل) لا تعني خلواً من حجج الرسالات فإن صيغتها (فترة من الرسالات) دون (الرسل) فلا تعني (فترة من الرسل) إلا فترة من إبتعات الرسل وحججهم باقية، مهما صعب الوصول إليها للتحريف والتجديف في كتابات الرسل، والمؤمنون الصالحون علماء وسواهم يهتدون بهدي الله إلى الأصيل كيفما كان التحريف.

فما مثل العائشين في (فترة من الرسل) إلا كمثل العائشين بعد خاتم النبيين 3 إلى يوم الدين، والفارق ليس في أصل الحجة المحلقة على كل الأدوار، إنما هو في وضوح

«أرسله لإنفاذ أمره وإنها عذره وتقديم نُذُرٍ» (١٨٨،١،١٣٦).

«وطال الأبد بهم ليستكملوا الخزي ويستوجبوا الغير، حتى إذا احلوق الأجل واستراح قوم إلى الفتن، وأسألوا عن لقا حربهم، لم يئثوا على الله بالصبر، ولم يستعظموا بذل أنفسهم في الحق، حتى إذا وافق وارد القضاء إنقطاع مدة البلاء، حملوا بصائرهم على أسيافهم، ودانوا لربهم بأمر واعظهم» (٢٦٣،١٤٨).

«أرسله بحجة كافية، وموعظة شافية، ودعوة متلافية، أظهر به الشرائع المجهولة، وقمع به البدع المدخولة، وبين به الأحكام المفصولة» (٢٨٦:١٥٩).

«بعته حين لامنكم قائم، ولا منار ساطع، ولا منهج واضح» (٣٨٥:١٩٤).

«ثم إن الله سبحانه بعث محمداً 3 بالحق حين دنى من الدنيا الإنقطاع، وأقبل من الآخرة الإطلاع، وأظلمت بهجتها بعد إشراق، وقامت بأهلها على ساق، وخشُن منها مهاد، وأزف منها قياد، في إنقطاع من مدتها، وإقتراب من أشراتها، وتصرم من أهلها، وإنفصام من حلقتها، وإنتشار من سببها، وعفاء من أعلامها، وتكشّف عورتها، وقصر من طولها، جعله الله بلاغاً لرسالته، وكرامة لأمته، وربيعاً لأهل زمانه، ورعة لأعوانه، وشرفاً لأنصاره» (٣٩٠:١٩٦).

المحجة للوصول إلى الحجّة في الآخرين، وصعوبتها في الأوّلين وسهولتها في الآخرين. فالناقد البصير زمن الفترة الرسولية بإمكانه التخلص عن كل دخيل دجيل وإن صعب، فأفضل الأعمال أحزها، ثم المتخلف عن شرعة الله في هذه الفترة ليس ليحاسب كما المتخلف عنها في زمن الرسل أو الرسالة الباهرة بحججها.

ذلك، فقد كان الطريق للوصول إلى حجة الوحي مفتوحاً زمن الفترة للذين يتطرقون إليه، لا سيما وأن الراسخين في العلم من أهل الكتاب يعلمون الأصيل من وحي الكتاب عن الدخيل: (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك... (١٦٢:٤) فالعوام منهم المهتدون المؤمنون عليهم الإقتدار بهؤلاء الراسخين في العلم منهم، ثم العوام الآخرون مصيرهم مصير هؤلاء الذين يحرقون الكتاب أم هم راضون، إذاً فالحجة الرسالية لم تفتقر في زمن الفترة الرسولية، وإحدى الحجّتين كافية لقطع العذر، ولكن الرحمة تقتضي ألا يكتفى في الحجّة البالغة بما هي غارقة في لجة التحريف، فليُنزل بعد هذه المحرّقات كتاب يبقى وحيّاً أصيلاً دو أي دخيل، مناراً للعالمين إلى يوم الدين.

ذلك، وبصورة عامة إن سيرة الرسالة سائرة على مدار زمن التكليف دونما تجافٍ عنها وإن لحظة واحدة، فقد (اصطفى سبحانه من ولد آدم انبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم، لما بدّل أكثر خلقه عهد الله إليهم، فجهلوا حقه، واتخذوا الأنناد معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسيّ نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويروهم الآيات المقدّرة، من سقف فوقهم مرفوع، ومهاد تحتهم موضوع، ومعايش تحييمهم، وآجال تفنيهم، وأوصاب تهرمهم، وأحداث تتابع عليهم. ولم يُخل سبحانه خلقه من نبيّ مرسل، أو كتاب منزل، أو حجة لازمة، أو محجّة قائمة، رسلٌ لا تقصّر بهم قلة عددهم، ولا كثرة المكذّبين لهم، من

سابق سُمِّي له مَنْ بعده، أو غابر عرفه مَنْ قبله، على ذلك نسلت القرون، ومضت الدهور، وسلفت الآباء وخلفت الأبناء^١.

ذلك، (وليقيم الحجة به (آدم) على عبادته، ولم يُخلهم بعد أن قبضه، مما يؤكد حجة ربوبيه، ويصل بينهم وبين معرفته، بل تعاهدتهم بالحجج على ألسن الخيرة من أنبياءه، ومتحملي ودائع رسالاته قرناً فقرناً، حتى تمت بنبيينا محمد 3 حجته، وبلغ المَقْطَع عَدْرَهُ وتُدْرُهُ) (الخطبة ١٧٤/٣/٨٩).

و هكذا (فاستودعتهم في أفضل مستودع، وأقرهم في خير مستقر، تناسختهم كرائم الأصلاب إلى مطهرات الأرحام، كلُّما مضى منهم سلف قام منهم بدين الله خَلْف، حتى أفضت كرامة الله سبحانه إلى محمد 3 .. أرسله على حين فترة من الرسل، وهفوة عن العمل، وغباوة من الأمم ..) (الخطبة ١٨٥/٩٢).

فقد (بعث الله رسله بما خصهم به من وحيه، وجعلهم حجة له على خلقه، لئلا تجب الحجة له بترك الإغذار إليهم، فدعاهم بلسان الصدق إلى سبيل الحق ألا إن الله كشف الخلق كشفة، لا أنه جهل ما أخفوه من مصون أسرارهم، ومكنون ضمائرهم، ولكن ليلوهم أيهم احسن عملاً، فيكون الثواب جزاءً والعقاب بواءً) (الخطبة ٢٥٥/١٤٢).

(وبعث إلى الجن والإنس رسله، ليكشفوا لهم عن غطاءها: - الدنيا - وليحذروهم من ضراءها، وليضربوا لهم أمثالها، وليبصروهم عيوبها، وليهجموا عليهم بمعتبر من تصرف مصاحها وأسقامها، وحلالها وحرامها، وما أعد الله للمطيعين منهم والعصاة، من جنة ونار، وكرامة وهوان) (الخطبة ٣٣٠/١٨١) ..

(فيا حسرة على كل ذي غفلة أن يكون عُمره عليه حجة) (الخطبة ١١٨/٦٢) (فقد أنذر الله إليكم مسفرة ظاهرة، وكتب بارزة العذر واضحة) (الخطبة ١٣٤/٧٩).
(اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إما ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيئاته، وكم ذا وأين أولئك؟ أولئك الأقلون عدداً، والأعظمون

١. نهج البلاغه الخطبة ٣١/١.

عند الله قدراً، يحفظ الله بهم حججه وبيّناته حتى يودعوها نظرأنهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم) (١٤٧/ح/٥٩٥).

أجل (...قد جاءكم ... أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) فمن مهام الأهداف في هذه الرسالة الأخيرة هو قطع الأعذار عن بكرتها عن (أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) فقد قضت علينا الفترة الرسالية وحرفت كتب السماء عن جهات أشراعها، فلا هي معصومة تصلح الرجوع إليها والإعتماد عليها، ولا (جاءنا) بعد الرسل والكتب السالفة (من بشير ولا نذير) معصوم يعتمد عليه مهما كان العلماء كثرة، ولكنهم كانوا منجرفين بالحوارف ومنجرفين بالحوارف إلا القليل من الضعفاء في مسرح الدعوة. فلقد ضعفت الدعوة والدعاية وابتعدت الحجّة زمن الفترة لحد كادت أن تكون حجة الضالين بالغة - ولن تبلغ - فابتعث الله ذلك الرسول العظيم بهذه الرسالة العظيمة قطعاً لكل الأعذار والحجج منذ بزوغها إلى يوم الدين.

فلولا هذه الرسالة واستمرات زمن الفترة لكانت الحجّة على الله - وعوداً بالله - واقعة، ولضل المكلفون عن بكرتهم إلا القليل القليل من الأوحدي ذوي البصائر والثّهي. (فقد جاءكم بشير ونذير) وذلك البشير النذير الأخير هو المهيم بكتابه على كل بشير سالف ونذير بكتاباتهم، لولاه لا نفضت أعلام الهدى عن بكرتها وانطمست. (والله على كل شيء قدير) ومن أهم الأشياء التي تحتاج إلى قمة عالية من القدرة ابتعات رسول يقطع كافة الأعذار في كافة الحقول لكافة الأمم عن بكرتها، إذ خلصهم بأسرهم عن أسرهم.

وهنا (أن تقولوا) لا تخاطب - فقط - أهل الكتاب، بل وبأحرى غيرهم من عامة المكلفين، فلولا ذلك البشير النذير الأخير لقضي على بشارة الوحي ونذارته عن بكرتها، حيث الكتب السالفة متحرّفة فلا تصلح لدعوة صالحة، لمتحري الحق أن يتحرّاه عن سابقه، ولا حاضره، ثم المكلفون منذ الفترة إلى يوم الدين تبقى لهم هذه الحجّة العاذرة ثابتة صادقة: (ما جاءنا من نذير).

ذلك وكما أن هذه الرسالة بين العرب تقطع أعذارهم: (ثم آتينا موسى الكتاب تماماً

على الذي أحسن وتفصيلاً لكل شيءٍ وهدى ورحمة لعلمهم بلقاء ربهم يؤمنون. وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون. أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين. أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدقون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون) (١٥٤:٦-١٥٧). فهذه الرسالة السامية هي قاطعة الأعذار في الطول التاريخي والعرض الجغرافي.

في هذه الرسالة تتجاوب براهين الرسالة العامة والخاصة، فقد كتب الله على نفسه الرحمة، ولا سيما رحمة الهداية الروحية على ضوء الوحي، ومن الرحمة الربانية في حقل الشرعة أن تكون وحيدة تجمع كافة المكلفين، فما هي هذه الشرعة الوحيدة الصالحة ببراهينها وواقعها لإسعادهم عن بكرتهم.

الخطوة الأولى لسائر الرسائل - لولا القرآن - فاشلة، إذ لم تبق من حجج الرسل باقية واقية تصلح للإحتجاج بها، فإن آياتهم الرسولية انقضت معهم، ثم وآياتهم الرسالية وهي كتبهم أصحبت - ومنذ أمد بعيد - محرقة عن جهات أشراعها، ولا نجد إلا القرآن العظيم الجامع في نفسه الحجة الرسولية والرسالية، المهيمنة لما سبقه من رسل ورسالات.

و (يبين لكم) وما أشبهه ككل تعم تبين كلما يحق تبينه من الحق من ظاهر أو باطن دونما استثناء، فالقيلة الغائلة الصوفية أن وراء الشريعة حقيقة لا تُنال إلا بطقوس خاصة أخرى غير قشور الشريعة، هذه إزراء بالله تعالى كأنه قصر في مادة الإرسال، وإزراء بالرسول 3 كأنه قاصر في ذلك البلاغ.

فإن كان ما يقولونه هو من الباطن حقاً لكان المشرع أحق بإعلانه كما يعلنون، وإن لم يكن هو الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأئى يؤفكون.

كلاً، إن الباطن الحق كله مطوى في الظواهر الدينية، كلما أقيمت كالمرسوم في شرعة الله ظهرت تلك الحقائق قدرها والله من وراء القصد.

وفي رجعة أخرى إلى الآية انتباهات تالية:

في إختصاص الخطاب هنا بأهل الكتاب لمحبة باختصاصهم أكثر ممن سواهم بتلك النعمة الرسولية حيث (يبين لكم على فترة من الرسل) فإنهم هم المبتلون ببليّة التحريف والإختلاف قاصرين ومقصرين، فهذه لهم بشرى سارّة أن يجيئهم هذا الرسول الذي يبين لهم - كما للعالمين - كل شيء.

ثم (من الرسل) جمعاً محلياً باللام تستغرق فترة منهم كلّهم إلاّ الذي جاء أخيراً، فلتنك فترة متصلة بمجيئه، دون فترة أو فترات سابقة منفصلة عنه، كما وأن (فترة) منكرة تشير إلى وحدة هذه الفترة.

ثم هنا (فترة من الرسل) تدل - فقط - على فترة رسولية، لا ورسالية حيث الفترتان هما قاضيتان حجة بالغة إلهية في تلك الفترة ...

فمما لا يريبه شك ضرورة حجة بالغة إلهية رسولية أو رسالية في كل أدوار التكليف، والجمع أبلغ لإنضمام الداعية المعصومة إلى مادة الدعوة الرسالية المعصومة. فحينما (أرسلنا رسلنا تترا كلما جاء أمة رسولها كذبوه .. (٤٤) ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون (٤٥) .. وجعلنا ابن مريم وأمه آية .. (٥٠) وذلك بعد طوفان نوح حينذاك - وهو الردح العظيم من الزمن الرسولي والرسالي - كانت الأمم تعيش المجتئين البالغتين.

ثم في (فترة من الرسل) عاش المكلفون حجة رسالية محرقة كان بالإمكان الحصول على أصيل الوحي فيها من الدخيل.

ومن ثم في زمن الرسول محمد 3 وعترته المعصومين عليهم السلام عاشوا المجتئين كما السابقين قبل الفترة، وفي زمن الغيبة الكبرى يعيشون الحجة الرسالية البالغة غير المحرفة وهي القرآن العظيم.

و طالما أصل التكليف في أية شرعة إبتلاء، فالذين عاشوا أكثر من شرعة واحدة كان لهم إبتلاءً ثان هوالنقلة إلى شرعة أخرى، والعائشون الفترة الرسولية بين المسيح ومحمد عليهما السلام لهم ثان هو إبتلاء هم بشرعة محرقة، وهكذا نجد مختلف الإبتلاءات

إضافة إلى أصل كل شرعة، مهما اختلفت ألوان هذه الإبتلاآت. ولكننا الحجّة البالغة الإليهة القاطعة للأعذار عاشت كافة المكلفين، مهما زادت بإضافة الحجّة الرسولية، أم نقصت بتحرّف الحجّة الرسالية، ولكن أصل الحجّة الممكن الوصول إليها محفوظ على مدارات الزمن الرسالي بأسرها دونما إستثناء، مهما كان في الرسالة الأخيرة (إنفاذ أمره، وإنهاء عذره وتقديم نذره) (الخطبة ١٢٦/١/٨٨) فدأوصيكم بتقوى الله الذي أعذر بما أنذر، واحتج بما نهج وحذرکم عدواً نفذ في الصدور خفياً) (١٤٥/٢/٨٨١) ..

وهنا (أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) قطع لعذر عدم القوة في البشارة النذارة لمكان الفترة الرسولية والتحرّيف الرسالي في هذه الفترة، فبقاء هذه الفترة هو إبقاءً لقاصر الحجّة البالغة مهما كان قاطعاً للأعذار ردحاً من الزمن، فأما أن تستمر هذه الفترة أكثر مما استمرت أم وإلى يوم الدين فقد كان لذلك العذر من مكان، ولكن (فقد جاءكم بشير ونذير) رسولي إلى مادة مديدة من تلك البشارة والإنذار هي القرآن العظيم.

ذلك ، وكما يقول الله تعالى عن فترة الإختلاف والإختلاق: (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلاّ الذين أوتوه فهدى الله الذي آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله من يشاء إلى صراط مستقيم) (٢:٢١٣).

فالمختلفون والذين اتبعوهم تقليداً أعمى هم، المقصرون، والقاصرون هم القاصرون على أية حال مهما اختلف المجال، ثم (الذين آمنوا) مهديون يهدي الله مها اختلف المقصرون فيه من الحق.

فرغم التحريفات المتنوعة في كتابات الوحي السالفة، فهناك في ميدان الإيمان دور دائر للهدى الربانية، حيث المؤمن ينظر بنور الله والله ضامن هداه. إذاً فمهما كان الوصول إلى الهدى في زمن الفترة الرسولية والتحرّيفات الرسالية، صعباً مستصعباً، فالحجّة البالغة الرسالية فيها باقية مهما كانت صعبة الوصول وشديدة

الحصول، فالإبتلاآت الربانية ضروب في مختلف الشرايع والمكلفين والأدوار الرسالية، ولكلّ قدرٌ سعيه ووعيه.

إذاً فلا يعني دور الفترة إنقطاع الحجّة عن بكرتها حتى تكون للناس على الله حجة حيث العرقي فيها كثيرة في اللجة.

فالضرورة القائمة على مدار زمن التكليف هي ضرورة وجود الحجّة الرسالية سواء أكانت معها رسل أم لا، وضرورة تواتر الرسل قبل الرسالة الأخيرة، إنما هي للحفاظ على صالح الرسالة المعصومة غير المنحرفة، فقد عاشت البشرية أدواراً أربعة غير خالية عن حجة ربانية، ففي تواتر الرسل وتلاحقهم حفاظ على سليم الدعوة الرسولية والرسالية، لمكان التبيين لكل التحريفات الكتابية بمنطق الوحي.

ثم في زمن الفترة الرسولية عن بكرتها والفترة الرسالية الظاهرة بتحرف كتب السماء، كان الله مع هؤلاء الذين آمنوا (فهدى الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم).

ومن ثم في زمن الرسالة الإسلامية، المنقسمة إلى أدوار ثلاثة، تجد العصمة الرسالية المتمثلة في القرآن خالدة على مدار الزمن الإسلامي إلى يوم الدين، مهما اختلفت صور القيادة الرسولية، عصمة زمن الرسول 3 وسائر المعصومين عليهم السلام، وتالية تلو العصمة زمن الغيبة الكبرى، حيث المدار الأصيل في كل هذه الأدوار الثلاثة هو الثقل الأكبر: القرآن العظيم.

فأين فترة الحجّة الربانية عن بكرتها في أيّ دور من أدوار زمن التكليف ؟ .

و ترى حكمة الإبتلاء في تبدل الشرائع كيف لا تستمر إلى يوم الدين ؟

لأن للإبتلاء صوراً عدة، منها تبدل الشرائع وله ما هو التبدل إلى شريعة كاملة كافلة لكل الحاجات إلى يوم الدين وهي شرعة القرآن العظيم، ففيها ما في الشرائع وزيادة، ثم فيها ابتلاآت أخرى من أهمها بلية الغيبة الكبرى، حيث لا تقل كثيراً عن بليات تبدل الشرائع بالحجج الرسولية لمحاضري الرسل.

فقد ابتليت الأمم الرسالية - إضافة إلى مشترك الإبتلاء في نفس الرسالة - بابتلاآت

ثلاث متميزة في شكلياتها، متحدة في أصولها، فقد ابتليت شطراً باختلاف الشرائع، وردحاً بفترة من الرسل، والأخير هو الإبتلاء بالغيبة الكبرى بطول أمدها، فقد انقضى دور الإبتلاء بعدد الشرائع وفترة الرسل فابتليت الأمة الأخيرة بالغيبة الكبرى، ولا تقل عما قبلها من نوعي الإبتلاء، اللهم إلا من ابتلاء الفترة الرسولية.

ذلك، مهما كان البعض لهم ابتلاء واحد كأصل الشرعة فيمن لم يعيشوا إلا شرعة واحدة رسولاً ورسالة، أم وثانياً عاشوا أكثر من شرعة رسولاً ورسالة، أم وثالثاً فيمن عاشوا إلى ذلك زمن الفترة أو زمن الغيبة الكبرى.

٨

هل درس محمد القرآن عند اهل الكتاب!؟!

(وَكَذَلِكَ نُنْصِرُ الْآيَاتِ وَلَيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلَنُبَيِّنَنَّ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (١٠٥:٦).

و كيف يقولون (درست) ؟ (وما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) (٤٨:٢٩) - (قَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلَا تَعْقِلُونَ) (١٦:١٠).

(وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) (١٠٣:١٦) - (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا. قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا) (٦:٢٥).

أجل إنه 3 درس القرآن ولكن أين ؟ في مدرسة الوحي القمّة، عند الله الذي يعلم السر في السماوات والأرض، كما نعلم ذلك العلم السر في القرآن.

فكل تلميذ يُعرف محتده الدراسي من درسه نفسه، فيُعرف من هو الذي علّمه، ودرّس القرآن لا يناسب إلاّ ساحة الربوبية في أعلى قمم الوحي الرباني.

و هكذا كان المرسلون يستدلون لرسالتهم الربانية بربانية أقوالهم وأحوالهم وأعمالهم كما نسمع رسل المسيح من الله قائلين أمام الناكرين: (رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ) (١٦:٣٦) حيث يوجهون في ذلك البرهان العطيف اللطيف أنظار الناكرين إلى حالاتهم ومقالاتهم، برهنةً بها على محتد من أرسلهم.

وترى ما هو المعطوف عليه لـ(وليقلوا...) وما هي المناسبة للمعطوفين المتناحرين؟ هنا معطوف عليه معروف من صوغ الكلام، ك (اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وعشياً) و(إنه ستحر يؤثر) أو شعر أو كهانة أم به جنّة، ولكي تكمل حجة الله البالغة على

١. راجع الفرقان في تفسير هذه الآيات لزيادة الإطلاع على فريّة الاكتتاب والدراسة المحمدية والرد عليها.

الذين يعلمون أو لا يعلمون، ثم لا ضير إذاً أن يقول المجاهيل: (درست) فاللام في (وليقلوا...) تعني - فيما تعنيه - غايةً للمجاهيل في واجهة القرآن، فإن كل محاولاتهم في إسقاط حجة القرآن البالغة داحضة فليقلوا درست أم أية قولة أو احتياله ضده، (ولنبينه لقوم يعلمون) فقالة (درست) هي قالة الذين لا يعلمون تقصيراً منهم حسيراً وتحسيراً قصيراً لا يبلغون فيه إلى غايتهم المضللة، وقد تكون اللام للغاية، غاية للذين كفروا امتحاناً لهم فامتهاناً، كما هي غاية للذين آمنوا، غاية شاردة أو واردة.

ذلك، وقد تصلح (درست) غاية ربانية إلى غايتهم حيث (وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) (٨٢:١٧) - (يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ) (٢٦:٢) (وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ) (١٢٥:٩) (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْبَشَرِ) (٣١:٧٤) .

وقد تعني (اللام) في (يقولوا) الأمر، فهو أمر تعجيز، بيان حال لهم تقتضي هذه القولة، فلا عطف إذاً مع أمر الأمر، وقد تعني الواو كلا العطف والإستئناف جمعاً بين الغاية والأمر، والحاصل هو مثلث الاحتمالات.

اجل (وكذلك) العميق الهدى العريق المدى (نصرف الآيات) حجة بالغة لا تبقى معه حجة لمن يقول (درست) وتكون حجة (لقوم يعلمون) .

و هكذا تكون حجة الله البالغة قاطعة الأعذار حيث لا يتبقى معها معها أية عاذرة إلا ماردة شاردة غادرة.

ذلك، وكيف تعقل فرية درس القرآن بما ليس نابعاً م بيئتهم ولا بيئة أهل الكتاب،

فلا عهد للبشر على طول زمن الرسالات - فضلاً عن سواها - أن يجدوا ذلك المستوى السامق الشاهق الرفيع في صيغة التعبير وصبغة المعنى المعبر عنه، فقد ينتهي ذلك التصريف الظريف في مختلف التحري عن الحق والتجري عليه، إلى نتيجتين متقابلتين: (درست) و(لنبينه ..) فأما الذين لا يريدون الهدى، العائشون الردى، فهؤلاء هم الأعراف كتابية وسواها، إذ ما كان أحد من علماء الكتاب يعرف ذلك المستوى، حيث المسافة شاسعة بينه وبين سائر الكتب السماوية فضلاً عما سواها.

فالعلم - فطرياً وعقلياً وفكرياً وتجريبياً - فضلاً عن علم الكتاب - يصدق وحي القرآن: (و لنبينه لقوم يعلمون) أية مرحلة من مراحل هذه.

و أما الذين يقولون (درست) فقد درّست عنهم معالم الهدى حيث تجاهلوا عن كل بنود العلم والمعرفة، واثقلوا وأخلدوا إلى أرض الجهالة والغباوة.

و حين ينقسم المرسل إليهم بهذا القرآن فريقين إثنين، يصدر أمر الله العلي العلوي أن يتبع ما أوحى إليه، وكفاه حجة بالغة في كل الحقول، صوغاً لحياته - ككل - بصياغته، وصبغاً لها بصبغته، إذ لا حجة له أبلغ من حجته طمأنةً لحاطره الشريف بذلك الوحي الظريف الطريف دون فشل ولا فتور من تقولهم (درست) وما أشبه فانه هباء في العراء ونقش في الماء والهواء.

ف(كذلك نصرف الآيات وليقولوا درست) (فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) وما تلکم القيلات الغائلات على القرآن مما تغتاله.

(إِتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) (١٠٦:٦).
(اتبع) رسولياً ورسالياً (ما أوحى إليك من ربك) من كتابه (لا إله إلا هو) يوحى إليك غيره (و أعرض عن المشركين) بعد كامل الإنذار بججج الله، إعراضاً عن الإشتغال بهم بعد الإيأس، وعن أن تأسف لهم أو عن أذاهم إذ (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون).

(ومن ربك) هنا دون (الله) أو (رب للعالمين) تعبيرة قاصدة، أن الذي رباك بتلك التربية الغالية هو الذي يرداك في تلك الدعاية الرسالية، دونما فشل، فجدد في مصيرك

بمسيرك دونما أية وقفة فرُبُّك يرعاك ولن تجد من دونه ملتحدًا.
وقد تعني (لا إله إلا هو) بعد أمر الإتياع - فيما عنت وقبل امر الإعراض - أن
عليك أن تحور حور ذلك المحور الوحيد من التوحيد، فلا يززعك الطوارئ القواصف،
ولا تحرك العواصف، فلا يعني الإعراض عنهم - فيما عني - الرضا بإشراكهم حين لا
تؤثر فيهم دعوتك، فعلى الداعية أن يعلّق أمله وعمله بالذين يسمعون الدعوة.

محمد3 في كتابات الوحي

(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ
وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (١٥٧:٧).

فذلك الرسول النبي الأمي هو الرحمة الواسعة الربانية فطليق الرحمة مكتوبة لكافة
المتقين المؤتين الزكاة، المؤمنین بالآيات، ثم الرحمة الطليقة مكتوبة مستقبلةً لـ(الذين
يتبعون ...).

فهنا عذاب مكتوب للمعاندين على طول الخط، ورحمة واسعة مكتوبة للمتقين
المؤتين الزكاة المؤمنین بالآيات المتبعين هذا الرسول 3 ورحمة غير واسعة لهؤلاء المتقين
غير المتبعين له 3 قصوراً دون عناد وتكذيب، إذ (لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ
قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ. يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَمَا
يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ) (١١٣:٣ - ١١٥).

فهؤلاء هم من المتقين مهما لم يتبعوا هذا الرسول 3 قصوراً دون تقصير أم بتقصير
يسير مُسامح، وتلك الرحمة الواسعة تسع كل شيء واقعاً رحمانية، وتسع من لا يرفضها
رحيمية، فليس النقص - إذاً - في فاعلية الرحمة الرحيمية، إنما هو في القابلية، فمن
استقبل لها وقبلها فهي له قدر الإستقبال والقبول، والقصد هنا إلى الرحيمية لمكان
(فسأكتبها للذين يتقون ...) حيث الرحمانية مكتوبة لكافة الكائنات دون إبقاء
وإستثناء.

و هنا (والذين آمنوا) تعم الإيمان بدرجاته العالية من القمة السامقة العلوية، وهكذا
يكون علي Δ رأساً وقائداً وشريفاً وأميراً، في خطابات الإيمان بآياتها كما إصفق عليه

الفريقان^١.

وترى (بجدونه) تعني وجدانه بمواصفاته الثمان، ثلاث متقدمة وخمس متأخرة عدد أبواب الجنة؟ الظاهر نعم حيث الضمير الغائب في (بجدونه) راجع إلى (الرسول النبي الأمي) ثم (بأمرهم ..) حال للموصوف.

وهنا (الرسول النبي) وهناك في لموسى: (واذكر في كتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً) (٥١) ولإسماعيل: (واذكر في الكتاب إسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً) (٥٤) وكذلك (ما أرسلنا من رسول ولا نبي إلا إذا تمّنى ..) (٥٢:٢٢) إضافة إلى أن عديد الرسول والرسول في القرآن أكثر بكثير من النبي والأنبياء، كل ذلك يدل على أن النبي هو الرسول الرفيع المنزلة بين الرسل، كما النبي هو من النبوة: الرفعة.

فالنبي بمشتقاته يذكر في ثمانين موضعاً بميزات فوق الرسالة، حال أن الرسول بمشتقاته يذكر زهاء (٤٠٠) مرة دون هذه الميزات، اللهم إلا لرسول نبي، ففي مثلث

١. في ملحقات إحقاق الحق (٣:٤٧٦ - ٤٧٩) عن ابن عباس عن أربعة عشر من فطاحل العامة قوله: «ما في القرآن آية إلا وعلي رأسها وقائدها، وأحمد بن حنبل في فضائل الصحابة (١٨٦) بسند عن ابن عباس يقول: ليس من آية في القرآن «يا أيها الذين آمنوا» إلا وعلي رأسها وأميرها وشريفها ولقد عاتب الله أصحاب محمد 3 في القرآن وما ذكر علياً إلا بخير، وأبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء (١:٦٤) بسند عنه قال قال رسول الله 3: ما أنزل الله آية فيها «يا أيها الذين آمنوا» إلا وعلي رأسها وأميرها، وهكذا محب الدين الطبري في ذخائر العقبى (٨٩) والرياض النضرة (٢٠٧) والكنجي الشافعي في كفاية الطالب (٥٤) والسبط ابن الجوزي في التذكرة (١٩) والشبلنجي في نور الأبصار (١٠٥) وغياث الدين بن همام خواندمير في جديد السير (٢:١٣) وصاحب المناقب المرتضوي (٣١) والهيثمي في الصواعق المحرقة (٣٨) و(١٢٥) والسيوطي في تاريخ الخلفاء (١١٦) والقندوزي في ينيابيع المودة (١٢٥) والقاسم بن حماد في البحار (٩:٦٧) وأحمد في مسنده كما في مناقب الكاشي - المخطوط - والمناوي في الكواكب الدرية (٣٩).

و هكذا ما نزل في أحد من كتاب الله ما نزل في علي Δ إلا الرسول 3 كما وراه السيوطي في تاريخ الخلفاء (١١٧) والهيثمي في الصواعق (١٢٥) والمناوي في الكواكب الدرية (٣٩) كلهم روه عن ابن عباس.

النبوءة والرسالة والنبوءة، الأولى هي نبوءة الوحي وان لم يرسل صاحبها، والثانية هي الرسالة بالوحي كيفما كانت درجته، والثالثة هي الرسالة الرفيعة، ولم يأت (النبي) معرفاً في القرآن إلا لنبينا3 مما يبرهن على نبوته الرفيعة بين الأنبياء أجمعين. ذلك، وقد أفردنا مؤلفاً حول البشارات الواردة بحق هذا الرسول النبي3 في كتب السماء^١.

ومن ميزات النبيين اجمع - على درجاتهم - أنهم أصحاب الكتاب، (فكان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب..) (٢:٢١٣) (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة..) (٣:٨٢)، فنبينا أفضل أولى العزم، وهم أفضل النبيين، ثم أصحاب الكتاب هم أفضل المرسلين، وفي كل درجات أعلاها لخاتم النبيين3.

ذلك، وأمية الرسول3 هي من ميزات الرسولية والرسالية، إذ لم يتلون طول حياته قبل الرسالة بألوان الثقافات البشرية المدخولة أو الناقصة، ومنذ رسالته أخذ يدرس في مدرسة الوحي الرباني، فلأنه مدرس العالمين ومربيهم، لا بد له أن يدرس - فقط - عند رب العالمين، حتى يصلح مريباً للعالمين لمن شاء منهم أن يستقيم.

فقد يشير إلى الثلاث الأول قوله تعالى في التوراة حسب النص العبراني صوتياً: (يدعو ييسرائيل إوايل حنابي مشوكاغ إيش هاروح روب عويخا ورباه مسيطماه) - (بنو اسرائيل يعلمون ويعرفون أن الرسول الأمي المصروع رجل صاحب روح إلهامي وصاحب وحي) وهنا (المصروع) إشارة إلى ما يصفونه به: (ويقولون إنه مجنون وما هو إلا ذكر للعالمين) (٥١:٦٨) وفي كتاب هوشيع النبي Δ (الفصل ٩ الآية ٦) بعد التصريح باسمه المبارك (محمد لكسفام): محمد لفضتهم، إشارة إلى الجزية التي يأخذها منهم، يقول باختلاف يسير في التعبير: (لأن النبي الأمي المصروع وصاحب الروح بسبب كثرة العصيان والبغض أصبح مجنوناً) يعني بحسبانهم هؤلاء العصاة المبغضين،

١. هو «رسول الإسلام في الكتب السماوية» بالعربية و«بشارات عهدين» بالفارسية.

ومن حنقهم وبغضهم إياه إن أرادوا أن يسموا بعض أولاهم محمداً ليخيلوا إلى البسطاء أنه هو محمد المبشر به في التوراة فهددهم الله في (هوشيع ٩:١٦) بقوله: (و هَمْنِي مَحْمَدِي بِيْطْنَام): (أقتل محمداً في البطون) مهما حرفوا (محمداً) هذا إلى (مشتهيات بطونهم) كما حرفوه في (محمد لكسفام) حيث حرفوها إلى مشترياتهم ومرغوباتهم في (هوشيع ٩:٥).

و إشارة إلى أميته بمعنى أنه لم يدرس إلا عند الله يقول في كتاب أشعياء Δ (٩:٢٨).

(إت مي يوره دِعاة وإت مي يا بين شيموعاه غِكمولي محالاب عثيمي مِثادايِم) -
(لمن ترى يعلم العلم ولمن يفقه في الخطاب اللمفطومين عن اللين، للمفصولين عن الثدي) ثم يستمر في قرآن ذلك المفصول عن الثدي بمواصفات^١.
و إشارة إلى أميته نسبته إلى أم القرى انه نبي من (فاران - حرى): كما في التوراة (تث ٣٣:١-٢):

(وزنت هبراخاه أشير برخ موشيه إيش ها الوهيم إت بني إسرائيل لفي موتو ويومر يهواه مسيني باو زارح مسعير لامو هو فيع مهر فاران وآتاه مربيت قدش مي مينو إيش دات لامو) =

(وهذه بركة باركها موسى رجل الله بني إسرائيل وقت موته وقال الله جاء من سيناء تجلي من ساعير وتلعلع من جبل فاران (حرى) ورد مع آلاف المقدسين، ظهرت من يمينه الشريعة النارية).

وهنا مضي التعبير لتجلي الرب بالرسالة المحمدية من فاران إعتباراً بقاطع وقوعه مستقبلاً، وكما في كتاب حَبَقُوق النبي Δ (٣:٣):

(إلوه متيمان يابو وقادوش مهر فاران سلاه شاميم هودد ونهلاتو مالتاه ها آرص)

: -

١. راجع الفرقان ١:٣٦١ ورسول الإسلام في الكتب السماوية.

(الله يأتي من تيمان - وهو ساعير جنوبي القدس - والقدوس يأتي من فاران (حرى) إلى الأبد، يغطي جلاله السماوات وثناءه الأرض).

ولقد يوجد اسمه 3: محمد - أحمد - وميزاته في التوراة والإنجيل وملحقاتهما كما فصلناه في البشارات ورسول الاسلام 3 وبطيات آياتها المناسبة فلا نعيد. هنا يصرح القرآن أن أهل الكتاب يجدونه 3 مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، ولو لم يكن له ذكر فيهما عند نزول القرآن - ورغم تحرف الكتابين - لكفى تكذيباً منهم بهذه الرسالة، ولم يؤثر ولا مرة يتيمة من أحد من معاصريه 3 أن يكذبه في هذه الدعوى، بل نجد التصديق الرفيق من صالحهم^١.

١. نورالثقلين ٢: ٧٩ في الخرائج والجرايح عن الرضا Δ حديث طويل وفيه: فقال الرضا Δ : أنت يا جاثليق أمن في ذمة الله وذمة رسوله لا يبدئك مناشيءٌ تكره مما تخافه وتحذره، فقال: أما إذا أمنتني فإن هذا النبي الذي اسمه محمد 3 وهذا الوصي الذي اسمه علي وهذه البنت التي اسمها فاطمة وهذان السبطان اللذان اسمهما الحسن والحسين E في التوراة والإنجيل والزبور. وفيه عن كتاب التوحيد في باب مجلس الرضا Δ مع أصحاب الملل والمقالات قال الرضا Δ لرأس الجالوت: تسألني أو أسالك؟ قال: بل أسالك ولست أقبل منك حجة إلا من التوراة أو من الإنجيل أو من زبور داود أو بما في صحف إبراهيم وموسى H. قال الرضا Δ لا تقبل مني حجة إلا ما نطق به التوراة على لسان موسى بن عمران Δ والإنجيل على لسان عيسى بن مريم H والزبور على لسان داود Δ فقال رأس الجالوت: أين ثبت نبوة محمد 3؟ قال الرضا Δ : شهد بنوته موسى بن عمران وعيسى بن مريم وداود خليفة الله في الأرض E، فقال له ثبت قول موسى بن عمران Δ قال الرضا Δ : هل تعلم يا يهودي أن موسى أوصى بني إسرائيل فقال لهم: انه سيأتيكم نبي هو من إخوانكم فيه فصدقوا ومنه فاسمعوا، فهل تعلم أن لنبي إسرائيل إخوة غير ولد إسماعيل إن كنت تعرف قرابة إسرائيل من إسماعيل أو السبب الذي بينهما من قبل إبراهيم Δ فقال رأس الجالوت: هذا قول موسى لا ندفعه فقال له الرضا Δ : هل جاءكم من إخوة بني إسرائيل نبي غير محمد 3؟ قال: لا، قال الرضا Δ : أفليس قد صح هذا عندكم؟ قال: نعم، ولكنني أحب أن تصححه لي من التوراة، فقال له الرضا Δ : هل تنكر أن التوراة يقول: جاءكم النور من جبل طور سيناء وأضاء لنا من جبل ساعير واستعلن علينا من جبل فاران؟ قال رأس الجالوت: أعرف هذه الكلمات وما أعلم تفسيرها، قال الرضا Δ : أنا أخبرك به، أما قوله: جاء النور من جبل طور سيناء فذلك وحي الله تبارك وتعالى الذي أنزله على

موسى على جبل طور سيناء، وأما قوله: وأضاء لنا من جبل ساعير، فهو الجبل الذي أوحى الله تعالى إلى عيسى بن مريم H وهو عليه، أما قوله: واستعلن علينا من جبل فاران، فذلك جبل من جبال مكة بينه وبينها يوم، وقال اشعيا النبي Δ: فيما تقول أنت وأصحابك في التوراة: رأيت راكبين أضاء لهما الأرض أحدهما على حمار والآخر على جمل فمن راكب الحمار ومن راكب الجمل؟ قال رأس الجالوت: لا أعرفهما فأخبرني بهما، قال: أما راكب الحمار فعيسى Δ أما راكب الجمل فمحمد (صلى الله وآله وسلم) أتتكم هذا من التوراة؟ قال: لا ما أنكره ثم قال الرضا Δ: هل تعرف حيقوق النبي Δ قال: نعم إني لعارف به قال: فإنه قال - وكتابكم ينطق به - جاء الله بالبينات من جبل فاران وامتلأت السماوات من تسييح أحمد وأمته يحمل خيله في البحر كما يحمل في البر يأتينا بكتاب جديد بعد خراب بيت المقدس يعني بالكتاب القرآن أتعرف هذا وتؤمن به؟ قال رأس الجالوت: قد قال ذلك حيقوق ولا تنكر قوله، قال الرضا Δ: قد قال داود في زبوره وأنت تقرأ: اللهم ابعث مقيم السنة بعد الفترة، فهل تعرف نبياً أقام السنة بعد الفترة غير محمد (صلى الله وآله وسلم)؟ قال رأس الجالوت: هذا قول داود نعرفه ولا ننكره ولكن عنى بذلك عيسى Δ وأيامه هي الفترة، قال الرضا Δ: جهلت، إن عيسى لم يخالف السنة وقد كان موافقاً السنة تورا حتى رفعه الله إليه، وفي الإنجيل مكتوب أن ابن البرة ذاهب والفارقليط جاء من بعده وهو الذي يحقق الأخبار ويفسر لكم كل شيء ويشهد لي كما شهدت له، أنا جئتكم بالأمثال وهو يأتاكم بالتأويل، أتؤمن بهذا في الإنجيل؟ قال: نعم لا أنكره!

و في الد المنتور ٣: ١٣١ - أخرج ابن اسعد وأحمد عن رجل من الأعراب قال جلبت حلوية إلى المدينة في حياة رسول الله 3 فلما فرغت من بيعي قلت لألقين هذا الرجل ولأسمعن منه فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون فتبعتم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشر التوراة يقرأها يعزي بها نفسه عن ابن له في الموت كأحسن الفتیان وأجمله فقال رسول الله 3 أنشدك بالذي أنزل التوراة هل تجدني في كتابك ذا صفتي ومخرجي؟ فقال برأسه هكذا - أي: لا فقال ابنه إي والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقال 3: أقيموا اليهودي عن أخيكم ثم ولي كفته والصلاة عليه.

و فيه عن ابن مسعود قال قال رسول الله 3: صفتي أحمد المتوكل مولده بمكة ومهاجره إلى طيبة ليس بفظ ولا غليظ يجزي بالحسنة الحسنة ولا يكافيء بالسيئة، أمتة الحمادون يأتزون على أنصافهم ويوضون أطرافهم أناجيلهم في صدورهم يصفون للصلاة كما يصفون للقتال، قربانهم الذي يتقربون به إلى دمائهم، رهبان بالليل ليوث بالنتهار.

وفيه أخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل عن علي بن أبي طالب أن يهودياً كان له على رسول الله 3 دنانير فتقاضى النبي فقال له: ما عندي ما أعطيك، قال: فإني لا أفارقك يا محمد حتى تعطيني، قال:

ذلك، وقد يروى عن النبي 3 قوله: (أنا محمد النبي الأمي أنا محمد النبي الأمي أنا محمد النبي الأمي وأنا محمد النبي الأمي ولا نبي بعدي، أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه وعلمت خزنة النار وحملة العرش، فاسمعوا وأطيعوا ما دمت فإذا ذهب بي فعليكم كتاب الله أحلوا حلاله وحرّموا حرامه)¹.

ثم (الذين يتبعون) لها صلة بـ(هم بآياتنا يؤمنون) أكثر من الصلة بما قبلها، فإن ذلك الإتيان يتبع الإيمان (بآياتنا) التي منها البشارات المدعوة في التوراة والإنجيل، مهما كان لـ(يتقون) أصلاً ولـ(يؤتون الزكاة) فرعاً، صلة تحضيرية للإيمان (بآياتنا) فإن الذي لا يتقي الله ليس ليؤمن بآيات الله.

وليس (يتبعون) تختص بالعائشين زمن الرسالة المحمدية 3 ليُحرم عن رحمتها الشاملة هؤلاء الذين ماتوا قبلها، بل هم الذين حضروا أنفسهم لذلك الإتيان إن عرفوه عملياً إن أدركوا، وهم متبعوها علمياً وعقيدياً وتطبيقياً، فالأولان حاضران على أية حال ويبقى الثالث لدوره الواقعي وهو منذ ابتعث هذا الرسول النبي الأمي 3، وهنا بشارة بزول الإنجيل بعد التوراة في واجب ذلك الإتيان كما نجدتها في التوراة في عدة آيات تبشر بظهوره الرب من ساعير وما أشبهه.

ذلك، وترى الخمسة الباقية عن الثمانية هي من ميزات هذا الرسول 3؟ وما هي إلهيه لسائر الرسل Φ! .

إذن أجلس معك يا محمد فجلس معه فضلى النبي 3 الظهر والعصر والمغرب والعشاء والغداة وكان أصحاب النبي 3 يتهددون اليهودي ويتوعدونه فقالوا: يا رسول الله 3 يهودي يجلسك؟ قال: منعني ربي أن أظلم معاهداً ولا غيره، فلما ترحل النهار أسلم اليهودي وقال: شطر مالي في سبيل الله، أما والله ما فعلت الذي فعلت بك إلا لأنظر إلى نعتك في التوراة: محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره بطيبة ومملكه بالشام، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا متزين بالفحشاء ولا قوال للخنا.

١. الدر المنثور ٣: ١٢١ - أخرج ابن مردويه عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال: خرج علينا رسول الله 3 يوماً كالمودع فقال: أنا ...

ليست هذه الثمانية إلا (الأمي) وقسم آخر، هي من اختصاصاته 3، فإنما القصد من سردها تبيين انه مذكور في التوراة والإنجيل فليتبعوه إتباعاً لأمر الله فيهما وانه من نفس النمط الرسالي المعروف عند الرساليين، فليس - إذاً - بدعاً من الرسل، ثم فيه مزيد من هذه قضية ختم الرسالة والنبوة به كما يعرف تماماً من المقارنة بين هذا الرسول ورسالته وبين سائر الرسل برسالاتهم: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله إن كنتم صادقين).

ثم (يا مرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) تبلور في (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَوَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (٣: ١١٠).

وقد نجده في التوراة والإنجيل والقرآن أمراً ناهياً، نفخت شرعته في واجب الأمر والنهي كل ما يسعه من الروحية الحيوية الشاملة، وإلى درجات متعاليات لتطبيق الجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس وكل النفائس حفاظاً على الأدب الإسلامي السامي في المجموعة المسلمة ككل، ونموذجاً من التوراة ما في كتاب هوشيع النبي Δ (٩: ١٦) حسب النص العبراني الصوتي:

(سَوْفَ إِفْرِيْمَ عَمَ الْوَهَائِ نَابِيءُ فَحْ يَأْقُوشُ عَلَ كَالِ دِرَاخَائُو مَسْطِمَاهِ بِيُوتِ الْوِ هَائِيُو) (٩) =

(افرايم منتظر عند إلهي. النبي فح صياد على جميع طرقه. حقد في بيت إلهه. وقد توغلوا وأفسدوا كأيام جبعة. سيذكر إثمهم. سيعاقب خطاياهم) (٩).

فالقصد من (النبي) هنا هو (محمد) المذكور في الآية (٦) (... محمد لكسفام...): محمد لفضتهم، حيث تعني الجزية التي يأخذها منهم، وقد رموه بالجنون والحمق كما في الآية (٧): (.. النبي أحقق إنسان الروح مجنون من كثرة إثمك وكثرة الحقد) وكما مضى من ذي قبل.

فقد برز محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) المحقود في بيت إسرائيل، المرمي بالحمق والجنون، وهو الموصوف بالنبي الأمي صاحب الروح والوحي، برز أنه (فح صياد في

جميع طرقه) وهي طرق الدعوة الرسالية، برز هاديا ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله وسراجاً منيراً، فسخ للشاردين، صياد للواردين، أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر^١.
ثم (يحل لهم الطبييات ويحرم عليهم الخبائث) كما أحلت أو حرمت في سائر شرائع الله، ولكنه إحلال وتحريم أديان لا يتغيران أو يتطوران إلا قليلاً ابتلائياً، وقد كان في الشريعة التوراتية تحريمات إبتلائية أم عقوبية مؤقتة وتحليلات، مما أصبح من مميزات الشريعة الإنجيلية تحليل بعض ما حرم عليهم: (ولأحل لكم بعض الذي حرّم عليكم ..) (٥٠:٣) ومن (الطبييات) التي يحلها هي المحرقة على الذين هادوا عقوبة، ومن الخبائث التي يجرمها هي التي حللوها كالخمر وما أشبهه، ثم يقر سائر الخبائث على تحريمها وسائر الطبييات على إحلالها، فليس بدعاً من الرسل يخالف خط الرسالة وستنتها الشاملة.

ثم (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) فقد أشير إليهما في (أشعيا ٢٨:١٢) بخلال التعريف بالقرآن:
(أشِرْ أَمْرَ إِلَيْهِمْ زَيْتٌ هَمَّتُوحَاهُ هَانِيحُولِعَايِفِ وَزَيْتٌ هِمَّرَجَعَاهُ وَلَا آبِوءَ شَمِوعِ)
(١) :-

(الذين قال لهم هذه هي الراحة فأريجوا الراح وهذه هي الرفاهية فأبوا أن يسمعوا) (١٢) قال لهم رسول هذا القرآن (هذه) الشريعة القرآنية (هي الراحة فأريجوا الراح) عن أسره وإصره، وحلوه عن غلّه وغلّه.

هذا (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) وهذه زوايا أربع لقاعدة إتباعه: (الذين يتبعون ..) إيماناً به كما هو، وتعزيراً له: دفاعاً عنه، وهو الحالة السلبية تجاهه ذوداً عنه ما يمس كرامته، ونصرة إياه، وهو الحالة الإيجابية تجاهه، تحقيقاً حقيقاً لكلمة الإخلاص: (لا إله إلا الله) سلباً وإيجاباً عملياً، بعد الإيمان به قلبياً، وهذه الثلاثة تكرر في الزاوية الرابعة: (واتبعوا النور الذي

١. راجع «رسول الإسلام في الكتب السماوية» والفرقان ١:٣٦١ تجد تفصيل هذه البشارة.

أنزل معه) وهو القرآن، إتباعاً في كل حقوله في كل الحقول، لا إتباعاً في خيال خا و زاو، دون أن يظهر في حال وفعال، أو يخطر خطراً له ببال.

﴿إولئك هم المفلحون﴾ في كل معتركات الحياة، المفلحون كل دوائر السوء المتربصة بهذه الرسالة والسامية.

و إنما (أنزل معه) دون (أنزل عليه) لتعرف المعية بين القرآن ورسول القرآن فهما فرقدان لا يتفارقان وكل على صاحبه، فكما إتباع النور الذي أنزل معه مفروض، كذلك إتباعه في سنته الجامعة غير المفرقة، فهما نوران متواتيان متواليان مهما كان نور القرآن أطول أمداً وأبقى أبداً فإنه الثقل الأكبر.

وهنا مثلث (آمنوا به وعزروه ونصروه) يتوحد في (واتبعوا النور الذي أنزل معه) فإنه إمامه حيث وأمامه في كل رسالاته، وهذا النور المتبع هو الذي يأمرنا باتباعه كما موم أول لذلك الإمام، فلنصطف وراءه إقتداءً بالقرآن الإمام، لكي نفلح كما هو أفلح، ونفلح خصومنا كما هو أفلح. تتمه فيها إشارات إلى بشارات:

كما في تصريحات آيات كهذه وفي روايات الإحتجاجات للرسول 3 وعترته المعصومين (عليهم السلام)، وبعد مضي زمن طويل بيننا وبين هذه التصريحات، نجد في التوراة والإنجيل على تحرفهما ولا سيما في البشارات - نجد تصريحات لا حول عنها لهذا الرسول النبي 3 وإليكم نماذج أخرى تصديقاً لاحتجاجات.

مما أشار إليه الإمام الرضا من البشارات آية (التثنية ١٨: ١٧) ونصها بالعبراني:
(نابىء آقيم لاهم مقرب إحييم و ناتتى دبارى بفيو ودبر اليهم ات كال أشر
أصوتو) (١٧) =

(بني أقيم لهم من أقرباء أخيهم كموسى وأضع كلامي في فيه لكي يقول لهم كلما أمره) (١٦) فطالما حرفت أقلام الزور والغرور ذلك النبي المبشر عن بيت إسماعيل إلى بيت إسرائيل، ولكنه بعد النص (مقرب إحييم): من أقرباء أخي بني إسرائيل، لا منهم، وقد تسمى التوراة أبناء الأعمام إخوة، فد(عيص) وهو أخو يعقوب، يصبح بنوه

إخوة بني إسرائيل كما فى (تث ٢٨: ٨ - ١٠) (ومر القوم وقل لهم إنكم على حد إخوانكم بني عيص ..) وعيص هذا هو صهر إسماعيل بن إبراهيم ومن أولاد بنت إسماعيل، إذاً فولد إسماعيل هم أحوال بني عيص، فأقرباء بني إسرائيل هنا هم من بني إسماعيل، ولم يظهر نبي من بنيه إلا محمد3 ذلك وقد مضى نص التورات وحقوق النبي بمطلع النور القدسي المحمدي من (پاران): حرى، فلا نعيد.

وفى (نبوءت هیلد): وحي الطفل: لُحمان حطوفاه، بحرف الميم من سلسلة مقالاته حول الرسول 3 حسب حروف الحساب:

(محمد كايا إعا بايا ديطمع هويا وبهى كليليا) - :

وهي حسب مختلف التراجم اليهودية: (محمد عظيم قدير. الشجرة الطيبة البارزة. المأمول المغبوط المرتجى. الذي يخمد. ويفنى ما مضى. هو الجمع والكل. هو التاج. وهو الكَلُّ)

و فى أناشيد سليمان النبي Δ (١٦:٥):

(حِكُو مَمْتَمِيمٍ وَ كُوْلُو مَحَمَدٍ يَمِ زَهْ دُوْدِي وَ زَهْ رَعِي بِنْتُ يَرْشَلَامِ) (١) =

(فمه حُلُو - وكله محمد - هذا محبوبي - وهذا ناصري - يا بنات أورشلیم)!

و ذلك بعد مواصفات عدة لمحبيب له لا يسميه، فخيّل إلى بنات أورشلیم أنه يعنى واحدة منهن حتى صرح بإسمة وسمته أخيراً بما صرح!

و فى كتاب أشعياء النبي Δ بشارات عدة أشار إلى بعضها الإمام الرضا Δ فى حوارهِ وإليكم بعضاً آخر، ففي (١:٤١ - ٢٥): مواصفات دون تصريح بالموصوف بها، وهي لا تنطبق بالضبط إلا على محمد 3 حيث يقول الله فيها: 'هوذا عبدي الذي أعضده. مختاري الذي سررت به نفسي. وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم لا

١. للتفصيل راجع «رسول الإسلام فى الكتب السماوية» ووحى الطفل عرض نموذجي عن كيان الرسول (صلى الله وآله وسلم) وحياته الرسالي وميزاته نقلناه عن كتاب منقول الرضائي للحبر العظيم اليهودي الذي أسلم وألف هذا الكتاب رداً على اليهود.

يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته. قصبةً مرضوضةً لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفىء. إلى الأمان يخرج الحق لا يكلُّ ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته -

هكذا يقول الله الرب خالق السماوات وناشرها باسط الأرض ولئنأجها، معطي الشعب عليها نسمةً والساكنين فيها روحاً أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم لتفتح عيون العمي لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة -

أنا الرب هذا إسمي ومجدي لا أعطيه لآخر ولا تسيحي للمنحوتات هوذا الأوليات قد أتت والحديثات أنا مخبر بها. قبل أن تثبت أعلمكم بها غثوا للرب أغنية جديدة تسيبحة من أقصى الأرض. أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها (قيدار) لترنم سكان سالك من رؤوس الجبال ليهتفوا ليعطوا الرب مجداً ويخبروا بتسيبحة في الجزائر الرب كالجبار يخرج. كرجل حروب يُنهض غيرته. يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه -

قد صحت منذ الدهر سكتٌ تجلّدتُ. كالوالدة أصبح. أنفخ وانخر معاً أخرج الجبال والآكام وأجفف كل عُشبيها وأجعل الأنهار يبساً وأنشّف الآجام وأسّير العمي في طريق لم يعرفوها. في مسالك لم يدروها أمشيهم. أجعل الظلمة أمامهم نوراً والمعوجّات مستقيمة. هذه الأمور أفعالها ولا أتركهم قد ارتدوا إلى الورا. يخزي خزيّاً المتكلمون على المنحوتات القائلون للمسبوكات أتئن أهتنا -

أيها الصمُّ اسمعوا. أيها العمي أنظرا لتبصروا من هو أعمى إلاّ عبدي وأصمُّ كرسولي الذي أرسله. من هو أعمى كالكمال وأعمى كعبد الرب ناظر كثيراً ولا تلاحظ. مفتوح الأذنين ولا يسمع الرب قد سرّ من أجل برّه. يعظم الشريعة ويكرمها ولكنه شعب منهوب ومسلوب قد اصطيد في الحفر كُله وفي بيوت الجوس اختبأوا. صاروا نهياً ولا مُنقذ وسلباً وليس من يقول رُدّ - من منكم يسمع هذا. يصغي ويسمع لما بعد من دفع يعقوب إلى السلب وإسرائيل إلى الناهبين. أليس الرب الذي أخطأنا إليه ولم يشاءوا أن

يسلكوا في طريقه ولم يسمعوا لشريعته فسكب عليه حموُ غضبه وشدة الحرب فأوقدته من كل ناحية ولم يعرف وأحرقته ولم يضع في قلبه.

هذه الآيات البيّنات تبشر بولي عظيم من أولي العزم من الرسل (عليهم السلام) ليس ليصدق على المسيح Δ الآتي بعد أشعياء اللهم إلا على محمد 3 خاتم الأنبياء.

فالآيات (١-٣-٤-١٠) تبشر بولاية عزمه وأنه صاحب شرعة مستقلة جديدة، وشرعة المسيح حسب نصوص من الإنجيل إضافة إلى خلوه عن أحكام، هي شرعة التوراة إلا في قليل هو تحليل البعض من المحرمات العقوبية.

و الآيات (١-٢-٣-٤-٦) تصرح بأمية شرعته العالمية وأنه 3 هدى ونور لقاطبة الملل، والآيتان (٤-١٠) تقول إن كافة الأمم تنتظر مجيئه وهي مأمورة بالدخول في شرعته، وهو يكسر الأصنام ويزيل عبادة الأصنام (٨-١٧).

و مبدء ظهوره وانتشار شرعته البلاد المسكونة لـ(قيدار)^١ - وهو الولد الثاني لإسماعيل (تكوين ١٣: ٢٥) وهو جد محمد 3، وأعظم معبد لأمته في هذه البلاد حيث المستطيعون يقصدونه من مشارق الأرض ومغاربها وترفع البرية ومدنها وصوتها الديار التي يسكنها قيدار، ترثاً بتسبيح الله من على رؤوس الجبال (١١: ١٢).

و قد تعني (مختاري) في المصطفى حيث حرّف بالمعنى وكما يؤيده الآية (١٠) كما ترجمها القسيس أوسكان الأرمني^٢: (يسبحون الرب تسييحاً جديداً وأثر سلطانه يكون بعده وإسمه (أحمد)).

هذه نماذج من البشائر بحق هذا الرسول النبي الأمي، ولكن ترى ماذا كانت المواجهة اليهودية والنصرانية لهذا الرسول ولرسالته؟ لقد كانوا أنحس وأتعس من المشركين

١. لقد ذكر «قيدار» في (أشعياء ٧: ٦٠) أيضاً كما يقول في بشارة أخرى في آيات عدة تعريفاً بصاحب هذه الشرعة المبشر بها: «كل غنم قيدار تجتمع إليك. كباش نياوت تخدمك. تصعد مقبولة على مذبحي وازين بيت جمالي» وللإطلاع على تفصيل بشارات أشعياء راجع (رسول الإسلام).
٢. هذه الترجمة كتبها هذا القسيس على كتاب أشعياء في ١٧٣٣ وقد طبعت في مطبعة (أنتوني بورتولي).

وسائر الملحدين لحد يندد الله بفعلتهم قائلاً: (ولا تكونوا أول كافر به) (٢:٤١) .
 ذلك وعلى طول الخط نرى دوائر السوء في كافة الحلقات مستخدمة من الصهيونية
 والصليبية ضد الكيان الإسلامي، حيث تعالج - بزعمها - إزالة هذا الدين من الوجود.
 فهل يبقى هنا مجال التعاون بيننا وبين اليهود والنصارى في وجه التيار المادي وسائر
 الإلحاد وهؤلاء وهم أهل كتاب أخطر وأضر على الكيان الإسلامي من كافة الكفرة
 والملحدين! .

ذلك، هو (الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل)
 .(فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)
 أركان أربعة للإفلاح ابتداءً من الإيمان به كما يصح، ثم (وعزروه) توقيراً ثقیلاً قدر ما
 وقره الله، فليس الإيمان به كسائر الإيمان بسائر الرسل، إنما هو الإيمان بمن يحمل
 الرسالات كلها، فليوقر كما توقر الرسل كلهم وزيادة هي رمز الخلود.

ثم وليس الإيمان والتوقير - فقط - في زوايا القلب، بل وهناك ترسيم للإيمان الموقر
 في صحيفة العمل، فيه نفسه: (ونصروه) في حمل هذه الرسالة تطبيقاً إياها ودعاية لها،
 وفي كتابه (واتبعوا النور الذي أنزل معه) وهو رأس الزاوية من نصرته.

فقد تلخصت هذه الزوايا الأربع في الرابعة: (واتبعوا النور الذي أنزل معه) وإذا
 فد(أولئك هم المفلحون) في معارك الحياة وملتوياتها ومنحنياتها.

(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (٧:١٥٨) .

هنا في هذه الإذاعة القرآنية مجاهرة صارحة بأهمية هذه الرسالة السامية
 حيث تحلق على الناس كل الناس، فكما الله هو (الذي له ملك السماوات والأرض لا
 إله إلا هو) كذلك هذه الرسالة الأخيرة تدير أمر الشرعة العالمية في السماوات
 والأرض، دون إبقاء لمكلف في الكون إلا وهي تشملها.

(فآمنوا) أيها الناس هوداً ونصارى وسائر الكتابيين وغيرهم من المكلفين ملحدين

ومشركين (آمنوا بالله ورسوله ...) كما وهو (يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون)، (آمنوا بالله) - (الذي له ملك السماوات والأرض ...) (ورسوله) الذي مُلِّك الدعوة الربانية لمن في السماوات الأرض، وكما الله يجيي الأموات ويميت الأحياء، كذلك يسلب الرسالة عن قوم ويرسلها إلى آخرين، وذلك رغم المزعمة الإسرائيلية أن رسالة الله خاصة بهم.

(آمنوا بالله ورسوله النبي الأمي) المبشّر به في كتاباتكم (الذي يؤمن بالله وكلماته) فأمنوا أنتم بالله وكلماته، ومنها هذا الرسول نفسه بكلماته.

ولأن السورة مكية وهذه الآية دعوة للناس كافة، وقد كان الرسول 3 في العهد المكي يعيش تحت كافة الضغوط المشركة ما يؤيس صاحب الدعوة عن تأثيرها حتى في بلده فضلاً عن العالمين، من هنا نعرف أن هذه الرسالة بدأت عالمية، رغم الزعم الفاسد الكاسد أن محمداً 3 لم يكن يخلد بخلده أن يمد بصره بهذه الرسالة إلى غير مكة، وإنما بدء يفكر في توسعتها العالمية بعد أن أغراه النجاح الذي ساقته إليه الظروف المدنية.

كلاً يا هؤلاء الأغنياء! إن هذه الرسالة حُتِمت بما بدأت وبدأت كما حُتِمت في صيغة وصياغة واحدة وفي قوة التعبير والتنديير ومسالك الدعوة والدعاية.

فما هؤلاء المجاهيل من المبشرين الإنجيليين المدّعين - لأكثر تقدير - أن الرسالة القرآنية خاصة بالعرب لإشارات آيات يزعمونها، ما هؤلاء بناس، حيث الدعوة القرآنية تخلق على كل الناس، فإن كانوا هم من الناس فلتشملهم هذه الدعوة، وإن كانوا من النسناس فأئى لهم أن يتحدثوا عن شرعة الناس!؟، وجواباً عن قولة الحداد أن الناس هم العرب. تقول: يا حداد أنت من الناس أو من النسناس؟ إذا انت من الناس فلتمسلك شريعة الناس، وإذا انت من النسناس فما بال النسناس بشريعة الناس!

ف(ما أرسلناك إلا كافة للناس) (٢٨:٣٤) و(لتنذر أم القرى ومن حولها) (٩٢:٦) (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (١٠٧:٢١) وما أشبهه، هي القواعد الأصيلة لأمية هذه

الدعوة، مما تفسر الآيات التي تخيّل إختصاص الدعوة بالعرب، وإجتثاثها عن غير العرب، تفسر أنهم هم المبدء الأول لهذه الدعوة لكون الداعية منهم وفيهم، وكما في سائر أولي العزم من الرسل سلام الله عليهم أجمعين.

أجل، وهذه الجمعية الرسولية والرسالية العالمية هي حقيقة بهذا الرسول النبي الأمي المعروف الشهير حيث (أرسله بالدين المشهور، والعلم المأثور، والكتاب المسطور، والنور الساطع، والضياء اللامع، والأمر الصادع، إزاحة للشبهات، وإحتجاجاً بالبينات، وتحذيراً بالآيات، وتخويفاً بالمثلات، والناس في فتن إنجذب فيها حبل الدين، وتزعزعت سوارى اليقين، واختلفت النجر، وتشتت الأمر، وضاق المخرج، وعمي المصدر، فالهدى خامل، والعمى شامل، عُصي الرحمان، وُصِر الشيطان، وحُذِل الإيمان، فانهارت دعائمه، وتنكرت معالمه، ودرست سبله، وعفت شركه، أطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه، ووردوا مناهله، بهم سارت أعلامه، وقام لواءه، في فتن داستهم بأخفافها، ووطئتهم بأظلافها، وقامت على سناكبها، فهم فيها تائبون حائرون جاهلون مفتونون، في خير دار وشر جيران، نومهم سهود، وكحلهم دموع، بأرض عالمها ملجَم، وجاهلها مكرَّم) (الخطبة ٢) .
و في وصف الأنبياء وخاتمهم 3 نراه أكرمهم وأعزهم حيث (إستودعهم في أفضل مستودع، وأقرهم في خير مستقر، تناسختهم كرائم الأصلاب إلى مطهرات الأرحام، كلما مضى منهم سلف قام منهم بدين الله خَلَف -

حتى أفضت كرامة الله سبحانه إلى محمد 3 فأخرجه من أفضل المعادن مَبْتَأاً، وأعز الأرومات مَغْرَساً، من الشجرة التي صدع منها أنبيائه، وانتخب منها أمناه -
عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حرم، وبسقت في كرم، لها فروع طوال، وثمره لا تُنال -

فهو إمام من اتقى، وبصيرة من اهتدى، سراجٌ لمع ضوءه، وشهاب سَطع نوره، وزئدٌ برق لمعه -

سيرته القصد، وسنته الرشد، وكلامه الفصل، وحكمه العدل -

أرسله على فترة من الرسل، وهفوة عن العمل، وغباوة من الأمم إلى دار السلام،

وأنتم في دار مستعْتَبَ على مَهَلٍ وفَرَاغٍ، والصحف منشورة، والأفلام جارية، والأبدان صحيحة، والألسن مطلقه، والتوبة مسموعة، والأعمال مقبولة) (الخطبة ٩٣) .

(مستقرّة خير مستقر، ومنبته أشرف منبت، في معادن الكرامة، ومعاهد السلامة، قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار، وثبتت إليه أزمّة الأبصار، دفن الله به الضغائن، وأطفأ به النوائر، ألف به إخواناً، وفرّق أقراناً، أعزّ به الذلة، وأذل به العزة، كلامه بيان، وصمته لسان) (الخطبة ٩٥) .

(أختاره من شجرة الأنبياء ومشكاة الضياء، وذوابة العلياء، وسرة البطحاء، ومصايح الظلمة، وينابيع الحكمة -

طيب دوار بطبه، قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه، يضع من ذلك حيث الحاجة إليه، من قلوب عمي، وأذان صم، وألسنة بكم، منتبج بدواءه مواضع الغفلة، ومواطن الحيرة، لم يستضيئوا بأضواء الحكمة، ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة، فهم في ذلك كالأنعام السائمة، والصخور القاسية، قد إنجابت السرائر لأهل البصائر، ووضحت محجة الحق لحابطها، وأسفرت الساعة عن وجهها، وظهرت العلامة لتوسمها -

مالي أراكم أشباحاً بلا أرواح، وأرواحاً لا أشباح، وئسّاكاً بلا صلاح، وتجاراً بلا أرباح، وأيقاظاً ثوماً، وشهوداً غيبياً، وناظرة عمياء، وسامقة صماء، وناطقة بكماء) (الخطبة ١٠٧) .

ذلك! وترى كيف لا يُضمن هنا الإهداء بذلك الإيمان والاتباع وقد كتب الله رحمته لهؤلاء المؤمنين المتبعين ؟ لأن مجرد بادية الإيمان والاتباع أيّاً كان لا يضمن دائم الإهداء، وإنما هو الإستمرار فيهما بشروطهما بعون الله وفضله، فربّ مؤمن به متبع له سوف يكفر، ورب كافر به ناكِر له سوف يؤمن، فلنسأل الله حسن العاقبة والخاتمة كما نسأله حسن البداية.

١٠

محمد 3 من دعوات ابراهيم الخليل Δ

(رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (١٢٩:٢).

هناك (أمة مسلمة لك) كانت ظرفاً ظرفياً لبلورة هذه الرسالة السامية هنا بدعاء ثان، ولقد سمع الله دعاءه في اسماعيل، كما في الاصل العبراني من تكوين التوراة: (٢٠:١٧): (وَلِإِسْمَاعِيلَ شِمَعْتِي خَا هِينُهُ بِرَخْتِي أُوتُوا وَهَيْفَرْتِي أُوتُوا وَهَيْبَرْتِي أُوتُوا بِمَثَدُ مَثَدُ شَنِيمِ عَاسَارُ نَسِيئِيمِ يُوَلَّدُ وَنَتِّيُو لُغُوِي غَاذَلُ) :- (ولإسماعيل سمعته: - ابراهيم - ها أنا أباركه كثيراً وأمنيه وأثمره كثيراً وارفع مقامه كثيراً بمحمد واثنى عشر إماماً يلدهم إسماعيل واجعله أمة كبيرة).

و في التكوين ١٢:٢١ (... وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لانه نسلك). وقد سمي اسماعيل به لانه مسموع الرب في ولادته وفي نسل أمة مسلمة من ذريته. وفي الاصل الانقلوسي من (نبوءت هيلد): وحي الطفل: شوباه شاباه بههيا شغطابا لإرعابيا وورهاباه دعبداه تشوباه ويرحم إباطابا عل بوخرا حبيبا: يأسر أعداءه - محمد المذكور قبل - في ساعة جيدة في ارض مرغوبة ويرحمه الله هناك اجابة لدعوة ابراهيم لاسماعيل.

ذلك - ثم نجد التوراة تبشر في آيات أخرى ان ذلك الموعود من ولد قيذار ابن اسماعيل في عدة تصريحات^١. وقد يروى عن النبي 3 قوله: (انا دعوة ابراهيم)^١ و: اني

١. منها ما في اشعيا (١:١٤٢ - ٢٠) ... لتشد البرية ومدنها والحظائر التي يسكنها قيذار وليزئم سكان الصخرة وليهتفوا من رؤوس الجبال (١١) ليؤدوا المجد لله ويخبروا بمجده في الجزائر (١٢). هذه بشارة لنبي من قيذار و«هو الولد الثاني لاسماعيل» (تك ٢٥:١٣) و«ابوه من اشهر قبائل العرب وبلادهم الجزيرة العربية» (اشعيا ١٦:٢١).

فالصخرات التي تسمع من اهل قيذار وترنماتهم من الصخرة وهتافاتهم من رؤوس الجبال كل ذلك تصريحات لطيفة بشأن الرسول المبعوث من نسل بن اسماعيل، ترنمات من اعالي جبال مكة وعرفات ومعنى والمشعر الحرام في حج البيت.

و في الآية (١٠) منها: انشدوا للرب نشيداً جديداً تسيححه له من اقاصي الأرض. والنشيد الجديد هو الشرعة الجديدة المحلقة على كل الجزائر من ذلك النبي الإسماعيلي، وفي بعض التراجم (١) تأتي هذه الآية هكذا: يسبحون الرب تسيحاً جديداً ويبقي اثر سلطانه بعده واسمه «احمد» (٨٩).

و في اشعيا (١٠٦ - ٢٢) توصيفات لمكة المكرمة بالكعبة المباركة وهذا الرسول المكّي قائلاً: «قومي استنيري فان نورك قد وافى ومجد الرب اشرق عليك ها ان الظلمة تغطي الأرض والد يمحور يشمل الشعوب ولكن عليك يشرق الرب ويترائى عليك مجده فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء اشراقك وأرفعي طرفك الى ما حولك وانظري كلهم قد اجتمعوا واتوا إليك. بنوك من بعيد يأتون وتحملين بناتك في حضنك حينئذ تنظرين وتتهللين ويخفق قلبك ويرحب اذ تنقلب اليك ثروة البحر ويأتيك غنى الأمم كثرة الإبل تغشاك بكران مدين وعيفة. كلهم من «شبا» يأتون حاملين ذهباً ولباناً يبشرون بتسايبح الرب.

كل غنم قيذار تجتمع اليك - وكباش نبايوت تخدمك. تصعد على مذبحي المرضي لذي وامجد بيت جلاي من هؤلاء الطائرين كالحساب وكالحمام الى كواها إن الجزائر تنتظرنني وسفن ترشيش مستعدة منذ الاول ان تأتي ببنيك من بعيد ومعهم فضتهم وذهبهم لإسم الرب إلهك ولقدوس اسرائيل لانه قد مجدك وبنوا الغرباء بينون أسوارك وملوكهم يخدمونك لأنني في غضبي ضربتك وفي رضاي رحمتك وتفتح ابوابك دائماً لا تغلق نهائياً ولا ليلاً ليؤتي إليك بغنى الأمم وتُحضر إليك ملوكهم لأن الامّة والمملكة التي تتعبد لك والامم تُخرّب خراباً مجد لبنان يأتي اليك السرو والسنديان والشريين لزينة مقدسي وأمجّد موطىء قدمي وبنو الذين عتوك يقدون إليك خاضعين ويسجد لأخامص قدميك كل من ازدراك ويدعونك مدينة الرب وبما أنك كنت مهجورة متروكة فلم يكن أحد يجتاز فيك سأجعلك فخر الدهور وسرور كل جيل فجيل وترضعين لبن الأمم وترضعين ثدي الملوك وتعلمين أنني أنا الرب مخلصك وفاديك عزيز يعقوب آتي بالذهب بدل النحاس وآتي بالفضة بدل الحديد وبالنحاس بدل الخشب وبالحديد بدل الحجارة واجعل ولاتك سلاماً ومسخريك عدلاً لا يسمع من بعد بالجور في ارضك ولا بالدمار والحطم في تخومك بل تدعين أسوارك خلاصاً وابوابك تسيحاً لا تكون الشمس من بعد نوراً لك نهائياً ولا ينيرك القمر بضيائه ليلاً بل الرب يكون لك نوراً ابدياً وإلهك يكون فخرك لا تغرب شمسك من بعد وقمرك لا ينقص لأن الرب يكون لك نوراً ابدياً وتكون ايام مناحتك قد انقضت ويكون شعبك كلهم صديقين والى الأبد يرثون الأرض. هم فرع غرسي وعمل يدي الذي أتمجد به القليل منهم يصير ألفاً والصغير يصير امة عظيمة. انا الرب أعجل ذلك في ميقاته» .

عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وأن آدم لمنجدل في طينه و سأنبئكم باوّل ذلك دعوة ابي ابراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأّت وكذلك أمهات النبيين (يرين) ٢.

(وابعث فيهم) هذه الأمة المسلمة من ذريتنا (رسولاً منهم) وكلهم نور واحد فإن: أولنا محمد آخرنا محمد وأوسطنا محمد وكلنا محمد صلوات عليهم اجمعين. (رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك) تكوينية: آفاقية وأنفسية، وتدوينية: قرآنية وكتابات أخرى.

و لماذا (ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) هنا (ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) في ثلاث أخرى ٣ أترى تعليم الكتاب والحكمة هو المقدم على التزكية كما هنا، ام هي المقدمة عليها كما في الثلاث الأخرى، ام هما صنوان لا يتفاضلان، فهما متعاضدان مع بعضها البعض متقارنان؟ فلماذا تتقدم التزكية ثلاثة أضعاف ولا تقدم

١. هذه ترجمة القسيس اوسكان الارمني في ترجمته لكتاب اشعياء المطبوعة ١٧٣٣ في مطبعة انتوني بورتولي وقد ألفها في ١٦٦٦ - اي قبل ٦٧ سنة من طبعا.

١. الدر المنثور ١: ١٣٩ - اخرج ابن سعد في طبقاته وابن عساكر من طريق جوير عن الضحاك ان النبي 3 قال: انا دعوة ابراهيم، قال: وهو يرفع القواعد من البيت: ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم ..» حتى اتم الآية.

٢. المصدر اخرج احمد وابن جرير وابن ابي حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن العرياض بن سارة قال قال رسول الله 3: إني عند الله ...

و فيه اخرج احمد وابن سعد والطبراني وابن مردويه والبيهقي عن ابي امامة قال قلت يا رسول الله 3 ما كان بدء أمرك؟ قال: دعوة ابراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي انه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام.

٣. وهي: «كما ارسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون» (١٥١:٢) و«لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولاً من انفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين» (٦٤:٣) و«هو الذي بعث في الاميين رسولاً يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين» (٢:٦٢) .

التعليم عليها ؟ .

علَّ الأضعاف في التزكية للتأشير إلى أهميتها، حيث التعليم ذريعة الى التزكية فهي رأس الزاوية في محاولات الرسالة، فلو أمكنت التزكية دون تعليم لما كان ضرورية، وهما صنوان متعاملان، كلما ازداد التعليم المعرفةُ ازدادت التزكية، وكلما ازدادت التزكية ازداد العلم والمعرفة فـ(العلم نور يقذفه الله في قلب من يريد ان يهديه) .

(وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) (٢: ١٣٠) .

(ملة ابراهيم) هي توحيد الإسلام وإسلام التوحيد لوجه الله، ولا يرغب عنها إلا من سفِه نفسه: حملاً لها على خفة العقل والإدراك، فالنفس الانسانية فطرياً وعقلياً راغب الى هذه الملة المسلمة الحنيفة، فلا يرغب عنها إلى سواها إلا من حمل نفسه على التنازل عن ذاتيتها، استخفافاً بها وتغرُّباً عنها.

(و لقد اصطفيناه في الدنيا) بقمة الإصطفاء فانه أصفى الأصفياء (و إنه في الآخرة لمن الصالحين) كما تطلبه يوم الدنيا (و الحقني بالصالحين) وسعى له سعيه، ومتى اصطفيناه في الدنيا ؟:

(إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (٢: ١٣١) .

و علَّه إسلامه بفعله لما أمر به قبل إسلامه المطلوب من ربه حين دعا (واجعلنا مسلمين ..) .

فهناك إسلام قضية كمال الإيمان، وهنا إسلام قضية الأمر الخاص، وعلَّه الأمر خاص كما (أسلما وتلَّه للجبين) ثم إسلام بعدهما تطلباه إذ يرفعان القواعد من البيت، وقد يجمع مراتب الإسلام حديث قدسي يذكر عيشاً أهني وحياةً أبقى^١ .

١. في البحار عن ارشاد الديلمي قال الله سبحانه يا أحمد هل تدري اي عيش اهني وأي حيوة أبقى؟ قال: اللهم لا - قال: اما العيش الهنيء فهو الذي لا يفتر صاحبه عن ذكرى ولا ينسى نعمتي ولا يجهل حقي، يطلب رضائي في ليله ونهاره، وأما الحياة الباقية فهي التي يعمل لنفسه حتى تهون عليه الدنيا

(وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ) (١٣٢).

(بها) لا مرجع صالحاً له إلا (ملة إبراهيم) دون الإسلام لذكوريتها، ثم وهذه هي ملة الإسلام في توحيد العقيدة والعمل.

وتصغر في عينه وتعظم الآخرة عنده، ويؤثر هواي على هواه ويتبغى مرضاتي، ويعظم حق نعمتي، ويذكر عملي به، ويراقبني بالليل والنهار عند كل سيئة أو معصية، وينقي قلبه عن كل ما أكره، ويبغض الشيطان ووساوسه ولا يجعل لإبليس على قلبه سلطاناً وسيلاً، فإذا فعل ذلك اسكنت قلبه حباً حتى أجعل قلبه وفراغه واشتغاله وهمه وحديثه من النعمة التي أنعمت بها على أهل محبتي من خلقي وافتح عين قلبه وسمعه حتى يسمع بقلبه وينظر بقلبه إلى جلالي وعظمتي، وأضيق عليه الدنيا، وأبعض إليه ما فيها من اللذات وأحذر من الدنيا وما فيها كما يحذر الراعي على غنمه مراتع الهلكة، فإذا كان هكذا يفر من النار فراراً وينقل من دار الفناء إلى دار البقاء، ومن دار الشيطان إلى دار الرحمن، يا أحمد ولأزيتنه بالهيبه والعظمة فهذا هو العيش الهنيء والحياة الباقية، وهذا مقام الراضين فمن عمل برضاي ألزمه ثلاث خصال: أعرّفه شكراً لا يخالطه الجهل، وذكرأ لا يخالطه النسيان، ومحبة لا يؤثر على محبتي محبة المخلوقين، فإذا أحبني أحببته وافتح عين قلبه إلى جلالي، ولا أخفي عليه خاصة خلقي، وأناجيه في ظلم الليل ونور النهار حتى ينقطع حديثه مع المخلوقين ومجالسته معهم، وأسمه كلامي وكلام ملائكتي، وأعرّفه السر الذي سترته عن خلقي، وألبسه الحياء حتى يستحيي منه الخلق كلهم، ويمشي على الأرض مغفوراً له. واجعل قلبه واعياً وبصيراً، ولا أخفي عليه شيئاً من جنة ولا نار، وأعرّفه ما يمر على الناس في القيامة من الهول والشدة وما أحاسب به الأغنياء والفقراء والجهال والعلماء، وأنومه في قبره، وأنزل عليه منكرأً ونكيرأً حتى يسألاه، ولا يرى غم الموت وظلمة القبر واللحد وهول المطلع، ثم انصب له ميزانه وأنشر ديوانه، ثم اضع كتابه في يمينه فيقرأه منشوراً، ثم لا أجعل بيني وبينه ترجماناً، فهذه صفات المحبين، يا أحمد إجعل همك همأً واحداً، واجعل لسانك ولسانه لساناً واحداً، واجعل بدنك حياً لا يغفل أبداً، من يغفل عني لم أبال في أي وادٍ هلك.

محمد رسول من أنفسهم

« هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ » (١٦٣:٣).

أترى (هم درجات) تختص بمن (اتبع رضوان الله) حيث الدرجة كأصل هي ما يرقى عليه فيرتقى كما وجل آيات الدرجات تعني درجات الرحمة والرضوان^١.
 أم نعم إلى هؤلاء الأكارم (من بآء بسخط من الله) إقحاماً للدرجات الخلقية إلى الدرجات الخلقية: (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا) (٣٢:٤٣) فالناس كمعادن الذهب والفضة (وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَ مَا رَبَّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) (١٣٢:٦) تشمل درجات الدرجات بالأعمال السيئة.
 ثم وكيف (هم درجات) وليسوا إلا أصحاب الدرجات بالأعمال والعقائد والصفات، فانها مما عملوا كما في آيات ؟ لأن (درجات) نعم الدرجات الخلقية في الذوات، ثم الدرجات الخلقية تتعامل مع الذوات، متعكسة في تأثيرات، فالدرجات الذاتية تنعكس على الأفعال والصفات، وهما تنعكسان أيضاً على الذوات، إذاً فـ(هم درجات عند الله) في ذواتهم وحالاتهم وأفعالهم وصفاتهم، فالمؤمن درجته مرتفعة والكافر درجته منفضة، كل ينال درجته باستحقاق فلا ظلم ولا إجحاف ولا محاباة ولا جزاف في الدرجات الخلقية المسيرة ولا في الخلقية المخيرة، التي تؤثر في الذوات، إذاً (فهم درجات عند الله) قابلية وفاعلية فجزاءً وفاقاً، كما هم درجات عند الله عندية العلم والتقدير والتدبير، فلا تخفى من درجاتهم خافية بحضرة الربوبية إعطاءً وجزاءً وبينهما عوان.

١. نورالتقلين ١:٤٠٦ في تفسير العياشي عن عمار بن مروان قال سألت ابا عبد الله Δ عن قول الله «فمن اتبع رضوان الله ..» فقال: هم والله درجات المؤمنين عند الله وبموالاتهم ومعرفتهم ايانا يضاعف الله للمؤمنين حسناتهم ويرفع لهم الدرجات العلى.

ثم وكما (هم درجات عند الله) يدرجون الى رضوانه^١ او سخطه، كذلك يدرج بهم إليهما لأنهم اصول الخير والشر، بهم يدرج أهل الخير إلى الخير وأهل الشر إلى الشر (والله بصير بما يعملون).

(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (١٦٤:٣).

آية يتيمة لا نظيرة لها في القرآن، بشأن الرسول اليتيم المنقطع النظير، بين الله فيها به على المؤمنين، تتركن في ذلك المن على قواعد اربع.

(إذ بعث فيهم رسولا منهم) ف(المؤمنين) هنا طليقة تعم كل المؤمنين على مدار الزمن الرسالي الأخير من اي العالمين كانوا، من الجنة والناس وسواهما اجمعين، فان (منهم) تعني مجانسة الايمان، لا المجانسة في البشرية.

و أما (يا معشر الجن والإنس أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ) (١٣٠:٦) المقررة المجانسة بين الرسول والمرسل اليهم، فقد تعني طليقة المجانسة، غير المناحرة لاختلاف الجنس بين الرسل الأصليين والمرسل اليهم، حيث تكفي المجانسة في الرسل الوسطاء، جنأ في الجن وسواه في سواه، ثم الرسالة المحورية هي لقبيل الإنس، و(رسولا منهم) تحمل بعدي البشرية والرسالة، فهو بشر كما أنتم، وهو مؤمن فيما انتم، فاصطفاه الله من البشر المؤمنين رسولا فيهم، لا اليهم فقط فانه رسول للعالمين من الجنة والناس ومن سواهم من المكلفين اجمعين.

هنا (من انفسهم) وفي سواها منهم، وليست الأنفس هنا زائدة غير قاصدة، فانما تعني زائداً قاصداً وظلاً عميق الايحاء والتدليل، أن الصلة بينة وبين المؤمنين هي صلة

١. نورالتقلين ١:٤٠٦ في اصول الكافي بسند متصل عن عمار الساباطي قال سألت ابا عبد الله Δ عن قول الله «فمن اتبع رضوان الله .. هم درجات عند الله» فقال: الذين اتبعوا رضوان الله هم الائمة E وهم والله يا عمار درجات للمؤمنين ويولايتهم ومعرفتهم ايانا يضاعف الله لهم اعمالهم ويرفع لهم درجات العلى.

النفس بالنفس، واقعة بينه وبين قليل منهم، وواجبة بين الآخرين أن يحصلوها، فليست المسألة أنه واحد منهم وكفى، إنما هي (من أنفسهم) وهم بالإيمان الصالح يرتقون إلى هذا المرتقى، ويرتفعون إلى هذه الصلة، فالمنة - إذاً - مضاعفة في إرسال رسول من أنفسهم، بهذه المواصلة النفسية النفيسة بينهم وبينه 3 فلو كان رسولاً لا بشراً ومن المؤمنين لكانت الحيبة في هذه الرسالة ذات بعدين، حيث المجانسة بين الرسول والمرسل اليهم أصل من اصول الرسالة الرئيسية: (يا معشر الجن والأنس ألم يأتكم رسل منكم ..) (١٣٠:٦) كما أن أمانة الإيمان الأمين أصل وهو أقوى من اصل المجانسة، ولو كان رسولاً منهم لا من أنفسهم لقلت العائدة في هذه الرسالة، فبفقد كل من الأصليين تنقص الرسالة حسبه فضلاً عنهما جميعاً، فذلك ثلوث من انتقاص الرسالة أن يكون الرسول مؤمناً غير بشر او بشراً غير مؤمن ام يفقدهما، ف(من انفسهم) تجمع الأصليين معاً، انه بشر كما هم ومؤمن كما هم لكنه اصطفي من بينهم فأوحي إليه: (إن أنا إلا بشر مثلكم يوحى إلي) (١١٠:١٨) فأصبح (من انفسهم) فالروح الرسالية هي ارواح المؤمنين اجمع. (يتلوا عليهم آياته) تلاوة المتابعة فانها ليست إلا هيه كما (الشمس وضحاها. والقمر اذا تلاها) وقد ارتكزت رسالته على هذه التلاوة: (و أن أتلوا القرآن) متابعة في كل حقولها ترتلاً وترتيباً، تعلماً وتعليماً، فهي - إذاً - رسالة التلاوة التابعة لآيات الله في نفسه وأنفس العالمين.

(ويزكيهم) بتلاوة آياته، زكاة في علومهم وحلومهم، عقائدهم و اخلاقهم، اعمالهم وكل مألهم من قالات وحالات وأفعال وصفات.

(ويعلمهم الكتاب والحكمة) تعليماً بعد التزكية وتلاوة للآيات، حيث العلم الذي يتبنى الزكاة هو خالص العلم وصالحه، وقد يقدم التعليم على التزكية كما في آية واحدة بين اربع^١ (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ..) (١٢٩:٢) وقد فصلنا القول حولها في محالها من ذي قبل (وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين).

١. والثلاثة الباقية هي آيتنا وآية الجمعة (٢) والبقرة (١٥١).

و ترى أن (بعث فيهم) تختص رسالته بالمؤمنين به ؟ وهم حالكونهم مؤمنين ليسوا بحاجة إلى رسالة فإنها تحصيل لحاصل، فغير المؤمن هو الذي يحتاجها حتى ينقلب مؤمناً، وهو ليس فيهم! قد تكون هذه نظيرة (هدى للمتقين) قبل هداهم وبعدهما، فالذي يتحرى عن إيمان هو قد يُحسب مؤمناً قبل الإيمان، ثم يتكامل إيمانه بواقع الإيمان بالقرآن، ثم تكاملاً بالعلم والعمل بالقرآن ف: (يا أيها الذين آمنوا آمنوا) تشير إلى مزيد الإيمان بعد إيمان.

ذلك، مهما كانت رسالته إلى العالمين أجمع من يؤمن ومن لا يؤمن، فهو رسول في المؤمنين ورسول إلى العالمين (لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين).
و لأن المنة ليست إلا على ما فوق الواجب، فضلاً بعد عدل، فقد حملت هذه الرسالة السامية واجب الدعوة ونفلها، جامعة بين العدل والفضل قدر الإمكان منهما والحاجة اليهما للعالمين اجمعين، لا نرى مثلاً في رسالة على أمة من الأمم إلا على هذه الأمة المرحومة بتلك الرحمة العالية المتعالية، فهل يخلد بخلد عاقل بعد انه 3 يُعَل وهو الأمين قبل رسالته عند الكل، فكيف لا يكون أميناً بعدها، وهو الأمين لدى الناس قبل رسالة الله فكيف لا يكون أميناً لدى الله بعد ما إئتمنه برسالته العليا! .

فالإنشغال بغلول الغنيمة وغير غلولها - وهو السبب المباشر لقلب الموقف في أحد- بعيد كل البعد عن حامل تلك الرسالة العظمى، حيث تبدوا غنائم الأرض وأعراضها وكل ما عليها تافهاً زهيداً أمامها، فليمت خجلاً التافه السخيف الرذيل الذي يس من كرامة ذلك الفضيل بغلول في ذلك التافه الرذيل.

ثم الامة المؤمنة التي غنمت هذه الرسالة الممنونة عليها، المشكورة فيها، لا يجدر لها أن تتحرى عن المغائم المادية، ولا سيما التي فيها عصيان الرسول وخسارة الحرب.

١٢

المسيح Δ يقفَى الرسل الإسرائيليين فحسب

(أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) (٨٦:٢) .

إعلان صارخ في هذه الإذاعة القرآنية يحذر المسلمين عن مثل ما افتعله اليهود، كيلا يحارب بعضهم بعضاً لصالح الكافرين.

حُطّة تقليدية لعينة إسرائيلية في إمساك عصيهم من أوساطها، إنضماماً إلى المعسكرات المتطاحنة كلها حيطَةً على مصالحهم المادية ومغانمهم على أية حال، نقضاً لميثاق الله الذي واتقهم به، تحكيماً لميثاقهم مع أعداء الله، مصلحة وقائية وقتية، تجعل شرعنتهم على هامشها، أم رفضاً له عُجالة حتى يربحوا المسرح، إشتراءً للحياة الدنيا بالآخرة! .

و ترى الآخرة كانت مملوكة لهم حتى يشتروا بها الدنيا فهم مالكوها ؟ وذلك بيع ما لا يُملك! .

لكلٌّ من المكلفين نصيب مقدّر من نعيم الآخرة إن عمل لها، فالذي لا يعمل له كأنه باعها حيث بطل على نفسه إستبدالاً بها نعيم الدنيا، و(الذين إشتروا الضلالة بالهدى فما رجحت تجارتهم) .

(فلا يخفف عنهم العذاب) في تجارتهم الخاسرة من خسارهم (ولا هم ينصرون) إذ لا ناصر يومئذ إلاّ الله وليس يخفف العذاب.

(وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ قَفَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَ فَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ) (٨٧:٢) .

آية التفقية هذه نراها يُستدل بها عند المبشرين المسيحيين على كودن المسيح خاتم النبيين، يقول قائل منهم: (في القرآن كله، في النصوص كلها التي يرد فيها ذكر المسيح،

ظاهرتان: الأولى: يقفّي القرآن على كل الرسل بالمسيح، ولا يقفّي على المسيح بأحدٍ (٨٧:٢) يعني هذه، و(٤٦:٥) (٢٧:٥٧) .

الثانية: المسيح نفسه في ما ذكر القرآن عنه لا يبشر بأحد من بعده على الإطلاق إلاّ في بعض تلك الآية البيّمة: (و مبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد) وهذا يجعل تعارضاً ما بين الموقف المتواتر والموقف الشاذ اليتيم فيه، والعقيدة في كتاب منزل تُؤخذ من المحكم فيه لا من المتشابه^١ .

يستدل بآيات التقفية - الثلاث - عى أن المسيح هو خاتم النبيين، فالثانية (وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصداقاً لما بين يديه من التوراة وآتينا الإنجيل فيه هدى ونور ومصداقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) (٤٦) .

و الثالثة: (ثم وقفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتينا الإنجيل ..) (٢٧) .

و لكن آية البقرة تؤتي موسى الكتاب ثم تقفّي من بعده بالرسل، فلو كان المعني منهم كل الرسل لخرج المسيح Δ ايضاً عن جماعة الرسل، فهم - إذأ - معظم الرسل الإسرائيليين، وقد قفى من بعدهم المسيح وهو خاتم الرسل الإسرائيليين، وليست هذه التقفية الإسرائيلية إلاّ توطئة لبيان إنتقال الرسالة إلى رسول غير إسرائيلي (.. ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) (٩٠)! فقد تلعن - بين الملعونين - القائلين أن المسيح هو خاتم المرسلين على الاطلاق، ناكرين رسالة القرآن العظيم! .

كما وأن آية المائة ايضاً لا تقفّي بالمسيح إلاّ على الرسل الإسرائيليين: (إننا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا .. وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ..) مما يبرهن ان المسيح Δ هو آخر الرسل الإسرائيليين التابعين لشرعة التوراة، ثم

١. ذكره الحداد البيروتي في كتابه مدخل الى الحوار الاسلامي المسيحي ص ٣٦٤ ...

(ليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه .. وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لمجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) (٤٨)!

و كذلك آية الحديد، فإنها لا تقفي بالمسيح إلا الرسل الذين ذكروا قبله، لا كل الرسل، (و لقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب .. ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم ..) ثم يقفي بهذا الرسول خاتماً لكل الرسالات: (يا أيها الذين آمنوا إتقوا الله وآمنوا برسوله ...).

فتراهم - هؤلاء البعيدين عن علم الكتاب - كيف يستندون بآيات الرسالة الختمية المحمدية على نكران رسالته عن بكرتها، ولا يفضحون إلا أنفسهم لو كانوا يشعرون! . ثم التقفية بالرسول أم برسول تعني تأييد كل لاحق من الرسل سابقه، وبيان ما حرّف بأيدي الدس والتحريف، فليست لتعني الختم في الرسالة عى أية حال، فالرسالات الآلهية هي سلسلة موصولة طول التاريخ الرسالي، ف(لا نفرق بين أحد من رسله)!

لقد أتاهم رسلهم تلو بعض ولصق بعض، كلهم رسل التوراة، داعين إليه، وآخرهم عيسى بن مريم المزوّد بالبينات، المؤيد بروح القدس، ولكنهم كفروا وكذبوا: (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم) على هؤلاء الرسل (ففرقاً كذبتم وفرقاً تقتلون).

هذه صنيعتهم برسلهم في ماضيهم النَّجِس النَّجِس، فماذا يرجى من حاضرهم أمام نبيِّ إسماعيلي؟! .

و إذا كانت رسالات إسرائيلية لا تمشي على أهواءهم فهم بها يكفرون رغم توافق العنصرية، فماذا يرجى منهم أمام رسالة غير إسرائيلية لا توافق هذه العنصرية.

(وأيدينا بروح القدس) علّه روح القدس الرسالي ككل وهو مثلث الوحي والعصمة الرسالية وملك الوحي، وهذه لا يصيبها ما يصيب سائر الأرواح الإنسانية^١.

(وَ قَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ) (٨٨:٢).

(غُلف) هي جمع أغلف أو غلاف، هو الذي في غلاف مبالغة، أو كالم تعود من غلاف السيف، فهل يعنون بغلف قلوبهم أنها (في أكنة مما تدعونهم إليه) لا تنفذ إليها دعوة جديدة غير إسرائيلية: (وَ قَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْنَةِ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَ فِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَ مِنْ بَيْنِنَا وَ بَيْنِكَ حِجَابٌ) (٥:٤١).

فهي - إذا - غلف بطبيعة الحال عما تدعوننا إليه، فما هو ذنبنا وقد خُلقنا غُلف القلوب، والجواب كلمة واحدة: (بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ) - (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) - (وَ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا) (٢٥:٦).

فليست هي غلفاً بما خلق الله، بل (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَ جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً) (١٣:٥).

أم يعنون أنها غنية عن أية شرعة غير إسرائيلية، فهي مغلفة عن غيرها، غنية بها،

١. نورالثقلين ١: ٩٨ في أصول الكافي بإسناده إلى المنخل عن جابر عن أبي جعفر H قال: سألته عن علم العالم؟ فقال لي: يا جابر إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس وروح الإيمان وروح الحياة وروح القوة وروح الشهوة، فبروح القدس يا جابر عرفوا ماتحت العرش إلى ما تحت الثرى، ثم قال يا جابر! إن هذه الأربعة الأرواح يصيبها الحدثن إلا روح القدس فإنها لا تلهو ولا تلعب.

و بإسناده إلى محمد بن سنان عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله Δ قال: سألته عن علم الامام بما في أقطار الأرض، وهو في بيته مريض عليه ستره؟ فقال: يا مفضل إن الله تبارك وتعالى جعل في النبي خمسة أرواح روح الحياة فبه رب ودرج، وروح القوة في نهض وجاهد، وروح الشهوة فبه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الإيمان فبه آمن وعدل، وروح القدس فبه حمل النبوة، فأذا قبض النبي انتقل روح النبي فصار إلى الامام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو ولا يلعب، والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتلهو وتزهو، وروح القدس كان يرى به.

ملينة منها، ومن ثم (أنها أوعية للخير والعلوم قد أحاطت بها إشتملت عليها، ثم هي معذلك لا تعرف لك يا محمد فضلاً مذكوراً في شيء من كتب الله ولا على لسان أحد من أنبياء الله)¹.

قد يعنون ذلك الثالوث من غُلف القلوب، ورداً عليهم فيها كلمة واحدة: (بل لعنهم الله بكفرهم) قلوب لعينة مقلوبة عن الخير بكفرهم، إمتناعاً لقبول الحق بالإختيار! .
و لأن الله لعنهم بكفرهم (فقليلاً ما يؤمنون) قليلاً منهم، وقليلاً من الإيمان، والقلتان معنيتان، فإنهما من خلفيات لعنهم بكفرهم، فقليلاً منهم يتخلصون عن كفرهم، وقليلاً يؤمنون حين يتخلصون.

و يروى عن النبي 3 (القلوب أربعة قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مفصح، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجة فيه، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر، وأما القلب المفصح فقلب فيه إيمان ونفاق، ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يدها القيح والدم فأبي المدتين غلبت على الأخرى غلبت عليه)².

لقد قالوا قولتهم الهارفة الخارفة هذه تبيساً لمحمد 3 وتعليلاً لعدم إجابتهم له:
(وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ

١. تفسير الامام الحسن العسكري قال Δ في تفسير الآية .. ومثله في الدر المنثور عن ابن عباس.
٢. الدر المنثور ١: ٨٧ - اخرج احمد بسند جيد عن ابي سعيد قال قال رسول الله 3: .. وفيه - اخرج ابن ابي شيبة في كتاب الايمان والبيهقي في شعب الايمان عن علي رضي الله عنه قال: «ان الايمان يبدو لحظة بيضاء في القلب فكلما ازداد الايمان عظماً ازداد ذلك البياض فإذا استكمل الايمان ابيض القلب كله، وان النفاق لحظة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق عظماً ازداد ذلك السواد فإذا استكمل النفاق اسود القلب كله وأيم الله لو شققتم على قلب مؤمن لوجدتموه ابيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه اسود» .

اقول: يعني منه قلب الروح و«لو» المحيلة لذلك الشق يؤيده ولا استحالة في شق قلب الجسم.

عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٢:٨٩) .
 هنا (مصدق لما معهم) لا تصدق كل ما معهم، فإنه دخيل من كل تحريف وتجديف،
 إذاً فهو الذي كانوا يستفتحون به على الذين كفروا من بشارات هذه الرسالة السامية
 القرآنية^١ .

ثم وفي وجه آخر لما معهم، هو وحي التوراة خالصاً عما يشوبه، حيث القرآن
 يصدق كل كتابات الوحي، ويزيف كل دخيل فيها لانه مهيمن عليها: (وَلِيَحْكُمُ أَهْلُ
 الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. وَأَنْزَلْنَا
 إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ..) (٥:٤٨) .
 والإستفتاح هنا هو طلب الفتح على المشركين، كقولهم فيما يروى (اللهم إنا
 نستنصرك بحق النبي الأمي إلا نصرتنا عليهم)^٢ أو وطلب الفتح منهم أن يخبروهم هل

١. تفسير البرهان ١:١٢٦ قال الامام العسكري Δ ذم الله اليهود فقال: «و لما جائهم» يعني هؤلاء
 اليهود الذين تقدم ذكرهم واخوانهم من اليهود جائهم «كتاب من عند الله» القرآن «مصدق» ذلك
 الكتاب «لما معهم» من التوراة التي يبين فيها ان محمداً الامي من ولد اسماعيل ...
 ٢. الدر المنثور ١:٨٨ - اخرج ابو نعيم في الدلائل من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس قال:
 كانت يهود بني قريظة والنضير من قبل ان يبعث محمد ﷺ يستفتحون الله يدعون على الذين كفروا
 ويقولون: اللهم ... فلما جاءهم ما عرفوا - يريد محمداً ولم يشكوا فيه - كفروا به، ومن طريق اصحابنا
 في نور الثقلين اخرجه باسانيد واخصرها متناً ما رواه القمي عن اسحاق بن عمار قال سألت ابا
 عبد الله Δ في الآية قال: كان قوم فيما بين محمد وعيسى صلوات الله عليهما، وكانوا يتوعدون اهل
 الاصنام بالنبي ﷺ ويقولون ليخرجن نبي فليكسرن اصنامكم وليفعلن بكم وليفعلن، فلما خرج رسول
 الله ﷺ كفروا به، وفيه عن روضة الكافي عنه Δ يقول فيه بعد تفصيل للقصة، وكانت اليهود تقول لهم
 - المشركين القاطنين بالمدينة - اما لو قد بعث محمد لنخرجنكم من ديارنا واموالنا، فلما بعث الله محمداً
 ﷺ آمنتم به الانصار - وهم وقتل من المشركين - وكفرت به اليهود وهو قول الله عزوجل «وكانوا من
 قبل يستفتحون على الذين كفروا...» وفي تفسير الامام العسكري Δ ... وكان الله عزوجل امر
 اليهود في ايام موسى بعده اذا دهمهم أمر اودهتهم داهية ان يدعو الله عزوجل بمحمد وآله الطيبين وان
 يستنصروا بهم وكانوا يفعلون ذلك، حتى كانت اليهود من اهل المدينة قبل ظهور محمد ﷺ بسنين كثيرة
 يفعلون ذلك فيكفون البلاء والدماء والداهية ...

ولد من وصفته التوراة؟ ولكنه لا يصلح إلا ضمن المعنى من الإستفتاح عليهم لأنه طلب الفتح منهم لا عليهم! .

لقد كانوا يستفتحون ببشارة القرآن في توراتهم، على المشركين، كمصلحة وقتية (فلما جاءهم ما عرفوا) من ذلك الفتح الرسالي (كفروا به) مصلحة الحفاظ على الشريعة العنصرية (فلعنة الله على الكافرين) .

(بِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ قَبَاءً وَبَغْضٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ) (٢:٩٠) .

فالإنسان - أيا كان - يعادل نفسه بثمان مائة قليلاً أو كثيراً، وأما أن يعادلها بالكفر بآيات الله، فتلك هي أبحس الصفقات وأنحسها، وذلك واقع اسرائيلي أن اشتروا أنفسهم بالكفر، بغياً وحسداً من عند أنفسهم أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده، كفرة بما عرفوه في استفتاحهم، وبما حسدوا صاحب هذه الرسالة الأخيرة (قباءوا) رجوعاً عن ذلك المتجر الحاسر الحاسر (بغضب على غضب) لبعدي الكفر بالتوراة وبالقرآن (وللكافرين) المغضوب عليهم (عذاب مهين) كما أهانوا رسالة الله.

و اليكم إشارات من بشارات الفتح التي كانوا بها يستفتحون، ففي كتاب حبقوق

النبى (٣:٣-٦) في الاصل العبراني:

(إِلَوهَ مَتِيمَاهُ يَا بُوءَ وَقَادُوشَ مَهْرَ پارانُ سِلَاهَ كِيثَاهُ شَامِيمَ هُوْدُو وَيتهلأتو مالياه
هاأرِصُ ونَعَهُ كَأور تِهيه قَرْنِيمَ مِيَادُو لُو شامُ حِيُونُ عُوَزَه لِفاناي يَلِخُ دَابِرُ وَبِسِيءُ
رَشِفُ لِرَجَلابو عامِدُ وَيموددُ أَرِصُ رَاهُ وَيترُ غُويمُ وَيَّتُ تَصِصُو هَرُ رِي عَدُ شَحُو
جَبَعُوتُ عُولامُ هَلِيخوتُ عُولامُ لُو) .

(الله من تيمان يأتي والقدوس من جبل پاران: حرى - فاران (يأتي) مع الأبد.
غطى جلاله السماوات وامتلات الأرض من تسييحه شعاعه كالشمس وشع من يمينه
النور وهناك استتار قوته قدّام وجهه يسير الوباء، وأمام قدميه تبرز حمى ملهبة وقف
ومسح الأرض، نظر وأذاب الامم، وتبددت الجبال القديمة وخسفت وانحنت آكام وأتلال
القدم، مسالك الأزل به) .

و في الاصل العبراني (تث ٣٣: ١-٢) من التوراة:
 (وَزَيْتُ هَبْرَاخَاهُ أَشْرُ بَرِّخَ مُوشِهَ إِيشَ هَا إِلُوهِيمَ اِتْ بِنِي إِسْرَائِيلَ لِغِنِي مُوتُوا وَ
 يُومِرُ يَهُوَاهُ مَسِيْنِي بَاو زَارَحَ مَسْعِيْرَ لَامُو هُو فَيَعِ مِهْرَ فَارَانَ وَ آتَاهُ مِرْ بِيْتِ قُدِشْ مِي
 مِيْنُو إِشْ دَاتْ لَامُو).^١

(و هذه بركة باركها موسى رجل الله بني اسرائيل عند موته وقال: الله من سيناء
 جاء، تجلّى من ساعير، تلعلع من فاران، وورد مع آلاف المقدسين، من يمينه ظهرت
 الشريعة النارية).

هنا يبشر الله بلسان موسى Δ بتجليات ربانية ثلاث، فموسى (من سيناء) والمسيح
 (من ساعير) ومحمد 3 (من فاران) تعبيراً عن الكل بالماضي تشبيهاً لتحقيق وقوعها،
 تزويداً لمحمد المتجلى من فاران أنه ورد مع الآف المقدسين، من يمينه ظهرت الشريعة
 النار وهي شريعة الجهاد.

و في سالفه له تختصر البشارة بأيتين (من تيمان) وهو مبعث المسيح فانه ساعير
 جنوبي القدس، ومن فاران وهو مبعث محمد 3 ثم تصفه بشرعته ما تصف، مهيمنة
 وشوكة وأبدية...^١

هكذا كانوا يستفتحون به على الذين كفروا وهم يعرفونه (فلما جاءهم ما عرفوا
 كفروا به فلعنة الله على الكافرين. بسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً
 أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين
 عذاب مهين).

(وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَ يَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ
 وَ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)
 . (٩١: ٢).

(نؤمن بما أنزل علينا) جواباً عن (آمنوا بما أنزل الله) فسمتة ضيزى في الإيمان بما

١. راجع رسول الاسلام في الكتب السماوية ٤٤-٥٣.

أنزل الله، قضية العنصرية الحمقاء فيهم، فد(يكفرون بما وراءه) أيأ كان النازل وعلى أي كان، ما لم يكن نازلاً على إسرائيل! (وهو) (ما أنزل الله) الخالص الناصع دون خليط ولا تبدل حتى آخر زمن التكليف، فمهما كان النازل عليهم حقاً في أصله فهو حقٌ وليس (هو الحق) كله، وهذا (هو الحق) كله هنا لكونه (مصدقاً لما معهم) فيما كانوا به يستفتحون.

و حتى لو أنكم تؤمنون بما أنزل إليكم (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل) وهم منكم (إن كنتم مؤمنين) بخصوص الوحي النازل على الرسل الإسرائيليين!؟

أحمد ومحمد³ في الإنجيل

(وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) (٦١:٦) .

آية بينة عديمة النظر في القرآن من حيث البشارة الصريحة التي تحملها عن السيد المسيح Δ، تؤيدها عشرات من آيات البشارات العامة في القرآن، وفي سائر كتابات الوحي، تنقبنها عنها في مؤلفنا الخاص بها^١.

و مما يجلب النظر في هذه الآية أنها تحصر رسالة السيد المسيح في مهمتين اثنتين أو أنهما من أهمها: تصديق التوراة، المبشرة بخاتم النبيين، وفي الحق لم تكن الرسالة الإنجيلية مستقلة عن شريعة التوراة، وكما يصرح في آيات أنه بعث بشريعة التوراة وزيادات أخلاقية وتحليل بعض ما حرّم على اليهود تأديباً^٢ ثم البشارة الأحمدية - التي يلمح لها في الإنجيل ببشارة الملكوت - هي المهمة الثانية، طالما هي الأولى في الدعوات الرسالية لأنها الأساس في الرسائل الإلهية من آدم إلى السيد المسيح ومن بينهما.

و بما ان التبشير هو الإخبار السار، وليس مجيء رسول بذهاب آخر بشرى سارة إلا إذا كان أفضل منه، وشريعته أكمل من شريعته، فأية البشارة هذه تفضل المبشّر به على المبشّر، وكما ان (أحمد) في نص البشارة تدل على ذلك: انه أحمد وأفضل من المسيح ومن قبله من حملة الرسائل.

(و) أذكر بين ذكريات الرسائل المعرّقة من قبل المناوئين، والبشارات المكذوبة بهم

١. رسول الإسلام في الكتب السماوية وهو يضم ستين بشارة من الكتب السماوية بصورة المناظرة مع علماء أهل الكتاب، ولقد بشر فيها ب: «أحمد - محمد - بمئد مئد - قدوس» كما ذكر مولده وصفاته ودعوته وسائر ميزانه.

٢. راجع سورة الجن في الآية «إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى» .

(إذ قال عيسى بن مريم) وطالما النبيون وغيرهم لا يذكرون بنسبة الآباء والامهات في القرآن، لأن بناء شخصية الإنسان ما يتبناه هو لا سواه، نرى السيد المسيح ينسب إلى امه، لا لإثبات شخصية روحانية له من قبلها، وإنما لإثبات آية خارقة إلهية هي ولادته دون أب، وللذود عن ساحة مريم I إذ نسبت إلى الزنا، فليس المسيح ابن رجل لا حلالاً ولا حراماً، إنما ابن باكرة طاهرة!

(إذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم) ولا تعني (اليكم) تخصيص الرسالة الإنجيلية ببني السرائيل، وإنما هو المحور والمنطلق الأول لهذه الرسالة، يجب أن تتخطاهم إلى العالم كله، كما تناصرت بذلك الآيات القرآنية والإنجيلية سواء (مصدقاً لما بين يدي من التوراة) لا (ما بين أيديكم) فأين ما بين أيديهم من التوراة المحرفة: (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت بأيديهم وويل لهم مما يكسبون) (٧٩:٢)، أين هو مما بين يدي المسيح من خالص وحي التوراة: (إنا أنزلنا التوراة فيها هدىً ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا بما استحفظوا من كتاب الله) (٤٤:٥) وإن كان فيما بين أيديهم الشيء الكثير مما بين أيدي السيد المسيح، وبذلك يحتج عليهم، وبذلك يستقر بهم إلى دعوته.

(مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ):

ان (أحمد) هو (محمد) في نص البشارة ومعناها، فإنها حسب النص اليوناني (بيركلتوس): كثير الحمد - المترجم إلى (أحمد ومحمد) سواء، فإن الأفعال والمفعول من مادة الحمد، أو أية مادة، يفسران بمعنى واحد رغم اختلاف الصيغة، وإن كان أحمد أفضل بحكم (أفعل) ومن القريب ان اسم المبشر به على لسان السيد المسيح كان (أحمد) ثم يوحنا الذي ألف إنجيله باللغة اليونانية، ترجمه إلى ما يفيد معناه في لغة (بيركلتوس). هذا - وإن كان المحرفون الكنسيون حرفوا (بيركلتوس) أيضاً إلى (باراكلتوس) ليحولوا محمداً إلى المسلي، ولكننا ألقاها بالبشارة نفسها تتأبي إلا أن تكون محمداً 3، كما وأن البشارة لغوياً تلمح بأنه أكمل منه ومن قبله أيضاً، فهو إذاً رسول، لا روح

القدس بشارة برسول بعد السيد المسيح Δ هو أعظم منه وأكمل الذي كان معه، وهاكم نص البشارة حسب الأصل السرياني المترجم عن الأصل اليوناني:
 في يوحنا ١٤:١٦ (وَأَنَا بَتُّ طَالِينُ مِنْ بِيِّي وَ خِينَ پارَ قَلِيْطًا بَتُّ بِيْلُ لُوْ خُونُ هَلُّ أَبَدُ).

(و أنا أطلب من الآب (الخالق) فيعطيكم (بيركلتوس) آخر ليمكث معكم إلى الأبد - روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه وأما أنتم فتعرفونه لأنه ما كث معكم ويكون فيكم).

و في يوحنا ١٥:٢٦ (إِنَّ إِيْمِنَ دَاتِيْ پارَ قَلِيْطًا هُوْدِ أَنَا شَادُو رُونُ لِكْسَلُوْ خُونُ مِنْ لِكْسِ بِيِّي رُوْخَاذُ سَرَ سُنُوتَا هُوْدِ مِنْ لِكْسِ بِيِّي پَالِتْ هُوْ بَتُّ بِيْلُ سَهْدُوْتِ بَسُّ دِيِّي).

(و متى جاء (بيركلتوس) الذي سأرسله أنا إليكم من الآب (الخالق) روح الحق من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الإبتداء).

و في يوحنا ١٦:٧-١٥ (إِلَّا أَنْ سَرَ سُنُوتَا بَمَرُونُ إِلُوْ خُونُ وَ صِيَايِلَا قَتُوْخُونُ دِ أَنْ لَا أَرِنُ سَبَبُ دِ أَنْ لَا أَرِنُ پارَ قَلِيْطًا لِيْ أَتِيْ لِكْسَلُوْخُونُ إِيْنِ إِنْ أَرِنُ بَتُّ شَادِرِنُهُ لِكْسَلُوْخُونُ).

(لكنني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن انطلق. لأنه إن لم انطلق لا يأتيكم (البيركلتوس) ، ولكنني ان ذهبت أرسله إليكم، ومتى جاء يبكت العالم على خطيئة وعلى برّ وعلى دينونة، أما على خطيئة فلأنهم لا يؤمنون بي. وأما علي فلأنني ذاهب إلى خالقي ولا ترونني أيضاً. وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين: ان لي أموراً كثيرة أيضاً أقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية ويمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم. كل ما للآب هو لي، لهذا

قلت انه يأخذ مما لي ويخبركم^١).

ان (بيركلتوس) هنا وهناك، نصاً ومواصفات، لا تنطبق إلا على الرسول الأقدس (أحمد) محمد بن عبدالله 3 مهما حاول المحولون المحرفون الكلم عن مواضعه، ان يحرفوها عنه 3 فالحق يتجلى كالشمس بين ظلمات الأباطيل وزخرفات الأقاويل.

و لقد صرح بعض الخبراء باللغة اليونانية من المستشرقين^٢ ومعهم بعض الكتاب المسيحيين المبشرين^٣ ان (بيركلتوس) اليونانية تعني: الذي له حمد كثير: (احمد - محمد)، مهما حاول الآخرون أن يجعلوها (باركلتوس) لكي تعني المسلي حتى يتخلصوا عن محمد الرسول 3 ويتسلوا إلى روح القدس المزعوم الذي يوحى لهم كما يشتهون، فيصبحوا أنبياء بوحى الكنيسة من الروح، إلا أن تواجد الاولى في الترجمات الإنجيلية قبل الإسلام، ثم تحرفها إلى الثانية بعد الإسلام مما يكشف عن مدى ميدهم عن حق البشارة إلى باطل يهوونه، غلطة عامدة تجرهم إلى غلطات.

و مما يدلنا تاريخياً ان المبشر به هنا نبي بعد السيد المسيح لا روح القدس المسلي،

١. نقل الترجمة عن اللغة اليونانية سنة ١٩٠٦ - الكتاب المقدس - ونحن نقلناها هنا حرفياً إلا ترجمة البارقليطا، والترجمة هنا تزيد عن الأصل السرياني، وإذ المقصود من نقل الأصل الإشارة إلى نص «بارقليطا» وإلا فالأصل الأولي يوناني، وقد ترجمنا «الآب» بـ«الخالق» حسب ما تعنية في اللغة اليونانية خلاف الترجمات الإنجيلية التي تطلب من (الآب) أن يكون (الأب) لكي يصيح المسيح ابنه.

٢. كالدكتور (كارلونيون) المستشرق الطلياني إذ يسأله فتحي عثمان - كما في كتابه (مع المسيح في الإنجيل الأربعة ص ٣٤٨) قلت له: ما معنى بيركلتوس؟ فأجابني بقوله: ان القسس يقولون معناها المعزي، فقلت: إني أسأل الدكتور (كارلونيون) الحاصل على شهادة الدكتوراه في آداب اللغة اليونانية القديمة، فقال: ان معناه: الذي له حمد كثير، فقلت: هل ذلك يوافق أفعال التفضيل احمد؟ فقال: نعم - فقلت ان رسول الإسلام من اسمائه احمد!

٣. كعبد المسيح في يتاييع الإسلام ص ١٥٢ حيث يقول: زعم العرب ان فارقليطا معرب بريكليطوس ولكنه من باراكليطوس، وكالاستاذ الحداد في كتابه مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي.

دعوى جماعة من المسيحيين انهم (بيركلتوس) الموعود المنتظر^١.
 و من ثم مواصفات المبشر به في آياتها تحيل أن يكون هو روح القدس المسلي،
 فإنه: (بيركلتوس آخر) (يوحنا ١٤:١٦) وروح القدس واحد ليس معه ولا بعده آخر،
 فانما هو نبي آخر، حيث الحمد الكثير يحمله النبيون أجمع فهم كلهم معنوياً:
 (بيركلتوس): أحمد، وإن كانوا في ذلك درجات، ثم النبي الآخر له من معناه النصيب
 الأوفر، لحدّ خص باسمه دونهم (أحمد - محمد) مهما شاركوه في درجات أدنى من معناه:
 الحمد الكثير!

و لئن سألنا لماذا بُشر بأحمد؟ ومحمد أشهر! فالجواب: ان (بيركلتوس) اسمٌ وصفي
 عني به محمد وصفاً في: (بيركلتوس آخر): نبي آخر، فان النبيين كلهم محمّدون أو صافاً
 إذ يحملون الحمد الكثير، مهما حمّله محمد الأخير إسماً ووصفاً وكما في نص سليمان Δ
 (و كُوِّلُوْا مُحَمَّدٌ يَم): وكله محمد: إسماً ووصفاً وحلقاً وديناً وفي كل شيء^٢، ثم وعني به
 أحمد في سواه^٣ إذ قصد تفضيله على السيد المسيح وسواه كما في النص الثالث الآتي
 شرحه، فأحمد هو الأفضل إطلاقاً في حمل الحمد، وكما هو حامل لواء الحمد يوم

١. يقول وليم ميور في كتابه لب التاريخ ط ١٨٤٨ - ان «منتس المسيحي الذي كان رجلاً تقياً شديد
 الرياضة أَدعى في آسيا الصغرى اني فار قليط موعود المسيح الذي تنتظرونه فأمن به طائفة منهم،
 ويقول أيضاً: ان اليهود والنصارى زمن محمد كانوا بانتظار النبي الموعود فار قليطاً فاتخذ محمد ظرفاً
 صالحاً للدعاء اني أنا فار قليطاً موعود المسيح.

و في التواريخ والآثار: انه لما كتب الرسول محمد 3 كتاب الدعوة إلى الاسلام للنجاشي، انه لما وصله
 الكتاب قال: أشهد بالله انه هو النبي الذي ينتظره أهل الكتاب وكتب في جوابه: أشهد انك رسول الله
 3.

٢. في نشيد الأنشيد ٥:١٥ «حكومتهم وكولو محمد يم زه دودي وزه رعى بنت يرشالام»، أي: فمه
 حلو وكله محمد هذا محبوبي وهذا ناصرني الذي يرعاني يا بنات اورشليم.

٣. إذاً فلا يتم في «أحمد» رغم ما يتقوله الاستاذ حداد في (مدخل إلى الحوار الاسلامي المسيحي)
 بقوله: اسم النبي العربي في القرآن هو محمد كما يرد في أربع آيات: (١٤٤:٣) (٣٣:٤٠) (٤٧:٢)
 (٢٩:٤٨) لذلك فوروده بلفظ احمد مرة يتيمة مشبوه ولا يعرفه الواقع التاريخي.

القيامة.

و مما يفضل به هذا المحمد الآخر انه الأخير من مواكب الرسالات الإلهية أيضاً: (فيعطيكُم بيركلتوس آخر ليمكث معكم إلى الأبد) (يوحنا ١٤:١٦) ف (كم) هنا لا يعني - ومحال أن يعني - الجماعة المخاطبين زمن المسيح فقط، إذ لم يكونوا مؤيدين بأشخاصهم، وكما أن أبدية محمد الآخر هي أبدية الشخصية الرسالية لا الشخص، فهو خاتم النبيين.

و سمة أخرى لـ (بيركلتوس) يعني فيها (أحمد) (انه خير لكم أن أنطلق لأنه ان لم انطلق لا يأتیکم (بيركلتوس)) فهل ان روح القدس خير من السيد المسيح حتى يصبح ذهابه لمجيء الروح خيراً لهم ؟ أم وإذا كان خيراً منه، أينفصل عنه ولحد استحالة الجمع بينهما ؟ (إن لم انطلق لا يأتیکم) وهذه تصريحه بينة ان المبشر به كائن مستحيل الإتصال بالسيد المسيح، إذا كان هو روح القدس المتصل بالنبيين أجمع، استحالت نبوة السيد المسيح، فالذين يحاولون في تحويل أحمد إلى روح القدس، انهم يحيلون نبوة السيد المسيح في الوقت ذاته، إذ أحال المسيح مجيء (بيركلتوس) لو لم يذهب هو، وجنّد ذهابه لمجيء (بيركلتوس) فهل هو إذاً روح القدس ملازم النبيين وملازم السيد المسيح طوال رسالته؟!

إنه أفضل من السيد المسيح إذ اعتبر ذهابه خيراً لغاية مجيء (بيركلتوس) ولأنه (أحمد) أفضل منه محامداً وممن سواه، فليكن من أفضل أولى العزم من الرسل، ومن شهود هذه الأهمية: (و لكن متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق) (يوحنا ١٦:١٣) مما يوحي أن السيد المسيح لم يرشد إلى جميع الحق، ولأن حامل هذا الإرشاد الشامل، شرطه أن يحمل الحمد الشامل: أن يكون (أحمد) ليرشد العالم مع الأبد إلى كل خير، كما وأن لفظ البشارة (أحمد) يوحي بهذه الأفضلية الأهمية.

لذلك، وأن المبشر به يحمل الرسالة الأخيرة التي هي الرسالات كلها وزيادة نرى السيد المسيح يردد تأكيده به في توصيفات: (الآن قلت لكم قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون) (يوحنا ١٤:٢٩) .

و أنه يعتبر حفظ وصاياه من شروط مجيء (بيركلتوس): (إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الخالق فيعطيكم (بيركلتوس) آخر ليمكث معكم إلى الأبد) (يوحنا ١٤: ١٥ - ١٦).

و لقد عبر عن أحمد في نص يوناني آخر بـ (ايودكيا) كما في (لوقا ٣: ١٤): وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماويين يسبحون الله ويقولون: الحمد لله في الأعالي وعلى الأرض (إسلام) وللناس (أحمد)، رغم أن التراجم تقول: (و على الأرض السلام للناس الذين بهم المسرة) وكما هو دأبهم في تحريف الترجمات عن البشارات المحمدية. فهم يترجمون (ايريني) بـ (سلام) و(ايودكيا) بـ (مسرة) رغم انهما (إسلام وأحمد) حسب الأصل اليوناني واقعيًا ولغويًا.

واقعيًا لأن الأرض لا تحمل السلام التام ما دام فيها تضارب العقائد والأحكام. فهذا هو السيد المسيح Δ يقول عن سلام الأرض: (ما جئت لألقي سلاماً على الأرض بل سيفاً) (متى ١٠: ٣٤) (جئت لألقي ناراً على الأرض أتظنون أنني جئت لألقي سلاماً؟ كلا! أقول لكم بل إنقساماً) (لوقا ١٢: ٥٣).

إذاً فـ (ايريني) على الأرض ليس سلامها، وإنما هو إسلامها الذي سوف ينتهي إلى سلامها التام في دولة القائم المنتظر Δ: ملكوت الله الذي يلتسمه المسيحيون في صلواتهم ليل نهار، والملائكة تعني بهذا الهتاف ان (أحمد) سوف يؤسس الإسلام على الأرض فيشمّلها، كما الحمد لله شامل في الأعالي.

و لغويًا: الحق ان (ايودكيا) مركبة من (ايو - دكيا) ايو بمعنى: حسن، جيد، صالح، مرحى، حقيقي، حسن ملاحظة - و(دكيا) لم نجد لها هكذا في كتب اللغة وإنما (دوكوئه) أي: الحمد، الإشتهاء، الشوق، الرغبة، البيان، الفكر، ثم الصفات المشتقة من (دكيا): وهي، حمد، محمود، ممدوح، نفيس، مشتهي، مرغوب، مجيد، والمركب من هذين هو (محمد وأحمد).

كما وان الاصل العبراني (شلم حمد) هو الإسلام وأحمد، لا السلام والمسرة، وإن كان الإسلام وأحمد سلاماً ومسرةً للمؤمنين^١.

هذان الأحمد ان طرف من البشارات الإنجيلية بجانب العديد من البشارات المحمدية في التوراة والإنجيل نتحدث عنها في طيات آياتها إنشاء الله تعالى ومنها ما في كتاب أشعيا (١٠:٤٢) (يسبحون الرب تسيحاً جديداً ويبقى أثرسلطانه بعده وأسمه (أحمد)^٢.

هكذا يترجم الآية القسيس أوسكان الأرمني، بعد الآيات السابقة لها، المبشرة برسالة عالمية من نسل قي دار بن اسماعيل، وأحمد3 من ولده.

و هكذا يبشر السيد المسيح بني اسرائيل والحواريين بالرسالة الأحمديّة المحمدية، مفضلاً له على نفسه وسواه، وانه يستقل بشريعة عالمية خالدة فيها تبيان كل شيء: كما بشر به النبيون من قبل:

(فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبین): بينات فيما بشر به من اسمه وسماته وصفاته، وآيات في كتابه تبين بوضوح انه من عند الله العزيز الحكيم، وبينات في تشريعاته وتصرفاته، بحيث أصبح كله بينات، ولكنهم لحقدهم العصب (قالوا هذا سحر مبین) ترى كيف تكون الحقيقة إذا كانت البينات الأحمديّة سحراً؟!)

ان صيغ البشارة بالنبي الآتي، التي نعدها من حملة الرسالات الإلهية، تصور لنا حلقات الرسالة المترابطة، يسلم بعضها إلى بعض، وهي وحدة متماسكة في أصلها واتجاهها، مهما اختلفت في شكلياتها حسب المقتضيات، انها ممتدة من السماء إلى الأرض، وبشارة السيد المسيح ثابتة بهذا النص، سواءً تواجدت في الأناجيل الحالية أم

١. راجع كتابنا (رسول الاسلام في كتب السماوية) تجد فيه تفصيل القول حول «بيركلتوس» و«يريني ايودكيا» نقله عن الأب عبد الأحد الآشوري العراقي من كتابه «الانجيل والصليب» ط القاهرة ١٣٥١ هـ نقله عن التركية إلى العربية مسلم عراقي.

٢. راجع (رسول الاسلام) ص ٥٨-٦١.

لا، ولكنها موجودة كما عرفناه وإن كان عليها سمة التحريف فإن نور الله لا تطفئ مهما حاول الكافرون في إطفائه.

و بشارة السيد المسيح لا تختص باسم (أحمد) وإن كانت أفضلها إذ يحمل تفضيله Δ .. فالنص (و إذ قال) مما يدل على أنه من بشارته، لا (إذ كان يقول) حتى تدل على أنه كان (أحمد) دائماً، بل و(محمد) أيضاً.

هنا نلفت أنظار الذين يقولون: اننا مسيحيون، ثم لا يؤمنون بمحمد 3 انهم ليسوا بمسيحيين أيضاً إذ رفضوا بشارته وتركوا وصيته في محمد 3 .

و أما الذين آمنوا به فهم حقاً مسيحيون ومسلمون إذ آمنوا به تطبيقاً لوصية السيد

المسيح Δ .

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (٦١:٧) .

المفترون على الله الكذب فرق شتى، بين مفتر لا يعلم، ومتجاهل يعلم، وعالم لا يجهد ولا يتجاهل، وإنما يفترى علماً وعناداً فلا أظلم منه، ومنهم من يدعى إلى الإسلام، بحجة البشارات الصادقة لرسول الإسلام، بسائر الحجج القاطعة للأعداء، ورغم كل ذلك يفترى على الله الكذب، في تكذيب رسوله المبشر به من قبل، وتكذيب رسالته التي تحمل كافة بينات الصدق، فمن أظلم منه (و الله لا يهدي القوم الظالمين) إذ لا يريدون الهداية ويرفضون الهداة.

(يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (٨:٦١) .

نور الله هنا هو الرسول محمد 3 فإنه نو الأنوار الرسالية، وهو القرآن: (فالذين آمنوا به وعزروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) (١٥٧:٧) (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتمَّ نوره ولو كره الكافرون) (٩:٣٢) .

و الفرق بين (ليطفئوا) و(أن يطفئوا) أن في الأول الإرادة واجهة لأمر يتوصلون به إلى إطفاء نور الله، كنكران البشارات، وتسحير المعجزات، ولكي يطفأ النور المحمدي، وفي الثاني القصد إلى إطفاء نور الله بالقضاء على النبي ودعوته قصداً بالذات.

فرغم محاولات الكافرين وحيلهم في إطفاء نور الله، ان الله حتم على نفسه إبقاء نوره وإتمامه، وكما نرى البشارات المحرّفة بأيدي الدس والتحريف، انها تدل على تحرّفها، وتدل من خلاله دلالات بيّنه على صاحب الرسالة السامية محمد 3 وتفضح المحرفين، فالذين حوّلوا (بيركلتوس): أحمد - إلى (باركلتوس): المسلي، لكي يحوّلوه عن أحمد الرسول إلى مسلي الروح، فهل باستطاعتهم تحويل صفاته وسماته إلى غيرها؟ لذلك ظلّت هذه البشارة الأحمديّة مشرقة دائبة خارقة ظلمات التحريف والتجديف! وهي الإرادة ليطفئوا نور الله، وكذلك إطفاء بالقضاء على الدعوة الإسلامية، فإنها مطلة على العالم أجمع وطالعة ما طلعت الشمس وغربت، لا تطفىء نوره ولا ذاته وصفاته.

إنه نص يرثي الكافرين مستهزئاً بهم، فما قولهم بأفواههم (هذا سحر مبین) إشارة الى المعجزة التامة الكافلة، إلا كمن يحاول إطفاء نور الشمس بنفخة من فيه، فما أفضحه وأعجزه من هؤلاء الضعاف المهازيل!

فالنار هي التي تُطفأ مهما طالت زبانيته، ولكنما النور، المستمدة من نور الله وإرادته، إنها ليست بالتي تُطفأ، وإنما تزداد إشراقاً وتاماً رغم تطاول الإطفائيات الطائلة الجاهلية، مهما يجيّل للطغاة الجبارين، وللأبطال المصطنعين بأيدي وعلى أعين الصليبيين والصهاينة المجرمين، أنهم بالغوا هذا الهدف البعيد.

ترى ان الله تطفأ ذاته النورية بإطفاء الكافرين؟ فكذلك نوره، فإنه طالع من مطلع ليس له أفول وهو الحضرة الإلهية: (الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كإنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم. في بيوت أذن الله أن يرفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال. رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار) (٣٧:٢٤)

و من أرجل وأبطل هؤلاء الرجال الأنوار، الرسول الأقدس محمد 3 وأهل بيته الطاهرون المعصومون كما وردت بذلك متواتر الآثار.

إنه ليس إتمام النور المحمدي بإبقاء شخصه حياً، ولا ببقاء دينه حيناً سليماً عن النقص والنقض، وإنما هو إظهاره على الدين كله: أن يحكم العالم أجمع ولو كره الكافرون والمشركون:

محمد4 يظهر على الدين كله

(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (٩:٦١) (هو الذي ... وكفى بالله شهيداً) (٢٨:٤٨) .

(هو الذي أرسل رسوله): كأنه الرسول لا سواه، فمن هكذا إضافة يستفاد المحصر، ولأنه يحمل الرسالات الإلهية وزيادة خالدة (بالهدى): كل الهدى التي تتطلبها وتحتاجها الحياة العقلانية وأضرابها على طول الخط، دون نقص أو نسخ (و دين الحق): دين للحق: الثابت - لا (الدين الحق) لأن رُسل الله كلهم مرسلون بالدين الحق، ف (دين الحق) هو الثابت من الدين الذي ليس له دور خاص ولا جماعة خاصة، فدوره شامل ما دامت هذه الحياة قائمة، وجماعته هم المكلفون أجمعون، حق بكافة معانية: ثبوتاً وجاه زلازل التشويهاة والتمزيقات والتحريفات، وثبوتاً تجاه النسخ بشريعة أخرى إلهية، فإنه لا شريعة بعده، فهو حق يجري في مجاري الحياة جري الشمس.

فلقد حرقت الكتب الإلهامية الأخرى، وانتهت لحال لا تصلح معها لشيء من قيادة الحياة، وحتى لو ظلت سليمة عن التحريفات، فهي نسخة سابقة مؤقتة لأدوارها المحددة لها، لا تشمل كافة طلبات الحياة المترامية الأطراف، المتجددة دائبة، فليست هي (دين الحق) مهما كانت (الدين الحق) .

و (دين الحق) هكذا يستحق الظهور على الدين كله، وكما جعل غاية لحقه: (ليظهره على الدين كله) على الدين الباطل كله: الطاعة الباطلة، وهي شرعة الشيطان، وعلى الدين الحق كله^١، إذ ينسخ الشرائع كلها، ويكملها، فلا يبقى دين إلا دين الإسلام، وكما وُعدناه في دولة القائم المهدي محمد بن الحسن العسكري Δ الذي به يملأ الله الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً.

١. تفسير البرهان ٤: ٣٣٠ - عن أبي الفضيل عن أبي الحسن الماضي Δ في الآية قال: يظهره على جميع الأديان عند قيام القائم Δ .

إن جذور ومؤهلات هذه الغاية متواجدة في شريعة الإسلام، مهما لم تتحقق زمن الرسول 3 وخلفائه حتى الآن ظهوراً على الأديان، ولكنها سوف تتحقق في الدولة المحمدية الأخيرة التي يبتدئ بها موسساً له حفيده المهدي المنتظر Δ (ليظهره على الدين كله) ظهوراً وغلباً شاملاً بدينه وكتابه، وبشخصية الرسالية، مهما قضى شخصه نجبه، وانقضى دوره كشخص، ولكنه مستمر في دعوته، في كتابه وكيانه، في خلفاء الأوصياء والأوفياء، فيمن تخضع له الامم كما بشرنا به في كتابات السماء^١.

إن الديانات الاخرى، من حق وباطل، ليست لها مؤهلات الغلبة الشاملة، وتأسيس دولة موحدة عالمية، لا في ذواتها، ولا في زعاماتها، ولكنما الإسلام يملك هذه الأهلية فيهما معاً، فدستوره العالمي هو قرآنه الكامل، الحافل لكافة متطلبات الحياة، وقيادته العالمية هي الظاهرة في رسوله وأوصيائه، والباهرة أخيراً في القائم المهدي Δ (ولو كره المشركون): الذين يشركون بالله في طاعته وعبادته، في دينه وحكمه، فليحكم دين الله وحده، ظاهراً على الدين كله (و كفى بالله شهيداً) إذ يشهد في كتاباته ببشارات تتلاحق بحق هذا الدين وهذا الظهور، وإذ يشهد بما يؤيد أهل هذا الدين فيما يأملون، من كانوا يعلمون ويعملون، (و أن ليس للإنسان إلا ما سعى).

إن الإسلام ليس فكراً أو نظرية في بطون الكتب، ترسمها الأجيال فيعيشوا الخيال بعيداً عن الواقع، إنما هو دين الحياة الواقعة، حقيقة في عالم الواقع، ما تزال هذه الحقيقة تتبع بين حين وآخر، وتنبض وتنتفض قائمة على جذورها المجردة عن الأباطيل، رغم كل ما جرّد على الإسلام والمسلمين من كيد وحرب وتنكيل، وظهرت قوة وحقيقة ونظاماً على سائر الدين قدر ما أظهرتها جماعتها، فدانت له معظم الرقعة العامرة مدى قرون من الزمن .. وإلى أن يدين لها كل المعمورة طوعاً أو كرهاً وبقوة النور والنار، طوع الأبرار وكُره الأشرار (ولو كره الكافرون والمشركون).

إن إتمام نور الإسلام ليس إلا في زمن يشمل العالم كله، فيرتفع فيه علم الإسلام

١. راجع (رسول الاسلام في الكتب السماوية) تجد فيه بشارات عدة بشأن القائم المهدي Δ.

مرفرفاً لا ندّ له ولا ضد، وكما سمع علي Δ يقول تفسيراً لهذه الآية: (كلاً والذي نفسي بيده حتى لا يبقى قرية إلا ويُنَادى فيها بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله بكرة وعشياً)^١.

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ. تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (١٠:٦١):

هنا إيمان أول هو رسمه وصورته قبل أن يتعرق في القلوب، وهو الإيمان التقليدي، فهو لا ينجي - بمجرد - من عذاب أليم، إنما هو رأس مال يتجر به، والتجارة تصرف في رأس المال طلباً للريح، وهذا الإيمان الأول هو رأس مال لريح الإيمان العريق بالله ورسوله والجهاد في سبيله بالأموال والأنفس، ثم هذا الريح أيضاً رأس مال لتجارة ثانية وربحها النجاة من عذاب أليم، تجارة متسلسلة ترجع لآخر المطاف إلى نجاة قاطعة عن حياةً بئيسة في الدنيا وفي الآخرة، دون اختصاص بالأولى، مهما كانت في الآخرة أتم وأولى.

إنها تجارة من رأس مالها أنفس المؤمنين وأموالهم - وهي من الله -: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون.... فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به) (١١١:٩).

١. تفسير العياشي بالاسناد عن عمران بن هيثم عن عباية انه سمع أمير المؤمنين Δ يقول في الآية: أظهر ذلك بعد؟ قالوا: نعم. قال: كلا...

و عن ابن عباس في الآية قال: لا يكون ذلك حتى لا يبقى يهودي ولا نصراني ولا صاحب ملة إلا صار إلى الاسلام، حتى تأمن الشاة والذئب والبقرة والأسد والانسان والحية، حتى لا تقرض فارة جراباً وحتى توضع الجزية ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، وهو قوله تعالى: «ليظهره على الدين كله» وذلك يكون عند قيام القائم Δ .

و عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر Δ في الآية قال: يظهره الله عزوجل في الرجعة (تفسير البرهان ٤: ٣٣٠).

فبأنفسهم يؤمنون بالله ورسوله ثانياً، ويفتدون بهما في سبيل الله مجاهدين، وبأموالهم كذلك يجاهدون صرفاً لها في سبيل الله، ولكي تصبح حياتهم المؤمنة كلها قنطرة وسبيلاً لله دون أن يكون لغير الله فيها نصيب.

في آية التجارة تُقدّم الأموال لتقدّمها في تقديم المجاهدين بالعدّة المكافحة، ثم إذا نفدت الأموال أو ما كفت أو ما أفادت لحسم جذور الفساد، فلتقدّم الأنفس فداءً بعد الأموال في سبيل الله، وفي الآية الثانية تُقدّم الأنفس لأنها الأصل في الجهاد، وإذا قدّم الأصل فتقديم الفرع - وهو المال - سهل. ومن عوائد هذه التجارة غفر الذنوب وذنول الجنة، إيجاباً للرحمة بعد البعد عن العذاب:

(يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (١١:٦١):

فغفر الذنوب كلها (ذنوبكم) الغابرة والحاضرة - وهي صغائر المعاصي - إنه رهين هذا الإيمان العقائدي والعملية التام، فإنه يضم كبائر الطاعات.

محمد3 «يظهر على الدين كله» في كتابات السماء

(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) (٤٨:٢٨) .

ذكرنا في سورة الفتح الصف طرفاً من تفسير نظيرتها (ولو كره المشركون) ^١ و(رسوله) هنا كما هناك وكما في ٨٢ آية أخرى ^٢ تؤكد له أصالة الرسالة الإلهية، وكأنها هي الوحيدة فلا رسالة إلا له دون سواه، والمرسلون المسبقون عليه إنما يعدون لرسالته عُدّة بكل عُدّة وعُدّة.

فهو المرسل (بالمهدي) كل الهدى (ودين الحق): الثالث الذي لا حول له ولا محيد عنه، ثابتاً دائماً على مر الزمن ما طلعت الشمس وغربت، فلا تغرب شمس الرسالة الإسلامية منذ بزوغها الى القيامة الكبرى، مرفرفاً أعلامها، مشعاً وضائاً على عقول وقلوب العالمين، معطية متطلبات الحياة وحاجات البيئات من ساكني الأكواخ إلى ساكني ناطحات السحاب.

(ليظهره على الدين كله): الطاعة كلها، من حقها وباطلها، كما في دولة القائم Δ حيث الاسلام يظهر على الأديان كلها، فلا شوكة ولا كيان إلا له مهما بقيت بقية ضئيلة من سائر الأديان، فإنهم لا بد وهم تحت ظل الاسلام ورقابته ومن اهل ذمته لا صوت لهم ولا صيت ^٣ مهما انحسر سياسياً في ربح من الزمن لانكسار أهلها وارتجاعهم عنها كنظام حيوي شامل، ولكنه حتى في الناحية السياسية لم ينحسر إلا تاركوه: (و لا تهنوا

١. الفرقان ج ٢٨ ص ٣١٥ .

٢. لفظة «رسوله» نجدتها خاصة بالرسول محمد 3 في ٨٤ موضعاً من القرآن دون سواه من رسل الله إلا رسولي بالنسبة للمسيح في آية واحدة.

٣. تفسير البرهان عن ابي جعفر الباقر Δ في الآية قال: يُظهر الله عزوجل في الرجعة، وفيه عن ابي الحسن الماضي قال: يظهر على جميع الاديان عند قيام القائم.

ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) .

و إظهار (دين الحق): الإسلام - على الدين كله، منه إظهار بالحجة والآيات وهو كائن ويستمر منذ بزوغ الإسلام، وإن كان مبتلى بالخصام في حرب سجال طوال تأريخه المجيد ... هذا الإظهار كائن بأصل الرسالة وليس غاية لها، والنص يجعله غاية (ليظهره على الدين كله) .

و منه إظهاره في واقع الحياة، غلباً في الحكم على غلبة في الحجة وهو لا محالة كائن في الدولة الأخيرة الإسلامية.

و ليس الإظهار هو الإجماع حتى لا يبقى دين إلا وهو يفتى، وإنما هو الغلبة على الخصام رغم وجودهم، ولكنهم ضعفاء هزلاء متخالفون مع بعض متعادون: من اليهود: (و قالت اليهود ... وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب اطفاها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين) (٥:٦٤) ومن النصارى: (و من الذين قالوا إنا نصارى .. فأغرنا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) (٥:١٤) .

و أما من سواهم من ملّيين ومشركين وماديين فلا نعرف عنهم في دولة القائم شيئاً، هل هم كذلك كائنون على ضعف أم بائدون، وإن ما نعرفه هو ظهور دين الحق على الدين كله، وعله يلمح إلى وجود الدين كله حتى يظهر الإسلام على الدين كله. (و كفى بالله شهيداً) ظهوراً بآياته في قرآنه المجيد، فإنه قوي بذاته، شاهد لظهوره بمؤهلاته، زاحف بلا سيف ولا حيف، لما في كيانه من استقامة مع الفطر والعقول، ومع نواميس الكون ككل، وما فيه من استجابة لمتطلبات الحياة والأحياء ما طلعت الشمس وغربت.

و فيما يلي - لآخر آية من سورة الفتح - تلميح مليح بشرطي ظهور هذا الدين في شطري الرسول والمرسل اليهم، فيها رمز استمرارية الفتح المبين، دون وقفة على الفتح الأول، فلا يزالون فاتحين ما داموا يحملون هذه الرسالة السامية كما يجب وقدر ما حَمَلُوا مِمَّا حَمَلُوا:

مثل الذين مع محمد4 في التورات والإنجيل

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) (٢٩:٦١).

آية عديمة النظير تحمل تعريفاً بالبشير النذير والذين معه بتمثيل وتقرير من التورات والإنجيل يجعلهم مثلاً عالياً في تاريخ الانسان منقطع النظير، قاطعة آمال المسلمين المستسلمين، مزيفة كيان من يدعون الصحابة كأنها تُرس عن كل قبيح، فهم لصحبتهم الرسول نبراس منير، مخطئين معية الرسالة بصحبة زمنية ومعاصرة! .

إنها تحمل صورة رائعة عن سيرة الذين مع الرسول 3 التي تجمعها نفس الصيغة: (الذين معه) وتفصلها فصول الآيات في سلبيتهم وجاه الكفار: (أشداء على الكفار) وإيجابيتهم بينهم أنفسهم: (رحماء بينهم) كحالتين جماعيتين تتقدمان على سائر الحالات، من لُقطة تصورهم في محاريب العبادة بعد حنائهم الجماعي وحراهم ضد الكفار: (تراهم ركعاً وسجداً) بما يعنيه ركوعهم وسجودهم: (يبتغون فضلاً من الله ورضواناً) دون أن تكون مجرد صور وهيئات، فلأنها تكون من الأعماق تصور في سيماهم صورة معنوية شاملة: (سيماهم في وجوههم من اثر السجود) و(ذلك) العظيم العظيم (مثلهم في التوراة) كما تأتي في آيات (و) اما (مثلهم في الإنجيل) وكما في آيات تأتي (كزرع أخرج شطأه فأزره ...).

و يا له من مثلث بارع من الكتب السماوية الثلاث تعريفاً بالذين معه، وأن لو استقاموا على الطريقة المحمدية لكان حياتهم فتحاً دائماً بيناً و(مغفرة وأجراً عظيماً) .

(محمد رسول الله) اسم واحد ووصف واحد: (رسول الله) دون أن ينسب إلى بلده وهو أم القرى وقبلة الموحدين، أو إلى قريب له في نسب أو سبب أم ماذا! إنما هو (رسول الله) وكفاه مفخرة بين العالمين أن يحمل هذه الرسالة السامية الخالدة، ولا تجده

يوصف في القرآن إلا بعبودية أو نبوة أو رسالة، وأما الميزات الأخرى الخيالية فلا أثر لها في القرآن كله! .

(و الذين معه): معه في رسالته الإلهية تصديقاً وإيماناً وتطبيقاً، ومعه في حملها كما حمل، دعوة إليها وجهاداً في سبيلها وتصبراً لمشاقتها وتحملاً لحرمانها وحرماناتها! .
فلا تعني معية الرسول - التي لا تختص بزمان أو مكان أو قوم - معية الزمن حتى تختص بصحابته المعاصرين، أو معية المكان لكي تنحصر بمن عاينوه وشاهدوه، فتنحسر عمن بعده من التابعين وأتباعهم إلى يوم الدين، ولا معية نسبة أو قرابة أو لغة أم ماذا، مما لا تقرب أصحابها إلى رسالة السماء وقد تبعد عنها، كما أبو لهب البعيد البعيد الذي كان يحمل كافة هذه المعيات لإمعنة للرسالة، وقد نزلت في تباه سورة فذة، ثم نرى سلمان الفارسي الذي لم يحمل إلا معية الرسالة يصبح سلمان المحمدي! .

أجل - أنه لا معية هناك معية إلا معية الرسالة، كما يصدقها وصف محمد مسبقاً بالرسالة، ومواصفاتها اللاحقة التي لا تحمل زماناً ولا مكاناً ولا لغة ولا قرابة، فبإمكانك أن تكون معه قريباً إليه، وأنت بعيد عنه عرض المكان وطول الزمان دون أية نسبة أو قرابة، أو أن تكون عليه (لا معه) غريباً عنه وأنت تعاصره وتواطئه مشاهدلاً له ليل نهار وأنت من أنسب أنسابه أو أقرب أقربائه - ف (إن ولي محمد من وإلى الله ورسوله وإن بعدت لحمته وإن عدو محمد من عادى الله ورسوله وإن قربت لحمته) إذاً فلا تعني هذه المعية إلا أن تنحوا منحاه في رسالة السماء تطبيقاً ونشراً له في الأرض:
فكما أن الرسول كان شديداً على الكفار دون موآربة ولا مدهنة ولا أنصاف حلول، كذلك (الذين معه شداء على الكفار) ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم وأو عشيرتهم، وهذه هي سمة الايمان ألا تعرف في سبيل الله أياً من هذه وتلك: (لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ..) (٥٨:٢٢) .

و لا تعني الشدة على الكفار الإساءة إليهم وإن كان يؤمل منهم رشد، وإنما السياج

القويم المحازر بينهم وبين الكفار، لا يسمح بتدخل في شئون المسلمين ثقافياً أو سياسياً أو اقتصادياً أو أخلاقياً أم ماذا، ثم لا يسمح لمسلم أن يوادهم ويواليهم، فأخر أمرهم معهم: (لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِىَ دِين) وأوله أن يهدوهم الصراط المستقيم، دون أن تكون هناك متوسطات في مدهنات أو موآريات.

فهم يجتازون وشائج القرابات وسائر الحميات في ظلال وشائج الايمان إلى تحقيق مرضات الله لأنهم حزب الله: (رَضِيََ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (٥٨:٢٢) .

و كما أن الرسول 3 (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ) (١٢٩:٩) قائلاً لهم (لا يرحم الله من لا يرحم الناس)^١ و(لا تنزع الرحمة إلا من شقى)^٢ و(إنما يرحم الله من عباده الرحماء)^٣ كذلك الذين معه (رحماء بينهم) تربطهم وشيجة الايمان بالله فقط مهما تفرقوا بسائر الوشائج، فهم نسبهم وسببهم الايمان، وجنسيتهم الايمان، يعيشون في ظلاله إخوة متحابين، لا تجد فيهم إلا أخوة الايمان (إنما المؤمنون أخوة) .

إذاً فكل المنازعات والمشاغبات بين المؤمنين إنما هي من ضعف الإيمان أو جهلهم موقع الإيمان، وهنالك أعداءنا يتربصون بنا الدوائر ليوسعوا الخرق بيننا، والشيطان ينزغ بيننا: (وَ قُلْ لِعِبَادِى يَقُولُوا الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا) (٥٣:١٧) (وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (٧:٢٠٠) .

فهؤلاء الذين يدعون الاسلام ثم يحاولون في تفريق كلمة المسلمين وتوسيع الخلافات فيما بينهم، أولئك هم حزب الشيطان، فأحذروهم مهما كبرت عمأتهم وطالت

١. الدر المنثور ٦:٨٢ - أخرجه ابن ابي شيبة والبخاري ومسلم والترمذي عن جرير عنه 3:

٢. المصدر: أخرج ابن ابي شيبة عن ابي هريرة عنه 3:

٣. المصدر: أخرج ابن ابي شيبة عن اسامة بن زيد عنه 3:

لحاهم، أعادنا الله من شرهم ولا سيما في قبلة الاسلام ومولده.
 فرغم أن الواجب رفض الخلافات البعيدة المدى في مملكة الحج، نرى عملاء بزي
 العلماء يخطبون ويكتبون في الحرمين المباركين ما اكتتبه واختطبه لهم الإستعمار الكافر
 عارفين أو غافلين (و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ وَ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ) (٢٥:١٦).
 و كما كان الرسول 3 أول الدين فالذين معه: (تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ
 اللَّهِ وَ رِضْوَانًا) تراهم وكأنهم راعون دوماً وساجدون، أجل ولأنهم حياتهم الركوع
 والسجود لله في كافة صورها على مختلف صيغها وهيأتها، في صلاتها بالله وفي كل
 صلاتها بخلق الله، في حياتهم الفردية لله وفي الجماعية ابتغاء فضل الله ورضوان الله،
 فكل حياتهم كأنها صلاه وكلها صلاة وكلها لله ركوعات وسجودات طالما تختلف
 الهيئات، فما الركوع والسجود في الصلاة إلا تعبيراً عينياً عن اصالة العبودية والخضوع
 لله، المتعرفة في نفوسهم (يبتغون فضلاً من الله ورضواناً): شجرة لها ساقان، شجرة
 العبودية الناحية منحى رضوان من الله لأنه الله، وفضل من الله حيث وعد عباده
 الصالحين، فضلاً في الدنيا وفضلاً في الآخرة، فيعملون لهما ويأملون من الله الفضل
 فيهما.

ثم وآثار ذلك السجود لائحة في سيماهم لمن ينظر بنور الله:

(سِيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ)

فالسِيما هي العلامة اللائحة للناظرين بنور الله دون الجاهلين: (يحسيهم الجاهل
 أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافاً) (٢٧٣:٢) فأنت أنت
 تعرفهم والذين معك كما (و على الاعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم) (٤٦:٧) فهذا
 من سيما التعفف والإيمان، ثم هناك سيما النفاق والإجرام: (يعرف المجرمون بسيماهم
 فيؤخذ بالنواصي والاقدام) (٤١:٥٥) هذا - ولكن سيما النفاق هي أحياناً بحاجة إلى
 تعريف وحتى للرسول: (و لو نشاء لاريناكمم فلعرفتهم بسيماهم) (٣٠:٤٧).
 و مهما كان سيما النفاق غامضاً وبجاجة الى تعريف، فسيما الايمان من أثر السجود



لائحة للناظرين بنور الله دون تعريف - ف:

(سيماهم): علامتهم كائنة لائحة (في وجوههم) - وجهاتهم واتجاهاتهم ومواجهاتهم، وفي ذوات وجوههم يرى الإتجاه إلى الله لائحاً، وكل ذلك (من أثر السجود) الذي يعيشونه لله حياتهم.

فلا يعني أثر السجود وسيما الوجوه ثغرات الجباه فقط: التي قد تصطنع مغبة الإستحمار الإستغفال، وحتى ممن لا يعرف سجوداً لله اللهم إلا لللهو! أو ممن يسجد مصلحياً تاجراً أم ماذا^١.

فليس الأثر الظاهر على الجباه من السجود بل هو سيما الايمان، كما ليست الجباه الخالية عن الثغرات سيما اللا ايمان، فقد يجتمعان وقد يفترقان.

فأثر السجود وهو أثر العبادة المتمثلة تماما في السجود، هو يشمل الركوع كذلك ما (تراهم ركعاً سجداً) وهو يشمل كافة نهضات العبادة لله في كافة صورها، فأثر العبادة لائح في سيماهم، في ملامح وجوههم حيث تتوارى الخيلاء والكبرياء، لائحة عليها الوضاعة الهادئة والصباحة النبيلة، كذلك وفي ملامح وجهاتهم ومواجهاتهم واتجاهاتهم، الا غمردة فيها ولا فرعنة ولا استغلال، ولا أية محاولات وتصرفات إلا على ضوء شريعة الله!

وهذه سيما السامية لائحة عليهم واضحة يوم الدنيا ويوم الدين^٢ هنا لأولى

١. الدر المنثور ٦: ٨٢ اخرج الطبراني والبيهقي في سننه عن حميد بن عبد الرحمن قال: كنت عند السائب بن يزيد اذ جاء رجل في وجهه اثر السجود فقال: لقد افسد هذا وجهه أما والله ما هي سيما التي سمى الله ولقد صليت على وجهي ثمانين سنة ما اثر السجود بين عيني!

٢. المصدر: اخرج الطبراني في الاوسط والصغير وابن مردويه بسند حسن عن ابي بن كعب (رض) قال قال رسول الله 3: في قوله «سيماهم في وجوههم من اثر السجود» قال: النور يوم القيامة. و اخرج الطبراني عن سمرة بن جندب ان رسول الله 3 قال: «إن الأنبياء عليهم السلام يتباهون ايهم اكثر اصحاباً من امته فأرجو ان اكون يومئذ اكثرهم كلهم واردة وان كان رجل منهم يومئذ قائم على حوض لا ملان معه عصا يدعو من عرف من امته ولكل امة سيما يعرفهم بها نبيهم» .

البصائر وهناك لاهل المحشر أجمعين حيث (تبلى السرائر)!.
 (إذا نظرت إلى أحدهم عرفت أنه من أهل الصلاة بأثر الوضوء وإذا أصبحت عرفت أنه قد صلى من الليل، وهو العفاف في الدين والحياء وحسن السمات)^١.
 (و ذلك مثلهم في التورات) ذلك القدسية الفردية والجماعية السليمة الاسلامية في الدين مع الرسول مثلهم السامي في التورات، كما في بشارات عدة تصف الرسول 3 وأمته بقوة في دين و صمود ضد أعداء الدين^٢.

مثل ما في (مزمور ١٤٩: ١ - ٦ - ٩) من زبور داود: (هللوا. رنموا للرب ترنيماً جديداً، اقيموا تسيبحة في مجمع الأصفياء ... يبتهج الأصفياء في المجد يرتمون على أسرتهم (٦) تعظيم الله في أفواههم وبأيديهم سيف ذو حدين (٧) لاجراء الانتقام على الأمم والتأديب على الشعوب (٨) لإيثاق الملوك بالقيود وشرفائهم بقبول من حديد (٩) ليمضوا عليهم القضاء المكتوب، هذا فخر يكون لجميع أصفياه. هللوا).
 فانها تجمع مواصفتهم بالشدة على الكفار والرحمة بينهم أنفسهم وأنهم أصفياء ... وهكذا تجد آيات في عموم التورات وخصوصها بحق الأمة الاسلامية^٣.

(ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فأزره): أخرج فرخه وفرعه دون أن ينقص فرخه من قواه بل (فأزره) ناصر عوده وأصله، أو أن الزرع آزر فرعه، أو المعنى مؤازرة الأصل الرسالي والفرع الذي معه، فالرسول برسالته وتوفيق الله يصنع مؤمنين ويؤازرهم، وهم بايمانهم وتوفيق الله يؤازرونه ويعزرونه.

و من جراء هذا الإخراج وتلك المؤازرة (فاستغلط) الزرع بشطأه (و استوى على سوقه) وفي ذلك الإخراج المؤازرة الإستواء، إعجاب ومسرة لسائر الزراع الرسل:

١. الدر المنثور ٨٢:٦: اخرج ابن مردويه عن ابن عباس (رض) عن النبي 3 في الآية قال: ان جبريل

قال: اذا نظرت الى الرجل من امتك عرفت ...

٢. راجع رسول الاسلام في الكتب السماوية، قسم البشارات التوراتية.

٣. خصوص التوراة هي الاسفار الخمسة الموسوية، وعمومها كتب العهد العتيق بأجمعها من أي نبي اسرائيلي كان.

(يعجب الزراع) كما اعجبوا من تشريفه قبل تكونه، ومن ثم (ليغيب بهم الكفار) فالكفار يزيدهم هذا الزرع الأخير تغيُّطاً وتميزاً (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً) (١٠:٢) وأما رسل الله والمؤمنون بهم فيزيدهم سروراً واعتزازاً، فإنهم (أشداء على الكفار رحماء بينهم)!

و هكذا تكونت الرسالة الاسلامية برسولها والذين معه، حتى كونت كياناً قديماً لا قبل له، الا على من لا يمشون على خطتها، تتدرج من ضعف في عدة وعدة إلى قوة فوق قوة، ولكي تشمل العالم كله (ليظهره على الدين وكفى بالله شهيداً) .
(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) .

ترى ألم يكن الذين معه - مع تلکم المواصفات التي تجعلهم في قمة الايمان - من المؤمنين الصالحين، حتى يقول الله هنا في مجال المغفرة والأجر العظيم (منهم) لا - كلهم؟ علّه تأكيد بعد تصريح بشروطات الايمان في تحقق وعد الله كيلا ينساها أو يتناساها أناس فيحسبون الايمان لفظة قول أو تصوراً أو عقيدة فقط، وإنما الايمان الذي يظهر في صالحات، وصالحات تزه من إيمان، هما دوماً سبب الأجر العظيم الغفران.
و ها هي الآيات الانجيلية التي تمثلهم بهذا المثل السامي:

أنباء الملكوت وأبنائه.

الملكوت وهي حقيقة الملك تكويناً وتشريعاً، كثيراً ما تعني الشريعة الإسلامية، فأبناءهم أبناء الملكوت وهم في الإنجيل الذكريات التالية:

١- (ان كلام الملكوت يزرع في قلوب الناس كما تزرع الحنطة في المزرعة والله صاحبها) (متى ١٣: ١ - ٢٤) (مرقس ٤: ١-٢٠) (لوقا ٨: ١-١٥) .

٢- (ملكوت الله ينشأ أناً فأناً وينمو سنة فسنة ويكبر عصراً فعصراً ويتقوى دونما انقطاع) (مرقس ٤: ٢٦-٢٩)

٣- (ينمو الملكوت ويتكاثر جداً بين بعض الأقوام لمدة قليلة دون ان يبقى كافر ولا مشرك كالحردل، يؤثر كلام الملكوت في قلوب الناس ويؤدي بهم إلى الايمان) (متى ١٣: ٣١-٣٣، مرقس ٤: ٣١-٣٣) .

- ٤- (في أبناء الملكوت حبات الحنطة التي تعطي مائة ضعف وفيهم أولاد ابليس) (متى ١٣: ٢٤-٣٠ و ٣٠: ٣-٤٧ و ٥٠: ١٠ و ٢٢: ٢٢) .
- ٥- (أبناء الملكوت هم ملح الأرض ويقدر ما يحتاج الطعام الى الملح فذلك كل العالم وجميع أقوام كرة الأرض يفتقرون إلى أبناء ملكوت الله) (متى ٥: ١٣) (مرقس ٩: ٥) (لوقا ١٤: ٣٤-٣٥) .
- ٦- (أبناء الملكوت هم نور العالم) (متى ٥: ١٤-١٦) .
- ٧- (تبقى أولاد الشيطان مع أبناء الملكوت على جنب إلى يوم القيامة) (متى ١٣: ٢٧-٣٠) .
- ٨- (أبناء الملكوت لا يعطون القدس للكلاب ولا يطرحون دورها أمام الخنازير) (متى ٦: ٧) .
- ٩- (إن ملكوت الله هو مثال ملكوت السماوات لا يفكرون في جمع الخزائن ليكونوا أغنياء في الدنيا لأنهم عما قليل يتركون الدنيا ولذاتها وخزائنها) (متى ٦: ١٩-٢١)
- ١٠- (الأغنياء غير الشاكرين الذين يتوكلون على مال الدنيا هم خارجون عن ملكوت الله) (متى ١٩: ٢٢: ٢٤)
- هذه مواصفات الملكوت وأنباءه وأبنائه، وتلك عشرة كاملة من الأناجيل تتمثل في الرسول الأعظم محمد 3 وأمته.

آيات الرسالات

١

(وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا آيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) (١٠٩:٦).

أقسام من هذه الأقسام نسمعها من المشركين وأضرابهم من الذين كفروا، يستظهرون بها إضرابهم عن حق التوحيد والوحي والمعاد وهم كاذبون، فقد: (أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم) (٤٢:٣٥) في أصل البعث الرسولي: (و أقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت) (٣٨:١٦) تحملاً عن عبء الرسالات، وهنا (أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ..) ويكأنهم لم تأتهم آية، والقرآن بنفسه أبرز الآيات وأحرزها فيما هو آت من سائر الآيات^١.

وجهد أيمانهم هو بالغها القمة المستطاعة منها بكل تأكيد وتسديد، فقد حلفوا بالله وهم مشركون، حلفاً بما يصدقه الطرفان وذلك من جهد الإيمان حيث اليمين بالأوثان ليس من جهد الإيمان إذ لا يقبله المحلوف له الناصر إياه.

ولماذا هنا وفيما أشبه (أقسموا) دون حلفوا وأمينوا؟ لأن الحلف المؤكد ويمينه يقسم بين الحق والباطل في المدعى، فكما أن سائر الحجج تقسم بينهما، كذلك اليمين وهي حجة من لا حجة له سواها، إحتجاجاً بالمقبول عند الطرفين، فهو يقسم بين الحق والباطل، كما يقسم بين الحق والمبطل حالفاً وسواه.

١. الدر المنثور ٣:٣٩ - أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال كلم رسول الله 3 قريشاً فقالوا يا محمد تخبرنا ان موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر وان عيسى كان يحيى الموتى وان ثمود كان لهم ناقة فأتنا من الآيات حتى نصدقك فقال رسول الله 3 أي شيء تحبون ان آتيكم به قالوا تجعل لنا الصفا ذهباً قال فان فعلت تصدقوني قالوا نعم والله لئن فعلت لتبتعنك اجمعون فقام رسول الله 3 يدعو فجاء جبرائيل Δ فقال له ان شئت أصبح ذهباً فان لم يصدقوا عند ذلك لتعذبنهم وان شئت فاتركهم حتى يتوب تأبهم فقال: بل يتوب تأبهم فأنزل الله «و اقسما - الى قوله - مجهلون».

فحين ينكر منكر أم الآيات الربانية وقمتها فهو بأحرى ينكر سائر الآيات، وهنا الجواب: (قل إنما الآيات عند الله) وليست عندي حتى أستجيبكم فيما تقترحون، فإنما هو الذي ينزلها كما يشاء لما يشاء من هدي العالمين حقاً لا عوج فيه ولا حيل عنه، فإنه هو العارف بما يصلح العباد ويصلح أن يرشدهم إلى سبيل الرشاد: (و قالوا لو لا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين) (٥٠:٢٩).

و هنا (قل إنما الآيات عند الله) إجابة تنازلية إلى جانب كونها واقعية، ان لو تنازلنا ان القرآن ليس آية رسولية، فالآيات كلها عند الله وليست عندي حتى تتطلبها مني.

و هنا نتعرف إلى جانب من الكيان الرسالي سلبياً ان ليست الآيات عند الرسول مهما كان تحويلاً أو تحويلاً، وإيجابياً (إنما أنا نذير مبين).

و (عند الله) هنا تعني عندية العلم والقدرة والتقدير لهذه الآيات الربانية، فذلك المثلث مخصوص بالله وحده، لا يعدوه إلى سواه، فليس - إذاً - عند من سواه، لا أصيلاً ولا بديلاً أو كيبلاً أم سواه، حيث البديل الوكيل عنده ما عند الأصيل الموكّل مهما اختلفت (عند) عن (عند) محتداً، ولا تعني (عند الله) أن الآيات مقترحة وسواها كائنة عنده ماكنة بالفعل لديه، وإنما تعني أن له - فقط - القدرة على تكوينها والعلم المحيط بها من قبل ومن بعد.

فعندية الزمان والمكان والواقع لهذه الآيات مرفوضة عن ساحة الربوبية، وعندية العلم والقدرة والتقدير مرفوضة قضيةً كامل الربوبية، فهي كما (عنده مفاتيح الغيب) - (و إن من شيء إلا عندنا خزائنه) وما أشبهه من عنديات ربانية سامية.

و جواب ثان عن هرطقة اقتراح آيات يخاطب به المؤمنون الراغبون إلى مزيد آيات عسى أن يؤمن هؤلاء المقترحون: (و ما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) كما لم يؤمنوا بما جاءت أفضل الآيات الكافية عن سائرهما وهو القرآن العظيم، فالتقص من إنزال الآيات هو إمكانية التأثير، إضافة إلى كونها صالحة كأصلح ما يكون ولكنهم لا يؤمنون، وليس كلامهم هذا إلا عذراً غير عاذر.

ذلك، وحتى لو أرادوا أن يؤمنوا بمقترحات الآيات، فهو إيمان قاحل جاهل إذ رفضوا قبلها أفضل الآيات:

(وَ تَقَلَّبُ أَفْتَدَتَهُمْ وَ أَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ نَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) (١١٠:٦):

فكما لم يؤمنوا بما جاءتهم من آية قاطعة أوّل مرة تقلباً لأفئدتهم وأبصارهم من عند أنفسهم، فهناك جزاء وفاق حيث (تقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أوّل مرة) تشبيهاً للعقوبة بالجريمة جزاءً وفاقاً.

ثم لا نهديهم أبداً بعدما رفضوا الهدى الهدى، بل (و نذرهم في طغيانهم يعمهون). أجل، إن الأفئدة المتفتدة بنور المعرفة وفطرياً وعقلياً وعلمياً وعلى ضوء الوحي، قد تقلب أفئدة متفتدة بنار الجهالة والحماقة، حيث تغلق عليها أبوابهم ومنافذها، وكذلك الأبصار، حيث (تنكس قلوبهم فيكون أسفل قلوبهم أعلاها، ونعمي أبصارهم فلا يبصرون الهدى)^١ فيتردون في الردى فهم (في طغيانهم يعمهون).

فلا يعني تقلب قلوبهم وأبصارهم إزالتها عن مواضعها وإقلاعها عن مناصبها، والبنية حية صحيحة متصرفة، وإنما يعني رميها بالحيرة والمتاهة جزاءً على الكفر والضلالة فتصبح الأفئدة مسترجعة لتعاضم أسباب المخاوف، والأبصار منزعة لتوقع طلوع المكاره في الأولى، وتقلبيها على قراميص الجمر في النار في الأخرى. و هنا (أوّل مرة) هو المرة الأولى من مجيئهم آيات بينات، وهي القرآن العظيم لهؤلاء، وسائر الآيات قبل القرآن لمن عاشوها زمن سائر الرسالات.

١. نور الثقلين ٧٥٨:١ عن تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر H ... وفيه قال علي بن أبي طالب Δ ان أوّل ما يقبلون عليه من الجهاد بايديكم ثم الجهاد بالسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم فمن لم يعرف قلبه معروفاً ولم ينكر منكراً نكس قلبه فجعل أسفله أعلاه ثم لا يقبل خيراً أبداً كما لم يؤمنوا به أوّل مرة يعني في الذر والميثاق ونذرهم في طغيانهم يعمهون أي يضلون. أقول: الميثاق حيث يعني الميثاق الفطري والعقلي وما أشبهه فمعلوم، وأما الذر فان كان هو الميثاق الفطري وإلا فلا تكليف في عالم قبل الخلق حتى يكون هنالك إيمان وكفر.

فكما أن آباءهم أولاءٍ لم يؤمنوا بالآيات المبصرة المبصرة من ذي قبل، وهم أنفسهم لم يؤمنوا بالقرآن الذي هو أم الآيات، لذلك (نقلب أفئدتهم ..).
و لئن سأل سائل أن لو آمنوا بآيات مقترحة فلماذا إذاً تقليب قلوبهم وأبصارهم حتى لا يؤمنوا؟ .

و الجواب أن ذلك - لو كان - فهو من قاحل الإيمان، رفضاً للإيمان بآيات يرضاها الله، وإقبالاً إلى آيات يشتهونها، وهكذا إيمان مهما حمل لفظه فهو حامل في الحق رفضه، فلذلك (نقلب) .

و كيف لا وهم القوالبون (درست) إندراساً لأفضل آية رسالية وأكملها، وكيف يجتمع الإيمان بالله بآية مقترحة والكفر بآية حقة ربانية تدل دلالة قاطعة؟ .

و سؤال ثان: هب إنهم لا يؤمنون، أو لا تزيدهم حجة فلجّة زائدة بكفرهم المزيد؟ .
أجل، ولكننا حاذر العذاب الموعود للمكذبين إذاً حاضر حيث (كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم) (٥٤:٨) فماذا يفيد - إذاً - حجة بعد الحجة؟ وحتى لو آمنوا لا ينفع - إذاً - نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، ف- (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إنا منتظرون) (١٥٨:٦) (و ما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً) (٥٩:١٧) (و أغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عمين) (٦٤:٧) (و قطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين) (٧٢:٧) .

و إنما تقدم تقليب الأفئدة على تقليب الأبصار، لأن الأفئدة هي المحاور للأبصار وسائر الإدراكات وكما في الخبر (القلوب أئمة العقول والعقول أئمة الأفكار والأفكار أئمة الحواس والحواس أئمة الأعضاء) .

ثم و(كما لم يؤمنوا) قد تتحمل إلى وجه الجزاء - كما بيناه - وجه التشبيه، فكما لم يؤمنوا أوّل مرة فقلبتنا أفئدتهم وأبصارهم، كذلك تقلبها مرة أخرى إذ لا يؤمنون.
(و نذرهم في طغيانهم) على الحق، (يعمّهون) حيث لا نوقفهم لمعرفة الحق بعد إذ

أنكروه عاندين، فيا ويلاه لمن وكله الله إلى نفسه حتى إن كان مؤمناً فضلاً عن أمثال هؤلاء المكذبين.

ثم وتأكيذاً لكذبهم في دعوى الإيمان شرطاً أن تأتيتهم آية أخرى كما يشتهون:
(وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ) (١١١:٦).

هنا جمع لجماع الآيات الممكنة في ذواتها أن تأتيتهم في مثلث نزول الملائكة وتكليم الموتى وحشر كل شيء عليهم قبلاً، أنهم (ما كانوا ليؤمنوا) اللهم (إلا أن يشاء الله) حملاً لهم على إيمان، ولكنه خلاف حكمة الإبتلاء، (و لكن أكثرهم يجهلون) تجاهلاً عن ذلك الواقع المرير الشرير، فأقلهم يعلمون أنهم سوف لا يؤمنون.

ف (لو أننا ..) تشعر هؤلاء المسلمين (أنها إذا جاءت لا يؤمنون) كما ويشعر هؤلاء المشركين بما هم يجهلون ويتجاهلون، مزيداً لايمان المؤمنين، وحجةً على الكافرين، فهم - أكثرهم - يجهلون الحق وآيات الحق ودلالاتها على الحق، ظلمات بعضها فوق بعض. و هنا (حشرنا ..) غير الداخلة في مقترحاتهم تضاف إليها مزيداً لما يقترحون، لمزيد الإشعار أنهم لا يؤمنون، فهي - إذاً - حجة بالغة تحلّق على ما يمكن إقتراحه من الآيات، ولم يذكر من إقترحاتهم المستحيلة كإتيان الرب نفسه، إذ هو خارج عن حيطة الإمكان، فكيف بالإمكان أن يُحتج بواقع له على واقع اللإيمان عنده، وقد نزلت الآية بشأن مختلف إقترحاتهم المتخلفة! .

هنا مبررات لتقبّل الإيمان، من مبررة الفطرة والعقلية السليمة، ومبررة الحجة السليمة البالغة، ومن ثم إرادة الله تعالى لواقع الإيمان وهي الخطوة الأخيرة من خطوات الإيمان.

١. في تفسير الفخر الرازي ١٣:١٤٩ قال ابن عباس: المستهزون بالقرآن كانوا خمسة: الوليد بن المغيرة المخرومي والعاص بن وائل السهمي والأسود بن عبد يغوث الزهري والأسود بن المطلب والحريث بن حنظلة ثم انهم اتوا الرسول 3 في رهط من اهل مكة وقالوا له: ارنا الملائكة يشهدوا بانك رسول الله أو ابعت لنا بعض موتانا حتى نسألهم احق ما تقوله ام باطل، أو ائتنا بالله والملائكة قبيلاً اي كفيلاً على ما تدعيه فنزلت هذا الآية.

فآيات الله في كل حقولها هي حجج بالغة لا قاصرة في تدليلها ولا مقصرة، ولا دور للإرادة الإلهية للإيمان إلا بعد الخطوتين الأوليين، فحين تقصُر أو تقصُر الخطوة الأولى تجاهلاً عاماً عن الحق المرام، فالخطوة الثانية غير مؤثرة، ثم الخطوة الثالثة ليست لتؤثر أثرها إلا تسييراً على الإيمان أم توفيقاً يتغلب على اله داعي إلى إيمان وهما متخلفان عن حكمة الإبتلاء.

فسلطان المشيئة الربانية في تحقيق الإيمان ليس إلا على ضوء السعي إلى الإيمان، أم ولأقل تقدير ترك العناد على الإيمان.

ف (لو نزلنا إليهم الملائكة) في أي نازل، من وحي إليهم رسالياً، أم كلام معهم رسولياً أن محمداً 3 رسول من الله، وكلما هم يتطلبون من تنزيل الملائكة.

(و) لو (كلهم الموتى) بحق الحق في هذه الرسالة بكل حقولها، رجوعاً لهم إلى الحياة الدنيا، أم وهم أموات غير أحياء.

أم (وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً) تجنيداً لكافة الكائنات لتلك الشهادة الرسالية، كوناً وكياناً وحالاً وقالاً وأفعالاً وعلى أية حال! (ما كانوا ليؤمنوا) إذ لا تنقصهم الحجة على الحق، فإنما تنقصهم الفطرة المحجوبة بما حجبوها، والعقلية المكسوفة إنارتها بطوع الهوى، والمصلحيات الشهوانية الحيوانية التي ييغونها.

(وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً) تعني جمع كل شيء عليهم في تلك الشهادة (قبلاً) مقابلة لهم، فإنها جمع (قابل) مقابلة لحواسهم عياناً، أو جمع (قبيل) تعني جماعات تلو بعض، أم تعنيهما حيث تحشد كل شيء قبلاً قبيلاً تقابلهم عياناً كما يشتهون، فإنهم لا يؤمنون (إلا أن يشاء الله) أن يؤمنوا مشيئة هارفة خارفة - وعوداً به منها - حيث المشيئة الحكيمة للإيمان ليست إلا في حقل الإنعطاف إلى الإيمان ممن يسعى له أم لا يسعى للإعراض عن الإيمان.

أجل وهؤلاء الحماقى الأنكاد هم الشياطين المعاندون للنبيين، الملقون في أمنياتهم

الرسالية:

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ

زُخْرُفِ الْقَوْلِ غُرُورًا وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ (١١٢:٦):

(و ما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم. ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد. وليعلم الذين أتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله هادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم. ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيتهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) (٥٥:٢٢) ^١.

(وكذلك) الذي جعلنا لك عدواً (جعلنا ...) وذلك جعل تكويني أنه لم يمنعهم تسييراً أن يعادوا النبيين، حيث الدار دار الإختيار.

هنا (جعلنا) مجردة عن البعث والتحريض، مع توفيق من الله تعالى رفيق للنبيين حيث لا يضلون بإضلال الشياطين.

و هناك (أرسلنا و قيضنا) على الكافرين سلباً لأي توفيق لهم إذ لا يستحقون، ولأنهم قرناءهم في شيطنتهم: (وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم..) (٢٥:٤١) (ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزُّهم أزاً) (٨٣:١٩).
فمختلف الجعل هناك والتقييض والإرسال هنا، يجعل مختلف الدور والظرف بين النبيين والكافرين.

فلا دور لشياطين الإنس والجن إلاّ تجاوب الوحي بزخرف القول غروراً في القرية على النبيين، وذلك من إلقاءهم في أمنيات النبيين (فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آية ..) ^٢.

١. راجع آية الحج تجد على ضوءها تفصيل البحث حول إبقاء الشياطين.

٢. نور الثقلين ١: ٧٥٨ عن تفسير القمي في الآية حدثني ابي عن الحسين بن سعيد عن علي بن ابي حمزة عن بعض رجاله عن ابي عبد الله Δ قال: ما بعث الله نبياً إلاّ وفي امته شيطانان يؤذيانه ويضلان الناس بعده فأما صاحبنا نوح فقنطيقوس وحزام وأما صاحب ابراهيم فمكثل وزرام وأما

و ذلك الوحي الباطل الحامل لخرق القول غروراً هو من بعضهم الرؤساء إلى البعض المرئوسين قولاً يزخرفونه بمظاهر الحق المرام، غروراً لهؤلاء الأتباع حتى يتم أبعاد العدا في تلك الإيحاء الشورى الشيطاني، ويطمّ في فاعليته إلقاء في أمنيات النبيين (فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم).

و الوحي - كأصل - هو إشارة في رمز، لخير كما الله وأهله إلى أهليه، أم لشر، كما لشياطين الإنس والجن حيث يرمزون الشر إلى بعضهم البعض تشاوراً وتعلماً وتعلماً، ولكي يضلوا سائر الإنس والجن.

ف (ذلك) من تقليب القلوب والأبصار لهؤلاء المكذبين الأنكاد، وعدم إرادة الإيمان لهم، وجعلهم مخيرين بين إيمان وكفر (جعلنا لكل نبي عدواً ..).

فذلك لا يعني جعل العداوة، بل هو جعل العدو إبتلاءً في دار الإبتلاء، (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) (٤٨:٨).

وأعدى العدا من هؤلاء الأعداء هو الإلقاء الإفتراء في أمنيات الرسالات والنبوات كما في آية الحج، فلا يؤثر في خواطر الرسل أي تأثير، فإنما يبتلى بها سائر المكلفين (و لو شاء ربك ما فعلوه) مشيئة مسيرة مصيرة لهم بعيدين عن كل عداآتهم وإلقآآتهم، فلا تحفهم على نفسك رسولياً ولا رسالياً (فذرهم وما يفترون) حيث لا يصغي إليه المؤمنون.

و لا تعني (لو شاء ربك ما فعلوه) (أن المعاصي بأمر الله، ولكن بقضاء الله وبقدره وبمشيئته وعلمه ثم يعاقب عليها) وذلك المربع لا يعني مشيئة تشريعية، أم تكوينية مسيرة، فإنما هي مساورة مع العصاة فيما يعصون، قضاءً بما قضاوا وقدرأً بما قدروا

صاحباً موسى فالسامري ومرعقيا واما صاحباً عيسى فبولس ومرتيون وأما صاحباً محمد 3 فحبتري وزريق.

١. نور الثقلين ٧٥٩:١ عن مجمع البيان روي عن ابي جعفر H انه قال: ان الشياطين يلقي بعضهم بعضاً فيلقي اليه ما يغري به الخلق حتى يعلم بعضهم من بعض.

ومشيئة بما شاءوا وعلماً بما علموا وما كانوا يعملون.
 ذلك، فكما أنهم لا يؤمنون مع تواتر الآيات البينات إذ قلّت معرفة الله في أفئدتهم،
 كذلك (لو شاء الله ما فعلوه) مشيئة ربانية تحلّق على كل شيء، حكيمة عادلة رحيمة
 فاضلة.

فحين لا يستطيعون أن يؤمنوا أو يضلوا إلاّ بإذن ربّك (فذرهم وما يفترون) فإن
 ربك لبالمرصاد، فإن (الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون).
 فلقد اقتضت الحكمة الإبتلائية التربوية الربانية في دار البلاء والإبتلاء أن يترك
 شياطين الإنس والجن أن يُشيطنوا في القدر الذي تركه لهم من القدرة والإختيار، وأن
 يدعهم يؤذون النبيين والصالحين، إبتلاءً لأوليائه وبلاءً لأعدائه (ليهلك من هلك عن
 بينة ويحيى من حي عن بينة).

وليرى أهل الحق أيتبتون عليه وهم يرون الباطل يتنفس ويتنفج مستطيلاً،
 أفيخلصون من حظ أنفسهم في أنفسهم ويبيعونها بيعة واحدة وصفقة فاردة لله؟، على
 الضراء والسراء سواء، وفي المنشط والمكروه سواء؟.

ذلك، وليس لهم مع كل ذلك سيطرة القضاء على قضاء الله وهيمنة القدر على قدر
 الله ف (لو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون).

و ليس هذا تجميداً للطاقت الإيمانية أمام الشياطين يفعلون ما يشاءون، فإنما هو
 طمأنة لأهل الإيمان أنهم لا يُغلبون بإيمانهم حين يحققون شرائطه، ومنها الدعوة الصارمة
 المتواصلة، والتصبر على الأذى، وتحمل اللّظى في هذه السبيل، (و أن ليس للإنسان إلاّ
 ما سعى).

و (ربك) في (لو شاء ربك) تلميحة بتلك التربية الكاملة والكافلة لهذه الرسالة
 السامية، فلا تذررها الرياح ولا تصيبها الرماح حيث لا يضعها هدرأ هدرأ.

(وَ لَتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ لَيَرْضَوْهُ وَ لَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ
 مُّقْتَرِفُونَ) (١١٣:٦).

(و لتصغى ..) غاية طبيعية أتوماتيكية للذين لا يؤمنون بالآخرة، ثالوث ملعون

سالوس يشكّل كيانهم أمام إمامهم: (شياطين الإنس والجن)^١، والواو تعطف على محذوف معروف كـ (ليختبر عباده وليعلم الذين أتوا العلم أنه الحق من ربك ولتصغى) فصغى أفئدتهم لما يفترون على الرسالات هو من نتائج تقليبها عن صغى الحق، فللقلوب أسمع كما للأذان وأين أسمع من أسمع، كما لها أبصار كأبصار (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) (٤٦:٢٢) (و أتر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق حجب النور فتصل إلى معدن العظمه).

و قد تعني (لتصغى) غاية الصغى لـ (يوحى بعضهم ..) كما هي غاية الابتلاء لـ (جعلنا) وأين غاية من غاية، فإنها في ربانيتها خيرة إبتلاء، وفي شيطنتها شريرة بلاء!

و هنا المعطوف عليه كـ (ليضلوا بعضهم بعضاً بزخرف القول ولتصغى إليه زخرف القول) - (لتصغى) صغياً للقلوب المقلوبة والأفتدة المتفتدة بنيران الضلالة والمتناهة وبالنتيجة (و ليرضوه): (ما يفترون) ومن ثم (و ليقترفوا) هؤلاء الصاغون الراضون (ما هم) اولئك الشياطين (مقترفون) من تخلفات فاتكة هاتكة لحرمات الله أصلياً وفرعياً. فـ (تعوذ بالله من شر شياطين الجن والإنس)^٢ تعوذاً حقيقياً لثلاث تكون ممن قال الله: (و لتصغى ...) - (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم ..) بل تكون ممن قال: (و ليعلم الذين أتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) (٥٤:٢٢) وصغى الباطل وسقى الحق بصيغته للحق هما غايتان في خضم الإبتلاء لذلك الجعل الحكيم.

فليست وساوس شياطين الإنس والجن بالتّي تسير القلوب إلى شيطاناتهم، إلاّ

١. نور الثقلين ١: ٧٥٩ في كتاب الحصال مرفوع الى علي Δ قال: الأعمال ثلاثة احوال وفرائض وفضائل ومعاصي، واما المعاصي فليست بأمره الله ولكن ...

٢. الدر المنثور ٣: ٣٩ - اخرج احمد وابن ابي حاتم والطبراني عن ابي امامة قال: قال رسول الله 3 يا اباذر تعوذ بالله من شر شياطين الجن والإنس قال يا نبي الله وهل للإنس شياطين؟ قال: نعم شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً» .

القلوب المقلوبة من ذي قبل، وأما القلوب الصافية الضافية بعرفة الله فتزداد إيماناً وإيقاناً: (و نزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً).
 شياطين الإنس هنا يتقدمون ذكراً على شياطين الجن حيث البعض منهم أشطن من أولاء (وجوههم وجوه الآدميين وقلوبهم قلوب الشياطين) نفاقاً عارماً في شيطاناتهم، وقد يروى عن الرسول 3 (هم شر من شياطين الجن)^٢.
 ذلك، وإنهم بصورة واسعة على دركاتهم (من لم يجعله الله من أهل صفة الحق فأولئك هم شياطين الإنس والجن)^٣.

و ترى شياطين الجن هم - فقط - من ذرية الشيطان الرجيم؟ أم ومن ذرية سائر الجن؟، (اتخذونه وذريته أولياء وهم لكم عدو) تؤيد الأول، فسائر الجن ليسوا من الشياطين مهما فسقوا، فهم طرائق قِدَد، لا يولد شيطان منهم إلا من شيطان: (و أنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدداً) (١١:٧٢).

ذلك مهما كان الشيطان الأول هو من الجن: (... إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً) (٥٠:١٨)

فرغم أن في الإنس قد يولد شيطان من مؤمن أو مؤمن من شيطان، فليس في الجن هكذا توالد، فإنما يولد شياطين الجن من أنفسهم، والوالد الأول فيهم هو إبليس الشيطان الأول رأس زوايا الشيطنة.

١. نور الثقلين ١: ٧٥٩ في كتاب الحصال عن ابي عبد الله Δ قال: الإنس على ثلاثة اجزاء فجزءٌ تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله وجزءٌ عليهم الحساب والعذاب وجزءٌ وجوههم وجوه الآدميين وقلوبهم قلوب الشياطين.

٢. تفسير الفخر الرازي ١٣: ١٥٤ روي عن النبي 3 انه قال لأبي ذر: هل تعوذت بالله من شر شياطين الجن والأنس؟ قال قلت: وهل للإنس من شياطين؟ قال: نعم هم...».

٣. نور الثقلين ١: ٧٥٩ الكافي باسناده الى ابي عبد الله Δ حديث طويل يقول فيه Δ «فان من لم يجعله الله...».

ذلك، وقد تعني (شياطين الإنس والجن) - إلى ما عنت - الشياطين المختصين بإضلال الإنس، والآخرين المختصين بإضلال الجن، من إضافة الصفة إلى مفعوله، إذاً فشياطين الجن فريقان مقتسمان بين الإنس والجن ليضلّوهم، فكما أن شياطين الإنس يضلّون الإنس والجن، كذلك شياطين الجن يضلّون الجن والإنس، شيطانات مدروسة موحاة ومستوحاة فيما بينهم، تحلّق على الإنس والجن أصلية وفرعية.

فالوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس، ذلك الوسواس أعم من الجنة والناس دون اختصاص بجنة أو ناس، وسوسة من الشياطين بمختلف صنوفهم كما إلى صدور الجنة، كذلك إلى صدور الناس.

فهنا (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً) توحى أنهم يوسوس بعضهم إلى بعض تضليلاً له أكثر مما هو، ثم تشجيعاً لتضليل الآخرين من الإنس والجن.

و يا ليت أهل الحق اتخذوا ذلك المسلك الصامد لبث الهدى أن يوحى بعضهم إلى بعض مسالك الهدى ليزيدوهم هدىً على هدىً، وليصلحوا لذلك الإيحاء إلى الآخرين، تعاوناً على البر والتقوى كما يتعاون الشياطين على الإثم والعدوان ليتحقق الكفاح الصارم في الحق أمام الكفاح العارم في الباطل، دفاعاً صالحاً عن حوزة الحق: (ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) (٢: ٢٥١).

فالموازنة بين دعاية الحق والباطل تؤمّن أهل الحق عوناً، وتغلّب الدعايات الباطلة تشكل عليهم خطراً جاسماً حاسماً، ثم تغلّب الدعايات الحقّة تحسم مادة الباطل، وهكذا يجب أن يكون أهل الحق صامدين غير خامدين أو هامدين، (حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ...) (٨: ٣٩).

فكما أن أمر شياطين الإنس والجن شورى بينهم في تلك المواحاة المضللة المدللة في زخرف القول الغرور، كذلك فليكن أمر المؤمنين شورى بينهم في المواحات المهتدية الهادية بحق القول، بل وأوسع نطاقاً ورفاقاً من أولئك الشياطين تحقيقاً لدولة الحق وتمحيقاً لدولة الباطل.

ذلك والشيطان هو المتمرد عن الحق المتمحض في الباطل أياً كان، وقد يوصف به الحيوان المتمرد والجرثومة الخطرة وكل متمرد عن وجه الصواب.

و نكران وجود شياطين الجن كأصل الجن سناداً إلى عدم رؤيتهم ولمسهم كسائر المرئي، نكران جاهل ورمي في الظلام، فإن حوزة الإحساس الخاص لنا، هي ما أن يحس بجواسنا، دون المواد الرقيقة كالروح والجن والملائكة، وما أشبهه.

فأولئك الناكرون المتترسون بالعلوم التجريبية على مَ يرتكون، أعلى علمهم المحدد بالمحسوس من الكون؟ فذلك جهل! فإنه لا يحيط بعالم المحسوس لهم فضلاً عن غير المحسوس بالحواس البشرية، فمن التحكّم والتبجّح أن ينفي أحد بإسم (العلم) كائناتٍ غير محسوسة به، رغم قاطع البرهان على كونها.

فكما أن من شياطين الإنس غير محسوس كالأنفس الأمارة بالسوء، الموصولة في الصدور حيث نلمسها نفسياً مهما لا نلمسها حسياً، كذلك شياطين الجن غير المحسوسين بواقعهم، فـ (إنه يراكم هو وقبيله م حيث لا ترونهم) (٢٧:٧) بهذه الأبصار البشرية.

فكما أن يُوحي الفطرة والعقل ووحى العلم والشرعة الربانية أثبتت وجود الله وهو غير محسوس ولا مدرك بأي إدراك، كذلك وحي الشرعة أثبتت لنا وجود الملائكة والجن وسائر الغيب، ومن الإنسان ومن أشبهه الإيمان بالغيب قضيةً براهينه الساطعة.

ذلك وإن معركة الكفاح بين المؤمنين والشياطين معركة مصيرية، تتجمع فيها من ناحية تخطيطات الشيطانات لإمضاء حُطة مقررّة مغرّرة هي معاداة الحق الممثل في النبيين وسائر عباد الله الصالحين، يمد بعضهم بعضاً بكل وسائل الخداع والإعلام، إمتداداً للضلالة الموحاة بين بعضهم إلى بعض، وإلى سائر عباد الله لينضموا إلى حزبهم فيحلّق الشر على الكون كله.

ولكنه كيد غير طليق فإن ربك لهم بالمرصاد، وإن حملة الرسالات الإلهية برصيد الرسالة بكل المساعي الرسالية- لهم بالمرصاد.

و حين يتقاعد المؤمنون ويتقاعسون فهم الذين يَخسرون أنفسهم ويخسرون، وأما الله بشرعته وآياته فلا يخسر، ولكن الله لم يشرّع شرعته لنفسه أن يتشرع بها ويحققها

في نفسه، فإنما (شرع لكم من الدين) ولها حفيظان إثنان: حفيظ رباني يحفظها في قلوب المتشرعين، وحفيظ مئاً نحافظ عليها بمساعينا وكفاحنا الصارم في كل ميادين النضال بين الحق والباطل.

فمشهد تجمُّع الشياطين بإيحاءاتهم الشيطانية لتحقيق خُطتهم المقررة المرسومة بمواصلة الإيحاءات والدعايات بزخرف القول غروراً، جدير بأن يسترعي وعي أهل الحق ليعرفوا طبيعة هذه الخطة اللعينة وأبعادها، وليكرسوا كل طاقاتهم وإمكانياتهم للقضاء عليها كما يستطيعون.

كما ومشهد إحاطة المشيئة الربانية بخُطة الشياطين، جدير بأن يملأ قلوب أهل الحق الثقة بالله، تعليقاً لقلوبهم وأبصارهم بتلك القدرة القاهرة الباهرة، وتحليقاً لإمكانياتهم على تحقيق الحق وإبطال الباطل فـ (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) و(أن ليس للإنسان إلا ما سعى)، فلذلك:

(أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) (١١٤:٦).

(أفـ) إذ يترك الله حكماً يحكم بيني وبينكم ويحكم لصالح رسالتي عليكم - إذاً - (غير الله أبتغي حكماً) حيث ليس ليحكم، أم هو يحكم بغير صالح لي؟ (و هو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً) دون سواه حتى أبتغي للحفاظ عليه وعلى حكم سواه، وقد فصل الكتاب بما لا مزيد عليه ولا منقصة فيه ولا شبهة تعتريه، كتاباً مفصلاً بنفسه، مفسراً في نفسه، مبيناً بيناته، قمةً في الفصاحة والبلاغة في آياته، فيه تبيان كل شيء وتفصيله: (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) (١١:١١).

فذلك الكتاب المفصّل من لدن حكيم خبير يفصل الآيات، تفصيلاً للحق عن الباطل، دون أيّة عماية ولا غواية: (قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) (٩٧:٦) (.. لقوم يفقهون) (٩٨) (.. لقوم يذكرون) (١٢٦) (لقوم يتفكرون) (٢٤:١٠) (لقوم يعقلون) (٢٨:٣٠) و(لعلكم بلقاء ربكم توقنون) (٢:١٣) وعلى الجملة (و كل شيء فصلناه تفصيلاً) (١٢:١٧) (لكل من ألقى السمع وهو شهيد).

أترى حين يكون القرآن مفصلاً في نفسه وبنفسه، ونوراً ومنيراً وتبياناً لكل شيء فما هو الحاجة إلى مفسر سواه يفصله تفسيراً، اللهم إلا بياناً لتأويله وتبياناً! .
ذلك، ولأن (حكماً) هو الحاكم الحكيم الفضل العليم فلا يقضي إلا بالحق المطلق، وليس هو إلا الله، أو المرسل من عند الله فإنه حكّم بحكم الله.
و من حكّمته تعالى إنزال الكتاب مفصلاً، تبييناً لمعانيه كأفضله دون أي تخليط وتداخل، وهو أفضل شهيد على حكّمته تعالى الوحيدة غير الوهيدة.

لذلك (و الذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) فإنهم عارفون طبيعة وحي الكتاب ولغته، والقرآن هو القمة المرموقة منه، إضافة إلى بشارات الكتاب المحلقة على قرآن محمد ومحمد القرآن (فلا تكونن من الممترين) أيها الناظر إلى القرآن نبياً وسواه، فالنهي بالنسبة للنبي تأكيد للبقاء على إيقانه القمة، من باب التهييج والإلهاب ك (لا تكونن من المشركين) أو لا تكونن من الممترين ف (الذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) أو من باب (إياك اعني واسمعي يا جارة) فما امترى رسول الهدى 3 في رسالته لحظة ما، وقد روي أنه 3 عندما نزل عليه (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) قال 3: لا أشك ولا أسأل، تدليلاً على أنه لا واقع لشكّه وامترائه، فإنما يعني من هذه السلبية المؤكدة غيره شخصياً.

ثم ولغيره تثبيت لدلالة (الكتاب) والقرآن نفسه على وحي القرآن، وقد يتأيد ب(قل) أغير الله ..) فهنا أيضاً قل (فلا تكونن) أيها الناظر إلى القرآن (من الممترين) في هذه الرسالة السامية، وتأكيد النهي هو بمناسبة أكيد الآية القاطعة لهذه الرسالة قرآناً ورسولاً.
إذاً ف (الذين آتيناهم ..) تحوّل في الخطاب إلى صاحب الخطاب العتاب.

و استفهام الإنكار هذا (أفغير الله ..) موجّه إلى هؤلاء الذين يتطلبون آية على هذه الرسالة السامية، وبكأن القرآن ليس آية، وهو الآية الأم بين كافة آيات الرسالات، فتركه كآية رسالية شاملة ترك لآيات الله كلها، أفتريدون أن ابغى حكماً لرسالتي غير الله، وهو الحكم عليها بالقرآن؟! وهو أكبر شهيد بيني وبينكم فأني تؤفكون (ءإفكاً

آلهة دون الله تريدون)!

ذلك، و(قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) هي كما هنا
إستدلال بشاهدي رسالته: القرآن وسائر الكتاب.

(وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَ عَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)

(١١٥:٦):

إن (كلمت ربك) الدالة على رسالتك العظيمة الغالية، الشاملة لكل ما يحتاجه
المكلفون منذ بزوغها إلى يوم الدين، إنها تمت بهذا القرآن العظيم، (تمت .. صدقاً) و(تمت
.. عدلاً) فكل قضايا الصدق والعدل الرباني مدلولة لكلمات ربك: القرآن ونيبه (لا
مبدل لكلماته) السالفة على أنبياءه رغم أنها كانت محددة لزمن خاص فضلاً عن هذه
الكلمة التامة الخالدة.

و هنا (كلمة ربك) بإفراد تعني محمداً والقرآن فإنهما كلمة واحدة تحملان هذه

الشرعة الأخيرة شرعة وداعية.

صحيح أن كلمات الرب رسولياً ورسالياً على مدار الزمن تامة صدقاً وعدلاً، ولكنها
تامة صالحة لردح من الزمن لكل رسول برسالته، وليست تامة طليقة، ف (تمت) هنا
تعني التامة الطليقة التي ليس فوقها تمام، فليس معها أو بعدها كلمة رسولية أو
رسالية إلى يوم الدين، إذ لا مبدل لهذه الكلمة إلهياً ولا خلقياً، مهما كان لسائر
الكلمات الربانية مبدل إلهي، ف (لا مبدل لكلماته) تستغرق أي تبديل للكلمة الأخيرة،
وتختص سلب التبديل الحق في سائر كلمة بغير الإلهية حيث تبدلت إلهياً، كما وتبدلت
بشريعياً بغير حق، ولكن هذه الكلمة لا مبدل لها إلهياً، ولا بشريعياً لا حقاً ولا باطلاً إذ لا
تحريف فيها ولا تجديف.

اجل فلا مبدل لها ربانياً فضلاً عن مبدل سواه (و هو السميع) مقالات الممتزين

(العليم) بمجالاتهم، سمعاً وعلماً بكل مجالاتهم وبما يقوله أهل الحق ويعلمون ويعملون.

فهنا (كلمة) - جنساً - تعم كافة الدالات والدلالات الرسولية والرسالية أمأهيه،

الدالة على كامل الربوبية تكوينية وتشريعية في هذه الرسالة الأخيرة و(ربك) - دون

(رب العالمين) وما أشبه - تلمح إلى بالغ الربوبية، المتمثلة في التربية المحمدية رسولياً

ورسالياً فإنها القمة العالية منها، فد (تمت كلمة ربك) إذا ختمٌ للتريبات الربانية في كل حلقاتها وحقوقها، فلا تمام بعدها ولا تبديل، مما يبرهن على خاتمية خاتم النبيين رسولياً وخاتمية القرآن رسالياً، وكل ذلك (صدقاً وعدلاً) فليس بعد تمام كلمت ربك صدقاً وعدلاً إلا كلمة الشيطان كذباً وظلماً، وهي كافة المختلقات الزور والغرور من كتابات وسواها بعد القرآن مما يدعى كونه وحياً.

أجل (و تمت كلمة ربك) في كل مصاديقها الصادقة لفظية أو عينية، فحين يكون المسيح كلمة من الله كما هو رسوله جمعاً بين كلمتي الرسالة والآية الرسالية: (إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته) (١٧١:٤) فمحمد 3 بقرآنه العظيم أخرى تماماً وكمالاً وختماً للكلمات الرسولية والرسالية، فلا آية بعد القرآن كما لا رسالة بعد رسول القرآن.

و حين (ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتّمهن) (١٢٤:٢) فابتلاء محمد 3 بكلمات أنبل وأعلى حيث تمت بها الكلمات.

إذاً فيما تتمم الكلمات في نفسه وفي كتابه، في ابتلاآت وكل كلماته (و اتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً) (٢٧:١٨) ، وذلك، لأنها (كلمت ربك) فكما أنك (أول العابدين) والعارفين لربك بتريبتك القمة، كذلك (كلمت ربك) لك ولكل العالمين إلى يوم الدين.

فذلك التمام تمام في كل حقوله، زمنياً وكمالاً وحالاً ومآلاً وعلى أية حال، والكلمة العليا في هذه الرسالة هي (لا إله إلا الله) حيث تحلق على كل جنباتها لأتم درجاتها ومنها كسر الأصنام بكل صنوفها وصفوفها، فقد (دخل النبي 3 المسجد الحرام يوم فتح مكة ومعه مخضرة ولكل قوم منهم صنم يعبدونه فجعل يأتيتها صنماً صنماً ويطعن في صدر الصنم بعضاً ثم يعقره كلما صرع صنم أتبعه الناس ضرباً بالفؤوس حتى يكسرونه ويطرحونه خارجاً من المسجد والنبي 3 يقول: و تمت كلمت ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم)^١.

و كان يعوذ نفسه والحسنين عليهما السلام وغيرهما بكلمات الله التامة من كل

١. الدر المنثور ٣: ٤٠ - اخرج ابن مردويه عن ابي اليمان جابر بن عبد الله قال دخل النبي 3 ...

شيطان وهامة ومن كل عين لامة ..^١.

فلقد تمت كلمت التوحيد بكلمة عن شروطها، وكلمة الرسالة بمحمد 3 بنفسه وبكلمة القرآن، وكلمة الخلافة المعصومة عنه 3^٢ وهكذا كل كلمة من الله تعالى. لقد قال الله وفعل وكوّن كل كلماته التي كان من الصالح أن يقولها ويفعلها ويكوّنهما للعالمين فلم تبق له كلمة إلاّ وقد قالها هذه الرسالة السامية دون إبقاء. صحيح أن آيات الله ورسالاته كلها من كلمات الله، وهي كلمة واحدة تدل على ربوبية واحدة برسالة واحدة، ولكنها قبل الكلمة الأخيرة القرآنية المحمدية كانت تترى متكاملة في فترات الزمنية، رسالة بعد رسالة وشرعة بعد شرعة، ثم تَمَّتْ كَوْنًا وَكِيَانًا وزماناً بهذه الكلمة الأخيرة (صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته) بتبديل النسخ أو التكميل

١. فمن تعويذة الحسين ما في الدر المنثور ٣: ٤٠ عن ابن عباس قال كان النبي 3 يعوذ الحسن والحسين H أعيدكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة، ثم يقول كان ابوكم ابراهيم يعوذ بها اسماعيل واسحاق.

ومن تعويذه نفسه ما اخرجه النسائي والبيهقي عن ابن مسعود قال لما كان ليلة الجن اقبل عفريت من الجن في يده شعلة من نار فجعل النبي 3 يقرأ القرآن فلا يزداد إلاّ قرباً فقال له جبرائيل: ألا اعلمك كلمات تقوهن ينكب منها لفيه وتطفأ شعلته؟ قل اعوذ بوجه الله الكريم وكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل ومن شر كل طارق إلاّ طارقاً يطرق بخير يا رحمن، فقال لها فانكبّ لفيه وطفئت شعلته، واخرج ابو داود والنسائي وابن ابي الدنيا والبيهقي عن علي Δ عن رسول الله 3 كان يقول عند مضجعه: اللهم إني اعوذ بوجهك الكريم وكلماتك التامة من شر ما أنت آخذ بناصيته انت تكشف المغرم والمأثم اللهم لا يهزم جندك ولا يخلف وعدك ولا ينفع ذا الجد منك سبحانه ومحمدك ..

ومن تعويذه 3 غيره ما عن خولة بنت حكيم سمعت رسول الله 3 يقول: من نزل منزلاً فقال: اعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق، لم يضر شيء حتى يرتحل من منزله ذلك، وعن ابي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله 3 فقال يا رسول الله 3 ما لقيت من عقرب لدغتنني البارحة؟ قال: أما إنك لو قلت حين امسيت اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك.

٢. نور الثقلين ١: ٧٦٠ في احاديث عدة ان هذه الآية مكتوبة على جبين والعضد الأيمن من كل امام من الأئمة عشر حين ولدوا، رواه ابو بصير والحسن بن راشد ويونس بن ظبيان ومحمد بن مروان كل عن ابي عبد الله Δ.

أم أي تبديل بتحريف وتجديف، حيث القرآن هو الوحيد بين كتابات الوحي في ميّزاتٍ ومنها عدم تحرفه كما ضمن الله: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (٩:١٥) .

و هنا (لا مبدل) نهى إلى نفي، إخباراً بعدم تبدل كلماته ونهياً عنه، تبديلاً عن جهات أشراعه بكل تأويل عليل، أو تبديلاً لمواضعه أن تؤلف نسخة غير ما بأيدينا منذ تأليفه من الرسول 3 بوحى من الله.

ذلك، ولأنها تمت جملة وتفصيلاً وحصولاً وتحصيلاً في ردح الوحي بكرة وأصيلاً دون أن يتدخل فيها غير الله، سبحانه وتعالى عما يشركون.

و قد تعني - فيما عنت - (صدقاً) كلمة الإخبار، و(عدلاً) كلمة الإنشاء، ولا تخلو كلمة القرآن ونبي القرآن عن إخبار أو إنشاء، أو جمعاً بينهما، فقد أنشأ القرآن إنشاءً كما أنشأ إنشاءً، وأخبر إخباراً كما أخبر - فيما أخبر ب كله - إخباراً، أنه الآية الوحيدة الخالدة غير الوهيدة على مدار الزمن إلى يوم الدين: (أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون. قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً يعلم ..

آيات الرسالات

٢

(وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَ مَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ) (١٢٣:٦):

و كما (جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن ..) (١١٢) و(زين للكافرين ما كانوا يعملون) (١٢٢) وجعلنا من الناس أحياء بالإيمان ومنهم أمواتاً بالكفر، (وكذلك جعلنا ..) جعلاً تكوينياً أن لم نصدّهم عن تطاولاتهم المجرمة، بل أملينا لهم (ليمكروا فيها ..) و(أملي لهم إن كيدي متين) (٤٥:٦٨) (كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً) (٢٠:١٧) .

و ذلك قضية حكمة الإبتلاء الحكيمة ليتم الإبتلاء بعظم البلاء، وينفذ القدر المقدر، وتحقق الحكمة من دار الإبتلاء، فيمضي كلُّ فيما هو ميسر له دون أن يكون مسيراً في خير أو شر.

فلأن شرعة الله تُمَحور القضاء على الأَكابر المستكبرين، لذلك فهم يقفون أكثر ممن سواهم موقف العدا من شرعة الله، حيث تبدأ من نقطة تجريد هؤلاء من كبرياتهم وعلواتهم.

فكما أن رسل الله هم أكابر العارفين بالله، العابدين الله، كذلك أعداءهم - في الأصل - هم أكابر الجاهلين بالله التاركين عبودية الله، سنة جارية في كل قرية، مستمرة حتى تقوم دولة الحق العالمية الكبرى بصاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

إنها معركة مصيرية محتومة بين كتلتي الإيمان والكفر، قائمة على أساس القضاء بين القاعدة الأولى لشرعة الله - وهي حصر الحاكمية كلها لدين الله - وبين أطماع أكابر المجرمين في القرى: (و إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمرناها تدميراً) (١٦:١٧) .

ذلك، ولكنه لا خوف على أهل الإيمان من (أكابر مجرمينها ليمكروا فيها) إذ (وما يكرون إلا أنفسهم وما يشعرون) - (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله).
أجل، ولأنه ليس المؤمنون وحدهم يخوضون تلك المعارك المهالك، فالله وليهم فيها وهو حسبهم حيث يرد على اكابر المجرمين كيدهم وميدهم (و ما يكرون إلا أنفسهم وما يشعرون) فان ضرر المكر راجع أولاً إلى أنفسهم دون رادع، ثم الله رادع مكرهم عن المؤمنين الصالحين، مهما لم يردع عن (زاغوا فأزاع الله قلوبهم) فإنهم من ذاك النمط.

ذلك و(أكابر مجرميها) تحلق على كافة الكبراء والمستكبرين بدولة الحال أو دولة المال، والحاصلين على أية وسيلة من وسائل الإستكبار الاستعمار والاستثمار الاستحمار، والاستبداد الاستخفاف الاستضعاف، الأبواب السبع الجهنمية المفتحة من قبل الأكابر على سائر الناس.

و هنا (اكابر) مفعول ثان لـ (جعلنا) والأول هو (مجرميها) ان (جعلنا مجرميها اكابر) حيث الاسم الأوّل هو في الأصل مبتدئ فليكن معروفاً.
و لأن الإجماع ليس إلا على قدر الكبر، فذلك الجعل يعني انه تعالى لم يمنع الأكابر عن اجرامهم الكبير (ليمكروا فيها) كما يستطيعون حتى يخلص الغث من السمين والخائن من الأمين (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي بينة) (و يكرون ويمكروا الله والله خير الماكرين).

و قد تعني اللام في (ليمكروا) العاقبة العاقبة لذلك الجعل اتوماتيكياً، دون ان يريده الله توفيقاً لهم في مكرهم، كما لم يرد اجرامهم اللهم إلا عدم الصد عما يفعلون، فهي كـ (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً) (٨:٢٨) في قصة أخذ موسى من اليم، إذ لم يقصدوا منه إلا خيراً: (لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون) (٩:٢٨) أم هي غاية لهم مقصودة، فـ (جعلنا ليمكروا) تعني - إذاً - ما صددناهم عن مكرهم (ليمكروا فيها) مخيرين غير مسيرين.

ذلك واكبر الاجرام ما إذا جمع ثلوث الذرايع اليه والدوافع له من دولة المال ودولة

الحال والعلم بمختلف الأحوال ولا سيما ظاهرة علم الدين، فيا عجباً من ذلك الاجرام المثلث حيث لا قبل له.

(ألا فالحذر الحذر من طاعة سادتكم وكبرائكم، الذين تكبروا عن حسيهم، وترفعوا فوق نسيهم، وألقوا الهجينة على ربهم، وجاحدوا الله على ما صنع بهم، مكابرة لقضائه، ومغالبةً لآلائه، فإنهم قواعد أساس العصبية، ودعائم اركان الفتنة، وسيوف اعتزاز الجاهلية) (٣٤١/١٩٠).

و هؤلاء الأكابر المجرمون، وحمقى الطغيان المتفرعون، يحيلون إيمانهم بآية إلا كما يشتهون:

(وَ إِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلَ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ) (١٢٤:٦):

هذا من أمكر المكر حيث يحيل إلى البسطاء أن صاحب آية غير ما أوتي رسل الله ليس من رسل الله، وكأنهم من مصدقي رسل الله إذا صدقت رسالاتهم بآياتهم المتواصلة المتشابهة، وأما إذا تخلفت آية عنها فليسوا هم بمصدقها كآية القرآن العظيم، ويكأنهم أعلم من الله بكيان الآيات الرسولية التي تثبت الرسالة، (والله أعلم حيث يجعل رسالته) فحيثية الرسالة الختمية تتطلب آية خالدة تمشي مع الزمن وتهدى كل أهل الزمن، فلو أن الله بعث خاتم الرسل بآيات الرسالات الأخرى، المؤقتة لردح من الزمن الرسولي، لكانت آية ناقصة ناقضة لخلود الرسالة.

صحيح أن الآيات الرسالية السابقة كانت عابرة غير باقية عبر كل رسالة إلا أن الرسل اللاحقين كانوا بآياتهم مصدقين لكل سابقة، رسالات متواتية بآيات متشابهة يصدق بعضها بعضاً، ولكن الرسالة الأخيرة لا مصدق لها بعد ارتحال رسولها إلا آيتها الخالدة: القرآن العظيم.

و هؤلاء الأكابر المجرمون المختلقون لهذه الشبهة الماكرة أصابوا بها القرآن صغاراً كأنه آية صغيرة غير كافية أم ليست آية، ف (سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب

شديد بما كانوا يمكرون) .

أجل، ولو كانوا هم أولاء - كما يدعون - عالمين حيث تُجعل رسالة الله ف (الله أعلم) منهم (حيث يجعل رسالته) لأنه هو الله العالم الغيب والشهادة، وهو المرسل - كما يعلمون - سائر الرسل بسائر الآيات المعجزات.

و ليست آية القرآن شاذة عن سائر الآيات إلا في صورتها، وأما سيرتها فهي أقوى وأبقى دلالة خالدة على خلود هذه الرسالة السامية، فكيف تصبح الآية الأقوى والأبقى فعلية وفاعلية أبعد عن التصديق لعدم التشابه في صورتها مع الآيات الأخرى، ويكأنها هي الأصيلة التي تقاس عليها غيرها.

ذلك، ولو أن عدم التشابه الصوري بين آيات الرسالات يقضي على حجية اللاحقة غير المشابهة للسابقة، فلتكن الآية الأولى هي المصدقة فقط، ثم اللاحقة لها كلها مطرودة لعدم التشابه الكامل، ولا تشابه بين فلق البحر لموسى وإحياء الموق لعيسى عليهما السلام!

و لئن قالوا إن الأصيلة هي الأولى بازغة الرسالات، يقال له: بأية حجة هي الأصيلة والتالية ليست بها، رغم أن الرسالات بآياتها متدرجة إلى أعلى فأعلى حتى تنتهي إلى عليها الوحيدة الخالدة كما القرآن العظيم.

و هنا (الله أعلم حيث يجعل رسالته) لا تختص بآية الرسالة، بل هو الحيث الرسالي رسولاً ورسالة بآياتها المثبتة لها وأصلها وزمانها ومكانها حيث الحيث هنا يخلق على كل حقول الرسالة وأبعادها، فقد نظر الله في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد وأصفاها واضفاها فاصطفاه لنفسه فأضفاه لرسالته الأخيرة التي تحمل الرسالات كلها، وجعل لها آيتها الخالدة رسولية ورسالية: القرآن العظيم.

(و قالوا لو لا انزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين. أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون. قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً يعلم ما في السماوات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون) (٥٢:٢٩) .

فقد عنوا من قائلتهم: (لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله) المشابهة الطليقة بين الرسل بما أوتوا من آيات رسولية، وآيات رسالية هي شرعتهم وكتاباتهم، وحدويّة في الرسائل بكل أبعادها دون أي اختلاف صوري في الأحكام ولا الآيات، مما ينقص وينقص كل الرسائل بعد الأولى، فإنها تختلف رسوليّاً ورساليّاً في بعض المظاهر الأحكامية وآياتهم، وما أسخفه قولاً هو بظاهره صالح حيث يتظاهر بوحدة الرسائل، وفي باطنه مكرٌ يجتث كل الرسائل عن جذورها: (أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) (٣٢:٤٣) .

و يا للهول من مكرهم الماكر الحاكر في خِصْمِهِ كلِّ صنوف المكر، أنهم وهم أكابر المجرمين الناكرين للرسالات كلها يرفعون عَلمَ الوحدوية الرسالية، محتاطين في الأخيرة لأنها لا تشبه سائر الرسائل ؟ زعم أن المتقدمة هي الأصيلة لقدمتها! .
وما قيلتهم الغيلة، تلك الغائلة العليلة، إلا كقيلة اليهود: (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لو لا أوتي مثل ما أوتي موسى أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل ..) (٤٨:٢٨) .

و قد تلمح (حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله) أن تطلبوا - فيما هم مقترحون - أن يُؤتوا رسالة كما أوتي رسل الله، و(الله أعلم حيث يجعل رسالته) .
(قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِثْلَ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ) (١٦١:٦) .

(قل) إِبْرَازًا باللسان ككامن الجنان، وإِبْرَازًا بالأركان، بروزاً في مثلث القال والحال والفعال (إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم) وهو صراط المنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، ولست فقط مهدياً إلى صراط مستقيم، بل و(إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم) لأعلى قممه، حيث السالكون فيه درجات، فالسلوك فيه أيضاً درجات مهما كان الصراط المستقيم واحداً لا عوج له (و أن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .

و قد وصف (صراط مستقيم) هنا بـ (ديناً قِيَمًا) هو إما مخفف (قياماً) كما يقال،

فالصراط المستقيم في العبودية هو الطاعة القيام، قائمةً على مدار الزمن الرسالي، مقيمة للميتات في طاعة غير الله إلى حياة طاعة الله، ففيه - إذاً - كافة القوامات والقيامات والقيم الصالحة كأكمل ما يمكن وجاه الله تعالى كما يجب ويرضى.

فـ (قيماً) وهي القيام تحلّق على كل قوامات الدين وقياماته وقيمه وإقاماته، من إقامة الوجه لدين الفطرة: (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (٣٠:٣٠) (فأقم وجهك للدين القيم) (٤٣:٣٠) والقيام لله: (وقوموا لله قانتين) (٢٣٨:٢) وإقامة الدين: (أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه) (١٣:٤٢) والإستقامة فيه (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة) (٣٠:٤١) (و استقم كما أمرت) (١٥:٤٢) (إنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه) (٦:٤١) .

أم (قيماً) جمع (القيمة) أن ذلك الصراط المستقيم دينٌ يجمع في نفسه كافة القيم الصالحة للإنسان وجاه الرب ووجاه كافة الحيويات البالغة الإنسانية، وهذا هو الأظهر من مخفف القيام، فإنه في نفسه خفيف لا يحتاج إلى تخفيف وكما يذكر (قياماً للناس) ولا يصح مثل هذا التخفيف في موضع اللبس كما هنا، فهو - إذاً - (ديناً قيماً) تجمع كافة القيم في نفسه دون إبقاء، ولا ضير في توصيف مفرد الدين بجمع القيم حيث الدين هو في المعنى جمعية القيم، وتعاكسهما (هم العدو) اعتباراً بوحدة العدو في جمعيتهم.

إذاً فدين القرآن دين قيم حيث يضم في دفتيه كافة القيم القيمة في توجيهاته دون إفراط ولا تفريط، فان فيه تبيان كل شيء يحتاجه المكلفون إلى يوم الدين.

(ديناً قيماً) ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) وهذه الملة هي ملة التوحيد، فتوحيد الطاعة والطاعة التوحيدية عبارة أخرى عن (ديناً قيماً) وكل القيم الصالحة تتبني قيم التوحيد وهو ملة إبراهيم حنيفاً.

و طالما الملة التوحيدية درجات ولكنها تتوحد في (صراط مستقيم) وإن كان سالكوه درجات، فهدي محمد 3 إلى ذلك الصراط لا يعني إلا أصل سلوكه فيه، دون

القمة السلوكية في ملة التوحيد الخاصة بسماحته، المخصوصة بساحته، فاتباعه ملة إبراهيم ليس إلاّ إتباعه لأصلها التي قررها الله لإبراهيم، وليس أتباعه في قدره المقدر لإبراهيم، فإن محمداً 3 هو أوّل العابدين: (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أوّل العابدين)^١ ولقد كان رسول الله 3 إذا أصبح قال: (أصبحنا على فطرة الإسلام وحكمة الإخلاص ودين نبينا محمد 3 وملة أبينا إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين، وإذا أمسى قال مثل ذلك)^٢.

ذلك، والمصداق الثاني للصرط المستقيم هو الإمام علي Δ حيث ربّاه بتربيته وجعله يأذن الله على صراطه، وكما كان يقول له Δ : (من أحبك لدينك وأخذ بسبيلك فهو ممن هدي إلى صراط مستقيم)^٣.

(قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (١٦٢:٦):

ذلك المربع يعني توجيه كيان الإنسان ككل إلى التوحيد، موحداً في (صلاتي) موحداً في (نسكي) وهي كافة العبادات بل وكل الإتجاهات، وموحداً في (محياتي) حياةً وزمانها ومكانها وكل مكانتها، وموحداً في (مماتي) فكما أن حياتي مكرّسة لله رب العالمين) كذلك (مماتي لله رب العالمين).

ذلك، فقد تعني تكريس كلّ الإمكانيات في كافة الواجهات في مربع الصلاة والنسك والحياة والممات (لله رب العالمين) إضافة إلى الإنشاء أن ذلك كله لله بقدرته الطليقة:

(لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) (١٦٣:٦):

(لا شريك له) في صلاتي ونسكي ومحياتي ومماتي (وبذلك) المربع من كيان

١. نور الثقلين ١: ٧١٥ في تفسير العياشي عن النبي 3 حديث طويل يقول فيه وقد ذكر إبراهيم Δ :

دينه ديني ودينه دينه وستته سنتي وستتي سنته وفضلي فضله وأنا أفضل منه.

٢. الدر المنثور ٣: ٦٦ - اخرج احمد وابو الشيخ وابن مردويه عن ابن ابري عن ابيه قال: ...

٣. نور الثقلين ١: ٧٨٥ في أمالي الشيخ الطوسي باسناده الى النبي 3 حديث طويل يقول فيه لعلي Δ :

التسليم (أمرت) حيث أمرني ربي (و أنا أوّل المسلمين) بين كل من أسلم ويسلم لرب العالمين: (قل إنني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين. وأمرت لأن أكون أوّل المسلمين)(١٢:٣٩) .

إذاً فمحمد 3 (أوّل المسلمين) على الاطلاق فيما أمر في مثلث الزمان، أوّلية طليقة في كيان الإسلام دون زمانه أو مكانه حيث سبقه مسلمون كثير.

ذلك، وكما لا نجد أوّل المسلمين في القرآن إلاّ هو كما هنا وفي آية الزمر، فلا نجد في نوح إلاّ (و أمرت أن أكون من المسلمين) (٧٢:١٠) وفي إبراهيم (أسلمت لرب العالمين) (١٣١:٢) و(ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ..) (١٢٨:٢) حيث يعني المعصومين الأربعة عشر في هذه الأمة وقد فضلوا عليه وعلى أضرابه فضلاً عن دونه بأنه (أوّل المسلمين) كما أنه أوّل العابدين (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أوّل العابدين) (٨١:٤٣) وترى (قل ...) هذا يخصّ الرسول 3 وذويه المعصومين عليهم السلام فحسب أم هي للمسلمين عامة ؟ .

ذلك كله للمسلمين عامة كمسؤولية هامة لهم كلهم، اللهم إلاّ (و أنا أوّل المسلمين) حيث الأوّلية الزمانية لا تناسب أيّاً منهم، وبأحرى الرتبة حيث سبقهم أولون كثير، وفوق الكل نبينا 3 المخصوص به ذلك المحتد القمة، السامقة العالية الغالية التي لا تسامى أو توازى، وهكذا نفس ما يروى عنه 3 (بل للمسلمين عامة) في جواب الصديقة الطاهرة الزهراء سلام الله عليها^١.

(قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أُنْبَغَى رَبِّاَ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَ لَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَ لَا

١. الدر المنثور ٣:٦٦ - اخرج الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي عن عمران بن خصين قال: قال رسول الله 3 يا فاطمة قومي فاشهدي اضحيتك فانه يغفر لك بأول قطرة تقطرين رمها كل ذنب عملتيه وقولي: «إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك وأمرت وأنا أوّل المسلمين» قلت: يا رسول الله 3 هذا لك ولأهل بيتك خاصة فأهل ذلك أنتم أم للمسلمين عامة ؟ قال: بل للمسلمين عامة.

تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ
(١٦٤:٦):

أنا محمد 3 وقد ربّاني ربي أفضل من كافة المربوبين إذا ف : (أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء) فعلي أن أبغيه رباً قبل كل شيء كما مع كل شيء ولكنه أفضل من كل شيء، ولا ينفعني أن يعبدني كل شيء وأنا تارك، إذ (و لا تكسب كل نفس إلاّ عليها) فلو أن كل شيء ترك ربوبيته إلى ما سواه وأنا تارك كل شيء سواه ف (لا تكسب كل نفس إلاّ عليها) دون من سواها (و لا تزر وازرة وزر أخرى) كضابطة ثابتة في كل الحقول، حيث لا تحمل حاملة حمل أخرى، فلا يخفف أحد عن أحد ثقلاً بأن يحمله عنه إذ لا يشاظره حملاً، لأن كل إنسان في ذلك اليوم العصيب مشغول بنفسه ومفروح أو مقروع بحمله، وأما الشفاعة فليست هي من حقل الحمل لأثقال الآخرين، بل هي التماس من الله أن يعفو عن يساء ويرضى (و لا يشفعون إلاّ لمن إرتضى) .
(ثم إلى ربكم مرجعكم) فيما عبدتم من مختلف المعبودين (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) إنباءً علمياً بعدما تجاهلتم، وإراءة لما جهلتم، وتحقيقاً لواقع ما بغيتم وابتغيتم من دون الله.

(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) (١٦٥:٦):

(جعلكم) أنتم المكلفين ككل (خلائف) يخلف بعضكم بعضاً في (الأرض): (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ...) (٣٩:٣٥): (و اذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ..) (٦٩:٧): (و جعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) (٧٣:١٠) .

ذلك (و رفع بعضكم فوق بعض درجات) في القابلية والفاعلية العقلية والعلمية والبدنية والإقتصادية أماهيه من تفاضلات خَلقية أم على ضوء المساعي والإستحقاقات (ليبلوكم فيما آتاكم) حيث الوجد وسواه بلية في حقل المسؤولية تطبيقاً وتحليلاً فيها (إن ربك سريع العقاب) في موضع النكال والنقمة (إنه لغفور رحيم) في موضع العفو

والرحمة (فلتنظر نفس ما قدمت لغد) .

ذلك، وهنا (خلائف الأرض) تعم خلافة النسل الأخير من الإنسان خليفة للأنسال المنقرضة منه وكما (قال ربك إني جاعل في الأرض خليفة) ثم خلافة كل قرن عن قرن وقرون قبله، وخلافة عمَّن تَبَقَّى مع نوح عن الذين غرقوا، ومن ثم خلافة كل أمة رسالية عن أمة قبلها، (و رفع بعضكم فوق بعض درجات) وتلك الخلافة في مربعا وهذا الرفع درجات (ليبلوكم فيما آتاكم) من قوة وشرعة، وقد اختصت الشرعة بما آتاكم في (... لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) (٤٨:٥). (أجراً عظيماً) (٧٤:٤)¹.

فأنفس المؤمنين وأموالهم في هذه التجارة المربحة هي بمنزلة العَروض المبيعة، والأعواض المضمونة هي بمنزلة الأثمان المنقودة، والصفقة رابحة خالصة غير فالسة ولا كالسة، لزيادة الأثمان على السلع، وإضعاف الأعواض على القيم.

و هنا الجنة جنتان جنة الجنان وجنة الرضوان، ومبتغى أهل الله في الأصل هو الثان: (و من الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد) (٢٠٧:٢) إذ (رضوان من الله أكبر) (٧٢:٩) .

و هنا (إشترى) منذ الفطرة إلى العقلية الإنسانية، إلى العقلية الإيمانية، وهم قابلون هذه التجارة الراجحة المربحة: (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من

١. الدر المنثور ٣: ٢٨٠ - أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي وغيره قال قال عبد الله بن رواحة لرسول الله 3: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، قال: اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: الجنة، قال: ربح البيع لا تقبل ولا نستقبل فنزلت هذه الآية، وفيه أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال: نزلت هذه الآية على رسول الله وهو في المسجد فكبر الناس في المسجد فأقبل رجل من الأنصار ثانياً طرفي رداً على عاتقه فقال يا رسول الله أنزلت هذه الآية؟ قال: نعم فقال الأنصاري: بيع ربيع لا تقبل ولا نستقبل.

عذاب أليم. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) (١١:٦١).

ثم (أنفسهم) تعني إلى أنفسهم الذاتية، الذين يتعلقون بهم كأنفسهم نسبياً أو سببياً، كما أن (أموالهم) تعني إلى الحاضرة، الأموال التي بإمكانهم الحصول عليها، مضحين بكل طاقتهم وإمكانياتهم (يقاتلون في سبيل الله) ثم لهم إحدى الحسينين (فيقتلون) وهي حسنى الغلبة على أعداءهم (ويقتلون) كخطوة أخيرة حين لا يتمكنون أن يقتلوا أو يحافظوا على حياتهم فيقدمون حياتهم لإحياء سبيل الله وهي الحسنى الأخرى، وقد يجمعون بينهما أن يقتلوا ثم يقتلوا وهما على سواء لهم (في سبيل الله) وعن النبي 3 قال: (من سل سيفه في سبيل الله فقد بايع الله).

و ذلك (بأن لهم الجنة) بمراتبها حسب مراتبهم في هذه التجارة، وعُلياها هي جنة الرضوان.

(وعداً عليه) إذ كتب على نفسه هذه الرحمة الغالية المتعالية (في التوراة والإنجيل والقرآن) فإن في هذه الكتب الثلاثة تشجيعات وذكريات عن المقاتلين في سبيل الله بما كتب الله على نفسه (بأن لهم الجنة) ومن هذه الجنة هنا إحدى الحسينيين.

(إن الله اشترى ...) فمنهم من ينسى عهده توابياً عن القتال، ومنهم الموفى بعهده (و من أوفى بعهده الذي عاهد عليه الله) يقال لهم: (فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به) وبيعهم هنا مبيعهم: (أنفسهم وأموالهم) حيث بايعوا به (بأن لهم الجنة) - (وذلك هو الفوز العظيم).

هنا (فيقتلون ويقتلون) تسوي في حقل الجهاد بالأنفس فاعلية القتل ومفعوليته، فإن قتل وقُتل فقد جمع بين الجهادين، وإن فاز بأحدهما فهو شهيد في جانب واحد، وعلى أية حال فالشهيد القليل في سبيل الله له درجة عند الله عالية غالية، وإليكم مقتطفات مما روي عن النبي 3 بحق الشهداء في سبيل الله:

١. الدر المنثور ٣: ٢٨٠ - أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة قال قال رسول الله 3: ...

(لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيأ ثم أقتل ..) ^١ و(توكل الله بالمجاهد في سبيله أن يدخله الجنة) ^٢ و(إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيله) ^٣ و(تمتّي الشهيد أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات) ^٤.

وترى (من أوفى) شرطيةً جزاءها (فاستبشروا)؟ وصالح الجزاء إذاً - (فليستبشروا) ليوافق فاعل الشرط، إنَّ (من الله) قد تلمح أن (أوفى) أفعال تفضيل!

أم هو إستفهامية إستفهامية و(أوفى) تفضيل؟ وفاصل (بعهده) بين المفضل والمفضل عليه لا يناسبه حيث الفصيح - إذاً - (من أوفى من الله بعهده)! ثم لا موقع للفاء إذ لا شرطاً!

قد تتحمل (من أوفى) كلا الشرطية والإستفهام، وأما (فاستبشروا) شرطاً فتحوّل من

-
١. مفتاح كنوز السنة بخ - ل ٥٦ ب ٧ و ١١٩، ل ٩ ب ١ ونس - ل ٢٥ ب ٣ و ٢٠ ومج - ك ٢٤ ب ١ وما - ل ٢١ ح ٢٧ و ٤٠ وح - ثان ص ٢٣١ و ٣٨٤ و ٤٢٤ و ٤٧٣ و ٤٩٦ و ٥٠٢.
- أقول وبياناً لهذه الرموز: بخ = صحيح البخاري - مس = صحيح مسلم - بد = سنن أبي داود - تر = سنن الترمذي - نس = سنن النسائي - مج = سنن ابن ماجه - مى = سنن الدارمي - ما = موطأ مالك - ز = مسند زيد بن علي - عد = طبقات ابن سعد - حم = مسند أحمد بن حنبل - ط = مسند الطيالسي - هس = سيرة ابن هشام - قد = مغازي الواقدي.
- ثم: ك = كتاب - ب = باب - ح = حديث - ص = صفحة - ج = جزء - ق = قسم - قا = قابل ما قبلها بما بعدها - م م م فوق العدد من جهة اليسار تدل على أن الحديث مكرر مرات والرقم الصغير فوق العدد من جهة اليسار يدل على أن الحديث مكرر بقدره في الصفحة أو في الباب.
٢. بخ - ل ٥٦ ب ٢ ول ٥٧ ب ٨ - مس - ل ٣٣ ح ١٠٣ و ١٠٤ - بد - ل ١٥ ب ٩ وتر - ك ٢٠ ب ١ ونس - ك ٢٥ ب ١٤ ومج - ل ٢٤ ب ١ ومى - ك ١٦ ب ٢ وما - ك ٢١ ح ٢ وح - ثان ص ٢٣١ و ٣٨٤ و ٣٩٨ و ٣٩٩ و ٤٢٤ و ٤٩٤.
٣. بخ - ك ٥٦ ب ٥ ومس - ك ٣٣ ح ١١٦ ومى - ك ١٦ ب ١٩ وح - أول ص ٢٦٦.
٤. بخ - ل ٥٦ ب ٦ و ٢١ ومس - ك ١٠٨ و ١٠٩ و ١٢١ وتر - ك ٢٠ ب ١٣ و ٢٥ وك ٤٤ سورة ٣ ح ١٨ و ١٩ ونس - ك ٢٥ ب ٣٣ و ٣٤ ومج - ك ٢٤ ب ١٦ ومى - ك ١٦ ب ١٧ وح - ثالث ص ١٠٣ و ١٢٦ و ١٣١ و ١٥٣ و ١٧٣ و ٢٣٩ و ٢٥١ و ٢٧٦ و ٢٧٨ و ٢٨٤ و ٣٦١، رابع ص ٢١٦، خامس ص ٣١٨ و ٣٢٢ و ط - ح ١٩٦٤ وقد - ص ١٢٦.

الغياب إلى الخطاب (فاستبشروا أنتم الموفون ...) ثم (من الله) هنا تعني:عهده النازل له من الله، المعنيّ من (وعداً عليه حقاً ..).
و أما الإستفهام فلا، فاصلٌ (أوفى) ينافيه، حيث يراد المعنيان، ولا أن الفاء لا موقع لها، حيث يفرّع الإستبشار - إذاً - على ذلك الإشتراء والوعد والوفاء الأوفى.
فالمعنيان - إذاً - معنيّان حيث يوافقان أدب اللفظ وحدب المعنى، والقرآن حمال ذو وجوه فاحملوه إلى أحسن الوجوه، وأحسنها الجمع بين الوجوه المحسنة مهما كانت درجات.

و إليكم تصريحات من كتابات الوحي بشرة الجهاد:

في (نبوءة هيلد): وحي الطفل: لُحمان حطّوفاه - النازل عليه قبل ميلاد الرسول 3 بسبعين سنة، يقول منه 3 باللغة الأتقلوسية وهي العبرانية الرمزية:
(نَهْرًا كَدَّ مَطًا وَ لَاتَ قَصْ مِتِيْعِدِ قَطَاطَاهُ وَهُوَاهُ طِينًا دَامَلَطًا) .
يُشرق العالم لما يصل - ويُخمد نيران الخلافات - ويوصل إلى القيامة الكبرى - ويحارب في سبيل الله - ويُبعث من أمة محرومة مهدومة^١ .

ذلك، وفي تصريحات متكررة في (التوراة والأنجيل) وملحقاتها أن الشريعة المحمدية هي الشريعة النارية حيث تحرق الفتن والمفتنن وأنها تزيل نفسية الإستبداد والإستكبار من أنفس المستكبرين، بالجهاد المتواصل، وتُخضع الفراعنة أمام شريعة الحق - والقيام بالسيف عَلم من أعلام القدسية الإيمانية للذين معه - وعصا قوته لا تعني إلاّ بسط العدل، وهدم بساط الظلم - وأنها من علائم الحمية والغيرة - .

ثم توسع نطاق الجهاد في حقله الكتابي إلى حروب موسى وداود وشعيب (عليهم السلام) واستعداد المسيح Δ للحرب ولكن تركه الحواريون فصُلب بزعم جمع منهم

١. لقد فصلنا القول حول وحي الطفل في كتابنا (رسول الإسلام في الكتب السماوية) وبطيات الفرقان حسب المناسبات، وكذلك سائر الوحي بحق الجهاد الإسلامي وسائر ميزاته، فراجع.

جامحين^١.

و نموذجاً عالياً غالباً من وحي التوراة عن شرعة الجهاد النص التالي حيث يحمل بطيات البشارات الثلاث لنبوءات ثلاث، يحمل مِيزَةً للشرعة الأخيرة بارزة هي أنها الشرعة النارية، وإليكم النص بالأصل العبراني:

(وَزَيْتُ هَبْرَاخَاهُ أَشْرُ بَرِّخُ مُوشِهْ إِيشْ هَا إِوْهِيْمُ إِتْ بِنِي إِسْرَائِيلَ لِفِنِي مُوتُو وَ يُومِرُ يُهْوَاهُ مِسِينِي بَاوْ زَارِحْ مِسْعِيرَ لَامُو هُوْفِيْعَ مِهْرُ فَارَانِ وَ آتَاهُ مِرْ بِيْتْ قُدِشْ مِي مِينو إِشْ دَاتْ لَامُو) (سفر التثنية ١ - ٢) =

(و هذه بركة باركها موسى رجل الله بني إسرائيل عند موته وقال جاء الله من سيناء، تجلّى من ساعير، تلعلع من جبل فاران: حرى، وورد مع الآف المقدسين وظهر على يده اليمنى الشريعة النارية).

و نموذجاً آخر هو من الإنجيل قول المسيح كما في (لوقا ١٢:٤٩): جئت لألقي ناراً على الأرمن. فماذا أريد لو اضطرمت. ولي صبغة اصطبغها وكيف أنحصر حتى تكمل. أنظنون أنني جئت لألقي سلاماً على الأرض. كلا أقول لكم بل إنقساماً ..).

و في (لوقا ٣٥:٢٢ - ٣٧): (ثم قال لهم حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ولا أحذية هل أعوزكم شيء؟ فقالوا: لا فقال لهم لكم الآن من له كيس فليأخذه، ومزود كذلك ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتري سيفاً لأنني أقول لكم إنه ينبغي أن يتم في أيضاً هذا المكتوب وأحصى مع أئمة. لأن ما هو من جهتي له إنقضاء فقالوا يا رب هو ذا هنا سيفان. فقال لهم: يكفي).

(اللهم إنك علمت سبيلاً من سبلك جعلت فيه رضاك وندبت إليه أولياءك وجعلته أشرق سبلك عندك ثواباً وأكرمها لديك مآباً واجها إليك مسلكاً ثم اشتريت فيه من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليك حقاً، فاجعلني ممن يشتري فيه منك نفسه ثم وفي ذلك يبيعه الذي بايعك عليه غير

١. راجع كتابنا (رسول الإسلام في الكتب السماوية) تجد نصوصاً وفيرة حول الجهاد.

ناكث ولا ناقص عهداً ولا مبدلاً تبديلاً^١.

ألا حرٌّ يدع هذه اللماظة لأهلها، إنه ليس لأنفسكم ثمن إلاّ الجنة فلا تبيعوها إلاّ بها - فلا أموال بذلتموها للذي رزقها ولا أنفس خاطرتم بها للذي خلقها^٢.

و (أول الجهاد الدعاء إلى طاعه الله عزّوجلّ من طاعة العباد وإلى عبادة العباد من عبادة الله وإلى ولاية الله من ولاية العباد)^٣.

و ترى لماذا (بأن لهم الجنة) دون (بالجنة)؟ (بالجنة) حتم لا مرد له وكأنها تقابل ذلك القتال باستحقاق أصيل، ولكن (بأن لهم الجنة) هو وعد الجنة وليست هي هبة، فقد إشتري أنفساً خلقها وأموالاً رزقها، فليس - إذاً - إلاّ تُلطفاً في الدعوة وتعطفاً على الخليقة، وكما يستقرضنا ربنا ويستعطينا، فوا خجلتاه إن عصيناه على عطفه ورحمته!

فيا ويلاه! أين التراب ورب الأرباب، حيث الرب على عظمه يجعل نفسه مشترياً لنفس العبد وقد خلقها، ولماله وقد رزقه، ففي الحقّ الحقّ هو المشتري من نفسه وهو البايع لنفس ونفيس هما من خلقه، ثم (وعداً عليه) تجعله كأنه مديون بـ (أن لهم الجنة) لا تقبل إقالة ولا إحالة!، ثم يستشهد لثابت وعده بما أنزله (في التوراة والإنجيل والقرآن).

و إنها لبيعة رهيبة وبيع رهيب، في عنق كل مؤمن، لا تسقط عنها إلاّ بسقوط إيمانه،

١. نور الثقلين ٢: ٢٧٢ في الكافي عن أبي عبد الله Δ أن أمير المؤمنين Δ كان إذا أراد القتال قال هذه الدعوات.

٢. هما في نهج البلاغة عن الإمام على أمير المؤمنين Δ .

٣. وفي نور الثقلين ٢: ٢٦٩ في الكافي كتب أبو جعفر H في رسالة إلى بعض خلفاء بني أمية ومن ذلك: من ضيع الجهاد الذي فضله الله تعالى على الأعمال وفضل عامله على العمال تفضيلاً في الدرجات والمغفرة والرحمة لأنه ظهر به الدين وبه يدفع عن الدين وبه اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة بيعاً مفلحاً منجحاً اشترط عليهم فيه حفظ الحدود وأول ذلك الدعاء إلى طاعة الله عزّوجلّ ...

فعونك الله وعوداً منك إليك في الإيفاء بذلك العقد العقيداً .

و هكذا الله (يكرمهم على لسان الحقيقة وعلى لسان المعاملة، اشترى منهم الأجساد لمواضع وقوع المحبة من قلوبهم فأحياهم بالوصلة)^١.

(التَائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّكَعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ الْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَ بَشَرِ الْمُؤْمِنِينَ) (٩:١١٢) .

مواصفات تسع لأهل الجنة هي والموفين بعهد الله عشرة كاملة من صفات المؤمنين: (و من أوفى بعهده من الله... التائبون ...) فقراءة الجر^٢ جر^٢ إلى غير المتواتر زعم أنها أوصاف لمرور (بشر المؤمنين) رغم أن الموصوف الأصيل الأقرب لفظياً ومعنوياً هو (من أوفى) وهؤلاء هم:

(التائبون) إلى الله من ذنب وغير ذنب حيث التوبة لا تختص بذنب فإنها الرجوع إلى الله على أية حال، والتوبة شعور بالندم على ما مضى - إن كانت عن ذنب - وتوجه إلى الله فيما بقي عن ذنب أم غير ذنب.

(العابدون) الله دون سواه، ودون سمعة أو رياء الناس، عابدون إياه عبادة وعبودية وإقراراً بالربوبية، العابدون معرفة وعقيدة وعملاً لله وكما يترجمها الإتجاه إلى الله بكل الكيان، و(العابدون) دون الذي يعبدون، للتدليل على استمرارية العبادة والعبودية لله على أية حال، لا فقط حال العبادات.

(الحامدون) الله دون سواه إلاّ حمداً به لله، الذين يحمدون الله على السراء والضراء^٣ حمداً بأقوالهم وأحوالهم وأفعالهم لله^٤.

١. مجلة العرفان العدد الثالث المجلد ٦١ ص ٣٩١ عن الإمام الصادق Δ .

٢. نور الثقلين ٢: ٢٧٤ في روضة الكافي عن أبي بصير عن أبي عبد الله Δ قال: تلوت: التائبون .. فقال: لا ، إقرء «التائبين العابدين» إلى آخرها فسئل عن العلة في ذلك ؟ فقال: اشترى من المؤمنين التائبين العابدين.

٣. الدر المنثور ٣: ٢٨١ عن ابن عباس قال قال رسول الله 3: ...

(السائحون) سيحاً أنفسيّاً كالصيام^٢ وما أشبهه، وسيحاً في سبيل الله جهاداً^٣ وسواه وهو مأخوذ من سيح الماء الجاري، فالمؤمنون الموفون بعهودهم من الله هم كالماء الجاري: فكما أن راكد الماء ينتن ويتعفن، وجاريه ينظف وينظف، كذلك المؤمنون هم سائحون جارون في مجاري الصلاح والإصلاح لأنفسهم وللآخرين، فمن الجري في أنفسهم الصوم حيث يطهر القلب بجاري ماء الحيوي، ومنه في أنفسهم ومن سواهم الجهاد في سبيل الله وله مصاديق عدة.

كالسيح لطلب العلم في الله، وكسب الإخوان في الله، والسير في أرض الله وكل سيح آفاقي وأنفسي في سبيل الله، فالجامد الواقف ليس مؤمناً بالله، إنما هو الحركي السائح الكادح: (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه) (٨٤:٦).
و لقد ذكر الرسول 3 مصداقاً أنفسيّاً فردياً لذلك السيح هو الصيام، ومصداقاً آفاقياً هو الجهاد في سبيل الله، وهذا يشمل كل حركة للسالكين إلى الله.
فكما أن (الحافظون لحدود الله) تشمل كل حدوده، كذلك (السائحون) تشمل كل حركة ذات بركة في سبيل الله .

و لماذا ذكرت الواو مرتين بين هذه التسع ؟ علّه لأن الثلاث الأخيره هي المتميزة الهامة التي تشمل سائر العشر المذكورة من ذي قبل، وأنها من المسؤوليات الجماعية، أم وتعني التسوية بين الأمرين والناهين والحافظين، فإن مسؤولياتهم واحدة هي الحفاظ على حدود الله.

(الراكون الساجدون) لله دون سواه حيث يختصان في مظاهر الإحترام بالله،

١. المصدر أخرج البيهقي في الشعب عن عائشه قالت: كان رسول الله 3 إذا أتاه الأمر يسره قال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإذا أتاه الأمر يكرهه قال: الحمد لله على كل حال.
٢. المصدر أخرج ابن جرير عن عبيد بن عمير قال سئل النبي 3 عن الساكنين قال: هم الصائمون، ورواه عن أبي هريرة وابن مسعود عنه 3 .
٣. المصدر أخرج ابن أبي حاتم والطبراني والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي أمامة أن رجلاً استأذن رسول الله 3 في السياحة قال: إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله.

ولأنهما أظهر مظاهر الصلاة فهي المعنية بهما كمصداق بارز بين مصاديقها، ثم هم راكعون لله ساجدون في كل أقوالهم وأحوالهم وأعمالهم، وهما - على اختلاف درجتهم - تשמلان كافة درجات الخضوع لله في كل الحقل.

(الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر) بشروطهما المسرودة في القرآن والسنة. (و المحافظون لحدود الله) علمياً وعقيدياً وعملياً، دون زيادة عليها أو نقصية عنها، وهؤلاء هم أئمة الدين في كل المحاور، وسائر الأمة حسب درجاتهم، ولا يثبت الحد حتى يرفع سببه إلى الإمام ف (إنما الهبة قبل أن يرفع إلى الإمام فإن انتهى إلى الإمام فليس لأحد أن يتركه).

ذلك، وهذا التاسع يخلق على كل المحاور الثمانية الأولى فإن حدود الله علمياً وعقيدياً ومعرفياً وعملياً شخصياً وجماعياً ودعائياً، تشمل المسؤوليات الجماعية إلى الشخصية دون إبقاء لأية مسؤولية، مهما اختلفت مراتب ذلك الحفظ رسولياً ورسالياً. (و بشر المؤمنين) الموصوفين بهذه العشر ابتداءً بـ (من أوفى بعهده) فتلك إذاً عشرة كاملة في صفات الإيمان وقد جمعت كافة المسؤوليات الإيمانية فردية وجماعية.

و لأن المسؤوليات الجماعية التي تصنع الجماعة المسلمة ليست إلا بعد تحقق الفردية، لذلك تقدمت هي عليها، تقديماً للجمع بينهما (و من أوفى بعهده من الله) وتأخيراً له (و المحافظون لحدود الله) وبينهما متوسطات بين فردية محضة أو جماعية محضة.

إن حدود الله المحدودة في القرآن والسنة لها حفاظات حسب مختلف الملابسات لا حول عنها أبداً، اللهم إلا من حد إلى حد هو أهم منه حسب المقرر في شريعة الله. و هنا عديدٌ قاصد لـ (حدود الله) وفقاً بين المحافظين الأصليين لحدود الله الأربعة

١. المصدر في الكافي عن أبي عبد الله Δ قال: من أخذ سارقاً فعفى عنه فذاك له فإن رفعه إلى الإمام قطعه فإن قال الذي سرق له: أنا أهب له لم يدعه الإمام حتى يقطعه إذا رفعه إليه وإنما الهبة قبل أن يرفع إلى الإمام وذلك قول الله عز وجل «و المحافظون لحدود الله». فإن انتهى.

على الإسلام، وذكرها في القرآن بنفس العدد: (و من يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها) (٤:٤) - (و من يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) (١:٦٥).

و ترى ماذا يعني الترتيب القاصد بين الست الأولى والثلاث الأخرى ؟
(التائبون) تعبئة لصالح العبادة، سواءً أكانت توبة عن ذنب، أم توبة ارتقاء عن الحالة المحاضرة إلى أرقى منها وأعلى، حتى تحل العبادة موقعها الأعلى، تحلية بعد تحلية، حيث يتخلى عن ذنب أو نقص آخر ثم يتحلّى بالعبادة.

ثم (العابدون) تحلق على كافة العبادات، توحيداً لصالح العبادة لله بعد توحيد التوبة والإناية إلى الله، إذاً فـ (التائبون العابدون) هما عبارة أخرى عن: (لا إله إلا الله).
و لأن أصل العبادة هو الحمد لله كما يحق له، فـ (الحامدون) هي ثلاثة الأوصاف للأوفياء المؤمنين، ثم الحمدُ العبادةُ والعبادةُ الحمدُ لا بد لهما من حراكٍ وسيح دون جمود، فالسيح فيهما هو المرغوب المطلوب.

و لأن الصلاة هي خير موضوع، حيث هي عمود الدين وعماد اليقين، ثم الركوع والسجود هما أظهر مظاهر العبودية في الصلاة، إذاً فـ (الراكعون الساجدون) هما مرحلتان أخيرتان مكملتان لمربع التوبة العبادة الحمد السيح.
و من السيح في الصلاة أن تكون في جماعات، قصداً إليها من كل مكان قريب أو غريب، توحيداً للصفوف، وتوطيداً للألفة بجمع الأولوف.

هذه هي الست الأولى التي تتبنى صناعة الإيمان الوفي لأشخاص المؤمنين، ومن ثم الثلاث الأخيرة كمسؤوليات هامة جماعية هؤلاء الذين تخطوا الخطوة الأولى، تقدماً للأمر والنهي بما هما قائمتان لصرح الإسلام العام، وتأخيراً لـ (الحافظون لحدود الله) كضابطة للحفاظ على حدود الفرد والجماعية الربانية للأفراد والجماعات، فالإيمان الوفي على تفاصيل مواصفاته يختصر بجمعي الصفات الفردية والجماعية في (الحافظون لحدود الله) وهنا موقع البشارة السارة: (و بشر المؤمنين).

ثم (الحافظون لحدود الله) تعم الفردية والجماعية، بكل مراحل الحفظ: تعلماً واعتقاداً وتعليماً، ودعوة ودعاية لها، وحفظاً عن التحريف والتعطيل والتجديف، وحفظاً

على صالح التطبيق دون زيادة عليها أو تقيصة عنها.
 إذاً فالدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، وما أشبه من المحافظة على حدود الله، كل ذلك معني بـ (المحافظون لحدود الله) .
 و إذاً (وبشر المؤمنين) بهذه الرسالة السامية، تطبيقاً لهذه الشروط الإيمانية.
 (ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣)) وَ مَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤).
 هنا روايات مختلفة قضية العصبية العمياء المذهبية أن رسول الله (صلى الله وآله وسلم) استغفر لعمه وأبويه المشركين وقد ماتوا مشركين، فلكي يُمس من كرامة أبوي النبي 3 وأبي علي Δ مسوا منو كرامته هو 3 أن خالف أمر ربه في ذلك الإستغفار الإستهتار! .

فلقد نهى الله تعالى أن يستغفر للمنافقين في آيات عدة مضت، فضلاً عن المشركين الرسميين الذين ماتوا على إشراكهم الله، وإستحاله غفرانه لهم بقوله: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) (٤:٤٨ - ١١٦) فكيف - إذاً - يستغفر النبي 3 للمشرك معارضاً لما قرره الله من سلبية الغفران في حقل الشرك؟
 و ترى كيف يفترى على رسول الهدى 3 الذي يعارض المشركين وهو مأمور بالإعراض عنهم: (إتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو أعرض عن المشركين) ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظاً وما أنت عليهم بوكيل) (١٠٧:٦) .
 ففي هذه وفي مكيات أخزى أمر بمفاصلة المشركين والإعراض عنهم، وعدم الإستغفار لهم، ثم هو يستغفر لوالديه اللذين ماتا مشركين؟! أم ولعمه أبي طالب الذي مات مشركاً؟! . كلاً، إن المشرك هو المفترى على الرسول تلك التخلُّفة النكراء، والمفترى على عمه وعلى والديه اللذين ماتوا موحدين، أنهم ماتوا مشركين! .
 فواعجابه بينما يقول الله: (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) (٤:٤٨) رغم ذلك يسمح رسول الله 3 لنفسه أن يستحل - لأبويه وعمه المشركين - الجنة باستغفار لهم؟! داخلاً في أنصار هؤلاء الظالمين! .

محمد 3 أول من اسلم

٣

(قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ
إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (٧:١٤).

فحين ثبت بالبرهان أن هناك فاطراً للسموات والأرض هو الله فـ (قل أعير الله
أتخذ ولياً فاطر السماوات والأرض) - (أفى الله شك فاطر السماوات والأرض)
(١٠:١٤) (فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة) (١٠:١٢) ثم وهو
الغني ذو الرحمة: (و هو يطعم) روحياً ومادياً (ولا يُطعم) في أي من حقول الطعام،
وكل ما في الكون مُطعم مهمما يُطعم، وأين إطعام من إطعام، حيث المطعم من الخلق هو
مطعم في أصله وفرعه، في وصله وفصله، وهو مطعم بما يُطعم ومن حيث يُطعم.

(قل) لهؤلاء الذين يتخذون من دون الله ولياً، و(قل) لكل من يشعر ويعقل (إني
أمرت أن أكون أول من أسلم) أولية في درجة الإسلام لا في الزمان والمكان، حيث
سبقه مسلمون كثير على مدار الزمن.

(و لا تكونن من المشركين) كما أنت أول المسلمين لله، فلتكن أول المعارضين
للإشراك بالله، فأنت الأول الطليق في كلا السلبية والإيجابية لكلمة الاخلاص: (لا إله
إلا الله): (لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) (١٦٣:٦).

ذلك، وكما كان محمد 3 أول المسلمين، كذلك - ولزاماً له - كان أول العابدين: (قل
إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) (٨١:٤٣) وأول العارفين منذ بداية الخلق إلى

١. الدر المنتور ٧:٣ بسند عن أبي هريرة قال دعا رجل من الأنصار النبي 3 فانطلقنا معه فلما طعم
النبي 3 وغسل يده قال: «الحمد لله الذي يطعم ولا يُطعم ومن علينا فهدانا وأطعمنا وسقانا وكل بلاء
حسن أبلانا، الحمد لله غير مودع ربي ولا مكافأ ولا مكفور ولا مستغنى عنه الحمد لله الذي اطعمنا
من الطعام وشفانا من الشراب وكسانا من العرى وهدانا من الضلال وبصّرنا من العمى وفضلنا على
كثير من خلقه تفضيلاً الحمد لله رب العالمين».

يوم الدين، أولية في هذه الزوايا الثلاث لا تساوى ولا تسامى! .

(قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) (٧:١٥):

لست أنا - لأنني رسول - في أمن من العذاب (إن عصيت ربي) فإن (عذاب يوم عظيم) هو لزام العصيان من أي كان، بل والعذاب للأقرب إلى الله - لو عصى - أقرب وأعظم، كما هو للأغرب أغرب، بل وحسنات الأبرار سيئات المقربين.

و لقد كان الرسول 3 يكرر مقالته هذه في مختلف المجالات، قبل الفتح وبعده، وقد يكون بعده أخرى لاحتمالة النزوة الطارئة نتيجة الفتح المبين، فلا دور خاصاً لهذه المقالة ولا نسخ له أبداً خلاف الرواية المختلقة^١.

(مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ) (٧:١٦):

أترى صرف عذاب يوم عظيم عن الصالحين، ولا سيما السابقين والمقربين - هو رحمة من العظيم أم هو عدلٌ جزاءً وفاقاً؟.

إن صرف العذاب عن الصالحين الذين لا ذنب لهم ولا سيما المعصومين هو قضية العدل مهما كانت اللجنة قضية الرحمة التي كتب الله على نفسه، وهذه ضرورة عقلية وقرآنية أن استحقاق العذاب خاص بأهله الطالحين، إذا ف (من يصرف عنه) تتخصص بهؤلاء الأركان الذين لا ذنب لهم، وتخص بمن له ذنب أياً كان، تاب عنه أم لم يتب، شفع له فيه أم لم يشفع، حيث التوبة من الله ومغفرته والشفاعة المقبولة لديه وتكفير السيئات بترك الكبائر وما أشبهه، كل ذلك قضية رحمة، فمن يُصرف عنه العذاب فقد رحمه بواجب رحمته التي فرضها على نفسه أم راجحها، أم والتي ليست خلاف العدل.

١. نورالثقلين ١: ٧٠٥ في تفسير العياشي عن منصور بن حازم عن ابي عبد الله Δ قال: ما ترك رسول الله 3 «اني أخاف ..» حتى نزلت سورة الفتح فلم يعد إلى ذلك الكلام» أقول: علّة عناية الى « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» ولكن الذنب هنا غير العصيان هنا، إنما هو رسالته ببلاغها وبلوغها حيث الذنب هو كل ما يستوخم عقبا، وكانت عقبي هذه الرسالة السامية مستوخمة من قبل المشركين المحتلين عاصمة التوحيد، فصدّ الله عنه 3 مستوخمة العقبي ما دام حياً بفتح تلك العاصمة - راجع تفضيل الكلام في الفرقان في تفسير سورة الفتح - .

و إذا كان صَرَف العذاب عن هؤلاء رحمة فالجنة لهم رحمة فوق رحمة، إذ لا يستحق أحد على الله الجنة جزاءً أصلياً، اللهم إلا بما وعد برحمته، حتى (و لا أنت يا رسول الله) 3 ولكن الله يتغمده ومن معه برحمته التي كتبها على نفسه.

ذلك، وأما صرف العذاب عنه 3 فيما صرف عن نفسه العصيان، وكما خص خوفه عنه به: (إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم).

(وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٧:١٧).

(و إن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يُردك بخير فلا راداً لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) (١٠٧:١٠) - (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم) (٢:٣٥).

هذه الآيات ترسم صورة وضّاءة عن توحيده تعالى في أفعاله، فلا شريك له في كشف الضر ومسه، ولا في مس الخير ومسكه، فأنتى تؤفكون - إذأ- أفاكاً آلهة دون الله تريدون؟، فهنا قضية واحدة لا تنقسم ولا تقبل تميعاً ولا أنصاف حلول، إما أفراد الله في كافة اختصاصات الربوبية، قضية الفطرة العقلية والفكرة والعملية في شعيرته وشريعته، فهو ذاك الإسلام، وإما الإشارك بالله في أي من شؤون الربوبية تخلفاً عن الآيات الأنفسية والآفاقية، فالجمع بينه ومن سواه إشارك به كيفما كان ومهما كان دركات كما التوحيد درجات.

و لقد أمر الرسول 3 - على محتدة القمة الرسالية - أن يصارح بذلك الإستنكار هؤلاء المشركين الداعين له إلى الملاينة والمداهنة، وجعل البلد شطرين وأخذ العصا من وسطها، ليجعل لآهتهم مكاناً في شرعته لكي يدخلوا في دينه، والجواب كلمة واحدة

١. مجمع البيان عن الحسن في تفسيره ان النبي 3 قال: والذي نفسي بيده ما من الناس احد يدخل الجنة بعمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله 3؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل، و وضع يده فوق رأسه وطول بها صوته.

(لكم دينكم ولى دين) فلا يقبل دين التوحيد أي تليين ومصالحه وأنصاف حلول، فإنه صُراح التوحيد الحق وحق التوحيد، ورفض كل شرك عن ساحته.

(وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) (٧:١٨).

تلك الفوقية القاهرة الربانية هي فوقية المحتد والمكانة في العلم والقدرة والتقدير والتدبير وفي كل ما تتطلبه الربوبية الوحيدة غير الوهيدة (وهو الحكيم) في قاهرته الفائقة (الخبير) بكل سؤل وسؤال لعباده، قاهر فوقهم عدلاً وفضلاً، إذأ ف (ليس القاهر على معنى علاج ونصّب واحتيال ومداراة مكر كما يقهر العباد بعضهم بعضاً، فالمقهور منهم قد يعود قاهراً والقاهر قد يعود مقهوراً، ولكن ذلك من الله تبارك وتعالى على أن جميع ما خلق ملتبس به الذل لفاعله وقلة الإمتناع لما أراد به، لم يخرج منه طرفة عين، غير أنه يقول له: كن فيكون.

(مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا

يُظْلَمُونَ) (٦:١٦٠):

(جاء بالحسنة وبالسبيئة) دون (أتى أو عمل) تعبير قاصد إلى خاصة معناه، فقد يأتي بحسنة ثم تُحَبَط، أو يأتي بسبيئة ثم تغفر أو تكفر، فقد يعني (جاء بالحسنة أو السبيئة) جاء ربه في حياة الحساب وبدايتها الحياة البرزخية، جاء ومعه حسنة أو سيئة، وهما وصفان لمحذوف معروف بقرينة المقام وهو (العقيدة والعملية) فإنهما الباقيتان مع الإنسان حتى الموت، وأما النية فلا تبقى حتى يجاء بها، اللهم إلا النية الحسنة حيث تبقى بفضل الله، وأما النية السبيئة فلا جزاء لها إلا مثلها^١ وهو نية السبيئة دون واقعها،

١. الدر المنثور ٣:٦٤ - اخرج جماعة عن ابن عباس عن النبي 3 فيما يروى عن زبه «من همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له عشر إلى سبعمائة إلى اضعاف كثيرة ومن همَّ بسبيئة ... ، وفيه عن ابي هريرة أن رسول الله 3 قال: قال الله تعالى: إذا همَّ عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنة وإذا عملها فاكتبوها بعشر امثالها وإذا همَّ بسبيئة فلا تكتبوها فان عملها فاكتبوها بمثلها فان تركها فاكتبوها له حسنة ثم قرء الآية، اقول: وقد تواتر عن النبي 3 ان نية السبيئة وهبها ليس لها جزاء.

وهذه قضية المماثلة بين النية وجزاءها عدلاً: (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) (٢٧:١٠) والنية السنية ليست ما يكسب إلا بعقيدة سيئة أو عملية سيئة وليست النية مكسوبة، وإنما هي كاسية لعقيدة أو عملية، ثم لا مماثلة بين سيئة الجزاء ونية السيئة، وهنا (هم لا يظلمون) تُطارد واقع الجزاء بنية السيئة، كما تطارد عدم الجزاء أو عدم المماثلة بين الحسنه وجزاءها، و(عشر أمثالها) فضل فوق العدل، وآيات عدة مثل (و ما تجزون إلا ما كنتم تعملون) (٣٩:٣٧) تحصر سبب الجزاء بالعمل، وليست النية عملاً إنما هي نية العمل، كما العمل ليس نية إنما هو العمل بالنية، ومهما كانت العقيدة عمل القلب ولكن (ما كنتم تعملون) قد لا تشملها، فإنما اشتراط العمل بكونه صالحاً كما في (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يربط صلاح العمل بصالح العقيدة والنية.

و ترى كيف يذكر (عشر) و(أمثالها) مذكر؟

ذلك لأن هناك مضاف محذوف هو (حسنات) تعني حسنات (عشر أمثالها) جزاء فضلاً كما في (مثلها) فإنها (سيئة مثلها) جزاءً عدلاً.

و أولى ما نزلت بشأن مزيد الجزاء في الحسنه هي (من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون) (٨٩:٢٧) وقد قررت آيتنا (خير منها) بـ (عشر أمثالها) كضابطة تحلّق على كل الحسنات^١ ومنها النيات فضلاً على فضل، و(مثلها) في السيئة باستثناء النيات عدلاً في الجزاء (و هم لا يظلمون) عدلاً وفضلاً، ومن ثم آيات أخرى تقرر (خير منها) في بعض الموارد كالإنفاق الصالح بسبعين ضعفاً لـ (عشرة أمثالها) ومزيد، ف (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) (٢٦١:٢) فلا حدّ في فضل الله لمضاعفات الجزاء على الحسنات، ولكن السيئات فأكثر الجزاء عليها مثلها

١. نور الثقلين ١: ٧٨٤ عن المجمع روى عن الصادق Δ أنه قال: لما نزلت هذه الآية: «من جاء بالحسنة فله خير منها» قال رسول الله 3: رب زدني فأنزل الله سبحانه: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها»

عملاً بعمل وعلى قدره.

و قد تُعرَّفنا معرفةً الحسنة والسيئة أن ليست أية حسنة لها عشر أمثالها حيث قد يزداد عليها وقد ينقص عنها، أم ولا تقبل لخروجها عن جادة التقوى، ولا أية سيئة يجزى مثلها فقد ينقص عنها جزاءها أو يعفى عنها بمكفراتها ف (إن الحسنات يذهبن السيئات) (١١:١١٤) أم تبدل حسنة (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) (٧٠:٢٥).

فهذه ضابطة مقررة كأصل تجري حسب الضوابط الأخرى في تقدير الحسنات والسيئات، فلو قيل (من جاء بحسنة أو سيئة) لخيَّل إلينا تحليق الضابطة دون إستثناء، كما يخيَّل حاكمية العدة فيهما على العدة لهما، أن حسنة واحدة هي بعشر كيفما كانت، وسيئة واحدة بواحد كيفما كانت، فصاحب حسنة صغيرة له عشر وإذا أتى بسيئة كبيرة فله واحد، وبالموازنة ترجح حسنته على سيئته! .

ذلك وكما أن (الحسنة والسيئة) هما الأصليتان، فليست عشر أمثالها لكل عشر حتى لا تنتهي، إنما هي الحسنة التي جاء بها لا العشر التي يجازى بها ثواباً فإنها جزاء الحسنة وليست نفسها، فلا تسلسل في (عشر أمثالها) .

ذلك، وجزء سيئة بمثلها مربوطة بعدم الغفر بعضاً أو كلاً بمكفرات مسرودة في القرآن، وأما الحسنة غير الحابطة فلها لأقل تقدير عشر أمثالها، عقيدة وعملية وثيقة، بل وإذا نوى سيئة ثم لم يعملها وهو قادر على العمل فهذه محسوب بحساب الحسنة^١ فله - إذاً - عشر أمثالها، وأما تركها إذ لم يقدر عليها فلا ثواب هنا ولا عقاب^٢ لأنها خارجة عن (الحسنة والسيئة) معاً.

١. الدر المنثور ٣:٦٤ - أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله: من جاء بالحسنة الآية قال: ذكر لنا أن النبي³ كان يقول: إذا همَّ العبد بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة وإذا همَّ بسيئة ثم عملها كتبت له سيئة.

٢. الدر المنثور ٣:٦٤ - أخرج أبو يعلى عن أنس أن رسول الله³ قال: من همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشر ومن همَّ بسيئة فلم يعملها لم يكتب عليه شيء فإن عملها كتبت عليه سيئة.

و من اللطائف المستفادة من هذه الضابطة ان (من صام ثلاثة أيام من كل شهر فذلك صيام الدهر) و (الويل لمن غلبت آحاده أعشاره)٢.

١. الدر المنثور ٣:٦٤ عن ابي ذر قال: قال رسول الله 3 من صام ثلاثة ايام من كل شهر فذلك صيام الدهر، فأنزل الله تصديق ذلك في كتابه «من جاء بالحسنة فله عشر امثالها». أقول هذا وحى الكتاب مصداقاً لوحى السنة حيث الرسول لا يقول إلا بما يوحى اليه، وفيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال أخبر رسول الله 3 أنني أقول: والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت فقلت له قد قلت يا رسول الله قال: فإنك لا تستطيع ذلك صم وافطر ونم وقم وصم من الشهر ثلاثة ايام فإن الحسنة بعشر امثالها وذلك كصيام لدهر.

وفي نور الثقلين ١:٧٨٤ في الكافي عن القمي قال امير المؤمنين Δ: صيام الصبر وثلاثة ايام من كل شهر يذهبن ببلاء الصدر وصيام ثلاثة ايام من كل شهر صيام الدهر ان الله عزوجل يقول: «من جاء بالحسنة فله عشر امثالها»، ومن اللطائف ما في الدر المنثور ٣:٦٤ عن ابي مالك الأشعري قال: قال رسول الله 3 الجمعة كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة ايام لأن الله تعالى قال: «من جاء بالحسنة فله عشر امثالها».

و ما في أمالي الطوسي عن امير المؤمنين Δ الناس في الجمعة على ثلاثة منازل رجل شهدها بانصات وسكوت قبل الامام وذلك كفارة لذنوبه من الجمعة الى الجمعة الثانية وزيادة ثلاثة لقول الله تعالى، ومنها ما في الدر المنثور ٣:٦٤ عن ابي ذر قلت يا رسول الله 3 علمنى عملاً يقربني من الجنة ويباعدني من النار، قال: اذا عملت سيئة فاعمل حسنة فانها عشر امثالها، قلت يا رسول الله 3: لا إله إلا الله من الحسنات؟ قال: هي احسن الحسنات، وفيه عن ابن عمر وان النبي 3 قال: «خصلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة هما يسير ومن يعمل بهما قليل يسبح الله دبر كل صلاة عشراً ويحمد عشراً ويكبر عشراً فذلك خمسون ومائة وباللسان والفر وخمسائة في الميزان ويكبر اربعاً وثلاثين إذا أخذ مضجعه ويحمد ثلاثاً وثلاثين ويسبح ثلاثاً وثلاثين فذلك مائة باللسان والفر في الميزان وأيكم يعمل في اليوم والليلة الفين وخمسائة سيئة».

٢. تفسير الفخر الرازي ١٤:٩٠ روى ابوذر ان النبي 3 قال: ان الله تعالى قال: الحسنة عشر أو أزيد والسيئة واحدة او عفو فالويل لمن غلب آحاده أعشار.

و في نور الثقلين ١:٧٨٤ ومعاني الأخبار عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله Δ قال: كان علي بن الحسين H يقول: ويل لمن غلبت آحاده فقلت له وكيف هذا؟ فقال: اما سمعت الله عزوجل يقول: «من جاء...» فالحسنة الواحدة اذا عملها كتبت له عشراً والسيئة الواحدة إذا عملها كتبت له واحدة، فنعوذ بالله ممن يركب في يوم واحد عشر سيئات ولا يكون له حسنة واحدة فتغلب حسناته سيئاته.

ذلك، ولكن (إنما يتقبَّل الله من المتقين) فمن يسرق مالاً مرة ثم يقسمه على من يشاء ليس إنفاقه لكل يُحسب عشراً وسرقته واحدة، بل وإنفاقه سيئة على سيئة. و كما الحسنات درجات فالسيئات أيضاً دركات، ولا تُقَابِل السيئة بواحدة الحسنة بعشر أمثالها إلا في موازنة بينهما، فليس من يزني مرة ثم يكبر الله مرة تزيد حسنته على سيئته، فأين الزنا في ميزان السيئات من لفظة التكبير في ميزان الحسنات، فقد لا توازي مائة حسنة سيئة واحدة فـ (كل شيء عنده بمقدار)، (و أن ليس للإنسان إلا ما سعى).

فظالما الحسنات بعشر أمثالها إلى سبعمائة وإلى ألف ألف كذلك قد تكون سيئة واحدة وهي بواحدة أثقل في الميزان من عشرات الحسنات. و طالما يزيد عديد الجزاء على الحسنات أضعافاً عشرة على السيئة، ولكن كلُّ بحسابه وعلى قدر ثقله دونما فوضى جزاف.

أترى - بعد - أن عشراً من التكبيرات توازي فرية واحدة على الله ورسوله، وهذه بواحدة وتلك بعشرة؟! كلا، إنما يحاسب كلُّ على قدره عدَّة مهما اختلفت العدَّة أصلاً وجزاءً، فليست المماثلة بين السيئة وجزائها إلا بمعنى الجزاء الوفاق عديداً ومديداً، فقد

و فيه عن تفسير القمي عن ابي عبد الله Δ قال: لما اعطى الله تعالى ابليس ما اعطاه من القوة قال آدم Δ يا رب سلطت ابليس على ولدي أجريته فيهم مجرى الدم في العروق واعطيته ما اعطيته فمالي ولولدي؟ فقال: لك ولولدك السيئة بواحدة والحسنة بعشر أمثالها قال رب زدني قال: أغفر ولا ابالي، قال: حسبي، اقول: لا ابالي هنا تعني ما لم يناف العدل فاغفر ما هو قضية الفضل فوق العدل لا دون العدل.

و فيه في الكافي عن ابي جعفر H قال: من نوى الصوم ثم دخل على اخيه فسأله ان يفطر عنده فليفطر وليدخل عليه السرور فانه يحتسب له بذلك اليوم عشرة أيام وهو قوله تعالى: «من جاء بالحسنة فله عشر امثالها».

١. الدر المنثور ٣: ٦٥ - اخرج ابن مردويه عن ابي هريرة قال: قال رسول الله 3 كل حسنة يعملها العبد المسلم بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف، وفيه عنه قال: قال رسول الله 3: إن الله ليعطي بالحسنة الواحدة الف الف حسنة ثم قرأ: «من جاء بالحسنة فله عشر امثالها».

يجزى على سيئة واحدة طالت ساعة في عشرات من السنين اعتباراً بثقل السيئة في مديدها رغم وحدتها في عديدها، أم يجزى على سيئة واحدة طالت شهراً في ساعة واحدة، فليست (مثلها) بماثلة الزمان إنما هي ماثلة الثقل في الميزان، دون الحسنه التي يجازى بها عشر أضعافها.

و أما الخلود المؤبد لأهله، بأن الأبدية في العذاب ليست ماثلة للسيئة المحدودة بعديدها ومديدها، فقد نعتقد في تلك الأبدية حسب البراهين القاطعة أن لها نهاية، فلا تعني الأبدية لأهل النار إلا أنهم يعيشونها ما دامت مشتعلة كما يستحقون، ثم يأتي يوم لا نار فيه ولا أهل نار قضية أصل الماثلة بين السيئة وجزاءها، حيث لا يعذبون إلا محدوداً بحدود السيئة، محدداً بحد العدل جزاء وفاقاً (وهم لا يظلمون).

فمن الماثلات ما هي معروفة لدينا ومنها غير معروفة حيث نجهل مديد السيئة مهما عرفنا عديدها، فالأحكام الجزائية في شرعة الله، وفي يوم الجزاء ليست لتتخطى ضابطة الجزاء الوفاق و(جزاء سيئة مثلها) حيث الماثلة في الإستحقاق هي قضية العدل ونص القرآن، وذلك هو الصراط المستقيم:

محمد3 على بينات ثلاث

٤

(أ) فَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَ يُتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَ رَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الْأَحْزَابِ فَأَلْنَا رُ مَوْعِدَهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١٧:١١).

(من كان على بينة من ربه) هنا هو الرسول 3 فإنه هو الذي حُشِرَ بيناتٍ وشهوداً في مثل الزمان، دون أهل الكتاب، فإن البينة الأولى لهم هو كتاب موسى، وليس هو من قبله، بل هو معه، ثم (أولئك) جمعاً لا تناسب (من كان) المفرد، ثم لا مرجع لضمير الغائب في (به) لا هنا ولا التي قبلها.

إذاً فهو النبي 3 حشيراً وعشيراً لبينات وشهادات تدل على محتده الرسالي السامي. و (كان) تضرب إلى أعماق الماضي، قبل ولادة بينات البشارات الواردة بحقه في كتابات الوحي، وبأصل ولاده حيث ظهرت عنده عجائب قاصده، وطيلة الأربعين قبل رسالته وهي الحالة التحضيرية لرسالته، بارقة مشرقة خارقة للعادات إذ لم يُرَ في حياته تلك نقطة سوداء، مما يبرهن - وهو في جو الإشراف كافة الرذالات - على بالغ حاله واستقباله.

و منذ ابتعائه إذ كان يحمل من بينات الرسالة الربانية كافة اللمحات والدلالات، فحين نرى رسل المسيح يستدلون بأنفسهم على رسالاتهم أمام الناكرين: (قالوا ربنا يعلم انا إليكم المرسلون) (١٦:٣٦) فهذا النبي أحرى أن يكون بنفسه برهاناً ساطعاً على رسالته.

و بقرآنه وهو رأس الزاوية من (بينات من ربه) منقطعة النظر عن كل بشير ونذير، آيات بينات خمس تلو بعضها البعض، أو مع بعضها البعض، تحشره بنفسها. ثم (ويتلوه شاهد منه) من الله، أو من نفسه، أم من الله ثم منه بإذن الله، فتراه نفسه

؟ 'و هو لا يتلوا بنفسه مهما كان شاهداً من ربه على رسالته بنفسه، وشاهداً بنفسه بما اجتهد وسعى ووقفه الله! .

أم هو جبريل Δ ؟ وكيف يتلوه وهو معه نازلاً بتفصيل الكتاب على قلبه! ، وليس هو شاهداً منه 3 ولا شاهداً من ربه له، إذ تكفيه شهادة الوحي من ربه، وأنه هو الذي عرفه جبريل وسيطاً لوحيه، دون أن يشهد على شيء! .

و لا هو شاهد من ربه للآخرين إذ لم يروه، فلا دور له في حقل الرسالة ولا الوحي شهادة، إنما هو وسيط في تفصيل الوحي، لا حاجة منه إليه، بل ليعرف الناس أنه 3 ليس إلهاً يقول من نفسه، تثبيتاً لإيمانهم أنه بشر رسول: (قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا ..) (١٠٢:١٦) .

أم هو لسانه الصدق Δ القرآن العظيم، بينة له في زمنه، ثم يتلوه على مدار الزمن حتى القيامة الكبرى، شاهد من ربه على رسالته الأخيرة، وهذا هو الحق، فإن الله يشهد بالقرآن على وحيه وعلى رسالة من جاء به على طول الخط.

ثم ويتلوه شاهد من الله كأصل، وهو شاهد منه 3 بما أذن الله، وهو الإمام علي Δ كما تواترت به الروايات ^٤.

١.المصدر عن الحسين بن علي Δ في الآية قال: محمد هو الشاهد من الله، ومثله ما عن أبي العالية وإبراهيم.

٢. المصدر عن ابن عباس انه جبرئيل ووافقه سعيد بن جبير وعطاء وابن عباس.

٣. الدر المنثور ٣: ٣٢٤ عن محمد بن علي بن أبي طالب قال قلت لأبي إن الناس يزعمون في قول الله: «ويتلوه شاهد منه» أنك أنت التالي؟ قال: وددت أني أنا هو ولكنه لسان محمد 3 .

٤.المصدر أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة عن علي بن أبي طالب Δ قال: ما من رجل من قريش إلا نزل فيه طائفة من القرآن، فقال له رجل: ما نزل إليك؟ قال: أما تقرأ سورة هود: «أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه» رسول الله على بينة من ربه وأنا شاهد منه، وأخرجه عنه Δ ابن عساكر، وأخرج ابن مردويه من وجه آخر عن علي Δ قال قال رسول الله 3: «ويتلوه شاهد منه» قال: علي.

أقول وفي ملحقات إحقاق الحق (٣:٣٥٨-٣٥٢): أورد هذه الرواية عن النبي 3 كثير من الحفاظ منهم التعليبي في تفسيره، والبعوي في تفسيره معالم التنزيل بهامش تفسير الخازن ٣:١٨٣ والرازي ١٧:٢٠١ من تفسيره حيث أوردته عن بعض، والطبري في تفسيره ١٢:١٠ والقرطبي في تفسيره ٩:١٦ والكنجي في كفاية الطالب ص ١١٠ والنيسابوري في تفسيره ١٢:١٦ والخازن في تفسيره ٣:١٨٣ وصاحب فتح البيان على ما في فلك النجاة ٤٦١ وأبو حيان الأندلسي في تفسير البحر المحيط ٥:٢١١ والآلوسي في روح المعاني ١٢:٢٥ والقندوزي في ينابيع المودة ص ٩٩.

و في أمالي الشيخ الطوسي باسناده إلى أمير المؤمنين Δ أنه إذا كان يوم الجمعة يخطب على المنبر فقال: والذي فلق الحبة وبرى النسمة ما من رجل من قريش جرت عليه الموائيق إلا وقد نزلت فيه آية من كتاب الله عز وجل أعرفها كما أعرفه فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما آيتك التي نزلت فيك؟ فقال: إذا سألت فافهم ولا عليك ألا تسأل عنها غيري، أقرأت سورة «هود» قال: نعم يا أمير المؤمنين Δ قال: أفسمعت الله عز وجل يقول: «أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه؟ قال: نعم قال: فالذي على بينة من ربه محمد 3 والذي يتلوه شاهد منه وهو الشاهد وهو منه وأنا علي بن طالب وأنا الشاهد وأنا منه.

و فيه عن الإحتجاج عن أمير المؤمنين Δ حديث طويل يقول فيه لبعض الزنادقة وقد قال: وأجده يجبر أنه يتلو نبيه شاهد منه وكان الذي تلاه عبد الأصنام برهة من دهره وأما قوله: «ويتلوه شاهد منه» فذلك حجة الله أقامها على خلقه وعرفهم أنه لا يستحق مجلس النبي 3 إلا من يقوم مقامه ولا يتلوه إلا من يكون في الطهارة مثله بمنزلته لثلاث يتسع لمن ماسه رجس الكفر في وقت من الأوقات انتحال الإستحقاق لمقام الرسول 3 وليضيق العذر على من يعينه على إثمه وظلمه إذ كان الله قد حظر على من مسه الكفر تقلد ما فوضه إلى أنبياءه وأوليائه بقوله لإبراهيم: «لا ينال عهدي الظالمين» أي المشركين لأنه سمى الشرك ظلماً بقوله: إن الشرك لظلم عظيم، فلما علم إبراهيم Δ أن عهد الله تبارك وتعالى إسمه بالإمامة لا ينال عبدة الأصنام قال: واجتنبني وبنيتي أن نعبد الأصنام، واعلم أن من أثار المنافقين على الصادقين والكفار على الأبرار فقد افتري على الله إثمًا عظيمًا إذ كان قد بين في كتابه الفرق بين الحق والمبطل والظاهر والتنجس والمؤمن والكافر وأنه لا يتلو النبي 3 عند فقده إلا من حل محله صدقاً وعدلاً وطهارة وفضلاً.

و في ملحقات إحقاق الحق (١٢:٣٠٩-٣٢١) المستدركات التالية حول نزول الآية في الإمام علي Δ منها ما رواه عباد بن عبد الله عن علي Δ رواه جماعة منهم ابن المغازلي في مناقبه والحسكاني في شواهد التنزيل (١:٢٧٥) والثعلبي في الكشف والبيان (مخطوط) والسهيلى- في التكملة (١١٧) والقندوزي في ينابيع المودة (٩٩) والأمر تسري في أرجح المطالب (٦٢).

فالشاهد الأصيل الدائم القائم طول الزمن الرسالي ما طلعت الشمس وغربت هو القرآن، فإنه الثقل الأكبر والأطول والأتم والأعظم والأكمل، بتواتر السنة. ثم على ضوءه الإمام علي كرأس الزواية من الأئمة الشهود حتى القائم المهدي Δ فإنه يشهد له بما صنعه مثله وصنوه.

و لأن شاهد القرآن متفق عليه فلم ترد به رواية إلا لمحّة، ثم شاهد الإمام المختلف فيه تواترت به الرواية، تلحيقاً له بما هو متفق عليه.

فهو Δ شاهد صدق على هذه الرسالة السامية يتلوه 3 نسخة ثانية طبق الأصل، صنعه رسول الله 3 كمثلته بأمر ربه، ولقد حق القول من جموع من غير المسلمين، لو لم يكن لرسالة محمد 3 برهان إلا علي لكفى برهاناً ساطعاً قاطعاً على رسالته! .

و من الفارق بين الشاهدين، أن (يتلوه) في شاهد القرآن من التلوه للحق، حيث يلحقه - كما عاشه - استمراراً لرسالته الصادقة المعصومة .

و ما رواه زاذان عن علي Δ رواه جماعة منهم الحموي في فرائد السمطين (مخطوط) والنيسابوري في تفسيره الكشف والبيان (مخطوط) والقندوزي في ينابيع المودة (٧٤) والجري في تنزيل الآيات (١٣) والحسكاني في شواهد التنزيل (٢٨١:١) .

و ما رواه الحارث عن علي Δ رواه جماعة منهم الحسكاني في شواهد التنزيل (٢٧٧:١) وابن أبي الحديد في شرح النهج (٢٠٨:١) .

و ما رواه جابر عنه 3 روى عنه ابن حسويه في درر بحر المناقب (٨٥ مخطوط) والحازن في تفسيره (١٨٣:٣) والحموي في فرائد السمطين (مخطوط) والحسكاني في شواهد التنزيل (٢٧٩:١) والترمذي في المناقب المرتضوية (١٢٠) .

و ما رواه ابن عباس عنه 3 روى عنه جماعة منهم الثعلبي في الكشف والبيان (مخطوط) والحسكاني في شواهد التنزيل (٢٧٩:١) والحموي في فرائد السمطين (مخطوط) والجري في تنزيل الآيات (١٤) مخطوط والأمر تسرى في أرجح المطالب (١٠٢) .

و ما رواه أبو ذر عنه 3 وممن رواه عنه شهاب الدين الهمداني في مودة القربى (٨٣) .

و ما رواه أبو الطفيل عن علي Δ روى عنه الحسكاني في شواهد التنزيل (٢٧٧:١) .

و ما رواه أنس عنه 3 رواه عنه الحسكاني في شواهد التنزيل (٢٨٠:١) .

و ما رواه أبو جعفر Δ رواه عنه ابن المغازي في مناقبه (مخطوط) .

ثم و(يتلوه) في شاهد الإمام تعني التلاوة المتابعة إضافة إلى التلو، حيث الإمام المتابع إياه، الآتي تلوه في حمل هذه الرسالة دون وحي، إنما هو نسخة ثانية رسولية بخط يد الرسول بما أذن الله.

و إذا كان علي Δ - وهو صنيعه 3 - شاهداً منه على رسالته، فشهادته 3 نفسه على رسالته هي الأولى والأولى.

فقد كان محمد 3 آية بينة من ربه، وهو على بينة من ربه، ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة، فهذه بينات أربع.

أم (على بينة من ربه) هي البينة الرسالية، بينة من نفسه ومن القرآن، وهما صنوان إثنان متحداً لا يختلفان، كما لا يتخلفان عن كونهما بينة رسالية موحدة.

فالقرآن هو إثنان هما محمد والقرآن، فمحمد هو القرآن والقرآن هو محمد 3 كما (و ما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) ف (هو) هو الرسول (ذكر وقرآن مبين) يبين القرآن الكتاب بكتابه حياته الرسالية المستفادة من القرآن والسنة: أنا القرآن والسبع والثاني. روح بل روح الروح المعاني.

و إذا كان سائر المرسلين هم شهود بأنفسهم على رسالاتهم وكما جاء في رسل المسيح Δ: (قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) (١٦:٣٤) فبأحرى لرسول الهدى 3 أن يكون بنفسه شهيداً على رسالته نفسه، كيف لا؟ وربيته شاهد منه على رسالته!

و إذا كان الرسول 3 شاهداً لربه رسالته لمكان تربيته القمة الرسولية، فحري بعلي Δ أن يكون شاهداً له 3 لمكان تربيته القمة الرسالية.

هنا (شاهد منه) متأكد في تفسيره بما تواتر عنه 3 من قوله: (علي مني وأنا من علي) وقد قررته آية المباهلة قراره نفسه: (و أنفسنا وأنفسكم) (٣:٤١)!

١. حديث صحيح رجاله كلهم ثقات ومن أخرجه عنه 3 الإمام أحمد في مسنده ١٦٤:٤ و١٦٥ و١٦٤:٢ و١٦٩:١٢ و٢٤٠:٢ وفي صحيحه ٢١٣:٢ والنسائي في الخصائص ص ٢٦ و٢٧ وابن المغازلي في المناقب بأسانيد عدة

و بياناً لهذه الولادة الروحية العلوية من محمد 3 ما يروى عن علي Δ نفسه من قوله: (وقد علمتم موضعي من رسول الله 3 بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد يضمني إلى صدره ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويُشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يُلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول، ولا خُطلة في فعل، ولقد قرن الله به من لدن كان فطيماً أعظم ملك يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه إتباع الفصيل إثر أمه، يرفع لي كل يوم علماً من أخلاقه، ويأمرني بالإقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بجرا فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله 3 وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه 3 فقلت: يا رسول الله 3 ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي ولكنك وزير وإنك لعلى خير).^١

و هكذا: (لم يسرع أحد قبلي إلى دعوة حقّ وصلة رحم وعائدة كرم).

و لقد تلى علي Δ رسول الله في الإيمان زمناً ومحتداً وكما قال 3: (أولكم وارداً -

والبغوي في المصايح ٢: ٢٧٥ والخطيب العمري في المشكاة ٥٥٦ والكنجي في الكفاية ٥٥٧ والنووي في تهذيب الأسماء واللغات ومحَب الدين الطبري في الرياض النضرة ٣: ٧٤ عن الحافظ السلفي وسبط ابن الجوزي في التذكرة ٢٣ والذهبي في تذكرة الحفاظ وابن كثير في تاريخه والسخاوي في المقاصد الحسنة، والمناوي في كنوز الدقائق ٩٢ والحموي في فرائد السمطين ب ٧ والسيوطي في الجامع الصغير وجمع الجوامع، وابن حجر في الصواعق ٧٣ والمتقي الهندي و في كنز العمال عن (١١) حافظاً والبدرخشاني في نزل الأبرار ٩ والفقهاء شيخ بن العبدروس في العقد النبوي، والشبلنجي في نور الأبصار ٧٨ والصبان في الإسعاف هامش نور الأبصار ١٥٥ كلهم أخرجوه ورووه عن حبشي بن جنادة وعمران وأبي ذر الغفاري عن رسول الله 3.

١. شرح نهج البلاغة لـ (عبده) الكلام ١٣٥ ص ٣١ عنه Δ .

ورداً - علي الحوض أولكم إسلاماً علي بن أبي طالب) ١ (و لقد صلّت الملائكة عليّ
وعلى عليّ سبع سنين لأننا كنا نصلي وليس معنا أحد يصلي غيرنا) ٢.
أجل: وإنه (أول من أسلم وصلى) كما تواتر في زهاء مائة حديث ٣.
فهو الأول إسلاماً وصلاةً معه 3 دون أبي بكر المدعى إيمانه به 3 قبل أن يولد علي
Δ وذلك قبل الرسالة بإثنتي عشرة سنة! ٤ .

١. كما أخرجه الحاكم في المستدرک ١٣٦:٣ وصححه والخطيب البغدادي في تاريخه ٢: ٨١ وفي الإستیعاء ٢: ٤٥٧ وشرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٥٣ والسيرة الحلبیة ١: ٢٨٥ وسيرة زینبی - دحلان ١: ١٨٨ ومناقب الفقیه ابن المغازلی ومناقب الخوارزمي.
٢. مناقب الفقیه ابن المغازلی باسنادین وأسد الغابة ٤: ١٨٠ ومناقب الخوارزمي وكتاب الفردوس للدیلمي وشرح ابن أبي الحديد عن رسالة الاسکافي ٣: ٢٥٨ وفرائد السمطين ب ٤٧.
٣. ومن المروي عنهم عن رسول الله 3: أنس بن مالك - بريدة الأسلمي - زيد بن أرقم - عبد الله بن عباس - عفيف - سلمان الفارسي - أبو رافع - أبو ذر الغفاري - المقداد بن عمرو الكندي - جابر بن عبد الله الأنصاري - أبو سعيد الخدري - حذيفة بن الیمان - عمر بن الخطاب - عبد الله بن مسعود - أبو أيوب الأنصاري - أبو مرزم - هاشم بن عتبة - مالك بن الحارث الأشتر - عدي بن حاتم - محمد بن الحنفية - طارق بن شهاب الأحمسي - عبد الله بن هاشم المرقال - عبد الله بن حجل - أبو عمرة بشير بن محسن - عبد الله بن خباب الأرت - عبد الله بن بريدة - محمد بن أبي بكر - عمرو بن الحمق - سعيد بن قيس الهمداني - عبد الله بن أبي سفيان - خزيمه بن ثابت الأنصاري - كعب بن زهير - ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب - الفضل بن أبي هب - أبو الأسود الدؤلي - مالك بن عبادة الغافقي - جندب بن زهير - زفر بن يزيد - جرير بن عبد الله البجلي - عبد الله بن حكيم التميمي - عبد الرحمن بن حنبل - أبو عمرو عامر الشعبي - أبو سعيد الحسن البصري - الإمام محمد بن علي الباقر Δ - قتادة بن دعامة الأکمه البصري - محمد بن سلم المعروف بابن شهاب - أبو عبد الله محمد بن المنکدر - أبو حازم سلمة بن دينار - أبو عثمان ربيعة بن أبي عبد الرحمن المدني - أبو النضر محمد بن السائب الكلبي - محمد بن إسحاق - جنيد بن عبد الرحمن.
٤. كما رواه شبابة عن فرات بن سائب قال: قلت لميمون بن مهران: أبو بكر الصديق أول إيماناً بالنبی 3 أم علي بن أبي طالب Δ؟ قال: «لقد آمن أبو بكر بالنبی 3 زمن بحير الراهب واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى أنكحها إياه وذلك كله قبل أن يولد علي بن أبي طالب»!

و يا لـ (شاهد منه) من مشاهد ملتوية بين من يربِّيه ومن يلعنه سباً له على المنابر^١.
و لقد تناست الأمة شاهداً منه 3 وتحولوا إلى غير شاهد منه مما ابتليت به الأمة
ساقطة في هوات، وماقتة بما هوات وما يتأوه الإمام الشاهد على ما حصل قائلاً في
شكشقيته:

(أما والله لقد تَمَّصَّها ابن أبي قحافة، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من
الرحى، ينحدر عنى السيل، ولا يرقى إليَّ الطير، فسدت دونها ثوباً، وطويت عنها

١. في ملحقات إحقاق الحق (٣:٤٠٧) فممن ذكر سبَّه Δ على المنابر ابن حجر العسقلاني في فتح
الباري (٧:٥٧) بقوله: ثم اشتد الخطب فتتقصوه واتخذوا لعنه على المنابر سنة ووافقهم الخوارج على
بغضه.. وكذا في ٧:٦٠ من قوله: ووقع في رواية عامر بن سعد بن أبي وقاص عند مسلم والترمذي
قال قال معاوية لسعد ما منعك أن تسب أبا تراب؟ قال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله 3
فلن أسبه، فذكر الحديث «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، وابن الجوزي في تذكرة
الخواص (١١٤) والحاكم النيسابوري في المستدرک (٣:١٢١) أورد فيه حديثين عن أم سلمة حيث
قال ما هذا لفظه بعد ذكر السند: دخلت على أم سلمة فقال لي أيسب رسول الله 3 فقلت: معاذ الله -
أو - سبحانه الله! فقالت: سمعت رسول الله 3 يقول: من سب علياً سبني، قال: هذا حديث صحيح
الإسناد، والحافظ الذهبي في ذيل المستدرک (٣:١٢١) والسيد علوي الحداد في القول الفصل (٢:٣٨٤)
والهيتمي في الصواعق المحرقة (٧٢) قال: لما اشتد الخطب واشتغلت طائفة من بني أمية بتنقيصه وسبِّه
على المنابر ووافقهم الخوارج لعنهم الله، والنيسابوري في صحيحه على ما في «التاج الجامع
للأصول» (٣:٣٢٩) قال عن سعد: أمرني معاوية أن أسب أبا تراب، والترمذي في صحيحه على ما
في التاج (٣:٣٢٩) وابن الأثير الجزري الموصلي في أسد الغابة (٤:٢٥) وابن عبد البر في الاستيعاب
(٢:٤٥) والطبري في الرياض النضرة (٢:١٨٨) وابن جرير الطبري في تاريخه الشهير (٢:١٢٤) وابن
عساكر في تاريخ دمشق (١:٣٥١).

أو هكذا يؤذى «شاهد منه» والله يقول: «الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد
احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً» (٣٣:٥٨) وقد تظافرت الرواية في نزول الآية فيه Δ كما في ملحقات
إحقاق الحق (٣:٤١٧): ومن أوردتها القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٤:٢٤٠) والبيضاوي في
تفسيره (٤:٤٧) ذكراً نزولها في المنافقين الذين يؤذون علياً Δ وابن مردويه في المناقب كما في كشف
الغمة (٩٥) والترمذي في مناقب مرتضوي (٦٠) والحازن في تفسيره (٥:٢٢٧) والبغوي في معالم
التنزيل المطبوع بهامش تفسير الحازن، والواحد في أسباب النزول (٢٧٣).

كشحاً، وطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طُخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهياً، حتى مضى الأول لسبيله، فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده، فيا عجباً بينا هو يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ما تشطراً ضرعيها، فصيرها في حوزة خشناء، يغلظ كدُمها، ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها، والإعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة، إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحم، فمُني الناس لعمر الله بمخبط وشِماس، وتلوّن واعتراض، فصبرت على طول المدة، وشدة المحنة -

حتى إذا مضى لسبيله، جعلها في جماعة زعم أنني أحدهم، فيالله وللشورى، متى إعتراض الريب في مع الأول منهم حتى صرتُ أقرن إلى هذه النظائر، لكنني أسففت إذا أسفو، وطرت إذا طاروا، فصغى رجل منهم لضعفه، ومال الآخر لصره، مع هن وهن - إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حُضنيه، بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع، إلى أن إنتكت فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته - فما راعني إلا والناس كعُرف الضبع إليّ، ينثالون عليّ من كل جانب، حتى لقد وطىء الحسنان، وشق عطفائي، مجتمعين حولي كربيضة الغنم - فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وقسط آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها -

أما والذي فلق الحبة، وبرء النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء ألا يقاتروا على كِظّة ظالم ولا سَعَب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عطفة

عزّ..^١) (و إنما كنت جاراً جاوركُم بدني أياماً وسُتَعقِبون مني چتّه خلّاءً ساكنةً بعد جرّاك، وصامته بعد نطوق، ليعظكم هُدوِّي وخُفوت أطراقي وسكون أطراقي، فإنه أوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ والقول المسموع، وداعي لكم وداع إمريءٍ مرصدٍ للتلاقي، غداً ترون أيامي، ويكشف لكم عن سرائري، وتعرفونني بعد خلوّ مكاني، وقيام غيري مقامي) (الخطبة ١٤٩) وقد يعني من غيره من يغيره في مقامه كعماوية. أجل، فهم أولاء المعصومون (عليهم السلام) من ذرية الرسول 3 (موضع سرّه، ولجأ أمره، وعيبة علمه، وموئل حكّمه، وكهوف كُتبه، وجبال دينه، بهم أقام إحناء ظهره، وإذهب إرتعاد فرائصه) (من الخطبة ٢).

ف (بنا اهتديتم في الظلماء، وتسنتم العلياء، وبنا انفجرتم عن السّرار، وقرّ سمعٌ لم يفقه الواعية، وكيف يراعي النبأة من أصمّته الصيحة، ربّط جنان لم يفارقه الحفّاقان، ما زلتُ أنتظر بكم عواقب العذر، وأتوسّمكم بحلية المغترّين، سترني عنكم جلبات الدين، وبصّرنيكم صدق النية، أقمت لكم على سنن الحق في جواد المضلّة، حيث تلتقون ولا دليل، وتحتفرون ولا تميهون، اليوم أنطق لكم العجماء ذات البيان، غرّب رأي امرءٍ تخلف عني، ما شككت في الحق مُدّ أريته، لم يوجس موسى Δ خيفة على نفسه، أشفق من غلبة الجهال، ودوّل الضلال، اليوم توافقنا على سبيل الحق والباطل، من وثق بما لم يظلماً) (الخطبة ٤).

ذلك، وقد وصفه رسول الله 3 بأوصاف منقطعة النظير إلا لهذا البشير النذير، وهي حسب ما حصلنا عليه زهاء ثلاثمائة وصفاً منضّدة كالتالية حسب ترتيب حروف الهجاء - وقد خلفت أوصافه إياها كلها - رواها مئات من الرواة، وأخرجها جماهير وفيرة

١. قالوا: وقام إليه رجل من أهل السواد عنده بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناولته كتاباً فأقبل ينظر إليه، فلما فرغ من قرائته قال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين لو أطردت خطبتك من حيث أفضيت، فقال: هيهات يا ابن عباس، تلك شقشقة هدرت ثم قرت، قال ابن عباس: فوالله ما أسيفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين Δ بلغ منه حيث أراد.

من مؤلفي إخواننا في قرابة الفين من مؤلفاتهم أم تزيد عن رسول الله 3^١.

ألف - إمام المتقين - أمير المؤمنين - أول من يرى رسول الله 3 - أول من يصافح النبي يوم القيامة - أول من صدق رسول الله - أول من وحد الله مع رسوله - الإمام على أمة رسول الله - إمام خلق الله - البرية - أبو ذريرة رسول الله - أمين رسول الله على وحيه - أبو هذه الأمة - أفضل الوصيين - إمام الأتقياء - أبو الأئمة الطاهرين - أقدم الناس مسلماً - أحب الأوصياء إلى الله - أعظم (أشرف) الناس حسباً - أكر الناس منصباً - أرحم الناس بالرعية - أعدل الناس بالسوية - إمام كل مؤمن ومؤمنة - الآخذ بسنة رسول الله 3 - أولى الناس بعد رسول الله - أول الناس (المؤمنين) إيماناً - أوفى الناس (المؤمنين) بعهد الله - أقوم الناس بعهد الله - أقسم الناس (المؤمنين) بالسوية، أرأف الناس (المؤمنين) بالرعية - أعدل الناس في الرعية - أمين الله على سره - أعظم الناس عند الله مزية - أول المسلمين (الأصحاب) إسلاماً - أقدم الأمة مسلماً (إيماناً) - أكثر الأمة علماً - أعظم الأمة (أفضل الأمة) - أوفر الأمة حلماً (أحلم الناس) - أحسن الناس خلقاً - أعلم الأمة الله - أول الناس ورداً على الحوض - آخر الناس عهداً برسول الله - أول الناس لقياً برسول الله - أشجع الناس قلباً - أسخى (أسمح الناس كفاً) - أصح الناس ديناً - أفضل الناس يقيناً - أكمل الناس حلماً - إمام أولياء الله - إمام من أطاع الله - أمين رسول الله في القيامة - أمين الله على أرضه - أعلم المؤمنين بأيام الله - أعظم المؤمنين رزية - أقوم الناس بأمر الله - الأوأه - أفضل الناس منزلة - أقرب الناس قرابة - أعظم الناس غنى - إمام المسلمين - أفضل الناس (هذه الأمة) - أعلم الناس - الأمين في أهل الأرض - الأمين في أهل السماء - أكمل الأمة يقيناً - أبو السبطين - أبو الريحانتين - أسد الله في أرضه - أول

١. ملحقات إحقاق الحق (ج ٤ و ٥) للمرجع الديني الكبير العلم الحجة السيد شهاب الدين المرعشي النجفي دام ظله ففي (٤٤) صحيفة ذكر المؤلفين بمؤلفاتهم، وفي (٥٠٣) سرد الأحاديث المعنية بذلك، فتم مجلد واحد - ولله الحمد - إختصاصاً بالروايات التي تحمل هذه المواصفات.

من يدخل الجنة - أول من يقرع باب الجنة - أمير البررة - الأخيشن (الأخشن) (المخشوشن) (الأخشي) في ذات الله - أب الأمة - أمير آيات القرآن - إمام البررة - أحب الخلق إلى الله ورسوله - أحب الرجال إلى النبي - أقرب الناس من رسول الله - أجود الناس منزلة - أعظم الناس عند الله عناءً - أعظم الناس على الله - أمين رسول الله - أقرب الناس إلى الحجّة - أبو اليتامى والمساكين - أول من صدق رسول الله - أول من وحد الله - أبو العترة الطاهرة الهادية - أحكم الناس حكماً -

ذلك وقد يفديه 3 بأبيه وأمه في مجالات عدة قائلاً له: (يا علي بأبي أنت - قم يفدي بك أبي وأمي - فالتزمه وقال بأبي وأمي - بأبي أبيكما وبأمي أمكما - بأبي أنتما وبأبي أبوكما وبأبي أمكما)¹.

و انه (أخو النبي 3 بمختلف التعابير ومتواترة المجالات)².

و أنه (إمام أوليائي - إمام من أطاعني - إمام القوم - إمام كل مسلم وأمير كل مؤمن - إمام الأولين والآخرين، كما في متواترات أخرى)³.

ب: باب رسول الله الذي يؤتى منه - باب الله - باب العلم - باب الحظّة - باب الجنة - باب علم رسول الله - باب مدينة العلم - باب العلم - باب الحكمة - باب الفقه - باب علمي -

ت: التواب الأواب - على رأسه تاج من نور.

ر: راية الهدى - ركن الإيمان - رباني هذه الأمة - رفيق رسول الله في الجنة -

ث: ثقة رسول الله -

ج - جنب الله -

١. تجده على الترتيب في ملحقات إحقاق الحق ج ٤: ٤٠ و ٧: ٣٩ و ٧: ٥٢٤ و ١٨: ١١ - ٤١ -

٩: ٢٠١ و ٢٦٧ - ٩: ٢٦٧).

٢. المصدر

٣. تجدها على الترتيب في المصدر

ح - حبيب الله - حبيب رسول الله - حبيب قلب رسول الله - حجة الله على برئته - حجة الله في أرضه بعد النبي - الحليم - حجة رسول الله - حجة النبي على أمة يوم القيامة - حامل رؤية رسول الله - حجة الله على الناس بعد رسول الله - حبل الله المتين -

خ: خاتم الوصيين - خليفة رسول الله - (في أمته من بعده) - خير من تركه رسول الله - خير من أخلفه رسول الله - خليفة الله في أرضه - خليفة الله على عباده - خاتم الأوصياء - خير الأوصياء - خير البشر - خير الناس - خير الرجال - خير هذه الأمة بعد نبينا - خير البرية - خير من طلعت عليه الشمس وغربت بعد النبي - خليل الله - خليل رسول الله - خدن رسول الله -

د: دافن رسول الله - الدال - ديان العرب - ديان هذه الأمة -

ذ: الذائد عن حوض رسول الله - الذاب عن ملة رسول الله - ذو قرني الجنة -

ر: راية الهدى - ركن الإيمان - رباني هذه الأمة - رفيق رسول الله في الجنة -

ز: زوج الأرامل.

س: سيد ولد آدم - سيد العرب - سيد في الدنيا والآخرة - سيد المؤمنين - سيد الأوصياء (الوصيين) سيف الله - سيف رسول الله - سيف الله على أعدائه - سيد الأولين والآخرين ما خلا النبيين - سيد الصديقين - سيد المسلمين - سيد الأولياء -

ش: شيخ المهاجرين - الشاهد -

ص: الصديق الأكبر - صاحب رسول الله - صاحب لواء رسول الله في المحشر - صاحب حوض رسول الله - صفي رسول الله - صاحب راية رسول الله يوم القيامة - الصراط المستقيم - صالح المؤمنين - صاحب رسول الله في المقام المحمود - صاحب سر رسول الله - صاحب لواء الحمد - صهر رسول الله - صاحب رسول الله في الجنة - الصديق -

ض: ضامن المستضعفين -

ط: الطريق الواضح - الطريق إلى الله -

ظ: ظهر رسول الله وأزره -

ع: عيبة علم رسول الله - عضد (عاضد) رسول الله - عمود الإسلام - العلم المرفوع لأهل الدنيا - عالم الناس - العابد - عقبري أصحاب رسول الله - العروة الوثقى - عين الله - علي مني مثل رأسي من بدني - علي من النبي والنبي من علي^١ - علي سيد العابدين^٢ أنا وعلي أبوا هذه الأمة - علي باب الدين .. ومن خرج منه كان كافراً.
غ: غاسل رسول الله -

ف: فاروق هذه الأمة - الفاروق بين الحق والباطل - الفتى -

ق: قائد الغر المحجلين - قاضي دين رسول الله - القائم بأمر الله - قاضي عداة رسول الله - قاصم عداة رسول الله - قاتل الناكثين - قبلة العارفين - قسيم الجنة والنار - قائد المسلمين إلى الجنة - قائد الأمة إلى الجنة - قائد المؤمنين إلى الجنة - قاتل الفجرة - قاتل الكفرة -

ك: كبير الناس - الكلمة التي ألزمها الله المتقين - كلمة التقوى -

ل: لحم رسول الله - لسان الله الصادق -

م: منجز وعد الله - موضع سر رسول الله - مولى البرية - مولى من كان رسول الله مولاه - المؤدي عن رسول الله - منار الإيمان - مفاتيح خزائن رحمة الله - مستودع مواريث الأنبياء - مصباح الدجى - منار الهدى - المتقدم إلى كل شديدة وكريهة - المثل

١. يرويه حبشي بن جنادة، والرووات عنه تسعة وثلاثون من محدثي إخواننا، وأبو ذر، وأبو رافع عنه عشرة وجابر وبريدة عنه خمسة عشر وعمران عنه إحدى وأربعون، وزيد عنه ستة وهبيرة عنه ثمانية وهبيرة عنه ثمانية وحسن بن علي عنه ثلاثة، عمر بن الخطاب عنه ثلاثة والبراء بن عازب عنه تسعة وعشرون وأم سلمة وابن عباس (ملحقات إحقاق الحق ٥: ٢٧٤-٣١٧).

و في (١٣٧: ١٦٧ - ١٦٧) استدراكات عما روي عن هؤلاء إضافة إلى حديث علي Δ ورافع وأنس وأسامة، وقد رواه عنهم مئات من المحدثين والمصنفين.

٢. المصدر ١٢: ٨٤-٨٦.

٣. ٧: ١٤٥ و ٢٠: ٣٧٠.

الأعلى - المهدي - المهتدي - المجتبي للإمامة - الملك في الآخرة - محيي سنة رسول الله
 - ممسوس في ذات الله - مقيم الحجّة - مفرج الكرب عن وجه رسول الله - المخشوش
 في ذات الله - المبلغ من الله ورسوله - منزلة علي من النبي منزلة هارون من موسى
 غير أنه لا نبي بعده، وفيه ثلاث وعشرون حديثاً - مختار الله مع النبي -
 ن: نور جميع من أطاع الله - نور أولياء الله - النبا العظيم - الناس من شجر شتى
 والنبي وعلي من شجرة واحدة -

و: ولي المتقين - وزير رسول الله - وصي رسول الله - وارث علم رسول الله -
 ولي المؤمنين (كل مؤمن) بعد رسول الله - وارث النبي - وارث علم النبيين - وزير
 رسول الله (في السماء والأرض) - ولي الله - ولي رسول الله في الدنيا والآخرة -
 ولي المؤمنين بعد رسول الله - ولي كل مؤمن ومؤمنة (كل مسلم ومسلمة) - ملجأ كل
 ضعيف - مأمّن كل خائف
 هـ: الهادي -

ي: يعسوب الدين - يعسوب المؤمنين - يعسوب المسلمين - يعسوب قريش - يد
 الله المبسوطة على عبادة بالمغفرة والرحمة -

هذا، وحق لذلك الشاهد منه، الجامع لمجاميع الصفات الحسنى أن يقول: (سلوني قبل
 أن تفقدوني) كلمة تخصّه بعد الرسول 3 كما يرويها عنه Δ التسعة عشر من محدثي
 إخواننا¹ وقد يعترف بذلك مثل عمر ومعاوية من قوله: لامرأته: (ويلك ما تدرين ماذا

١. كما في ملحقات إحقاق الحق (٥: ٦١٠ - ٦١٤) رواه جماعة من أعلام القوم في كتبهم ومنهم: ابن
 عبد البر في الإستيعاب (ج ١) قال: أجمع الناس كلهم على أنه لم يقل أحد من الصحابة ولا أحد من
 العلماء وابن أبي الحديد في شرح النهج (٢: ١٧٥) و(٣: ٢١٧) نقل كلام ابن عبد البر وقال: روى شيء
 أبو جعفر الاسكافي في كتاب تقض العثمانية عن علي بن الجعد عن ابن شبرمة والزرندي في نظم در
 السمطين (٩٦). قال: ليس لأحد من الناس أن يقول على المنبر إلا علي بن ابي طالب روى قوله
 وزاد: في رواية: «لا يقولها إلا كذاب أو مجنون».

ذهب من علمه وفضله وسوابقه^١.

و في كلام آخر لمعاوية كان النبي 3 يغرُّ علياً بالعلم، أي: يلقيه إياه^٢ فقد كان حقاً على الخليفة عمر أن يقول له يوم الغدير: (أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة) وكما يرويه عنه ستة وعشرون من محدثي إخواننا^٣.

و ابن عبد البر الأندلسي في جامع بيان العلم وفضله (٥٨) وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣٣٨:٢) والخطيب الحوازمي في المناقب (٥٤) والجزري في أسد الغابة (٢٢:٤) والطبري في الرياض النضرة (١٩٨:٢) وابن الجوزي في التذكرة وفي ذخائر العقبى (٨٣) وابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة (٧٤) ومحمد خواجه البخاري في فصل الخطاب على ما في ينابيع المودة (٣٧٢) والسيوطي في تاريخ الخلفاء (٤٤) والمنائوي في شرح الجامع الصغير (٢٤٧) والبدخشي في مفتاح النجا (٥٤) ومحمد بن طولون في الشذرات الذهبية (٥٠) والقندوزي في ينابيع المودة (٢٨٤) والأمرتسرى في أرجح المطالب (١٠٧) والمغربي في فتح العلى (٤٠).

١. كما رواه عنه في المناقب (٢٧٢) لما جاء معاوية خبر وفاة علي Δ وهو قائل مع امرأته في يوم صائف قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فإذا فقدوا من العلم والفضل والخير، قالت له إمرأته: تسترجع عليه اليوم؟ قال: ويلك ..

٢. رواه جماعة منهم ابن الأثير الجزري في النهاية (١٧٤:٣) والمؤدب الهروي في الغريبين (٥٩٠) والمحدث الصديقي الفتني في مجمع بحار الأنوار (١٤:٣) والأمرتسرى في أرجح المطالب (١٠٧).

٣. كما في ملحقات إحقاق الحق (٣٦١:٤ - ٣٦٨) ممن رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٢٩٠:٨) من قول عمر يوم الغدير لعلي Δ : بخّ بخّ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم .. و ابن المغازلي في المناقب والنيسابوري في فضائل الصحابة والثعلبي في تفسيره على ما في مناقب عبد الله الشافعي (١٠٤) مخطوط، والسمعاني النيسابوري في فضائل الصحابة (مخطوط) والبيهقي كما في كتاب محمد بن يوسف الشافعي (مخطوط) و وو والخطيب الحوازمي في المناقب (٩٣) والبيهقي في «الإعتقاد» (١٨٢) والطبري في ذخائر العقبى (٤٧) والحمويني في فرائد السمطين (مخطوط) والزرندي في نظم درر السمطين (١٠٩) والخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح (٥٤٥) والمقرئزي في الخطط والآثار المقرئزية (٢٣٠) وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة (٢٣) والسيوطي في الحاوي للفتاوى والكرخي في نفحات اللاهوت (٢٧) والصديقي في مجمع بحار الأنوار (٤٤٥:٣) والسهمودي في وفاء الوفاء (١٧٣:٢) والبدخشي في مفتاح النجا (٥٧) والدمشقي في ذخائر الموارث (٥٧:١) والقندوزي في ينابيع المودة (٢٠٤) والدهلوي في تجهيز الجيش (١٣٥) والساعاتي في بدايع المنن (٥٠٣:٢) وبهجت أفندي في تاريخ آل محمد (٨٥).

أجل (ويتلوه شاهد منه) لأن منزلته Δ منه 3 هي منزلته 3 من الله كما يرويه الخليفة أبو بكر عن رسول الله (ص) ^١.
 و هكذا يصبح (علامة النفاق بغض علي Δ وكما يروى عنه في ثلاث وأربعين مصدرًا، ستة وعشرون عن أبي سعيد الخدري، واثنى عشر يروون عن جابر وخمسة عن أبي ذر ^٢ (إنا كنا نعرف المنافقين بيغضهم علياً) Δ .
 هكذا يجدر بالخليفة عمر أن يقول فيه Δ : (لولا علي لهلك عمر) ^٣ - (نعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن) ^٤ - (عجزت النساء أن يلدن بمثل علي) ^١.

١. المصدر (٢١٨:٢١٧) كما في ذخائر العقبى (٦٤) روي عن ابن عباس قال: جاء أبو بكر وعمر يزوران قبر النبي 3 - إلى أن قال - قال أبو بكر: ما كنت لأتقدم رجلاً سمعت رسول الله 3 يقول: علي مني بمنزلة من ربي، أخر السمان في كتاب الموافقة، وقلندر الهندي في روض الأزهر (٩٧) مثله والأمر تسرى في أرجح المطالب (٤٦٨) مثله.
 ٢. المصدر (٢٣٧:٧ - ٢٤٠).

٣. في ملحقات إحقاق الحق (٨:١٨٢ - ٢١٣) يذكره ابن قتيبة الدينوري في تأويل مختلف الحديث (٢٠٢) وابن مردويه في تظلم الزهراء (مخطوط) والبلخي على ما في التلخيص (١٧) والكركي في نجات اللاهوت (٦٤) والسعدي الآبي في شرح أرجوزته (٢٩٤) مخطوط والفندوزي في ينابيع المودة (٧٠) والمغربي في فتح الملك العلي (٣٥) ومهجت أفندي في تاريخ آل محمد (١٣٥) وابن أبي الحديد في شرح النهج (٦) والقوشجي في شرح التجريد، وأحمد العجلي في ذخيرة المآل، والفرغاني في شرح القصيدة التائية لابن فارض، والتفتازاني في المطول على شرح تلخيص المفتاح (١٣٦) والعجلي في ذخيرة المآل والشامي الشافعي في مطالب السؤول، والخوارزمي في المناقب (٤٨) وسلطان المشايخ في المففوظات والأمال العرفانية.

٤. المصدر رواه جماعة منهم ابن عبد البر في الاستيعاب المطبوع بذييل الإصابة (٣:٣٩) والدينوري في مختلف الحديث (٢٠٢) والهروي في الغريين، وابن الجوزي في صفة الصفوة (١:١٢١) وابن مردويه على ما في تظلم الزهراء، والكنجي في كفاية المطالب (٩٥) والجوزي في أسد الغابة (٤:٢٢) وابن الجوزي في مختصر الغريين، والطبري في ذخائر العقبى (٨٢) والحموي في فرائد السمطين، والدمشقي في تاريخ الإسلام (٢:١٩٩) وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢:٣٣٩) والمالقي في فتح الأندلس (٢٣) وأبو ذرعة في طرح التثريب في شرح التثريب (١:٨٦) والعسقلاني في تهذيب التهذيب (١:٣٣٧) والهيثمي في الصواعق (٧٦) وپارسا البخاري في فضل الخطاب على ما في ينابيع

(لولا علي لا فتضحنا)^٢ - (يا ابن أبي طالب ما زلت كاشف كل شبهة وموضح كل حكم)^٣ (اللهم لا تنزل بي شديدة إلا وأبو الحسن إلى جنبي)^٤ - (أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن)^٥ (اللهم لا تبقني لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب)^٦

المودة (٣٧٣) والعسقلاني في الإصابة والسيوطي في تاريخ الخلفاء (١٧١:٦٦) والفتني في مجمع بحار الأنوار (٣٩٦:٢) والقندوزي في ينابيع المودة (٢١١) والمنأوي في فيض القدير في شرح الجامع الصغير، والعجلي في ذخيرة المآل وابن قيم في أعلام الموقعين (١٥:١) والبدخشي في مفتاح النجاة والنبهاني في الشرف المؤبد (٥٩) والصبان في إسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار، والشبلنجي في نور الأبصار (٧٤) والقلندر في روض الأزهر (٣٦٥) والمصري في طبقات المالكية (٧١:٢) والمغربي في فتح العلى (٣٥) والمنأوي في شرح الجامع الصغير (٢٤٧) والأمر تسرى في أرجح المطالب (١٢١) وابن الصباغ في الفصول المهمة (١٧) والبلخي في التلخيص.

١. المصدر رواه جماعة منهم الخوارزمي في المناقب (٤٨) والشافعي في مطالب السئول (١٣٠) وخواجة يارسا البخاري في فصل الخطاب على ما في ينابيع المودة (٣٧٣) والحموي في فرائد السمطين والمبيدي في شرح الديوان (١٨٣) والقندوزي في ينابيع المودة والأمر تسرى في أرجح المطالب.

٢. المصدر رواه جماعة منهم الزمخشري في ربيع الأبرار (٥٤٨) والأمر تسرى في أرجح المطالب (١٢٢).

٣. المصدر رواه جماعة منهم المتقي الهندي في كنز العمال (٤٩٧:٥).

٤. المصدر رواه جماعة منهم الطبري في ذخائر العقبى (٨٢) والحموي في فرائد السمطين، والزرندي في نظم درر السمطين.

٥. المصدر رواه جماعة منهم الحاكم النيسابوري في المستدرک (٤٥٧:١) والطبري في ذخائر العقبى (٨٢) والذهبي في تلخيص المستدرک المطبوع بذي له (٤٥٧:١) والمتقي الهندي في كنز العمال (٩٣:٥) والإسحاق في أخبار الأول (٣١).

٦. المصدر رواه جماعة منهم الخطيب الخوارزمي في مقتل الحسين (٤٥) وفي المناقب (٥٨) والبلخي في التلخيص (١٦) والگنجي في كفاية الطالب (٧٢) والحموي في فرائد السمطين (مخطوط) والزرندي في نظم درر السمطين (١٣٢) وابن الصباغ في الفصول المهمة (١٧) والمتقي الهندي في كنز العمال (١٥٧) وابن الجوزي في تذكرة الخواص (١٥٧) والشبلنجي في نور الأبصار (٧٢) والقندوزي في ينابيع المودة (٧٥).

و(لا أبقاني الله بعدك يا علي).^١

يقولها جلالة الخليفة عند المعضلات التي كان يحللها له علي Δ .

ذلك علي Δ شاهد منه، ثم فاطمته الزهراء شاهدة منه كما تدل علي محمدها آية التطهير والمباهلة وما أشبه، وبالتالي المتواتر عن الرسول 3 في مواصفاتها العالية الغالية، ما تجعلها قرينة صالحة لعلي Δ :

منها قوله 3: (فاطمة سيدة نساء العالمين)^٢ (فاطمة أفضل النساء من الأولين

١. المصدر رواه جماعة منهم الخطيب الخوارزمي في المناقب (٦٠) والطبري في ذخائر العقبى (٨٢) والحموي في فرائد السمطين (مخطوط) والآبي في شرح الأرجوزة، والمنادي في شرح الجامع الصغير (٢٤٨) وسبط ابن الجوزي في التذكرة (١٥٧) والمتقي الهندي في كنز العمال (١:١٥٧) والأمر تسرى في أرجح المطالب (١٢٢) والسهمودي في جواهر العقدين في فضل الشرفين والقسطاني في توضيح الدلائل علي ما في فلك النجاة (٤٠٩). أقول: وهذه تصريحاته وعشرات أمثالها قالها في مختلف المآزق والتفصيل راجع إلى المصدر وأشباهه كالغدير والعبقات.

٢. في ملحقات إحقاق الحق رواه جماعة من الأعلام منهم الطيالسي في المسند (١٩٦) عن عائشة قالت: كنا عند رسول الله 3 في مرضه الذي مات فيه ما يغادر منا واحدة إذ جاءت فاطمة تمشي ما تخطيء مشيتها من مشية رسول الله 3 شيئاً فلما رآها قال: مرحباً بابنتي فأقعدها عن يمينه أو عن يساره ثم سارها بشيء فبكت، فقلت لها أنا من بين نساءه: خضك رسول الله 3 من بيننا بالسرار وأنت تبكين؟ ثم سارها بشيء فضحك، قالت: فقلت لها: أقسمت عليك بحقي أو بمالي عليك من الحق لما أخبرتيني؟ قالت: ما كنت لأفشي علي رسول الله 3 سره، قالت: فلما توفي النبي 3 سألتها فقالت: أما الآن فنعم، أما بكائي فإن رسول الله 3 قال لي: إن جبرئيل Δ كان يعرض علي القرآن كل عام مرة فعرضه عليّ العام مرتين ولا أرى إلا أجلي قد إقترب فيكيت، فقال لي: إنني الله واصبري فإنني أنا لك نعم السلف ثم قال: «يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين أو سيدة نساء هذه الأمة؟ فضحكت» نقل مثلها عنها ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨:٢٦) والنسائي في الخصائص (٣٤) والحاكم النيسابوري في المستدرک (٣:١٥٦) والتهاني البيروني في جواهر البحار (١:٣٦٠) وابن عبد البر الأندلسي في الإستيعاب (٢:٧٥٠) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢:٣٩) والموفق بن أحمد في مقتل الحسين والبعوي في مصابيح السنة والمجزري في أسد الغابة (٥:٥٢٢) والذهبي في تاريخ الإسلام (٢:٩٤) والعسقلاني في الإصابة (٤:٣٦٧) والسيوطي في الخصائص

والآخرين) (فاطمة سيده نساء أهل الجنة) (فاطمة سيده نساء هذه الأمة) (إن الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها) (نزل جبرئيل لابلاغ سلام الله إلى فاطمة) (إشراق الجنان من نور ضحك فاطمة وعلي H) (أول من يدخل الجنة فاطمة) (تبعث فاطمة يوم القيامة أمام رسول الله) 3 (تحشر فاطمة متعلقة بقائمة العرش وتطلب بثأر ولدها) (فاطمة أحب الناس إلى النبي) 3 (فاطمة أحب وعلي أعز) (هي روعي التي بين جنبي) (منوط لحمها بدمي ولحمي) (فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وينصيني ما ينصبها) (فاطمة بضعة مني يريني ما أراها) (فاطمة شجنة مني يسطني ما يسطها) (فاطمة بضعة مني يسرني ما يسرها) (فاطمة بضعة مني من أغضبها فقد أغضبني) (فاطمة بضعة مني وهي قلبي وروحي التي بين جنبي) (من أرضى فاطمة

(٢٦٥:٢) والمتقي الهندي في كنز العمال (٩٥:١٣) وفي منتخب كنز العمال (٩٧:٥) والنقشبندى الخالدي في صلح الإخوان (١١٦) ومسلم في صحيحه والهندي الحنفي في الروض الأزهر (١٠٣) والزبيدي في إتخاف السادة المتقين والقندوزي في ينابيع المودة (٢٦٠) والبدهشي في مفتاح النجا (١٢).

وروه عن عمران بن الحصين وجابر بن سمرة وابن عباس وأبي بريدة الأسلمي وأبي هريرة وأنس، ونرى هكذا الحديث الثاني والثالث والرابع.

المصدر رواه جماعة من الأعلام منهم الحاكم النيسابوري في المستدرک (١٥٣:٣) عن علي Δ قال قال رسول الله 3 لفاطمة: إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك والطبراني في المعجم الكبير (١٤) والخطيب الخوارزمي في مقتل الحسين (٥١) واليافعي في التدوين (٤٢:٣) وابن الأثير في أسد الغابة (٥٢٢:٥) والطبري في ذخائر العقبى (٣٩) وابن الجوزي في التذكرة (٣٢٠) والكنجي في كفاية الطالب (٢١٩) والذهبي في ميزان الاعتدال (٧٢:٢) والسمهودي في نظم درر السمطين (١٧٧) والعسقلاني في الإصابة (١٧٧) والسيوطي في الخصائص (٢٦٥:٢) وفي الثغور الباسمة (١٥) والدمشقي في أخبار الدول (٨٧) والمتقي الهندي في كنز العمال (١٣) والدشتكي في روضة الأحباب (٦٦٥) والمناوي في كنوز الحقائق (٣٢) والشافعي في المناقب (٢٠٧) والعسقلاني في تهذيب التهذيب (٤٤١:١٢) والنقشبندى في صلح الإخوان (١٣٤) والقندوزي في ينابيع المودة (١٧٣:١٩٨) والبدهشي في مفتاح النجا (١٠١) والصبان في أسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار (١٩) والحضرمي في رشفة الصادي (٦١) والنبهاني في الشرف المؤبد (٥٣).

وهكذا نجد الأحاديث (٢٦-٦) متواترة بشأنها وللإطلاع المفصل يراجع المصدر.

فقد أرضاني ومن اسخطها فقد اسخطني) (فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها)
 (فاطمة بضعة مني يسوءني ما ساءها) (فاطمة بضعة مني يسعفني ما يسعفها) و(إنها
 كانت أشبه الناس وجهاً برسول الله)3 (كانت مشية فاطمة مشية رسول الله).
 هذه شطر من مميزات الصديقة الطاهرة I أنها - ككل - خير نساء العالمين من الأولين
 والآخريين، وأخيراً هي أعظم نساء المسلمين رزية^١.

ذلك، ولقد نجد ذكر علي Δ على لسان النبي 3 مروياً في زهاء ألفين من مؤلفات
 إخواننا قرابة ثلاثمائة مرة توازي الثلاثمائة السالفة من مواصفاته، وإليكم سرداً منها
 إختصاراً بمحذف عناوينها المسرودة في ملحقات إحقاق الحق:

(أنا وعلي أبوا هذه الأمة - علي أبو تراب - علي أمير المؤمنين - علي إمام الأولياء
 - علي أول من آمن - علي أول من أسلم - علي أول شافع - علي أول من صدق
 رسول الله 3 - علي أول من صلى - علي أول من يصفحني - علي أول من يرد عليّ
 الحوض - علي أول من يلقاني - علي أول من وحّد الله - علي أول من يقرع باب
 الجنة - علي أول من تنشق الأرض بعد رسول الله 3 - نعم الأخ أخوك علي - علي
 أخي في الدنيا والآخرة - علي أسد الله - علي أصلي وجعفر فرعي - علي إمام الغرّ
 المحجلين - علي إمام البررة - علي إمام المتقين - علي إمام المسلمين - علي إمام الخلق
 - علي أميني على مفاتيح .. - علي باب الله الذي لا يؤتي إلا منه - علي أبصرهم
 بالقضية - علي حجة الله - علي مقيم الحجّة - علي أعظمهم حليماً - علي أوفرهم
 حليماً - علي أحلم الناس حليماً - علي باب علمي - علي باب الدين .. ومن خرج منه
 كان كافراً - أنا مدينة الجنة وعلي بابها - أنا مدينة الحكمة وعلي بابها - أنا دار الحكمة

١. رواه جماعة من الأعلام كالعسقلاني في فتح الباري (١١١:٨) عن عائشة أن النبي 3 قال لفاطمة:
 «إن جبرئيل أخبرني أنه ليس إمراً من نساء المسلمين أعظم رزية منك فلا تكوني أدنى إمراً منهن
 صبراً» ورواه مثله النبهاني في الأنوار المحمدية (٥٨٢) والقندوزي في ينابيع المودة (١٩٨) والهيثمي
 في مجمع الزوائد (٢٣:٩).

وعلي بابها - أنا مدينة العلم وعلي بابها - أنا دار العلم وعلي بابها - أنا مدينة الفقه وعلي بابها - علي باب حطة من دخلها كان مؤمناً ومن خرج عنه كان كافراً - إن الله عز وجل يباهي بعلي - ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين - لمبارزة علي يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي - لعلي من الثواب ما لو قسم على أهل الأرض لوسعهم - حب علي حب الله - علي أحب الخلق - أحب الأعمال حب علي - ما ثبت حب علي في قلب مؤمن إلا ثبت الله قدمه - أول تلمة في الإسلام مخالفة علي - حب علي عبادة - من أحب علياً أعطاه الله بكل عرق في بدنه مدينة في الجنة - قل لمن أحب علياً أن يتهياً لدخول الجنة - أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لعلي - إنه يترحم علي محبي علي كما يترحم على الأنبياء - من أحب علياً أحبني - من أبغض علياً أبغضني - يا محمد إن الله يأمرك أن تحب علياً وتحب من يحب علياً - حب علي إيمان - حب علي براءة من النفاق - حب علي يأكل الذنوب - لو اجتمع الناس على حب علي لما خلق الله النار - أمر رسول الله 3 أين يمتنعوا أولادهم بحب علي - أحبوا علياً محبي وأكرموا بكرامتي - إن الله يحب علياً ما لا يحب الملائكة ولا النبيين ولا المرسلين - عنوان صحيفة المؤمن حب علي - حب علي حسنة لا تضر معها السيئة - لن يقبل الله فرضاً إلا بحب علي - جناح هذه الأمة علي - علي خاتم الأوصياء - علي حبيب الله - حب علي جواز على الصراط وبراءة من النار - السعيد كل السعيد من أحب علياً - إن علياً وحزبه هم المفلحون - علي جبل الله - إن حافظي علي ليفخران على سائر الملائكة - حق علي كحق الوالد - اللهم بحق علي اغفر للخاطئين من أمتي - يا رب بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين .. إن لعلي حقاً لا يعلمه إلا الله وأنا - قسمت الحكمة عشرة أجزاء .. وتسعة لعلي - من خرج على علي فهو كافر - علي خير أمتي - علي خير أهلي - علي خير إخوتي - علي خير البشر - علي خير البرية - علي خير الأمة - علي خير الخلف - علي خير الخلق - علي خير من طلعت عليه والشمس وغربت بعدي - علي خير الرجال - علي خير الناس - علي خير الأوصياء - شجرة في الجنة أصلها في دار علي وفرعها على أهل الجنة - علي ديّان

هذه الأمة - علي وذريته يهتمون الأوصياء إلى يوم الدين - علي إمام أمتي - علي حجتي على أمتي - علي إمام أوليائي - علي أعلم الناس بالله - علي عبقرى أصحاب رسول الله 3 - عادى الله من عادى علياً - علي عمود الإسلام - علي عيبة علمي - علي مفرج كربتي - علي أسخاهم كفاً - سمي علياً لأنه لم يسم أحد قبله باسمه - علي سيد الصادقين - علي سيد العابدين - علي سيد الصديقين - علي سيد المؤمنين - علي رباني هذه الأمة - علي راية الهدى - علي رفيقي - علي ركن الإيمان - علي سيد الأولين والآخرين - علي سيد ولد آدم - لا فتى إلا على - علي أشجع الناس قلباً - علي صاحب سرّي - علي عوني على مفاتيح الجنة - أنا وعلي شجرة واحدة - علي مصباح الدجى - علي الصديق الأكبر - علي صفوة الله - علي أعلم الأمة بعدي - علي أعظم الناس منزلة - علي أعظم الناس عند الله مزية - علي أعظم الناس عند الله غناء - علي أقوم الناس بأمر الله - علي أقسم الناس بالسوية - علي أكرم الناس أخاً - علي أكرم الناس درجة - علي أكرم الناس نفساً - علي أكرم الناس يقيناً - علي نظيري - علي منار الإيمان - علي نفسي - علي مستودع موارث الأنبياء - علي وارثي - علي وزيرى - علي وصيى - علي ولي الله - علي ولي كل مؤمن - تمام دين الله ولاية علي بعدي - علي مدينة هدى فمن دخلها نجى ومن تخلف عنها هلك - علي غاية الهدى - علي يعسوب الدين^١ .

ذلك، وما أحسنه قول الرسول 3 في حقه: (لو لا أني خاتم الأنبياء لكنت شريكاً في النبوة)^٢ وقوله 3: (علي مني وأنا منه)^٣ و(علي مني بمنزلة من ربي)^٤ و(علي

١.ملحقات إحقاق الحق البالغ إلى ثلاثين مجلداً ضخمة، وقد طبع منها حتى الآن واحد وعشرون مجلداً، كلها تعني بيان منزلة الإمام علي Δ في لسان الرسول 3 المذكورة في قرابة الفين من مؤلفات إخواننا السنة، وهذا شطر قليل من الكثير الغزير.

٢.ملحقات إحقاق الحق

٣.المصدر

٤.المصدر

وارثي)¹ و(علي وزيري)² (يا أبا بكر هذا الذي تراه وزيري في السماء ووزيري في الأرض)³.

و (علي وصبي)⁴ - (خاتم الوصيين - خاتم الأوصياء - وصي الله - خير الأوصياء - سيد الوصيين - سيد الأوصياء - أفضل الأوصياء - ...⁵.

و قد جاءت (بيّنة) في القرآن لمصاديق عدة أصدقها القرآن: (أو لم تأتهم بيّنة ما في الصحف الأولى) (١٣٣:٢٠) (قل إني علي بيّنة من ربي وكذبتهم به ما عندي ما تستعجلون به ..) (٥٧:٦) (و هذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون. أن تقولوا .. فقد جاءكم بيّنة من ربكم وهدىً ورحمة ..) (١٥٧-١٥٥:٦) (و كأين من قرية هي أشد من قريتك التي أخرجتك أهلكتناهم فلا ناصر لهم. أفمن كان على بيّنة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم) (١٣:٤٧-١٤).

فقد (بعث الله محمداً 3 بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته ومن طاعة الشيطان إلى طاعته، بقرآن قد بيّنه وأحكمه ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه، وليُقرؤا به بعد إذ جحدوه، وليثبتوه بعد إذ أنكروه، فتجلّى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه، بما أراهم من قدرته، وخوفهم من سطوته، وكيف مَحَقَّ من محق بالثلث، واحتصد من احتصد بالنقمة) (الخطبة ١٤٧).

و قد عبّر عن آيات القرآن بالبينات في عشرات من الآيات، مما يقرر أن القرآن هو أفضل البينات الربانية وأبينها، وهنا (من ربه) دون (الله) أو (رب العالمين) لمحة لامعة أن القرآن يحمل كافة البينات الربانية التي بالإمكان أن تنزل على الخلق. (ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة) وتراه إماماً على القرآن ورحمة على رسول

١.المصدر

٢.المصدر

٣.المصدر

٤.ملحقات إحقاق الحق

٥.وكل من هذه الصيغ وارد عنه 3 بصورة متواترة، راجع فهرس ملحقات إحقاق الحق ٥٧٨:٥٨٢.

القرآن ومحمد3 هو إمام الأئمة الرسولية والرسالية على مدار الزمن، وقرآنه هو المهيمن على الكتابات الرسالية على مدار الزمن.

فحين يقال فلان إمام، يعني على أمته، فكتاب موسى إمام على أمة موسى Δ ورحمة لهم، ومن رحمته ما فيه من بشارات بحق محمد3: (قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل عى مثله فأمن واستكبرتم .. وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا وإذ لم يهتدوا فسيقولون هذا إنك قديم. ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين) (١٣:٤٦).

ثم (أولئك يؤمنون به) يعم المشركين إلى الكتابين، بل والأصل هنا هم الكتابيون لمكان (كتاب موسى) فليس شديد التنديد هنا إلا بهم، فهل التوراة بعد إمام للقرآن؟ (و من يكفر به من الأحزاب فالنار موعده)؛ وليس الكفر بالمأموم الفرع بعد الإيمان بالإمام الأصل مما تُستحق به النار! .

فالأحزاب الدينية بمختلف مبادئها، والأحزاب الإلحادية والشركية على إختلافها (من يكفر) منهم (به) - وهو عشير بينات ثلاث وحشيرها - فالنار موعده فلا تك في مرية منه: القرآن ورسالتك به، (إنه الحق) كله (من ربك) مهما كان سائر الوحي أيضاً حقاً، ولكن أين حق يُنسخ حيث يتلوه حق آخر، ثم ويحرف، وهو شطر من الحق، أين هو من (الحق) الذي لا يُنسخ ولا يحرف وهو خالد إلى يوم الدين، جامعاً حق الوحي السالف كله وفيه مزيد. (و لكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك الحق المتين المبين مقصرين أو قاصرين.

و لا يعني نهيه 3 عن ريبة منه أنه إرتاب، كيف و(هو على بيّنة من ربه) وإنما هو تسلية له 3 وتسرية عما قد يخالف نفسه المقدسة من أعباء الرسالة أمام المكذبين، ثم وهو من باب (إياك أعني واسمعي يا جارة) .

ذلك، فلا مجال لتخيلات حداد الواهية، وتقولاته الساهية: أن هذه الآية تقرر إمامة التوراة للقرآن^١ وانه نسخة عربية للتورات، رغم أن هذه الآية ونظيرتها: (و قال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم. ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا أو بشرى للمحسنين) (١٢:٤٦) رغم أنهما تنديدان إثنان بالذين يكفرون بالقرآن (و من قبله كتاب موسى) لهم (إماماً ورحمة) يدل في بشارات على صدق هذا القرآن ونبيه.

ثم الضمير في (من قبله) لا يرجع إلا إلى المذكور قبله فيهما وهو الرسول 3، فقد كان على بيّنة من ربه إذ جاء (ومن قبله) قبل أن يأتي (كتاب موسى) بيّنة سابقة على صدقه (إماماً ورحمة) للذين هم به يؤمنون، فقضية الإيمان بالتوراة الذي هو لهم إمام الإئتمام بها في تصديق هذا الرسول 3 بقرآنه المبين وتبينه المتين.

فهو محفوف في هندسة هذه الرسالة الأخيرة بثلث من البيئات حالياً وماضياً ومستقبلاً، فهل أنتم بعد هذه البيئات تَمَنُّ (يؤمنون به) ؟ (و من يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) كمثل الحداد في دعاياته المتكررة في كتاباته أن: (التوراة إمام القرآن .. وهو تفصيل وتعريب للكتاب المقدس ..).

ذلك، وبالرغم من آيات بينات تقرر الرسول إماماً على كافة النبيين: (و إذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) (٨١:٣).

و أنه شهيد الشهداء يوم يقوم الأشهاد: (و يوم نبعث من كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيءٍ وهدياً ورحمةً وبشرى للمسلمين) (٨٩:١٦).

١. يقول الحداد في كتابه «القرآن والكتاب» عشرات المرات.

و أن دينه ظاهر على الدين كله: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً. محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً ينتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآرزوه فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات مغفرة وأجرأ عظيماً) (٢٩:٤٨).

ثم القرآن يعرف نفسه بالهيمنة الطليقة على سائر كتابات الوحي: (و ليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون. وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاء من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لمجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم في ما أتاكم ..) (٤٨:٥).

و بأنه مبشر به في زبر الأولين: (و إنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين. وإنه لفي زبر الأولين. أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل) (١٩٢:٢٤-١٩٧).

هذه وعشرات أمثالها. الصريحة في استقلال وحي القرآن، دونما استغلال سائر الوحي فيه، وانه برسوله يفوق كل وحي وموحي إليه.

ذلك، والقرآن يشهد بنفسه أنه أرقى بكثير من سائر كتابات السماء الأصيلة، فضلاً عن التحريفات والتناقضات الكثيرة التي تسربت إليها بأيدي التحريف والتجديف، لحد وصلوها إلى مليون غلطاً.

١. يقول «ياركز» في ج ٥ من تفسيره، إن في التوراة والإنجيل ثلاثين ألف غلطاً، والقرآن ليس مثلها إلى نيف ومائة ألف غلط وكما يقول كريسباچ، ويقول «شولز» إنها لا تُحصى، وفي دائرة المعارف البريطانية والفرنسية أنها زهاء مليون غلطاً، وقد اعترف بهذه الأغلط والإختلافات علماء مثل: اكهارن - كيسر - هيس - ديوت - ويز - فرش (راجع كتابنا) المقارنات العلمية والكتايبية بين الكتب السماوية تجد فيه تولاً فصلاً بهذا الصدد.

ذلك، فقد (كان على بيّنة من ربه) منذ كان فطيماً حتى ابتعث، وإلى أن إرتحل إلى جوار رحمة ربه، بمثلث من البيّنات، رأس زاويتها القرآن، والأخريان نفسيته قبل الرسالة وبعدها.

ثم (و يتلوه شاهد منه) في زاويتين، صغراها الإمام علي Δ ما عاش زمنه وبعده، وكبراهها القرآن حيث ظل شاهداً من الله لرسالته الخالدة.

(و من قبل) من قبله كتاب موسى (كأصل) إماماً ورحمة، وكفرع كتاب عيسى وسائر كتابات الوحي.

إذاً فضمير الغائب في (منه) قد يرجع إلى الله فقط وهو في شاهد القرآن فإنه ليس إلا من الله، أم إلى الله كأصل وإليه كفرع، وهو في شاهد الإمام علي Δ والأئمة من ولده المعصومين، فطالما الثقل الأكبر مستمر بنفسه، فالأصغر هو مستمر بصنيعه الذي هو كنفسه.

فقد انحصر (شاهد منه) في القرآن وعلي، وانحسر عن جبرئيل ومن أشبهه، والشاهدان هما المعنيان من (شاهد منه) حيث يعنى منه جنس الشاهد، وقد يلمح الأفراد إلى أصل (شاهد منه) وهو القرآن، وآيات شهادة الله في قرآنه تشهد لعناية شاهد القرآن من (شاهد منه) فليس تفسير (شاهد منه) بالإمام علي Δ إلا تبنياً لمصدق ثان هو تجسيد للشاهد الأول، كما وان الرسول بيّنة من ربه كما القرآن لأنه هو القرآن! .

و إنما تأتي متواتر الروايات شاهدة على أن علياً Δ هو (شاهد منه) دون القرآن، حيث الشهادة القرآنية ثابتة متفق عليها، فهنا تعني الروايات إلحاق مصداق مختلف فيه بمصداق متفق عليه.

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) (١٨:١١) .

(من افترى على الله) رسولياً أو رسالياً، أن ينسب إليه تعالى رسالة أو وحياً أو حكماً بفرية، وأظلمهم هو الجامع بين هذه الثلاث، فرية على الله كذباً في ذلك المثلث،

وهو مأخوذ بأخذه ربانية قاسية قاضية في الأولى والآخرة، فهنا: (و لو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين..) (٤٦:٤٩) قضية واجب الحفاظ على السفارة الربانية، وهناك (أولئك يعرضون على ربهم ..) وقد ينادى فيهما (ألا لعنة الله على الظالمين) بحق الحق وبحق الخلق وبحق أنفسهم، فهم في ثلوث منحوس من الظلم وما أظلمه.

و (الأشهاد) هنا هم شهداء الأعمال بما أشهدهم الله عليها، وأشهدهم هو إمامهم محمد3: (و يوم نبعث من كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) (٨٩:١٦).

ثم والأمة من عترته (عليهم السلام): (و كذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) (١٤٣:٢) - (و جاهدوا في الله حق جهاده هو إجتباكم .. ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس) (٧٨:٢٢) والمجتبون الرساليون من ذرية إبراهيم هم المعصومون من عترة محمد3.

ولأن (الظالمين) هنا عامة طليقة فهل تشمل كافة الظالمين وإن كانت دركات اللعنة عليهم حسب دركاتهم في الظلم، كما أن درجات الرحمة حسب الدرجات في العدل؟ . كلا! فإن كل ظلم لا يخلف لعنة من الله، واللغات القرآنية على الظالمين مختصة حسب القرائن بأهل النار منهم، وهنا الآية التالية تختصها بهم:

(الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْغُونَهَا عِوَجًا وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) (١٩:١١).

(يصدون عن سبيل الله) رسولياً ورسالياً وكتاباً ودعوة ودعاية وأية سبيل من سبيل الله (و ييغونها عوجاً) طلباً لإعوجاجها عن الله إلى الشيطان، فقد ييغون سبيل الله نفسها عوجاً أن يصوروها بصورة الباطل فيخيّل إلى الجاهل أنه باطل، وأخرى ييغون

١. نور الثقلين ٢: ٣٤٧ في المناقب لابن شهر آشوب عن الباقر Δ في الآية قال: نحن الأشهاد.

السبيل كلها عوجاً، فضمير التأنيث راجع إلى سبيل الله في الأول، وإلى سبيل - فقط - في الثاني، (و هم بالآخرة هم كافرون) كأن ليس هناك كافر بالآخرة إلا إياهم، حيث الصادُّ عن سبيل الله وهو يبغيها عوجاً بين منكر لله، أم - لأقل تقدير - منكر بالآخرة. (أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) (١٧:٢٠).

(أولئك) الذين يصدون عن سبيل الله (لم يكونوا معجزين) الله ورسَل الله والمؤمنين بالله (في الأرض) مهما أَرعدوا وأبرقوا (و ما كان لهم من دون الله من أولياء) يوالونهم في صدهم، ثم (يضاعف لهم العذاب) قدر ما يضاعفون في صدهم عن سبيل الله، خروجاً لهم عنها وإخراجاً منها للمساكين فيها، وهم (ما كانوا) يوم الدنيا (يستطيعون السمع) للحق إذ صمَّوا عنه حتى صمَّت آذان قلوبهم (و ما كانوا يبصرون) الحق إذ تعاموا عنها (فعموا وصمَّوا) (٥:٧١) و(أولئك الذين لعنهم الله فأصمَّهم وأعمى أبصارهم) (٢٣:٤١) فقد (هديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) (١٧:٤١) فأعميناهم بما عموا وصمَّناهم بما صموا.

و ترى لماذا هنا الإختصاص بالأرض في سلبية الإعجاز؟ لأن العاجز من الإعجاز في الأرض التي يعيشها هو أعجز من الإعجاز في السماء: (و ما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء) (٢٢:٢٩).

ثم (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) قد تعني (ما) فيهما كلا النافية والموصولة أو الموصفة، فقد يضاعف لهم العذاب لكونهم مستطيعي السمع والإبصار وهم لا يسمعون أو يبصرون، تركاً للتكليف المستطاع، كما ويضاعف لهم العذاب إذ تركوا السمع والأبصار لحد بطل سمعهم وإبصارهم بما تركوا و(ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) (٧:٢) (قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به) (٤٦:٦) وقد يُعنى ثالث هو نفي استطاعة السمع والإبصار عن أولياءهم من دون الله، وأحسن الوجوه هو الجمع بين الجمع جمعاً بين صالحة المعاني.

(أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢١) لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ) (٢٢:١١).

(و قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا من أصحاب السعير. فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير) (١١:٦٧) فقد (خسروا أنفسهم) حين خسروا سمعهم وأبصارهم، (و ضل عنهم ما كانوا يفترون) ضلالاً يوم القيامة حيث يواجهون شركاءهم وهم لهم منكرون، ف (لا جرم) دونما إفلات أو إلفات (أنهم في الآخرة هم الأخسرون) ف (قل) هل أنبتكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) (١٠٣:١٨) .

(إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زيننا لهم أعمالهم فهم يعمهون. أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون) (٥:٢٧) .
(إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ اخْتَبُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (٢٣:١١) .

الخبث هو المطمئن من الأرض، فالإخبات هو قصده ف (إلى ربهم) تعني الإطمئنان بكامل التدلل لله بكل الطاقات، فكما أن إخبات البعير هو ضرب أنفه على الأرض، كذلك (الذين آمنوا) بالله (و عملوا الصالحات) لله، هم المختبون إلى ربهم، ضار بين أنوفهم على أرض الذل، خروجاً عن كل كبر واستكبار إلى كامل الذل والصغار. ذلك، فلا إخبات لهم في الحياة إلا إلى ربهم، فلربهم يُختبون وإلى ربهم يطمئنون، حيث هم ذاكرون الله كثيراً بقالهم وحالهم وأعمالهم فهم مطمئنون في زعزة الحياة، فأمنون من بأساء وضرأء الممات إلى سراء الحياة بذكر الله: (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) (٢٨:١٣) .

فالذين يعيشون مثلث الإيمان وعمل الإيمان والإخبات إلى الرحيم الرحمان هم من أصحاب الجنان (هم فيها خالدون) .

و الإخبات هو التسليم بعد سليم الإيمان وعمل الإيمان، التسليم الطليق لله دون سواه، (فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين) (٣٤:٢٢) (و ليعلم الذين أتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) (٥٤:٢٢) .

أجل فلمخبتون إلى ربهم هم (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) (و إن للذكر لأهلاً أخذوه من الدنيا بدلاً، فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه، يقطعون به أيام الحياة، ويهتفون بالزواج عن محارم الله في أسمع الغافلين، ويأمرون بالقسط ويأتمرون به، وينهون عن المنكر ويتناهون عنه، فكأنما قطعوا الدنيا إلى الآخرة وهم فيها، فشهدوا ما وراء ذلك، فكأنما إطلعوا غيوب أهل البرزخ في طول الإقامة فيه، وحققت القيامة عليهم عدايتها، فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا حتى كأنهم يرون ما لا يرى الناس، ويسمعون ما لا يسمعون، فلو مثلتهم لعقلك في مقاومتهم المحموده، ومجالسهم المشهوده، وقد نشروا دواوين أعمالهم، وفزعوا لمحاسبة أنفسهم عن كل صغيرة وكبيرة أمروا بها فقصروا عنها، أو نهوا عنها ففرطوا فيها، وحملوا ثقل أوزارهم ظهورهم، فضعفوا عن الإستقلال بها، فنشجوا نشيجاً، وتجاوبوا نحيباً، يعرجون إلى ربهم من مقام ندم وإعتراف، لرأيت أعلام هدى، ومصاييح دجى، قد حُفَّت بهم الملائكة، وتنزلت عليهم السكينة، وفتحت لهم أبواب السماء، وأعدت لهم مقاعد الكرامات، في مقعد إطلع الله عليهم فيه، فرضي سعيهم، وحمد مقامهم، يتنسمون بدعاه روح التجاوز، رهائن فاقه إلى فضله، وأسارى ذلة لعظمته، جرح طول الأسى قلوبهم، و طول البكاء عيونهم، لكل باب رغبة إلى الله منهم يد قارعة، يسألون من لا تضيق لديه المنادح،

١. نور الثقلين ٢: ٣٤٧ عن زيد الشحام عن أبي عبد الله Δ قال قلت له: إن عندنا رجلاً يقال له كليب فلا يجيء عنكم شيء إلا قال: أنا أسلم، فسميناه كليب تسليم، قال: فترحم عليه ثم قال: أتدرون ما التسليم؟ فسكتنا، فقال: هو والله الإخبات قول الله عز وجل: «الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا إلى ربهم...» .

ولا يخيّب عليه الراغبون، فحاسب نفسك بنفسك فإن غيرها من الأنفس لها حسيب غيرك) (٢٢٠).

ذلك، ومن قضايا الإخبات إلى الرب ألاّ تحب الإطراء لنفسك، فحين يسمع إمام المتقين وأمير المؤمنين Δ من يكثر الثناء عليه ذاكرًا سمعه له وطاعته يقول Δ: (إن من حق من عظم جلال الله في نفسه، وجل موضعه من قلبه، أن تصغر عنده لعظم ذلك كل ما سواه، وإن من أحق من كان كذلك لمن عظمّت نعمة الله عليه، ولطف إحسانه إليه، فإنه لم تعظم نعمة الله على أحد إلاّ ازداد حق الله عليه عظمًا -

و إن من أسخف حالات الولاية عند صالح الناس أن يُظن بهم حبُّ الفخر، ويوضع أمرهم على الكبر، وقد كرهت أن يكون جالاً في ظنكم أني أحب الإطراء، واستماع الثناء، ولست بحمد الله كذلك، ولو كنت أحب أن يقال ذلك لتركته إنحطاطاً لله سبحانه عن تناول ما هو أحق به من العظمة والكبرياء، وربما استحلّى الناس الثناء بعد البلاء، فلا تتنوا عليّ بجميل ثناء لإخراجي نفسي إلى الله وإليكم من البقية في حقوق لم أفرغ من أداءها، وفرائض لا بد من إمضاءها -

فلا تُكلموني بما تُكلم به الجبابرة، ولا تتحفظوا مني بما يُتَحَفَّظُ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استتقالاً في حق قيل لي، ولا التماس إعظام نفسي، فإنه من استثقل الحق أن يقال له، أو العدل أن يُعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تكفوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل، فإنني لست في نفسي بفوق أن أخطيء، ولا آمن من فعلي، إلاّ أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني، فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره، يملك منا ما لا نملك من أنفسنا، وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه، فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى، وأعطانا البصيرة بعد العمى) (من الخطبة ٢٠٧).

(مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَمْ فَلَا تَذَكَّرُونَ) (٢٤:١١).

صورة حسية تتجسم فيها مثل الفريقين: فريق الكفر والإيمان، فالأول كالأعمى

والأصم حيث لا يستطيع الإبصار والسمع امتناعاً باختيار، والثاني كالبصير والسميع حيث يستطيعهما إمكاناً باختيار فيسمع ويبصر.

فالسمع والبصر إنسانياً هما أدوات موصلة إلى العقل والقلب، فالذين يصدون عن أبصارهم وسمعهم آيات الله الآفاقية، هم يصبحون في أنفسهم صُمًّا عمين، وهكذا يحشرون يوم القيامة كما حشروا الحياة الدنيا: (من أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ..) (١٢٤:٢٠).

ذلك، وإن طول هذه الحملة المذكورة القارعة على الصُمِّ العمي، وتنوع الإشارات والتصريحات واللفتات والإيقاعات، إن هذا كله يوحي بما كانت تواجهه القلة المؤمنة، أمام الثلة الكافرة، في تلك الفترة الفتيرة من تاريخ الدعوات الرسالية، فتصور لنا حاجة الموقف إلى حركة في معركة إيجابية، تقرر لكتلة الإيمان قراراً حاسماً جاسماً أمام الكافة العرقلات بمختلف ألوانها.

فقد لا يتذوق هذا القرآن إلا من يخوض أمثال هذه المعارك، دون القاعدين الذين يدرسونه بمختلف الدراسات، إذ لا يملكون وجداناً صالحاً من حق القرآن وحقيقته في تلك القعدة الباردة.

فلا بد من خوض المعارك الواقعية حين نخوض متأملين في آي الذكر الحكيم، تجاوزاً بين الحركة الدراسية والواقعية، تطبيقاً لهذا القرآن في الواقع المعاش، دون إنعزالية عن الواقعيات إلى تصورات مهما كانت صالحة، فإن ميدان الدعوة القرآنية ميدان نضال في معترك الحياة، دون إخلاد - فقط - إلى تصورات وتخيلات، ولا سيما التي لا واقع لها.

محمد3 ليس بدعاً من الرسل

١

(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (٣:١٤٤).

لقد خلطت جماعة من المؤمنين الدعوة بالداعية فزعموا انتهاء الدعوة بقتل او موت الداعية فانقلبوا على أعقابهم، كما حصل بالفعل حين نودي في أحد أن محمداً3 قد قتل، وحصل بعده لما توفي الرسول3 .

و هذه الآيّة وأضرارها تبين أن الدعوة هي الأصليّة الثابتة، ومهما كان للداعية حرمتها، فالدعوة الرسالة سلسلة موصولة على مدار الزمن الرسالي، يحملها الرسل تلو بعض، فلا تموت الدعوة بموت الداعية لأنها من الله وهو حي لا يموت.

فلما انكشف ظهر المسلمين في أحد - حين ترك الرماة قواعدهم بغية الغنيمة - فركبه المشركون وواقعوا بالمسلمين وكسرت رباعية الرسول3 وشجّ وجهه ونزفت جراحه فاختلطت واحترار المسلمون وتفرقوا أيادي سبا فنادى منادٍ (أن محمداً قد قتل).

١. نور الثقلين ١:٣٩٧ في روضة الكافي بسند متصل عن ابي عبد الله Δ قال: لما انهزم الناس يوم أحد عن النبي3 انصرف اليهم بوجهه وهو يقول: انا محمد انا رسول الله لم اقتل ولم امت، فالتفت اليه فلان وفلان فقالا: الآن يسخر بنا ايضاً وقد هزمنا وبقي معه علي Δ وسماك خرشة ابو دجانة، فدعاه النبي3 فقال يا ابا دجانة انصرف وأنت في حل من بيعتك، فأما علي فهو أنا وأنا هو، فتحول وجلس بين يدي النبي3 وبكى فقال: لا والله ورفع رأسه الى السماء وقال: لا والله لا جعلت نفسي في حل من بيعتي إني بايعتك فإلى من انصرف يا رسول الله3 إلى زوجة تموت او ولد يموت او دار تحرب او مال يفنى وأجل قد اقترب؟ فرق له النبي3 فلم يزل يقاتل حتى أثختته الجراحة وهو في وجه وعلي Δ في وجه، فلما اسقط احتمله علي Δ فجاء به إلى النبي3 فوضعه عنده فقال يا رسول الله3 أوفيت بيعتي؟ قال: نعم وقال له النبي3 خيراً وكان الناس يحملون على النبي3 الميمنة ويكشفهم علي Δ

و لقد كان لهذه الصيحة الإبليسية وقعها الشديد المديد على المسلمين، فانقلب جماعة منه ١م على أعقابهم حريباً، او نفسياً وهي أخطر وأشجى.

فـ (ما محمد إلا رسول) وليس هو المرسل حتى إذا مات ماتت الدعوة كالداعية، فانما كيانه ككل انه (رسول) - عليه ما حمل وعليكم ما حملتم - عليه تأدية رسالته كما حمل، ثم عليكم تأديها كما حملتم، فاذا أدى رسالته كما حمل فلماذا - إذاً - إنقلاب على الأعقاب إن مات او قتل، اذ لم تمت الدعوة ولم تُقتل بموت الداعية.

فاذا كشفهم اقبلت الميسرة إلى النبي 3 فلم يزل كذلك حتى تقطع سيفه بثلاث قطع فجاء إلى النبي 3 فطرحة بين يديه وقال: هذا سيفي قد تقطع به فيومئذ اعطاه النبي 3 ذا الفقار ولما رأى النبي 3 اختلاج ساقية من كثرة القتال رفع رأسه الى السماء وهو يبكي وقال يا رب وعدتني ان تظهر دينك وان شئت لم يعبك، فأقبل علي 3 فقال: يا رسول الله 3 اسمع دويماً شديداً واسمع اقدوم حيزوم وما اهم اضرب احداً إلا سقط ميتاً قبل ان اضربه، فقال: 3 هذا جبرئيل وميكائيل واسرافيل في الملائكة E ثم جاء جبرئيل 3 فوقف إلى جنب رسول الله 3 فقال يا محمد ان هذه هي المواساة، فقال 3 ان علياً مني وانا منه فقال جبرئيل 3 وانا منكما ثم انهزم الناس فقال رسول الله 3 لعلي 3 يا علي امض بسيفك حتى تعارضهم فان رأيتهم قد ركبوا القلاص وجنّبوا الخيل فانهم يريدون مكة وان رأيتهم قد ركبوا الخيل ويجنبون القلاص فانهم يريدون المدينة فأتاهم علي 3 فكانوا على القلاص فقال ابو سفيان لعلي 3 يا علي ما تريد هوذا نحن ذاهبون إلى مكة فانصرف إلى صاحبك فاتبعهم جبرئيل 3 فكلما سمعوا وقع حوافر فرسه جدوا في السير وكان يتلوهم فاذا ارتحلوا قال: هوذا عسكر محمد 3 قد اقبل فدخل ابوسفيان مكة فأخبرهم الخبر وجاء الرعاة والحطابون فدخلوا مكة فقالوا رأينا عسكر محمد 3 كلما ارتحل ابو سفيان نزلوا يقدمهم فارس على فرس اشقر يطلب آثارهم فأقبل اهل مكة على ابي سفيان يوبخونه ورحل النبي 3 والراية مع علي 3 وهو بين يديه فلما ان اشرف بالراية من العقبة ورآه الناس نادى علي 3 ايها الناس هذا محمد 3 لم يمت ولم يقتل فقال صاحب هذا الكلام الذي قال: الآن يسخرين وقد هزمن هذا علي والراية بيده حتى هجم عليهم علي 3 ونساء الأنصار في افئنتهم على ابواب دورهم وخرج الرجال اليه يلودون به ويتوبون اليه، والنساء نساء الأنصار قد خدشن الوجوه ونشرن الشعور وجززن النواحي وفرقن الجيوب وحرضن البطون على النبي 3 فلما رأيتة قال لهن خيراً وأمرهن ان يستترن ويدخلن منازلهن وقال: إن الله وعدني ان يظهر دينه على الأديان كلها وأنزل الله على محمد 3 وما محمد إلا رسول ...

(و ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) خلت دعوةٌ ثم خلت عن الحياة والدعوة باقية، وكذلك محمد 3 مهما كان خاتم النبيين وأشرف الخلق أجمعين.

إن محمداً رسول من عند الله، جاء ليبلغ عن الله، فالله باق وكلمته باقية مهما مات الرسول او قتل فكيف ترتد جماعة ممن آمن على أعقابهم فينقلبوا خاسرين؟! .

و ليس الإيمان بالرسول والحب للرسول إلا لرسالته القدسية، فلا يزولان بزواله، وقد رأينا في هزيمة أحد أبادجانة كيف يترس عليه 3 بظهره والنبل متواتر عليه دون حراك!، ورأينا التسعة الذين أفرد فيهم ينافحون عنه ويستشهدون تلو بعض، وكل هذه التضحيات حباً للرسول لمكانة الرسالة.

والمؤمنون الصالحون، العارفون رسالة الله، دائمون في الإيمان بها والحب لها مهما مات الرسول 3 ام بقي حياً ولن يبق، إذ (كل نفس ذائقة الموت) .

و الانقلاب على الأعقاب ليس يعني فقط إنقلاباً عن الحرب الى المدينة، فانهم انهزموا ككل مهما حارب من حارب حتى النفس الأخير.

إنما الأصل هو الانقلاب نفسياً الذي صاحبها عند الهتاف (ان محمداً قد قتل) فقتل بذلك الهتاف إيمان البعض ووهن آخرون، حيث أحس البعض أن لا جدوى بعد في استمرارية القتال، وكأن بموت محمد او قتله انتهى أمر رسالته، فانتهى - إذأ - أمر الجهاد.

فالإرتداد في هذه المعركة الحربية على الأعقاب هو من خلفيات الإنقلاب النفسي الرديء، ما قل منه او جل، فكل تحولة عن حالة الإيمان وقالته وفعلته بذلك الهتاف، انقلاب على الأعقاب مهما اختلفت الدركات.

و هذا درس يخلق على كل الزمن الرسالي، تسوية بينه وبين الزمن الرسولي، ان يستمر المسلمون في تمسكهم بإسلامهم السامي بعد الرسول كما هم متمسكون زمنه، بل والمسئولية في غيابه اكثر مما كان في حضوره، حيث يفقدون الداعية الأولى، فعليهم ان يجبروا كسر فقد بمواصلة الدعوة والنضال في بسطها وتحقيقها وتطبيقها.

لقد انقلبت جماعة على أعقابهم في هتاف أحد، فقبلت قبيلات هي ويلات على الكتلة المؤمنة، وكما قالوا قولات هي من رجولات إيمانية.

(قال أناس منهم لو كان نبياً ما قتل، وقال أناس من عليّة أصحاب النبي 3 قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم حتى يفتح الله عليكم أو تلحقوا وذكر لنا أن رجلاً من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت أن محمداً قد قتل؟ فقال الانصاري ان كان محمد قد قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم فأنزل الله) (و ما محمد ..)¹.

ذلك، وقال أهل المرض والارتياح والنفاق حين فرّ الناس عن النبي: قد قتل محمد فالحقوا بدينكم الأول فنزلت² ويقول انس بن النضر في هذه المعركة الصاخبة³: ان كان محمد قد قتل فان ربّ محمد لم يُقتل، فقاتلوا على ما قتل عليه محمد 3 اللهم إني اعتذر إليك مما يقول هؤلاء وأبرء إليك مما جاء به هؤلاء، فشد بسيفه فقاتل حتى قُتل فأنزل الله (و ما محمد إلا رسول ..) .

و كما انتهى الى عمرو بن طلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والانصار وقد ألقوا بأيديهم فقال: ما يُجلسكم؟ قالوا: قتل محمد رسول الله 3 قال: فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله واستقبل القوم فقاتل حتى قتل⁴.

هنا تنقلب جماعات على أعقابهم زعمَ ان الرسول 3 قتل، ثم انقلبت جماعات من نفس النمط بعد وفات الرسول 3 وكما يقول خليفة الرسول علي Δ في خطبة الوسيلة:

١. الدر المنثور ٢: ٨٠ - اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم عن الربيع في الآية قال: ذلك يوم أحد حين اصابهم ما اصابهم من القتل والفرح وتداعوا نبي الله قالوا قد قتل وقال اناس ...
٢. المصدر اخرج ابن جرير عن ابن جريح قال قال اهل المرض ..
٣. اخرج ابن جرير عن السدي قال: فشا في الناس يوم احد ان رسول الله 3 قد قتل بعض أصحاب الصخرة ليت لنا رسولاً الى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا اماناً من أبي سفيان يا قوم ان محمداً قد قتل فارجعوا الى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلونكم، قال انس بن النضر ...
٤. المصدر اخرج ابن جرير عن القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخي بني عدي بن النجار قال: انتهى انس بن النضر عم انس بن مالك ..

(حتى إذا دعى الله عزوجل نبيه 3 ورفع له إليه لم يك ذلك بعده إلا كلمحة من خنقة او وميض من برقة إلى ان رجعوا على الأعقاب وانتكصوا على الأدبار وطلبوا بالأوقار واطهروا الكتاب وفلّوا الدار وغيروا آثار الرسول 3 ورغبوا عن أحكامه وبعدوا من أنواره واستبدلوا بمستخلفه بديلاً اتخذوه وكانوا ظالمين، وزعموا ان من اختاروا من آل أبي قحافة أولى بمقام رسول الله 3 ممن اختاره الرسول عليه وآله السلام لمقامه، وان مهاجر آل أبي قحافة خير من المهاجري الانصاري الرباني ناموس هاشم بن عبد مناف).

ذلك، والرسول ذكرهم في خطبة الغدير بما ذكرهم ومنها (معاشر الناس أنذركم أنني رسول الله إليكم قد خلت من قبلي الرسل أفان متّ او قتلت أنقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين، ألا وإن علياً هو الموصوف بالصبر والشكر ثم من بعده ولدي من صلبه)¹.

ذلك الرسول 3 يحتاج بكتاب الله ثم خليفته الإمام علي Δ ومن ثم نسمع قرّة عينه فاطمة البتول I تقول في خطبتها حين منعت فدكاً (أقولون مات محمد 3 فخطب جليل استوثق منه فتقه وانفتق رتقه وأظلمت الأرض لغيبته وكسفت النجوم لمصيبته وأكدت الإهال وخشعت الجبال وأضيع الحريم وأزيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى لا مثلها نازلة ولا بائقة عاجلة أعلن بها كتاب الله جل ثناءه في أفئيتكم في ممساكم ومصبحكم، يهتف في أفئيتكم هتافاً صارخاً وتلاوة وإلحاناً ولقبه ما حلّ بأنبياء الله ورسله حم فصل وقضاء حتم): (و ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين) إليها بني قيلة أهضم تراث أبيه وأنتم

١. نور الثقلين ١: ٤٠٠ عن الاحتجاج للطبرسي باسناده إلى محمد بن علي الباقر Δ عن النبي 3...

بمريء مني ومسمع ومنتدءٍ ومجتمعٍ ..^١ .

اجل وكل انقلابة عن شرعة الإسلام بعد ارتحال الرسول 3 إلى جوار رحمة ربه وقبلها انها مشمولة للتنديد الشديد في آية الانقلاب، فمثلت الزمان تشمله، انقلاباً في زمنه وبعده زمن الائمة، وبعدهم زمن الغيبة.

إن الرسول ميت على أية حال، فان (كل نفس ذائقة الموت) والناس على ضروب شتى بالنسبة لموته، فمنهم من انقلب بعد موته، ومنهم من ثبت، ومنهم من انكر موته وهو بمريء المسلمين كالحليفة عمر (فلما توفي رسول الله 3 قام عمر بن الخطاب فقال: إن رجلاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله 3 توفي وإن رسول الله 3 ما مات ولكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فقد غاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع اليهم بعد ان قيل قد مات والله ليرجعن رسول الله 3 كما رجع موسى فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، زعموا ان رسول الله 3 مات، فخرج ابو بكر فقال على رسلك يا عمر انصت فمحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ايها الناس انه من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا هذه الآية^٢ .

١.المصدر عن الاحتجاج روى عبد الله بن الحسن باسناده عن آبائه E انه لما جمع ابو بكر على منع فاطمة فدك وبلغها ذلك جاءت اليه وقالت: اتقولون ...

٢.الدر المنتور ٢:٨١ اخرج ابن المنذر عن ابي هريرة قال لما توفي رسول الله 3 ... فوالله لكأن الناس لم يعلموا ان هذه الآية نزلت حتى تلاها ابو بكر يومئذٍ واخذ الناس عن ابي بكر فانما هي في افواههم، قال عمر: فوالله ما هو إلا ان سمعت ابا بكر تلاها فعقرت حتى وقعت إلى الأرض ما تحملني رجلاي وعرفت ان رسول الله 3 قد مات. وفيه اخرج البيهقي في الدلائل عن عروة قال: لما توفي النبي 3 قام عمر بن الخطاب فتوعد من قال: قد مات بالقتل والقطع فجاء ابو بكر فقام إلى جانب المنبر وقال: ان الله نعى نبيكم الى نفسه وهو حي بين اظهركم ونعاكم الى انفسكم فهو الموت حتى لا يبقى أحد إلا الله، قال الله: «و ما محمد إلا رسول ..» فقال عمر: هذه الآية في القرآن والله ما علمت ان هذه الآية أنزلت قبل اليوم وقال قال الله لمحمد 3: انك ميت وانهم ميتون. و يا لتفاقة عالية للخليفة في تأويل القرآن لا تمنعه عن الجهل بنصوص الآيات في موته، ولا تمنع حسه عن الخطأ في موته! .

و ترى ظاهرة التردّد في (أفإن مات أو قتل) لائحة لاحتمال قتله 3 انه سبّب موته
 ١؟ وإضافة القتل الى الموت هي للإجابة على سماح الانقلاب بقتله المسموع، وتقديم
 الموت لمحة إلى انه هو الوارد بحقه، واضيف هنا الى القتل لكي يرد على خلفيتها المتخيلة
 وهي الانقلاب على الأعقاب، وأنهما على سواء فيها لو صدقت وحققت.

فلو قال: (أفإن مات) لم يرد الإستنكار مورده الواقع وهو ظن القتل، ولو قال (أفإن
 قتل) لم يرد مورد الموت، فالجمع بينهما يجمع الاستنكار لخلفيتهما المشتركة المزعومة.
 (... انقلبتم على اعقابكم) وهي الجاهلية الأولى (و من ينقلب على عقبيه) ارتجاعاً
 منكرأ الى الجاهلية الجهلاء (فلن يضر الله شيئاً) وإنما أضر نفسه (و سيجزي الله

روى ابان بن عثمان عن ابي جعفر H انه اصاب علياً Δ يوم أحد ستون جراحة وأن النبي 3 امر أم
 سليم وأم عطية ان تداوياه فقالتا انا لا نعالج منه مكاناً إلا انفتق مكان آخر وقد خفنا عليه فدخل
 رسول الله 3 والمسلمون يعودونه وهو قرحة واحدة فجعل يمسه بيده ويقول: إن رجلاً لقي هذا في
 الله فقد أبلى وأعذر وكان القرحة الذي يمسه رسول الله 3 يلتئم فقال علي Δ: الحمد لله إذ لم
 أفر ولم اولي الدبر فشكر الله ذلك في موضعين من القرآن وهو قوله تعالى: «و سيجزي الله الشاكرين
 - وسنجزي الشاكرين» .

١. نور الثقلين ١: ٤٠١ في تفسير العياشي عن عبد الصمد بن بشير عن ابي عبد الله Δ قال: تدرون
 مات النبي 3 او قتل؟ إن الله يقول: «أفإن مات او قتل» فبسم قبل الموت انهما سقتاه، فقلنا: انهما
 وابوهما شر من خلق الله.

أقول: وهذه رواية واحدة يتيمة لا تصدقها الآية، ولئن كان قتله وارداً هكذا لكان النص «او سم» ام
 ولأقل تقدير «أفإن قتل» دون اضافة الموت، وعبارة الترديد بينهما بنفسها تشهد انه لم يقتل، فليس
 «او قتل» الا اجابة عن زعمهم قتله في احد.

أقول: اذا لم يعلم عمر ان هذه الآية وما شابهها في القرآن لقلته اطلاعه على القرآن فهلا رأى الرسول
 3 ميتاً وهلا حضر الصلاة عليه ودفنه ام شغلته السقيفة عن كل ذلك، ثم وكيف انشغل بها عن موته
 ولا دور لها الا بعد موت الرسول 3 .

وقد يعتذر عمر عن قولته كنت أتأول هذه الآية «و كذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على
 الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً»، فوالله ان كنت لأظن انه سيبقى في أمته حتى يشهد عليها
 بأخر اعمالها وانه هو الذي حملني على ان قلت ما قلت.

الشاكرين) الصامدين على هذه الرسالة القدسية، حيث يشكرون هذه النعمة السابعة في الضراء كما في السراء.

(وَ مَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَ مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ سَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ) (١٤٥:٣).

تلمح هذه الآية أنه خيّل إلى بعض البسطاء - لما سمعوا ان النبي 3 قد قتل - أنه قضى نجه قبل أجله ولما يبلغ رسالته تماماً ؟ وهذه ضرورة رسالية ربانية في واجب الحكمة العالية التربوية ان يدوم الرسول برسالته في شخصه حتى يقضي ما حمل منها دون ابقاء! .

فهذه الآية تؤثّر تلك الجهالة في الآجال ولا سيما أجل الرسول، مهما كان فيهم قوّالون آخرون بالنسبة لقتلاهم وانفسهم: (يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم ..) (١٥٤) - (يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ...) (١٥٦) .

هنا (و ما كان) كما في نظائرها تضرب السلب إلى اعماق الزمن الثلاث، إحالة لهذه الكينونة مهما كانت بصيغة الماضي، إذ لا صيغة سائغة له إلا الماضي الذي يستقبله المستقبل (ان تموت) .

و (نفس) تعم كافة النفوس الحية لمكان (أن تموت) إضافة الى نفس النفس الدالة على حياة. فكما الإحياء بإذن الله كذلك الإماتة، فانهما من اختصاصات الربوبية، مهما كانت عندنا أسباباً لهما، ولكننا السبب الأخير لأقل تقدير ليس إلا بأذن الله. و الإذن هنا تكويني، سواء أكان دون وسيط فهو أمره التكويني، ام بوسيط كأسباب الموت - مبيته وحية فهو أيضاً أمره التكويني مقارناً لأسباب الموت .

ثم (كتاباً مؤجلاً) قد تكون حالاً - (تموت) فلا موت إلا بأذن الله في كتابه المؤجل، فلا يعجل قبل أجله ولا يؤجل عنه، وبين الأجل المحتوم والمعلق عموم من وجه.

و لأن (تموت) تعم الأجل المعلق الى الأجل المحتوم، إذا فـ (مؤجلاً) تعهما، فكما الأجل المحتوم ليس إلا بإذن الله، كذلك المعلق، مهما كان الثاني بأسباب ظاهرة من خلق الله. فقد ترى أسباب الموت الظاهرة تتوارد على نفس ولكنها لا تموت، أم لا ترى أسبابه، أم ترى أسباباً لما دون الموت متواردة على نفس ولكنها تموت، مما يبرهن أن وراء الأسباب الظاهرة وسواها - في حساباتنا - للموت وعدمه يتوارى السبب الرباني للموت وعدمه، ولا فرار عن الموت بسببه الخفي الرباني، أجلاً محتوماً أو معلقاً، وإنما الفرار عن الأسباب الجلية إذا لم يؤمر بها مثل القتال في سبيل الله، ففيما وراءها تأتي (و لا تقتلوا انفسكم - لا تلتقوا بأيديكم إلى التهلكة) وأضرارها محكمة حاکمة بالحرمة.

و علّ (الشاكرين) تعني - مع من يريد ثواب الآخرة وهم التجار - تعني بأحرى من لا يريد بعمله لا ثواب الدنيا ولا ثواب الآخرة، إنما يريد مرضات الله ولو عذب في الدارين، ولا يريد سواها وان عذب فيهما وأثيب: (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جراً ولا شكوراً) لا جزاءً دنيوياً - ومنه ما بأيديكم - ولا أخروياً قرره الله لأهل طاعته.

(و من يرد ..) ذلك التعقيب يقدم المحتمل الأول في الأجل، أنه اجل الرسول الأجل³ (فمن يرد ثواب الدنيا) ارتداداً على عقبيه (نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة) ثبوتاً على الإيمان (نؤته منها وسنجزي الشاكرين).

(ثواب الدنيا) هنا لذاتها الطليقة، سمي ثواباً لمقارنته بثواب الآخرة، ثم الثواب هو نتيجة العمل أياً كان، مهما غلب استعماله على النتيجة الخيرة، فعمل الدنيا ينتج لها كما عمل الآخرة لها، واين عمل من عمل و ثواب من ثواب.

و ترى الارادة - فقط - تخلف الثواب أياً كان وإن لم تخلف العمل الذي يستحق به الثواب ؟ كلا، بل لا تعني الارادة إلا التي تستتبع العمل، فالارادة التي لا يحول بينها وبين المراد حائل مسير هي العمل محتملاً.

ثم وترى (من يرد ثواب الدنيا) تختص بإرادتها دون الأخرى، كما (و من يرد ثواب الآخرة) تختص بها دون الأولى ؟ ومن يردهما جمعاً بينهما يُعطاهما كما في دعاءهم

(ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) (٢: ٢٠١) - (فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين) (٣: ١٤٨)!

(يُرد) في كل منهما تعني - فقط - كلاً منهما، ثم ومريد الدنيا للآخرة هو مريد الآخرة، وحسنة الدنيا هي الحياة الحسنة التي هي مزرعة الآخرة وليست ومزرعة للآخرة حتى تصبح جمعها جمعاً بين الضدّين.

إذاً فـ (من يرد ثواب الدنيا) تعني (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً) - كما (من يرد ثواب الآخرة) تعني (و من اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً. كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً) (١٧: ١٩) و(من كان يريد حرث الآخرة نزد في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب) (٢٠: ٤٢) .

فمن أقبل على الدنيا بوجهه كله ونأى عن الآخرة بعطفه، فكدح للدنيا جاهداً ولم يعمل للآخرة صالحاً، جاحداً، فهو الذي (يريد الدنيا) دون الآخرة، ويعاكسه المقبل على الآخرة بعمل الدنيا والآخرة فانه ممن (يريد الآخرة) .

ذلك مهما كان يريدوا الدنيا دركات ومريدوا الآخرة درجات، فقد يؤتى كل قدره. ولماذا (نؤته منها) في كلٍّ منهما والإرادة فيهما طليقة بالنسبة للثواب المراد دون تبويض .؟

لأن المؤتى على أية حال ليس كل الثواب، فانه موزّع بين أهليه في الدنيا والآخرة، مهما كان ثواب الدنيا ضئيلاً قليلاً أمام ثواب الآخرة الجليل.

و (منها) في الدنيا قدر ما يسعى لها و(ما نشاء لمن نريد) ثم (منها) في الآخرة هو كذلك قد السعي ولدى الله مزيد (فاولئك كان سعيهم مشكوراً): (و سنجزى الشاكرين) بفضل ومزيد.

ذلك، وأما من اراد ثواب الدنيا والآخرة، مستقلاً كلٌّ عن الآخر، فهو عوانٌ بين اهل الدنيا والآخرة، وله في كل منهما قدر ما قدم لها ولا يظلمون نفيراً.

(وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) (١٤٦:٣).

تنديد شديد مديد بالذين وهنوا مع الرسول3 لما أصابهم وضعفوا واستكانوا، ثلوث من التخلف عن الإيمان وهم يدعون الإيمان.

(كأَيِّنْ) كلمة تكثير علها مركبة من كاف التشبيه وأي، يعني كأَي نبي، ولكنها - كما يشهد رسم خطها - انقلبت عن معنى الجزئين إلى ما يقاربهما وهو (كم من نبي) مما يبين ان كثيراً من النبيين قاتلوا في سبيل الله وقاتل معهم ربيون كثير.

و (ربيون) جمع (رَبِّي) وهو العالم الرباني، ام مطلق الرباني، وهو أصل عبراني، يعني الأمم الربانية المترتبة بالتربية الرسالية، و(رَبِّيُونِي) (يوحنا ١٦:٢٠) لغة عبرانية تعني المعلم وهي من الألقاب المعززة اليهودية. و الفارق بين السليبات الثلاث ان الوهن هو ضعف الإرادة والتصميم، (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله) من جرح وقرح وقتل او انهزام، فقد واصلوا في قتالهم كمسئولية شرعية مهما كانت النتيجة الهزيمة الظاهرة، أم وقتل أنبياءهم، إذ هم ميزوا بين الدعوة والداعية.

و الضعف يعني انكسار القوات الظاهرية، فلم يؤثر (ما أصابهم في سبيل الله) من مصيبات وهنا في أرواحهم وضعفاً في أجسامهم، فحاربوا في الإصابات كما كانوا يحاربون في غيرها.

ثم (و ما استكانوا) من سكن، فالاستكانة هي طلب السكون، تركاً للدعة نتيجة الضراعة والضلالة، فهي السكون أمام العدو ليفعل به ما يريد، دونما حراك في العراك، ام من الكينة وهي الحالة السيئة، كنية سوء وخيبة، فما طلبوا هذه الحالة لهم من عدوهم تخاذلاً أمامه والتجاء إليه، فليست من الكون، بل هي بين السكون والكينة ولكل وجه ادبياً ومعنوياً، ولكن الثاني أصح ام هو الصحيح ولا سيما ادبياً.

١.وجه الأول أنه في الأصل استكن ثم زيد عليه الألف، ولكنه غير وجيه مهما صح معناه بتعمل وتكلف، ووجه الثاني انه في الأصل استكين فبدلت الياء بالألف فصار استكان.

و لقد حصل كل هذه التلات لبعض الحاضرين في أحد، وهناً وضعفاً واستكانة، وهناً يويخون على هذه الوقية الوقية تحريضاً لهم ان يستنوا بسنة الربيين الكثير الذين قاتلوا مع نبيين كثير:

(وَ مَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَ ثَبِّتْ أقدامَنَا وَ انصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ) (١٤٧:٣) .

ذلك قولهم وهم على ما هم عليه من صامد الإيمان وثابت الإطمئنان، استغفاراً لذنوب وإسراف لا يخلوا عنهما كلم غير من عصمه الله وهم المعصومون بعصمة الله، ثم تثبيتاً لأقدامهم في معارك الكرامة، وانتصاراً على القوم الكافرين.

(فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَ حَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (١٤٨:٣)
(ثواب الدنيا) هو حسنة الدنيا حيث تناسب الآخرة، ثم (وحسن ثواب الآخرة) هو فضل الثواب فوق عدله لأنهم محسنون، فلا بد من الإحسان إليهم (و الله يحب المحسنين) .

و من ثواب الدنيا هنا الغنيمة وانسراح الصدر والثناء الجميل وتثبيت الأقدام والنصرة على القوم الكافرين.

و من لطيف التعبير وعطفيه هنا بعد اعترافهم بالإساءة بحضرة الربوية نظاماً وتذلاً، أنه تعالى سماهم محسنين، حيث الإعتراف بالقصور والتقصير إحسان في حقل العبودية، كما الإستكبار عن ذلك إساءة بحضرة الربوية، مهما لم تنله سوء ولا أذى.

محمد3 ليس بدعاً من الرسل

٢

(وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ) (٤٦:٧).

أفسح هذه لأنها خلاف ما يهون، وهي آيات الكتاب المبين؟ آيات بينات دون ريبة ولا خفاء، فبأي برهان إذا يستندون، فما هي مقومات السحر؟ وما هي مقومات الآيات؟ وهل توجد فيها إلا بينات قاطعات تشبع الحس والعقل والفكر والقلب نوراً وجلالاً، اللهم إلا من عميان القلوب، فانها لا لبس فيها ولا غموض ولا خداع، فهي تزول والقرآن لا يزال ولا يزول، والسحر يبطل بالآيات المعجزة والقرآن لا يبطل وإنما يبطل السحر وكافة الدعاوي الزور.

(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (٨:٤٨).

إن دعوى افتراء القرآن كدعوى سحره فارغة لا تملك ولا شائبة برهان، فلنفرض - رغم هذا - انه مفترى، فلماذا الله لا يحو باطل دعواه وهو بالمرصاد على من افتراه: (قل ان افتريته فعلياً اجرامي وأنا بريء مما تجرمون) (٣٥:١١) ومن مخلفاته محوه والمختم على قلبي: (ام يقولون افتري على الله كذباً فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور) (٢٤:٤٢) فهل انا محتوم على قلبي والقرآن في زوال؟ فلو ختم او زال (فلا تملكون لي من الله شيئاً) فلماذا افتري على الله واضطهد به لصالحكم؟ لأنكم تملكون كشف الضر عني، ام ماذا؟! .

(هو اعلم بما تفيضون فيه): خائضين في آيات الله (كفى به شهيداً بيني وبينكم) وشهادته تعالى على وحيه بارزة فيه، دون شبهة تعتريه: (لكن الله يشهد بما أنزل عليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً) (١٦٦:٤).

فالله شهيد بعلمه في كلامه بكلامه، فهل انه بعد مفترى؟! (ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله) (٣٨:١٠) (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من

دون الله ان كنتم صادقين) (١٣:١١) فهل انه بعد عيكم عن الإتيان مثله وشهادة الله لوجيه، هل هو بعد سحر او مفترى!

فان افقتم عن غفوتكم، ف (هو الغفور الرحيم) وان اصررتم على ضلالتكم (فان عذابي هو العذاب الاليم).

ثم وليس هذا بدعاً تحارون فيه، لا انا ولا كتابي ولا سنني ولا ...:

(قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرِّسْلِ وَمَا أُدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) (٤٦:٩).

آية وحيدة في صيغة التعبير، دفاعاً عن هذا البشير والنذير، تستاصل آخر التهم المزعومة الموجهة اليه: انه بدع من الرسل واختلاق من الرسالة: (اجعل الآلهة إلهاً واحداً ان هذا لشيء عجاب ... ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق) (٧:٣٨) وي كأنهم ما قرعت آذانهم. دعوات التوحيد المتواصلة من رسل الله: (و ما ارسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون) (٢٥:٢١). اللهم إلا ان يعنوا من الملة الآخرة ذوي العلة من الشرك والضلال، حيث عاشوا جوها الضال، كأن لا ملة اخرى غيرهم، فظلموا يعجبون من دعوة التوحيد بكل ضلال ودلال! (قل ما كنت بدعاً من الرسل): لا في رسالتي وكتابي، ولا في سنتي ودعوتي، ولا في اي من واجبات الرسالة او راجحاتها، او محرماتها ومحظوراتها، فأنا بشرٌ رسول كمن قبلي، لا ملك ولا إله ولا ابن الله، ولا املك من الله شيئاً لحد:

(و ما ادري ما يفعل بي ولا بكم): وما يفعله بي ربي ولا سواه، من خير أو سواه، اللهم الا وحياً من الله: (إن اتبع إلا ما يوحى إلي): وفي الكتاب ام سواه، فكيفاني كرسول وحي ليس إلا إياه، وهو الغيب الذي يرتضيه الله لمن يرضاه: (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً الا من ارتضى من رسول ..) (٢٦:٧٢) فليس هو كل الغيب،

١. راجع سورة الجن ج / ٢٩ من هذا التفسير تجد فيه تفصيلاً عن علم الانبياء بالغيب نفيًا وإثباتًا. (الفرقان).

وانما ما تتطلبه الرسالة تثبيتاً وواقعاً، دون فوضى واشتهاء: (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضراً الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لا ستكثر من الخير وما مسني السوء) (١٨٨:٧) (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول اني ملك إن أتبع الا ما يوحى الي) (٥٠:٦) (ولله غيب السماوات والارض واليه يرجع الامر كله) (١٢٣:١١) .

فالغيب المكشوف بالوحي الرسالي محدود بمحدود الرسالة، كما الغيب المستغرق كافة الغيوب لله لا محدود باللامحدودية الالهية، والغيب المكشوف احياناً للعباد الصالحين او المرتاضين خارج عن الحدّين: الإلهي والرسالي، فهو للصالحين حسب درجاتهم ولمن سواهم كالمرتاضين حسب محاولاتهم، ولن يكشفوا عن غيب الله المخصوص به، ولا غيب الوحي الخاص برسله.

و ليس استكثار الخير ودفع السوء، اللذان لا يمتّان بصلة للحفاظ على الرسالة وتبليغها، انهما ليسا من الغيب المكشوف لرسل الله: (ولو كنت اعلم الغيب لا ستكثر من الخير وما مسني السوء) وكما نرى ان الرسول والأئمة من آل الرسول 3 كانوا يغلبون كما يغلبون، وكانوا يُسمّمون أو يُقتلون كما كانوا يُقتلون، فلو كانوا يعلمون مواقع السوء لم يمسسهم، ولو كانوا يعلمون مواضع الخير لا ستكثروا منه، اللهم الا فيما عرفهم به الله وليس سنة شاملة لهم، وانما كفلتات فيها الحفاظ على كراماتهم.

و ليس التطاول والتغالي في انهم يعلمون الغيب كلّ الا تمادياً في الضلال، وتغاضياً عما تصرح به هذه الآيات البيّنات، وإذ لا يتبع الرسول الا ما يوحى اليه، فأحرى بنا ان نتبع بشأنه ما اوحى اليه، ولقد اوحى في عشرات من آياته البيّنات انه - مبدئياً - لا يعلم الغيب: (فلا يظهر على غيبه احداً الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلاغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم واحصى كل شيء عدداً): يعني من الغيب المستثنى الوحي الرسالي ولزاماته.

و كما انني لست بدعاً من الرسل بينهم، كذلك لست بدعاً بين المرسل اليهم، فأهل الكتاب الذين يتلونه حق تلاوته يعرفونني وكتابي، فلو ان الادلة المسبقة لم توصلكم الى

العلم اليقين، فلا اقل من الشك انه من عند الله ثم يكمله شهادة شاهد منكم:
(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى
مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (١٠:٤٦) .

ترى من هم المخاطبون في (أرأيتم .. وكفرتم .. واستكبرتم) ؟ ومن هو الشاهد من
بني إسرائيل ؟ وما هو المشهود عليه (على مثله) ؟ .

علَّ المخاطبين هم كافة الناكرين للرسالة الاسلامية، من مشركين وكتابين، زمن
الرسول وبعده الى يوم الدين، وان كان المنطلق الاول لهذا الخطاب كأمثاله هم
المعاصرين لصاحب الرسالة.

و (شاهد من بني اسرائيل) علَّه جنس الشاهد، من جنود اليهود الاسرائيليين، من
نبيين وسائر المؤمنين الشاهدين، قبل الرسول وزمنه والى يوم الدين: مثلت الشهادة
الصادقة الصارمة، من زاويته الاصيلية: النبيين الإسرائيليين، منذ موسى وحتى المسيح
ومن بينهما Δ اذ شهدوا في كتاباتهم (على مثله): مثل القرآن، كهذه الكتب أنفسها، او
مثل نبي القرآن كما يشهد به النبيون انفسهم، او مثل ما يشهد به الله في القرآن: (كفى
به شهيداً بيني وبينكم) شهادات على المماثلة بين الشهاداتتين والكتب والنبيين.

و من زاويته الثانية زمن النبي 3 كالبعض من أهل الكتاب الذين شهدوا على مثله
في العهد المكي، انطلاقاً من الايمان وا لزواية الاصيلية، بما كان لها من موقعها القيم
ووقعتها الصارمة في الوسط المكي العارم ولأن السورة مكية، ومن شهد منهم في العهد
المدني كراس اليهود عبد الله السلام^١ ومكية السورة لا تنافي مدنية هذه الآية، فكم من

١. الدر المنثور ٣٩:٦ - اخرج ابو يعلى وابن جرير والطبراني والحاكم وصححه بسند صحيح عن عوف
بن مالك الأشجعي قال انطلق النبي 3 وانا معه حتى دخلنا على كنيسة اليهود يوم عيدهم فكرهوا
دخولنا عليهم فقال لهم رسول الله 3: اروني اثني عشر رجلا منكم يشهدون ان لا اله الا الله وان
محمداً رسول الله يحبط الله عن كل يهودي تحت اديم السماء الغضب الذي عليه فسكتوا فما اجابه
منهم احد ثم رد عليهم فلم يجبه احد فتلك فلم يجبه احد فقال: ايتم فوالله لأنا الحاشر وانا العاقب
وانا المقفي آمنتم او كذبتهم، ثم انصرف وانا معه حتى كدنا ان نخرج فادا رجل من خلفه فقال: كما انت

مدنية ادخلت بين المكيات، او مكى ادخلت بين المدنيات. بأمر صاحب الرسالة منذ تأليف القرآن، وكما تظافرت به وبذلك الروايات.

و من زاويته الثالثة: كافة الشهود الاسرائيليين منذ رحلة النبي 3 إلى يوم الدين، مثلت الشهادة الناصعة (على مثله) .

و ضمير الغائب في (مثله) هو الغائب في (كان من عند الله) وفي (كفرتم به) فهو القرآن، وهو نبي القرآن المذكوران مسبقاً: (ام يقولون افتراه .. قل ما كنت بدعاً من الرسل) فلا القرآن بدعٌ من كتب السماء، وان كان بديعاً بينها، ولا رسول القرآن بدعٌ من الرسل، مهما كان بديعاً بينهم، فـ (شاهد من بني اسرئيل) يشهد (على مثله) في مثلث الزمان بمثلث الشهادة:

(شهد .. على مثله) كما الله شاهد على القرآن بالقرآن، تشهد هؤلاء الشهود للقرآن على مثله وهو العهدان، فهما كما نزلا والقرآن يتشابهان في صيغة الوحي وصيغته وكيانه فالمماثلة هنا بين الشهادتين.

او (على مثله): مثل القرآن او نبي القرآن، فالقرآن يماثل سائر كتب الوحي، كما ان نبي القرآن يماثل سائر رجال الوحي: (و ان كنت في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ..) من مثل عبدنا: سائر النبيين - او مثل ما نزلنا كسائر ما انزل على النبيين.

فالشاهد الاسرائيلي المؤمن، نبياً او سواه، يشهد على مثل شهادة القرآن، وعلى مثل

يا محمد! فأقبل فقال ذلك الرجل اي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود فقالوا والله ما نعلم فينا رجلا اعلم بكتاب الله ولا افقه منك ولا من ابيك ولا من جدك، قال: فاني اشهد بالله انه النبي الذي تجدون في التوراة والانجيل - قالوا: كذبت ثم ردوا عليه وقالوا شراً فقال رسول الله 3 كذبتم لن يقبل منكم قولكم فخرجنا ونحن ثلاث: رسول الله 3 وانا وابن سلام فأنزل الله: «قل أرايتم ان كان من عند الله..» .

اقول: قد اخرج نزول الآية بشأن ابن سلام. البخاري ومسلم والنسائي وابن المنذر وابن مردويه عن سعد بن ابي وقاص وجماعة آخرون عن آخرين.

القرآن ونبي القرآن لإثبات وحي القرآن ونبيه، فد (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) (١٤٦:٢): معرفة الرسول، كما يعرفون القرآن عرفانهم بالتوراة والانجيل، وكما في كتاب اشعيا: (كَي بَلَعَجِي شَافَاهِ وَبِلاشُونِ أُحِرِتْ يَدْبِرْ إِلْ هَاعَامْ هَذَّةُ) (اشعيا ٢٨:١٠):

(لانه بلهجة لكنا بشفاه عجمية ويلسان غير لسانهم يكلم هذا الشعب)^١ فهذه شهادة على مثل القرآن وهو من العهد العتيق.

و من (مثله) المشهود عليه له، موسى بن عمران الذي ينص التوراة بمائلته هذا الرسول 3 وكما يقول: (نابىء آقيم لاهم مقرب إحيجم كموشيه) .. اقيم لهم من اقرباء اخيهم كموسى ... (سفر التثنية ١٨:١٧)^٢.

و من افضل الحنان على مؤمني اهل الكتاب: شهود الرسالة المحمدية. قرن شهادتهم بشهادة الله كما هنا وكما (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) (٤٣:١٣) كعبد الله بن سلام^٣.

(قل أرايتم ان كان) القرآن ونبيه (من عند الله و) حال انكم (كفرتم به و) حال انه (شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله): شهادة وكتاباً ونبياً (فآمن واستكبرتم) فمن اخسر منكم واطلم (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) .

(وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقْنَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ) (٤٦:١١) .

قولة فارغة لاهية اخرى من الكافرين، كأنهم سابقون في كل خير، فاذا سبقهم

١. في هذه البشارة نجد مواصفات القرآن ومنها انه بلسان آخر غير عبراني .. راجع كتابنا (رسول الاسلام في الكتب السماوية) ص ١٠٨ .

٢. راجع كتابنا (رسول الاسلام) .

٣. الدر المنتور ٣٩:٦ - اخرج الترمذي وابن جرير وابن مردويه عن عبد الله بن سلام قال: نزلت في آيات من كتاب الله، نزلت في «و شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله..» ونزل في «قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب» .

المؤمنون بالايان فليكن شراً وإفكاً قديماً يؤمن به المتأخرون المسبقون طوال التاريخ الرسالي، ولأن هؤلاء السابقين! لم يهتدوا بهذا القرآن، وهم المهتدون الى كل خير! فالمؤمنون! هم الضالون الآفكون! (و لا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون) (٥٩:٨) (أم حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا سوء ما يحكمون) (٤:٢٩)!

ان السابقين الى الإيمان - وعلى طول الخط - هم الفقراء العادمون في الأكثر، الضائعون المظلومون تحت رحمة ووطأة الأقوياء الأغنياء الجبارين، والرسالات الإلهية لهم خير مأمّن ومؤمّن، يجنحون إليها بغية الفرار عن حكم الظالمين، والقرار الى حكم الله رب العالمين، وهذه مغمزة في نظر الكبراء المستكبرين ان (لو كان خيراً ما سبقونا إليه)'. ف (لو) لا (إن) تشير الى مدى استبعادهم لكون القرآن خيراً لحد الإستحالة، ولحد يتحاشون أن يخاطبهم بهذه القولة الهاوية، فاعتبروهم غيباً: (ما سبقونا إليه) وهم حضور! ولأنهم غيب عن المثل العليا وهم حضور، وقولهم لهم يعني ما يرجع لهم بغير خطاب ان يخاطبوا أضرارهم بهذه القولة المضللة كيلا يفكروا في الإيمان ابدًا.

و إنها الهوى والإدعائات الهباء، يتعاطم بها أهل الغنى والكبرياء، يجعلون من أنفسهم الخواء محوراً للحياة كلها، كأنهم هم ولا سواهم الأحياء المتقدمون السابقون في خيراتها، فيعتززن بالثقافات اللاهية الجوفاء، وبالاجداد والآباء، وبسائر ما اليها من اعتبارات فارغة غشاء، فيغمضون ويلتهون عن الحق باختلاق المعاذير، وافتلاق المحاذير على الحق واهله، كأن كل ما يهوون فهو الحق، وما لا يهوون فهو الباطل، أسماء فارغة يسمونها، متغافلين عن براهين الحق الناصعة، وادلتها الناصحة، فويل لهم مما يأفكون (و اذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم) كأن ليست فيه هدى اذ لم يهتدوا به، كالأعمى الناصر لضوء الشمس لأنه لا يهتدي به.

١. الدر المنتور: ٤٠:٦ - اخرج ابن المنذر عن عون بن ابي شداد قال: كانت لعمر ابن الخطاب امة اسلمت قبله يقال لها زنيرة فكان عمر يضربها على اسلامها وكان كفار قريش يقولون: لو كان خيراً ما سبقتنا اليه زنيرة فأنزل الله هذه الآية.

(إفك قديم)!: مصروف عن وجه الحق، مختلق سابق: (و قال الذين كفروا ان هذا إلا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاء واظلماً وزوراً. وقالوا اساطير الاولين اكتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً، قل انزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض انه كان غفوراً رحيماً) (٢٥:٦).

وليتهم نظروا الى القرآن بعين البصيرة والاعتبار، ام ولا اقل من قران له بسواه باختبار، ام الى كتب قبله تشهد عليه كما هو شاهد لنفسه:

(وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَ هَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيٍّ لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ بُشْرَى لِّلْمُحْسِنِينَ) (١٢:٤٦).

أهذا إفك قديم؟ (و من قبله كتاب موسى) ولماذا كتاب موسى وهو قبل القبل، لا كتاب عيسى وهو القبل؟ لأنه الأصل في التشريع^١ (أماماً ورحمة): لكتاب عيسى وهو الفرع: إماماً له وللمسيح، فضلاً عنهم وهم من أتباع موسى والمسيح فليتبعوه، وهو يحوي اشارات وبشارات بحق القرآن ونبيه!

أهذا افك قديم (و هذا كتاب مصدق) يصدق كيانه كوحي تصديقاً بنفسه دون حاجة الى سواه، ويصدق ما قبله من كتاب (موسى اماماً ورحمة) وغيره من كتاب أوحى الى من قبله من النبيين، المصدقة له، الحاملة بشاراته إنه بينة من ربه لنبيه، كما نبيه بينة من ربه حيث التصديق الذاتي والتصادق: (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماماً ورحمة اولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يعلمون) (١٧:١١).

هذا كتاب موسى إماماً لهم أمامهم يصدق القرآن في بشارات، وكما يصدقه في صيغة التعبير وصيغة الوحي للبشير النذير، فليس القرآن إفكاً قديماً مصروفاً عن وجه

١. و تضاهيه مقالة الجن: «انا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى» اي القرآن لا «بعد عيسى» مما يؤكد اصالة التوراة قبل القرآن.

الحق، لا عن كتابات الوحي ولا سواه، فان له كياناً يستقل عن سائر الكيان، مهيمناً على ما قبله من كتاب.

فأنتى للآفكين القولة الفارغة الهراء ان القرآن إفك عن التوراة، صرف عن وجهه معنى وتعبيراً، فهو نسخة عربية عن التوراة فهو إمام القرآن (و من قبله كتاب موسى إماماً ورحمة)؟ (و هذا كتاب مصدق لساناً عربياً..)!

إن هيمنة القرآن على ما قبله من كتاب، تدل على إمامته الشاملة على كل نبي وكل كتاب، فلا تعني إمامة التوراة في آيتها إلا لأتباع شريعة التوراة، إذ تحملهم على تصديق الكتاب المهيمن الإمام، وتحملهم مسئولية حمل هذه الأمانة الكبرى المسرودة في آيات البشارات: (و أنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه ومهيماً عليه..) (٤٨:٥) هيمنة على سائر كتب الله، كما الله مهيمن على سائر الخلق: (الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ..) (٢٣:٥٩).

(..لساناً عربياً) هذا كتاب مصدق حال كونه لساناً عربياً؛ واضحاً بيناً بياناً لا غموض فيه رغم ما فيه من رموز (لساناً) لا (لغة) ف (عربياً) يعني واضحاً لا تعقيد فيه، وإذ كان بلغة عربية، فهو عربي بعربية.

(لينذر الذين ظلموا) عرباً أم سواهم (و بشرى للمسلمين) كذلك، فالتبشير والانذار اللذان يحملها القرآن عربيان لكل عربي وسواه، لا يكلفه إلا ترجمة أو تفسيراً؛ لغوياً أم سواه.

١. كما يتقوله الاستاذ حداد في هرطقات له سماها القرآن والكتاب ومما تقوله:

«هنالك تصاريح من القرآن ان بينه وبين العهدين اتصال ونسب حيث: ١ - التوراة إمامه ٢٠ - وهو في زبر الاولين ٣٠ - وهو تفصيل وتعريب للكتاب المقدس ٤٠ - وهو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وهو علماء اهل الكتاب ٥٠ - ويجب ان يقتدي محمد في قرآنه بالكتاب واهله ٦٠ - واذا شك فيه فليسأل اهل الكتاب ليعلموه.

و لو كان الحداد يفهم اللغة العربية ما سمح لنفسه ان يفترى هذه الهراآت على القرآن - راجع كتابنا (المقارنات ص ١٣٤).

محمد 3 كسائر الرسل في وحي الرسالة

٣

(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ وَ عِيسَى وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هَارُونَ وَ سُلَيْمَانَ وَ آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا) (١٦٣:٤).

فالوحي الرسالي في أصله واحد مهما تكثر في فصله ونسله قضية مختلف الحاجات والظروف، وهنا (النبیین من بعده) يعم إلى سائر اولي العزم وهم إبراهيم وموسى وعيسى، من دونهم من أصحاب السمو الرسالي كإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وأيوب ويونس وهارون وسليمان وداود، فهؤلاء التسعة هم في الدرجة الثانية من الوحي، ومن ثم من (لم نقصصهم عليك) ومن ثمانية الدرجة الثانية إثنى عشر نبياً ذكروا في سائر القرآن، ويعرف محتمد كل في رسالته ونبوته من الآيات التي تحمل ذكراهم بهداهم.

و ذكر نبينا محمد 3 أولاً وهو آخرهم مبعثاً لأن القصد ذكر النبوة الأصلية التي يرأسها نبينا، ومن ثم نوح وهو أول النبیین من أولي العزم مهما سبقه نبي كادريس، والمشابهة بين الوحي إلى أول النبیین الأصلاء وآخرهم تعني أنهم سلسلة موصولة واحدة من منبع واحد، موكب واحد يترائي على طول التاريخ الرسالي المتواصل المتآصل، يضم هذه الصفوة المختارة من شتى الأقوام وشتى الأمصار والأعصار.

ذلك وفي هذا التشبيه الجماعي: (أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبیین من بعده) حيث الممثل به كل وحي رسالي قبل الوحي إلى نبينا، فيه دليل أنه (جمع له كل وحي) بلا إبقاء، فقد أوحى إليه 3 كل ما أوحى إلى كل أنبياءه ورسله وله زيادة

١. نور الثقلين ١: ٥٧٣ في تفسير العياشي عن زرارة وجران عن أبي جعفر وأبي عبد الله H قال: «إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبیین من بعده» فجمع له كل وحي.

تحمل خلود رسالته.

ذلك لأن أقل ما يحمله هذا التشبيه كمّ الوحي وكيفه، ومن ثم كمّ وكيف هما رمز الخلود فى هذه الرسالة الأخيرة.

و ترى كم عديد (رسلاً لم نقصصهم عليك)؟ المستفاد من آيات النبوة والرسالة؟ ان عديد الرسل أكثر بكثير من النبيين، مهما اختلفت الروايات فى عدد كل منهم. و (الأنبياء) فى بعضها تعمها بتأويل كونها جمعاً لكلا النبيى والنبيى لاسيما وأن الرسل فيها أقل ذكراً بينهم، فالمعنى منهم أصحاب الرسالات العظيمة أنبياء وسواهم.) (وَ رُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَ رُسُلًا لَمْ تَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) (١٦٤:٤).

(من قبل) هنا تعني قبل هذه الآية، ثم (لم نقصصهم) تعم من قصصهم الله عليه من بعد ومن لم يقصصهم لا قبل ولا بعد، حيث القرآن ليس كتاب القصة كأصل، وإنما يقص من تاريخ الصالحين والطالحين منا يصلح عبرة لهذه الأمة.

و قد يلمح تخصيص موسى Δ بالذكر هنا بأنه يحمل أهم النبوات بعد نبينا، وقد أدرج إبراهيم وعيسى وقبلهما نوح درج سائر النبيين المذكورين. و ليس تكليم الله موسى كما يكلم خلقاً خلقاً فقد (كلم موسى تكليماً بلا جوارح

١. لدر المنثور ٢:٣٤٦ - أخرج بعدة طرق عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله 3 كم الأنبياء؟ قال: مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألفاً قلت يا رسول الله كم الرسل منهم؟ قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير ثم قال يا أبا ذر أربعة سريانين آدم وشيت ونوح واخنوخ وهو إدريس وهو أول من خط بقلم وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك وأول نبي من أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى وأول النبيين آدم وآخرهم نبيك.

أقول: وفيه فى حديث أبي أمامة عنه 3 «وخمسة عشر» بدلاً عن ثلاثة عشر. و فيه عن أنس قال قال رسول الله 3 كان فىمن خلا من أخواني من الأنبياء ثمانية آلاف نبي ثم كان عيسى بن مريم ثم كنت أنا بعده. أقول: لعله يعنى أكابر من أوحى إليهم لا كلهم.

وأدوات ولا شفة ولا ماهوآت سبحانه وتعالى عن الصفات.
 (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) (١٦٥:٤).

قصصنا أم لم نقصص (رسلاً) هم سواء في كونهم (مبشرين ومنذرين) كما حملوا، وذلك التبشير والإنذار الرسالي (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) إذ كانوا يحتاجون على الله لو لا الرسل: (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزي) (١٣٤:٢٠) - (ولولا أن تصيهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) (٤٨:٢٨) (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً) (١٥:١٧).^١

صحيح أن العقل رسول في الأنفس كما الشعور في أنفس الحيوان مهما اختلفت الدرجات، ولكننا المسؤولية التي تحملها رسالة الوحي الآفاقية لا يحملها رسول العقل، فلا يهلك بعذاب الإستئصال من لم يأتهم رسول مهما كانوا مسؤولين بما يحمله رسول العقل ويحملهم إياه.

ومن ثم فنفس الضلال لولا رسالة الوحي خزي وذلل لمثل الإنسان الذي خلق في أحسن تقويم، فمع الغض عن سلب المسؤولية لولا الرسالة، هنا حجة لهم على الله لماذا لم يرسل رسلاً (فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) (ولا أحد أحب إليه العذر من الله ولذلك بعث الرسل مبشرين ومنذرين).^٢

(وكان الله عزيزاً) قادراً على إرسال الرسل فلماذا لا يرسل (حكيماً) في مادة الإرسال ونوعيته، فعزته تعالى وحكمته حجة عليه من الناس لو لم يرسل رسلاً

١. لتفصيل البحث حول حجة الرسالة راجع تفسير هذه الآية في سورة الأسرى ج ١٥ الفرقان.
 ٢. الدر المنثور ٣٤٨:٢ - أخرج أحمد والبخاري والترمذي والنسائي وابن مردويه عن ابن مسعود قال قال رسول الله 3 لا احد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه ولا أحد أحب إليه العذر ...

مبشرين ومنذرين، ولذلك كله:

(فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبيائه ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته ويحتج عليهم بالتبليغ، ويشيروا لهم دفائن العقول، ويروهم آيات القدرة، من سقف فوقهم مرفوع، ومهاد تحتهم موضوع، ومعايش تحييهم، وآجال تفيهم، وأوصاب تهرمهم، وأحداث تتابع عليهم، ولم يخل الله سبحانه خلقه من نبي مرسل، أو كتاب منزل أو حجة لازمة، أو محجة قائمة، رسل لا تقصر بهم قلة عددهم، ولا كثرة المكذبين لهم، من سابق سمى له من بعده، أو غابر عرفه من قبله، على ذلك نسلت القرون ومضت الدهور وسلفت الآباء وخلفت الأبناء إلى أن بعث الله نبيّه محمداً³).

و صحيح أن لله المحجة البالغة في الآفاق والآنفس بمال منحهم من الفطر والعقول، ولكنه سبحانه رحمة لعباده، وتقديراً لكون خلقه في أحسن تقويم، ولغلبة الشهوات على ذلك الحسن التقويم، اقتضت رحمته التي كتبها على نفسه أن يرسل إليهم (رسلاً مبشرين ومنذرين) يذكروهم ويصرون محاولة استنقاذ فطرهم وتحرير عقولهم من ركام الشهوات التي هي حجابات عن دلائل الهدى وموحيات الإيمان في الآفاق والآنفس.

دور العقل بين رسالات الوحي الآفاقية والآنفسية هو دور الوسيط بين الفطرة والشرعة الربانية، وكما أمرنا بإقامة وجوهنا للدين حنفاء (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها) (٣٠:٣٠).

فبالفطرة والعقل تعرف شرعة الله، ثم في تجاوب صالح بينهما يُتعرّف إلى مرماها ومغزاها، دون استقلالية بجنبها ولا استغلالية بها، فإنما هو التسليم السليم أمام وحي الشرعة الربانية، المكملة لوحي الفطرة والعقلية الإنسانية.

إن شرعة الله تستنقذ العقلية الإنسانية وفطرتها مما يرين عليهما من ركامات الشهوات والقصورات والتقصيرات، وترسم لهما منهج التلقي الصالح الصحيح.

و ليس دور العقل دور الحاكم بجنب الشرع، فبعد أن يتأكد من صحة صدور الشرعة

١. نور الثقلين ١: ٥٧٤ في نهج البلاغة قال Δ: فبعث ...

عن الله فليس دوره إلا التفهّم عنها بصورة صالحة والتسليم لها تماماً دون التفحّم عليها. و إن رسالات السماء كلها تخاطب العقول التي تتبنى الفِطْرَ، لكي تعقل وحي الله تماماً فتتكامل به وتتصاعد إلى المراقي السامقة التي تتجاوب مع أحسن تقويم.

فالعقل الإيماني السليم هو الوسط بين إفراط التأليه للعقل الإنساني لحد يحق له إبطال شرعة الله، وبين تفريط الإلغاء له عن بكرته، فعليه أن يصدق كلما يُعرض عليه من وارد وشارد مهما يرفضه او لا يرفضه.

كلا! إنه رسول الوحي في الباطن ليتلقى وحي الشرعة من رجالات الوحي بعدما عرف صدقهم بآيات الرسالة الصادقة.

فليس للعقل ان ينتقص شرعة الله أو وينتقضها، فإنما عليه أن يتفهمها لكي يطبقها، وليس فرض تسليمه لها إنتقاصاً له، بل هو تحديد لدوره كما حده الله، فلأن العقل محدود غير طليق وشرعة الله نازلة بعلم الله الطليق غير المحدود، فليكن الأصل هو شرعة الله، ولها تخطئة العقل واستكمالها ولا عكس.

وليس ما يتم بالرسالة - عن طريق العقل نفسه - ليتم غيرها، فضلاً عن العقل نفسه، فالتاريخ البشري على طوله لم يسجل لنا أن عقلاً واحداً من العقول الكبيرة النادرة الناضجة النابغة اهتدى إلى مثل ما اهتدت إليه العقول العادية بالرسالة، لا في تصورات عقيدية، ولا في حُلُق، ولا في نظام حياة، ولا في تشريع لذلك النظام.

فلا نجد أي فيلسوف عبقرى لامع بمستوى أدنى رسل الله في التصور الصالح عن الكون ومعرفة المكون والشرعة التي بلّغها العالمين.

فالخلخلة وعدم الإتران والتوازن هي الطابعة الدائمة العشيرة للحياة العقلية المنفصلة عن رسالة الوحي، مهما تلمّعت العقول والعلوم وتضخمت في بعض جوانب الحياة حيث تنطفي جوانب أخرى وقد يذوب تلمّعها بعد حين.

وأما رسالة الوحي فـ (لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)!

(لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَ كَفَى بِاللَّهِ

شَهِيداً) (١٦٦:٤).

دور (لكن) هنا إضراب عما يتقولون فى نكران وحي القرآن كقولتهم نزل علينا كتاباً من السماء، أن القرآن بنفسه دليل وحيه الصارم من سماء الرحمة الربانية دونما حاجة إلى شهادة أخرى غير نفسه.

وانه لا شهيد أشهد من الله ولا شهادة لله أشهد من كتاب الله، إذا فالله هو الشهيد بين الرسول والمرسل إليهم فهل ترى من باقية؟: (قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إلى هذا القرآن لأندركم به ومن بلغ ..) (١٩:٦) - (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) (١٣:٤٣) .

أجل (أنزله بعلمه) فالقرآن شهيد على وحيه لما يحوى من علمه، حال (والملائكة يشهدون) بما أنزل حيث الرسالة الملائكية مشهودة فيه ولكن (كفى بالله شهيداً) فى كتابه الحكيم.

ثم (بعلمه) تشمل كل علمه لو لا (أنزله) فقد تتحدد (بعلمه) بـ (أنزله) بالممكن إنزاله إلى خلقه مما يلمح بأن الله أنزل من علمه فى القرآن ما يمكن إنزاله إلى خلقه، فهو - إذاً - ما سوى العلم المختص بساحة قدسه تعالى.

وهنا إضافة (علم) إلى نفسه المقدسة دليل أنه يعنى علمه الفعلي دون الذاتي الذي هو هو، فالخلق محرومون عن علمه الذاتي وكذلك علمه الرباني الذي به خلق ما خلق ودبر ما دبر، إذاً فـ (علمه) قد يشمل كل ما سوى علمه الذاتي وعلمه الفعلي الرباني الذي يتميز به عن خلقه^١.

١. نور الثقلين ١: ٥٧٤ فى كتاب التوحيد عن علي Δ كلام طويل وفيه: كلم موسى ..

وفيه عن التوحيد بإسناده إلى محمد بن الجهم عن أبي الحسن Δ حديث طويل وفيه يقول حاكياً عن موسى فى قومه: يخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم فى سفح الجبل وصعد موسى إلى الطور وسأل الله تبارك وتعالى أن يكلمه ويسمعهم كلامه فكلمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل يمين وشمال ووراء وأمام لأن الله عزوجل أحدثه فى الشجرة ثم جعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه.

وهنا (أنزله بعلمه) إشارة الى موضع شهادته في كتابه انه علمه الصارم الطليق وكما تحدى به (و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) (قل لئن اجتمعت الانس والجن عل أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) (١٧:٨٨) (و ان كنتم في ريب نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين. وإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) (٢:٢٤) .

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا) (٤:١٦٧) .

الكفر اللازم دون تعد بصد عن سبيل الله ضلال قريب، وهو قريب إلى الهدى، ولكنه المتعدي (و صدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالاً بعيداً) وهو غريب عن الهدى، حيث تعرق الكفر وتعمق فلا طريق لصاحبه إلا طريق جهنم:

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيُهْدِيَهُمْ طَرِيقًا) (٤:١٦٨) .

حيث أضافوا إلى ظلمهم أنفسهم بكفرهم ظلمهم إلى من سواهم حيث صدوهم عن سبيل الله، فقد سدت عليهم طرق الهدى كما سدوها على الحائرین، اللهم: (إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) (٤:١٦٩) .

وفيه عن علي Δ حديث طويل يقول فيه وقد سأله رجل عما اشتبه عليه من الآيات: وكلام الله ليس بنحو واحد، منه ما كلم الله به الرسل ومنه ما قذفه في قلوبهم ومنه رؤيا يريها الرسل ومنه وحي وتنزيل يتلى ويقرأ فهو كلام الله فاكتف بما وصفت لك من كلام الله فإن معنى كلام الله ليس بنحو واحد فإن منه ما تبلغ رسل السماء رسل الأرض.

و فيه عن كتاب الإحتجاج روى عن صفوان بن يحيى قال سألتني أبو قررة المحدث صاحب شبرمة أن أدخله إلى أبي الحسن الرضا Δ فاستأذنته فأذن له فدخل فقال أخبرني جعلني الله فداك عن كلام الله لموسى Δ فقال: الله اعلم ورسوله بأي لسان كلمه بالسريانية أم بالعبرانية؟ فأخذ أبو قررة بلسانه فقط فقال: إنما سألك عن هذا اللسان فقال أبو الحسن Δ سبحان الله مما تقول ومعاذ الله لموسى Δ فقال: الله اعلم ورسوله بأي لسان كلمه بالسريانية أم بالعبرانية؟ فأخذ أبو قررة قائل فاعل، قال: كيف ذلك؟ قال: كلام الخالق للمخلوق ليس ككلام المخلوق لمخلوق ولا يلفظ بشق فم ولسان ولكن يقول له كن فكان بمشيئته ما خاطب به موسى من الامر والنهي من غير تردد في نفس.

وهذا جزاء وفاق حيث فتحوا طريق جهنم إلى أنفسهم وسواهم خلوداً في الكفر والصد عن سبيل الله، فهم - إذاً - (خالدين فيها أبداً) ما دامت ومن ثم الموت المطلق المطبق خموداً مع خمود النار فلا نار - إذاً - ولا أهل نار.

(يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) (١٧٠:٤).

(... قد جاءكم) محققاً دون ريب (الرسول) كأنه هو الوحيد في رسالة الوحي، إذ يحمل كل رسالات الوحي وزيادة (بالحق) - (جاءكم بالحق الرسول بالحق - بالحق من ربكم) جيئة عظيمة في مثلتها، مجيئاً بالحق، رسالة بالحق، بالحق من ربكم، فقد يحمل إليكم كل الربوبيات التربوية من ربكم، محلقة على كل الحاجيات عرض المكان وطول الزمان.

و(الحق) الذي جاء به من ربكم هو الرسالة القرآنية السامية بما مع نفسه المقدسة من قمة عليا في العصمة التامة والبلاغ الرسالي، فهو بما جاء به حق طليق لا حول عنه ولا نظرة لما فوقه إذ لا فوق له.

صحيح أن كافة رسل الله يجيئون بالحق من الرب، ولكنه حق محدّد لروح من الزمن يتحول إلى جديد وجديد هو سديد لزمّنه، ولكن ذلك الحق الأخير لا حدّ له ولا جديد بعده، بل هو جديد سديد لكل زمان ومكان، لكل جن وإنسان أم أياً كان.

(فآمنوا خيراً لكم) آمنوا بذلك الحق الجديد يك خيراً لكم من كلما قبله، مهما كان كل حق من ربكم، ولكنه أحق بالإيمان وأحرى.

(و ان تكفروا) بذلك الحق فلن تضروا الله شيئاً ولن تنقصوا من ملكه شيئاً (فإن لله ما في السماوات والأرض وكان الله عليماً حكيماً).

فلا يطلب منكم الإيمان بحق أم ذلك الحق ليتحقق ملكه، أو علمه وحكمته، فلا تنفعه طاعة من أطاعة ولا تضره معصية من عصاه، فإنما الإيمان هو (خيراً لكم) لا لله، فإنما (كتب ربكم على نفسه الرحمة) وذلك الحق من حاقّ الرحمة فلا يريد منكم في الإيمان به إلاّ (خيراً لكم).

محمد 3

ليس ابا احد من رجالكم

وهو خاتم النبيين

٤

(ما كان مُحَمَّدٌ اَبَا اَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَ لَكِنْ رَسُوْلَ اللّٰهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كَانَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمًا) (٣٣:٤٠)

ان تزويج زينب بنت جحش من زيد بن الحارثة ومن ثم تزويجها من رسول الله 3 يحمل بعدين عميقين من أبعاد التربية الاسلامية، فأول البعدين هو تحطيم الفوارق الطبقية وحتى بين الاحرار والعبيد، فيزوج النبي 3 مولاه زيدا من شريفة بني هاشم بنت عمته، ليُسقط هذه الفوارق اولاً بنفسه وفي أسرته، ثم يتزوجها هو 3 ليحطّم عملياً سنة التنبّي وحرمة الزواج بجليلة المتنبّي، ولم يكن ليكتفي في تحطيم هذين الصرحين الجاهليين بالقول فقط ام فعل من غيره، فليدخل هو بنفسه في الميدان ليؤتسى به في الامة الاسلامية مع الأبد.

ان الله يقضي امر الزواج بين زيد وزينب لتقرير مبدئين جديدين في الأمة، ولكن زينب يخلد في خلدتها شئ من ذلك الزواج قائلة له 3 بعد ما خطبها لزيد: (وامر نفسي فانظر) فانزل:

١. الدر المنثور ٥: ٢٠٠ - اخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس قال: ان رسول الله 3 انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة فدخل على زينب بنت جحش الاسدية فخطبها، قالت لست بناكحته قال: بلى فانكحيت قالت: يا رسول الله 3 اوامر نفسي، فبينما هما يتحدثان انزل الله هذه الآية قالت قد رضيت لي يا رسول الله منكحاً؟ قال 3: نعم قالت اذاً لا أعصي رسول الله قد انكحته نفسي، واخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: خطب رسول الله 3 زينب بنت جحش لزيد بن حارثة فاستنكفت منه وقالت: انا خير منه حسباً، وكانت امرأة فيها حدة فانزل الله «و ما كان ..» وفيه عنه قال رسول الله 3 لزينب اني اريد ان ازوجك زيد بن حارثة فاني قد رضيت لك، قالت يا رسول الله 3 لكن لا ارضاه لنفسي وانا أئيم قومي وبنيت عمك فلم اكن افعل فنزلت الآية، وفيه عن قتادة قال

(وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) (٣٦) .

هنا (قضى الله ورسوله) لا تعني إلا التشريع من الله، ثم بلاغ الشريعة من رسول الله، أم وولاية الرسول على المؤمنين فيما يأمر وينهى كولي لأمر الأمة فإنه (أولى بالمؤمنين من أنفسهم)!

هذه الآية تقرر قراراً حاسماً على الكتلة المؤمنة أن ليست لهم خيرة من أمرهم إذا قضى الله ورسوله أمراً سواء كان من أمورهم الشخصية أو الجماعية في أي حقل من الحقول، في أحكام جامعة كسائر الشريعة، أم خاصة كذلك الزواج الصارم لما يحمل من بعدين، تبنياً لصرح الأمة على ما يريد الله وتقتضيه مصلحة الأمة.

(ما كان) هنا وفي سواها نفي يضرب إلى الأعماق، يعني نهياً صارماً لا قبل له، والانتهاء به قضية أصل الإيمان، وإلا فلا إيمان (ما كان لمؤمن ولا مؤمنة ..) (وإن يكون لهم الخيرة من أمرهم) يستأصل كون أية خيرة لهم إلا ما قضاء الله ورسوله، وحتى إذا كانت خيرة الاستثمار من أنفسهم أو الشورى بينهم، ثم اختيار ما قضاها الله ورسوله!

فأدنى درك من العصيان هو خيره كهذه التي توافق قضاء الله، وأسفل درك منه بدار العصيان دونما تفكير، وأوسطه العصيان بعد استثمار أو شورى، (خيرة من أمرهم) تستاصل الثلاثة، ثم لا تبقى إلا الطاعة المطلقة دونما خيرة من أمرهم في جانحة ولا جارحة، وإنما مطلق الإستسلام! (و من يعص الله ورسوله) تشمل الثلاثة (فقد ضل ضلالاً مبيناً) مهما اختلفت دركات الضلال والعصيان!

إن قضاء الله كوحي خاص في تشريع يحمله رسول الله في بلاغ الشريعة ثم قضاءه كوحي عام قضاء لرسول الله كولي لأمر الأمة بما أراه الله، هو (أنا أنزلنا عليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً) ف - (ما ينطق عن

خطب النبي 3 زينب وهو يريد لها لزيد فظنت انه يريد لها لنفسه فلما علمت انه يريد لها لزيد آبت فانزل الله هذه الآية.

الهوى. ان هو الا وحي يوحى) مهما كان بلفظ القرآن او السنة، او كان حكماً سياسياً
 أمّاذ من احكام، ف- (يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله)؛
 و - (ان كنت لا تطيع خالقك فلا تأكل رزقه، وان كنت والبيت عدوه فاخرج من
 ملكه، وإن كنت غير قانع برضاه وقدره فاطلب رباً سواه)؛^١ يقول الله: من لم يرض
 بقضائي ولم يؤمن بقدري فليتمس إلهاً غيري،^٢ وقال رسول الله 3: في كل قضاء الله
 عزوجل خيرة للمؤمن^٣.

فالله يقضي زواجاً بين قريبة الرسول الشريفة في قومها وبين عبده قضاءً على سنة
 الفوارق ولاخيرة إذاً دون خيرة الله! ثم الله يقضي زواج رسوله بجليلة دعّيه قضاءً
 على سنة جاهلية اخرى وفارقة اخرى فارغة كما الاولى، وليس للمؤمنين إلا التسليم
 لقضائه! والله يقول الحق وهو يهدي السبيل! ولا سبيل مستقيماً إلا الإستسلام المطلق
 امام قضاءه دون اختلاج خالجة في ضمير، ولا سيما في الأفضية التي تتبني الإسلام،
 اصولاً يؤتسى با على طول الخط، ولا بد من تجاوب من الأمة مع الرسول 3 في تبني
 صرح هذه الرسالة السامية، فان يداً واحدة لا تصفق! .

(وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ
 وَ تَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى
 زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا
 قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) (٣٣:٣٧) .

هذا زيد بن حارثة (انعم الله عليه) بالتربية المحمدية قبل الاسلام وبالايان بعده

١. نور الثقلين ٤: ٢٨٠ ح ١٢٣ في كتاب التوحيد باسناده الى الاصبع بن نباتة قال قال امير المؤمنين

Δ: ...

٢. المصدر ح ١٢٤ فيه باسناده إلى الحسين بن خالد عن علي بن موسى الرضا عن ابيه عن آبائه عن
 علي بن ابي طالب قال: سمعت رسول الله 3 يقول قال الله جل جلاله ...

٣. المصدر ح ١٢٥ وقال رسول الله 3: ..

وانكحه شريفة بنى هاشم بنت عمه النبي 3 (وانعمت عليه) في إحضانه بتربية صالحة وعتقه وإنكاحه بنت عمك وهي ترغبك دونه! تقول له بعد منازعة مستمرة بينه وبينها (امسك عليك زوجك) وقضى الله اطلاقها لينكحك اياها هدماً لسنة جاهلية (واتق الله) وكان تقواه طلاقها في الواقع مهما كانت امساكها في الظاهر (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) من فرض زواجها لك بعده كما أبداه في اذاعة قرآنية (زوجناكها ..) وليس مما اخفاه 3 في نفسه انه عشقها رغبة الجنس لما رآها تغتسل كما اختلق عليه! ويشهد له (ما الله مبديه) وما أبدى الله إلا اصل الزواج (لكيلا يكون للمؤمن حرج في ازواج ادعيائهم)! (و تخشى الناس) إن ابديت امرك فيها أن يقولوا طمع في حليلة دعيّة، كما انطلقت السنة المنافقين: تزوج حليلة ابنه! (و الله أحق أن تخشاه) في تحقيق قضاءه، دون أن تخشى الناس في خشيته، فانما خشية بلا وسيط! .

اترى الرسول 3 في هذه المعركة الصاخبة خشي الناس ولم يخشى الله؟ و هو أخشى لله من كل (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احداً الا الله) وهو ابلى من (يبلغون رسالات الله) فأخشاهم لله فانه (اول العابدين)؟ .

إن خشية الله خشيتان، خشية عن طريق الناس وقد خشيه عنهم، فأخفى في نفسه ما الله مبديه، لكيلا يمس من كرامة رسالته بما يتقوله الناس، وكما خشيهم في بلاغ رسالة الولاية (بلغ ما انزل اليك ..) وخشي ازواجه في قصة مارية فحرمها على نفسه خشية تظاهرها عليه (لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك)؟ فأمنه الله عما يخشاه: (و الله يعصمك من الناس) في بلاغ الولاية (و إن تظاهرها عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير) في مارية (و الله أحق أن تخشاه) في زينب. فقبل ان يؤمنه الله باس الناس ما كان ليأمنهم ان يمسا من كرامة رسالته، وكان عليه حفاظها تقدماً للأهم على مهمه، ثم الوحي الحبيب من الحبيب آمنه بأسهم، فنقله من خشيته تعالى من طريق الناس، الى خشية خالصة لا وسيط لها (و الله احق أن تخشاه)!

فذلك - اذاً - انتصار له في صيغة عتاب ولا عتاب، فانه يبرء ساحته الرسالية في

هذه الإذاعة القرآنية عن كافة التقوُّلات الموجهة اليه: انه رآها فاعجبته^١ اماذا من هرطقات جاهلية وهرآت عراء وساحة الرسول منها براء!

(فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) (٣٧:٣٣)!

لقد كان لزيد منها وطراً؛ نهمة وحاجة مهمة، قضاءً على سنة جاهلية في التفاخر بالأنساب، ووقاءً لشهوة الجنس، والاول مقضي بمجرد الزواج ولكنما الثاني باق ما بقي صاحب الجنس في إربته، ثم ولا يحل لزوجه زواج آخر ما دامت في حبالته وإن قضيت إربته، فكيف (زوجناكها) ان نهمة الجنس وشهوته قد تنقضي بطبيعة الحال ولم تنقض من زيد وهو في شَبَقِ الشباب، وزوجه شريفة جميلة! وقد يقضيها هو بأسباب اخرى ولم تنقض، من عدم الوفاق لحد ينجر الى الفراق فذلك قضاء وطراً اول نهمة وشهوة، ان يطلقها في طهر لم يواقعها فيه، فلو لم يقض وطراً منها لم يطلقها، ان بقى له وطراً منها راجعها في عدتها ولم يراجعها! فقد قضى منها وطراً ثانياً واخيراً إذ سرَّحها دونما رجعة: (فلما قضى زيداً منها وطراً زوجناكها) حيث تم الزواج إذ تم قضاء الوطر بتمام العدة!

فهنا لك للزوج وهناك للزوج اوطار اخرى كحاجة وتمايلة الى زوجه بعد الطلقة

١. في نور الثقلين ٢٨٠: ٤ ح ١٢٧ عن ابي جعفر الباقر Δ فيما رواه القمي عن ابي الجارود عنه Δ في الآية وساق القصة الى: ثم انهما تشاجرا في شيء الى رسول الله فنظر اليها رسول الله فاعجبته ... وفيه ح ١٣٠ عن الامام الرضا Δ ان رسول الله 3 قصد دار زيد بن حارثة في امر اراده فرأى امرأته تغتسل فقال لها: سبحان الله الذي خلقك .. فلما عاد زيد الى منزله اخبرته امرأته بمجىء الرسول وقوله لها فلم يعلم زيد ما اراد بذلك فظن انه قال ذلك لما اعجبه من حسن، فجاء الى النبي 3 فقال يا رسول الله 3 ان امرأتي في خلقها سوء واني اريد طلاقها فقال له النبي 3 امسك عليك زوجك واتق الله ..

اقول انهما ولا سيما الثاني محتلق على الرسول 3 فلو اراد زوجها شهوة لبادر اليها قبل تقديمها لزيد وقد كانت تريده 3 ثم كيف يدخل الرسول بيتاً دون استئناس من اهله لحد يرى امرأة اجنبية تغتسل فتعجبه ويقول مقالته!؟

الثانية، ثم بعد الثالثة بمحلل حيث يعقد عليها بعده، ثم وطر بعد وطر حتى تبلغ الطلقات تسعاً بمحللين ثلاثة، ولا وطر له بعد الطلقة التاسعة حيث تتحقق بها الحرمة المؤبد. وأولى الأوطار التي يحل فيها زواجها بزواج آخر هي في الطلقة الأولى بمضي عدتها دون رجعة منه في الرجعية او منها في المختلفة والمبارأة حين يقبل رجوعها. و(وطراً) هنا مطلق يشمل قبل الطلاق وبعده ولما تخلص العدة، ويقيده بخلاص العدة قبل الرجعة آيات الرجعة، والمطلقة رجعية زوجة، فلا يحل لها زواج آخر ما دامت في العدة إلا اذا لاحل لها قطعاً.

وهنا نرى الرسول وهو مأمور بزواجها لنفسه لا ينكحها بنفسه حيث يزوجه الله اياها: (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها) وان كان يخطبها في ظاهر الامر قد كانت تفتخر على سائر ازواجه 3 بزواجها الالهي.

و لماذا (زوجناكها) الحظوة الجنس فقط ؟ وقد كان له ان يتزوج بها قبل ان يزوجه لغلामه ولم يفعل وهي راغبة اليه 3! اترى الشريفة القرية الى النبي ترجح غلامه 3 عليه، ثم النبي يرجح ثيبة غلامه على البكر!؟

فانما (زوجناكها) لسياسة رسالية: (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضاوا منهن وطراً) قضاءً على سنة عريقة جاهلية هي حرمة حلائل

١. في الدر المنثور ٥: ٢٠٢ - اخرج الحاكم عن الشعبي قال كانت زينب تقول للنبي 3 انا اعظم نسائك عليك حقاً انا خيرهن منكحا واکرمهن سترأ واکرمهن رهماً وزوجنيك الرحمن من فوق عرشه وكان جبرئيل Δ هو السفير بذلك وانا بنت عمك ليس لك من نسائك قرينة غيري.

٢. يروي الامام احمد ومسلم والنسائي من طرق عن سليمان بن المغيرة عن انس قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله 3 لزيد بن حارثة «ذهب فاذا ذكرها علي» فانطلق حتى اتاها وهي تخمر عينيها قال: لما رأيتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها واقول ان رسول الله 3 ذكرها فوليتها ظهري ونكحت على عقبي وقلت يا زينب ابشري ارسلني رسول الله 3 بذكرك قالت: ما ان بصانعة شيئاً حتى اوامر ربي عزوجل فقامت الى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله 3 فدخل عليها بغير اذن.

الادعاء اعتباراً أنهم أبناء (و ما جعل ادعاءكم أبناءكم) ما كان يُقضى عليها إلا عملاً جاهراً من الرسول نفسه وقد فعل بأمر الله (و كان امر الله مفعولاً).

فقد قضى الرسول 3 على جاهلية الفوارق الطبقية في بعدي تزويجه شريفة بعد، ثم تزويج زوجة عبده لنفسه، ومن ثم جاهلية حرمة حلائل الادعاء قضاء على كونهم أبناء، ولم يكن إبطال هذه الآثار الواقعية في حياة المجتمع ليمضي بسهولة، حيث التقاليد الاجتماعية اعمق اثرًا في النفوس من أن تزول بسن القوانين المجردة، إلا أن يسنها ويطبقها الرسول عملياً في نفسه، ويواجه المجتمع بهذه العملية الصارمة التي لا يستطيع أحد ان يواجه بها ذلك المجتمع الصلد العارم!

يأتيه 3 زيد مرة بعد اخرى يشكو اضطراب حياته الزوجية، والرسول 3 يحمل امر الله في تزويجها لنفسه، ولكنه يحسُّ ثقل التبعة ان اظهر أمره على نفاذ رسالته، فهو على شجاعته في مواجهة قومه في أمر أمر من العقيدة المضادة لما يعتقدون، دون أية ملجئة ولا خشية، إذ ما كانت لتمس من ساحة رسالته، نراه هنا متلجلجاً يخشاهم على رسالته خشيةً من ربه أن تتهدم اركان دعوته بما يتوقعه من مجابهة عنيدة في هذه المواجهة فيقول: (أمسك عليك زوجك واتق الله) فأخفى في نفسه فعلاً ما الله مبيده، ويعلم أن الله مبيده، ولكن أين إبداء محمد من إبداء الله؟ اذ هم ليسوا ليعارضوا الله ويتهموه! مهما تجاسروا على معارضة رسول الله 3، إذ جاء وحي حبيب من الحبيب يُطمئنه بعصمته من بأسهم فنقله من خشيته تعالى بهم الى خشيته في تعميتهم، فمهما كان حقاً لك ان تخشى الله احتراساً عن الناس حراساً على رسالتك، فالله أحق أن تخشاه إذ يطمئنك عن بأس الناس، فهو الذي أمرك بتحقيق أمره العجيب الإمر، حملاً لأعباء الرسالة مهما كانت ثقيلة: (إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً) وهو الذي يلقي في قلب الزوجين عزيمة الفراق، وهو الذي يزوجك زوجة زيد بعد ذلك الفراق، بولاية قاطعة لا مرد لها ودونما استمارة واستثمار منكما (زوجناكها) فهو الخاطب لك وهو المجرى صيغة الزواج، فيدخل عليها الرسول بمجرد نزول الآية ودونما استثناس، وكانت هذه إحدى ضرائب الرسالة الباهظة التي حُمِّلها فحملها في مواجهة المجتمع الذي كان

يكرهها ويتقول فيها كما تقول البعض من المسلمين والجاهليين والمسيحيين!

ولكن (و كان امر الله مفعولاً) لا يمنع مانع ولا يردعه رادع! اذ:

(ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل
و كان أمر الله قدراً مقدوراً) (٣٨:٣٣) .

ضابطة سارية المفعول ترسمها الآية لحملة الرسالات الإلهية الأتقية لهم من الناس في بيان او تطبيق شرعة الله، فالحرج على اقسام عدة، فقد يتحرج عن أصل الفرض على أية حال فلا يفرض على النبي والامة على أية حال: ف (ما جعل عليكم في الدين من حرج) (٧٨:٢٢) وقد يتحرج لأمر في نفسه يعرضه كمرض يُخرج في فرضه فهو مفروض إلا في حرجه للنبي والامة، وقد يتحرج بتحريج الناس فيتقيهم بتركه، فذلك خاص بالامة بمن فيهم الأئمة دون الرسول 3 إذ لا تقيه له، و(ما كان على النبي من حرج) يعني الثالثة، فان (فيما فرض الله له) تثبت فرضه فيخرج المُحرج في أصله، ثم (له) يُخرج المُحرج في نفسه، فانه موضوع عنه وعن الامة سواء فليكن هو المحرج الخارج عن نفسه من بأس الناس إذ يحرّجون موقفه من تطبيق (ما فرض الله له) فليس له أن يتقيهم حيث ضمن الله وقايته عن بأسهم كما هنا وفي قصة مارية وقضية بلاغ الإمرة.

ولماذا (فرض الله له) دون (عليه) لأن الفرض هنا كان (له) حظوة بشرية ودعوة

١. في الدر المنثور ٥: ٢٠٣ - اخرج الطبراني والبيهقي سننه وابن عساكر من طريق الكميت بن يزيد الاسدي قال حدثني مذكور مولى زينب بنت جحش قالت: خطبني عدة من اصحاب النبي 3 فارسلت اليه 3 اخي يشاوره في ذلك قال 3: فأين هي ممن يعلمها كتاب ربها وسنة نبيها؟ قالت: من؟ قال 3: زيد بن حارثة فغضبت وقالت تزوج بنت عمك مولاك ثم اتتني فاخبرتني بذلك فقلت اشد من قولها وغضبت اشد من غضبها فانزل الله تعالى: «و ما كان لمؤمن ..» فارسلت اليه زوجني من شئت فزوجني منه فاخذته بلساني فشكاني الى النبي 3 فقال له: اذاً طلقها فطلقني، فبت طلاقى فلما انقضت عدتي لم اشعر الا والنبي 3 وانا مكشوفة الشعر فقلت هذا امر من السماء دخلت يا رسول الله بلا خطبة ولا شهادة؟ قال: الله المزوج وجبريل الشاهد.

رسالية، وحتى فيما لا خطوة له فيه شخصية، بل عبء وثقل، فلا يثقل على كاهله، بل يستقبل فرض الله بكل رحابة صدر ورياحة خاطر، فكل فرائض الله (له) لا (عليه) إذ لا يستثقلها على أية حال!

إذا فليس النبي ليتحرج فيما فرض الله له مهما كان عبئاً وثقله، لا في قرارة نفسه لأنه يحمل الرسالة فعليه ما حمل، ولا يحق للامة تحريج موقفه لانهم مرسل إليهم وعليهم ما حملوا، فلا تقية للنبي فيما يحمله من رسالة الله مهما صعبت الظروف والتوت لأنه يقرر مصير الامة وعليه تمام المسؤولية، وهذه من سنن الله الثابتة في الذين خلوا من قبل من الرسل مهما تخلف المرسل اليهم عن هذه السنة ولا يفرض الله لنبي ما لا يطيقه او يُحيقه مهما كان أمراً إمرأً وعبئاً ثقيلاً (و كان) طول الزمن الرسالية (امر الله) لأنبياءه (قدراً) قدره بعلمه وحكمته لصالحهم الرسالي (مقدوراً) لهم قدر الطاقة لا محرراً ولا معسوراً.

فهناك يشجع الرسول 3 على ذلك الزواج دون تحرج من قالة الناس، وعطفاً لخشية الناس في الله الى خشية الله مجرداً عن الناس، وهنا يندد بالذين يجرّجون موقفه فيما فرض الله له كسنة ثابتة للرسول وعلى الأمة، ثم نفي الحرج عن النبي - لا محمد - وفيما فرض الله له - لا عليه - يد لان على ان الفرض هو الفرض الرسالي الذي يقرر مصير الأمة اذاً فلا تقية في بلاغه حتى على نفسه، والله يكفي خشية على رسالته. واما المفروض على الامة فقد يكون فيه حرج وقد لا يكون فيفعل احياناً ويتترك اخرى ثم (والذين خلوا من قبل) في هذه السنّة هم:

(الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) (٣٩:٣٣)

إنهم رجالات رسالات الوحي حيث يكثرون البلاغ ويشدقون في رسالات الله التي حملوا بلاغها، ويخشونه فقط في سبيل التبليغ، ولا يخشون أحداً إلا الله، حتى فيما يخشى على ساحة رسالتهم، حيث الله ضامن لهم امرهم، ف: (يخشونه) تحصر خشبتهم في الله (و لا يخشون أحداً إلا الله) تنفي خشية اي أحد في الله إذ يطمئنهم الله عن بأس من سوى الله في سبيله الى الله.

والخشية خوف يشوبه تعظيم، فخشية الناس في الله ان يخافوا عظم ما يفعلون حيث يُغضب الله، فان كفى الله خطرهم فلا خشية الا من الله دون سواه وكما كُفي

الرسول بأسهم فأمر أن يتحول من خشية الناس في الله الى خشية الله في الله .
 (ذلك لمن خشى العنت منكم) (٢٥:٤) وخشية القول الإمر: (اني خشيت ان تقول
 فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي) (٩٤:٢٠) وخشية الارهاق كفراً (فخشينا أن
 يرهقهما طغياناً وكفراً) (٨٠:١٨) .

فكل خشية في غير الله منهيّة، وخشية غير الله في الله مرغوبة ما لم يكن هنالك
 مندوحة كما خشى الرسول الناس من قاهم عليه، واذا كانت هناك مندوحة كأن يكفي
 الله بأس ما يُخشى فمنهيّة بعدما كفى الله، لا قبله، وكما الرسول لم يخش الا الله بعد ما
 كفاه الله قالة الناس، فخشيته قبله لم يكن بذلك المنهي!
 (وكفى بالله حسيباً) تبليغهم رسالات الله وخشيتهم لله واجرهم على الله، فلا
 حسيب في هذه وتلك إلا الله، كما ليس بلاغهم وخشيتهم إلا لله وفي الله!

١. وقد عدت الجمعية الرسالية الأمر مكية زواجه 3 بزيب في عداد سيئاته قائلين: انه اخذ امرأة زيد
 الذي تبناه مع ان قومه عيروه إلا انه لم يبال بتعيراتهم لان الشهوة اذا استولت على المجرد من النعمة
 الإلهية امانت منه الاحساس، نعم وان داود وقع في خطيئة الزنا ولكن يوجد فرق جسيم بين الامرين
 فلم ياخذ داود امراة ابنه وثانياً أنه استغفر ربه واعترف بذنبه وتاب، أما محمد فجعل هذه الخطيئة سنة
 لكل انسان فادعى ان الله امره بذلك.

و يقول الدكتور فندر الالماني في كتابه ميزان الحق رداً على الاسلام ص ٢٥٤ ومن ذنوبه انه في يوم
 من الايام يذهب الى بيت زيد دعيه فلما دخل سبقت نظرتة الى امراة زيد فاعجبته وشغفها حباً فقال:
 سبحان الله خالق النور تبارك الله احسن الخالقين فشعرت زيب بذلك فاخبرت به زوجها زيد
 فطلقها زيد، اما خوفاً من محمد او حباً واخلاصاً له فاخترق محمد الآيات التالية ان امره ربه بنكاح
 زيب ...

اقول هذه وتلك من القالة التي قيلت عليه من المسيحيين فتسرّبت قالتهم الى روايات المسلمين وكما
 نراها في الدر المنثور ونحن نضربها عرض الحائط لانها خلاف كتاب الله والثابت من عصمة رسول
 الله 3 .

ان محمداً 3 خاتم النبيين

(ما كان مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) (٤٠:٣٣)

هذه الآية مما كفى الله بها محمداً بأس قاله الناس: انه تزوج حليمة ابنه، إستئصالاً ان يكون أبا أحد من رجالكم ابوة اصيلة ام رضاعية ام دعيّة هي بالاسلام منفية، فهلا كان ابا ابراهيم والقاسم والطيب والطاهر؟ اجل كان ولكنهم ماتوا قبل رجولتهم، ثم (رجالكم) لا تشملهم ولو كانوا في رجولتهم، فانهم - اذاً - من رجاله دون رجالهم! أم لم يكن ابا الحسين H ومن ثم الأئمة من ذرية الحسين Δ وسواهم من ذريته؟ اجل ولكن (ما كان) تضرب إلى الماضي قبل نبوته وبعدها لحد نزول الآية والحسنان بعداً طفلان لم يتزوجا حتى يأتي دور حليلتيهما انهما حلّ له ام لا! ولما تزوجا كان قد قضى نخبه بزمن بعيد، ثم وهم ليسوا من رجالهم بعد رجولتهم بل من رجاله 3! ففيما سبق استأصل بنوة الأدياء: (و ما جعل أدياءكم ابناءكم) فلم يكن زيد بن محمد 3 من قبل، حتى تحرم حليمة، وهنا يستأصل أبوته لأحد من رجالكم لا الرجال ولا رجاله، نفياً لأبوته لزيد فتحل له حليلته، ام امكانية زواجه بجلائل ابناؤه، فانهم بين من توفي في صباه، ومن ترجّل بعد موته 3 فمن تزوج بها لم تكن حليمة ابنه، ومن تزوج من رجاله فانما كانت رجولته وزواجه بعد موته، اذاً ففريّة زواجه بحليمة ابنه منفية عنه مع الأبد.

انه (ما كان ابا احد من رجالكم) تنتسبون اليه بالنبوة، وليست علاقته بالمسلمين إلاّ علاقة النبي بالامة (و لكن رسول الله وخاتم النبيين) يحمل الرسالة والنبوة القمة الأخيرة (و كان الله بكل شىء عليمًا) أن لم يجعله أبا أحد من رجالكم وأبطل سنة الأدياء وجعله 3 خاتم الانبياء.

ولماذا (خاتم النبيين) بعد (رسول الله) لا (خاتم المرسلين) (نبي الله وخاتم النبيين) او (خاتم النبيين) فقط؟

إن الرسالة الإلهية هي بعد وحي النبوة، ولأنها درجات بعضها فوق بعض اختصت

العالية بصيغة التبوّة من النبوة الرفعة، لا النبء الوحي^١ ولذلك وصف النبوة ياتي بعد الرسالة دون معاكسة: كما (و كان رسولاً نبياً) (٥١:١٩) في موسى و ٥٤ في اسماعيل و(الرسول النبي) (١٥٧:٧) في محمد 3 حيث الوصف الأعلى ياتي بعد العال، فالنبوة هي منزلة اشرف من الرسالة.

ف - (رسول الله) تثبت منزلته الثانية مطابقة وقبلها النبوءة الوحي التزاماً، (وخاتم النبيين) تثبت ثالثة هي النبوة، ورابعة هي القمة والاخيرة انه ختم وتصديق للنبوات، فليكن أفضلهم وآخرهم، فلا نبوة بعده فضلاً عن رسالة او نبوءة اللهم إلا إلهاماً على هامشه تفهماً لنبوته دونما استقلال! وقد يعني (النبيين) جمع النبيء والنبي معاً، إستصلاً لأية نبوءة وحي او نبوة رسالة وبينهما رسالة الوحي، فذلك المثلث السامي مسلوب بعد نبوته، مصدق لمن قبله به، فلا نبيء بعده ولا رسول ولا نبي حيث ختم به الوحي؛ فلو قال (خاتم النبيين) لكان هنالك مجال الرسالة بعده او نبوءة! ولو قال (خاتم المرسلين) لكان بعده مجال النبوة، فلما قال (و خاتم النبيين) زال كل مجال من مثلث الوحي على أية حال!

وحتى ان كان جمع النبي فكونه خاتمهم يقتضي انقطاع الوحي به، فلماذا يوحي بعده، أتكميلاً لما اوحي إليه كما في ولي العزم الآتي بعد سابقه؟ وهو خاتم النبيين فلا أفضل منه ولا يسامى! أم حفاظاً وتصديقاً لوحيه عن تطرق التحريف كما كان يوحي الى أنبياء بعد اولي العزم بهذا الصدد؟ وقرآنه محفوظ بحفاظ الله (إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) فلماذا الوحي بعد، اللهم إلا إلهاماً لعترته المعصومين، تفصيلاً لما أجمله من كتاب او سنة، فان دور الإمامة لا يعني إلا نشر الرسالة بتفاصيلها الواقعة، دونما زيادة ولا نقيصة، فكل رسول بعد ولي عزم من الرسل كانت رسالته وقائية غير مكتملة لما كانت مع ولي العزم، فانما كان يوحي اليه ما أوحى من قبل ليوصل رسالته متحللة عن كل تحريف، وهذه الرسالة السامية معصومة بكتابها القرآن العظيم، وهو العاصم لها عن

١. لذلك لما يخاطب به نبيء الله يقول: لا تقل يا نبيء الله انا نبيء الله.

كل ما يُتَقَوَّلُ عليها دونما حاجة إلى رسالة متواصلة بعدها، ثم الائمة المعصومون يوفون أكثر مما يوفى بأية رسالة وقد فعلوا!

ان افضل النبيين هو الخمسة الذين دارت عليهم الرحى وهو خاتمهم الذي يرأسهم، لأن في تصديقه لهم اثبات كيانهم، وكما أخذ الله ميثاقهم بالايان به والنصرة له: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين).

لذلك نرى (النبي) بمختلف صيغه في سائر القرآن اقل من (الرسول) كذلك مما يوحي بقلّة النبيين بين المرسلين، وحين تُذكر النبوة بعد الرسالة لا نجد من الخمس إلاّ محمداً وموسى، ومن سائر المرسلين إلا اسماعيل وان كان سائر الخمس وجماعة من المرسلين نبيين.

ثم رسالته الالهية هي القمة لحد يُلمح كانه الرسول لا سواه حيث (الرسول) معرّفاً لا نجده إلاّ آياه (٨٤) مرة وكذلك (النبي) (٣٣) مرة لا يعني إلاّ آياه، مما يُطمئننا أن الرسالات والنبوات الالهية مركزة في جنبه 3 وسائر الرسل والأنبياء انما جاءوا لتعبيد الطريق لهذه الرسالة النبوة السامية!

فهو هكذا (رسول الله) وهكذا (نبي الله) لا فحسب بل (و خاتم النبيين) حيث ختم النبوات والرسالات والنبوات فلا نبيء بعده ولا رسول ولا نبيء، ولا وحي بعده ولا كتاب، ولا شرعة بعده ولا أي جديد من سماء الوحي! ليس هو - فقط - خاتم النبيين، بل (خاتم النبيين) فالخاتم وهو اسم لما يُختم به ويُصدّق فهو أبلغ من الخاتم

١. النبي (٦٩) مرة والرسول (٣٩٤) مرة لكنهما معرّفاً مفرداً لا يعنيان إلا محمداً 3 وفي نور الثقلين ٢٨٤:٤ ح ١٤٣ في مناقب ابن شهر آشوب عن انس في حديث طويل «سمعت رسول الله 3 يقول: انا خاتم الانبياء وانت يا علي خاتم الاولياء وقال امير المؤمنين Δ: ختم محمد الف نبي واني ختمت الف وصي واني كلّفت ما لم يكلفوا».

وأعمق دلالة على خاتمته للنبوات، فقد بلغ من ختمه النبوات وتصديقه لها الى حدّ سمي بالخاتم كما الرسول والنبي على سواء، دون من يختم كما آخر لما يختمه وليس يصدقه، او قد ياتي بعده من هو ارقى منه، ولكن موقع هذا النبي من النبيين موقع الخاتم ختام^١ المكتوب حيث يصدقه والمكتوب تحته مكذوب، وكذلك الرسول محمد3 فمدعي النبوة بعده مكذوب والذي لم يصدقه ممن قبله غير مصدق، فهو السطر الاخير من أسطر الوحي يصدّق ما قبله من وحي، ويكذب ما بعده من دعوى الوحي، وكما يروى عنه 3: (انه سيكون في امتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي)^٢ وهو اللبنة الاخيرة من بناية الرسالة كما يروى عنه 3 قوله: (مَنَلِي ومثل النبيين كمثل رجل بنى داراً فآتمّها إلا لبنة واحدة فآتممت تلك اللبنة)^٣. ويوجد العديد من تصريحات خاتمته بطيّات بشارات في كتابات الوحي برسالاته وكما في الاصل العبراني من كتاب حبقوق النبي الفصل ٣:٣ - ٦ (إلوه متيماه يابوء وقادوش مهَر پاران سيلاه... (٣) وئعه كاورتهيه ... (٤) هليخوت عولام لو (٦))

الله من يتمان يأتي والقدوس من جبل پاران:فاران: حرى، مع الابد .. شعاعه

١. الخاتم ما يختم به وسمى خاتم الزينة به لان فصّه كان يحكّ عليه اسم صاحبه يختم به كتاباته.

٢. الدر المنثور ٥:٢٠٤ - اخرج ابن مردويه عن ثوبان قال قال رسول الله 3 وفيه اخرج احمد عن حذيفة عن النبي 3 قال: في امتي كذابون دجالون سبعة وعشرون منهم اربع نسوة واني خاتم النبيين لا نبي بعدي.

٣. المصدر اخرج احمد ومسلم عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله 3: ... واخرج ما في معناه باختلاف يسير مع الاحتفاظ على الاصل للبخاري ومسلم والترمذي وابن ابي حاتم وابن مردويه عن جابر عنه 3 واحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن مردويه عن ابي هريرة عنه 3 واحمد والترمذي وصححه عن ابي بن كعب عنه 3 وفي نور الثقلين ٤:٢٨٤ ح ١٤٤ في روضة الكافي باسناده الى علي بن عيسى رفعه قال: ان موسى ناجاه الله تبارك وتعالى فقال له في مناجاته: لا يطول الدنيا أملك - الى قوله عزوجل: له في وصيته له بالنبي 3: يا موسى انه أمي وهو عبد صدق وبيارك عليه كذلك فيما وضع يده عليه كذلك كان في علمي وكذلك خلقته، به افتتح الساعة وبأتمه اختتم مفاتيح الدنيا وح ١٤٥ في غوالي اللثالي وقال 3: انا اول الانبياء خلقاً وآخرهم بعثاً»

الشمس .. ومسالك الأزل له ف - (پاران) هو جبل حرى^١: فاران مطلع النور المحمدي، اشراقه مع الأبد حيث شعاعه كالشمس ومسالك الازل له، فلا انطفاء لشعاعه إلا بانتفاء الدنيا.

وفي (نبوءت هیلد) وحي الطفل حسب الأصل الانقلوسي (محمد كايا إعايايا دیطمع هويا وهيهي كليليا): (محمد كبير قدير - الشجرة الرفيعة الطيبة - مأمول لإفناء ما كان وإطفاء النائرة، وهو الكُل والتاج وحمل على الاكتاف) .

فكونه كُلاً يفصح أنه مجمع جماع الرسالات الالهية، وكونه تاجاً على رؤوس رجالات الوحي يجعله أفضلهم، فماذا بعد الأفضل الكُل؟! إلا الناقص الكُل؟! وفي انجيل يوحنا ١٤:١٦ حسب الاصل السرياني: (و أنا بت طالبين من ببي وخين بارقليطا بت يبيل لُوخُون هل ابد):

(و انا أسأل الآب: الخالق - خالقي - فيعطيكُم فارقليطا آخر ليقيم معكم إلى الأبد) وفارقليطا في الأصل اليوناني: بر يكليطوس بمعنى محمد، أحمد، ومحمد آخر يعني نبياً محموداً في غاية المحمودية هو آخر الآخرين ليقيم معكم إلى الابد^٢.

وليست خاتمية الرسول محمد 3 بحاجة الى سرد الادلة - وهي كثيرة في الكتاب والسنة لأنها من الضروريات القاطعة الإسلامية حيث تُردف رسالته بخاتمته دونما ريبة، والآيات في مثلث من خاتمته بين المرسلين والنبیین، وخاتمية كتابه بين كتب السماء، وخاتمية شرعته بين الشرائع تبلغ عشرات.

١. هذا اجماع مؤرخي العرب ان فاران هو حرى وكما يصرح في سفر التكوين ٢١: ٢١ «واقام ببریة فاران» يعني اسماعيل بن ابراهيم من هاجر» راجع ص ٥٣:٤٦ من كتابنا «رسول الاسلام في الكتب السماوية» تجد تفصيل هذه البشارة.

٢. راجع رسول الاسلام ١٥٧-١٤٦ فيه تفصيل البشارة بفارقليط.

محمد3 رسول إلى الرسل

٥

(وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) (٨١:٣) .

آية غرة ترفع من شأن خاتم النبيين 3 الى اعلى القمم التي لا تساوى او تساوى حيث تحمله - وهو آخر النبيين - المجيء اليهم كلهم برسالته القدسية.

هنا زوايا أربع لذلك الميثاق، آخذه وهو الله، والمأخوذ منهم وهم النبيون، فلا ذكر لأهمهم حتى يكونوا هو المعنيين، والمأخوذ له: (رسول مصدق لما معكم) وأصل الميثاق: (لتؤمنن به ولتنصرنه) وفي اخرى ميثاق آخر غليظ على النبيين ومعهم خاتمهم: (واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك من نوح و ابراهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقاً غليظاً. ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً اليماً) (٨:٣٣) فالميثاقان اذاً مختلفان كل ينصب في مصب غير الآخر.

صحيح ان (ميثاق النبيين) ادبياً كما يتحمل كونه من اضافة المصدر الى المفعول كما ذكرناه، كذلك اضافة الى الفاعل ليكون ذلك الميثاق للنبيين على امهم، ولكنه معنوياً هنا لا يناسب إلا الأول لمكان (لتؤمنن به ولتنصرنه) حيث المخاطبون فيهما هم النبيون اذ لاخبر هنا عن امهم، فقد اخذ الله الميثاق من النبيين عليهم لرسول جاءهم بعدهم مصدق لما معهم.

فذلك - إذاً - ميثاق رسالي لصالح الرسالة الأخيرة المحمدية إيماناً به سلفاً ونصرةً له ولما يولد ويبعث في ظاهر حاله.

و ترى (إذ) تعني زمناً واحداً جمع فيه النبيون لمجمع واحد لأخذ ذلك الميثاق منهم

عليهم؟ قد يجوز فيما لا نحيط به علماً^١ لكن المفهوم لدينا المعلوم عندنا أن زمن ذلك الميثاق موزع على زمن النبيين كلُّ لحة.

ثم وذلك الزمن الموزع لذلك الميثاق هو (لما آتيتكم ...) ميثاقاً عسيراً لإتيانهم كتاباً وحكمة.

وقد يحتمل أن (إذ) تعني زمن خلق كلِّ من النبيين أن فطرهم الله على ذلك الميثاق، ولكن (النبيين) موضوعاً لأخذ الميثاق يبعد ميثاق الفطرة المأخوذة منذ خلقهم لا منذ نبوتهم، ثم (ءاقررتم وأخذتم على ذلكم إصري) يبعده ثانياً حيث الفطري رسالياً أم خلقياً لا يتخلف.

وقد يقال إن مصير الإقرار هنا هو مصير الإقرار بالتوحيد في آية الذر، حيث تعني ميثاق الفطرة على التوحيد، ثم (ميثاق النبيين) غير صريحة أن ذلك الميثاق اخذ عليهم منذ النبوة، فقد يجوز أنه مأخوذ عليهم منذ خلقهم.

ولكن تلك الفطرة الخاصة بالنبيين لا يعبر عنها بأخذ الميثاق، لكنه لا بأس بكونه ضمن المعني من اخذ الميثاق عليهم حين نبوتهم تأكيداً لما اخذ عليهم حين خلقهم. إذاً فكما الله فطر الناس على توحيدهم منذ خلقهم، كذلك فطر النبيين على الايمان بمحمد 3 ونصرته.

أم تعني (إذ) مربع الزمان، قبل خلقهم في ارواحهم حيث كانوا انواراً روحية، وعند خلقهم وقبل نبوتهم وعندها، ميثاق وثيق رقيق عريق مأخوذ عليهم في هذه المواطن الأربع! .

أترى (ثم جاءكم رسول) تعني كل رسول يتلوا نبياً منهم، فهم - إذاً - كل الرسل، أخذ الميثاق على كل نبي سبقه أن يؤمن به وينصره؟.

١. البحار ٣٦:٢٢ السرائر عن أبي الحسن الأول Δ يقول: خلق الله الأنبياء والأوصياء يوم الجمعة وهو اليوم الذي أخذ الله ميثاقهم، وقال: خلقنا نحن وشيعتنا من طينة مخزونة لا يشذ عنا شاذ إلى يوم القيامة.

و(رسول) بإفراده أمام جمعية النبيين لا يناسب جمعية الرسل! ثم وكيف يؤخذ ميثاق الايمان من كل نبي لكل رسول والنبوة أعلى محتدماً من الرسالة، إلا ان يكون الرسول مرسلًا إلى النبيين فهم كأُمَّته مهما كانوا قبله، ومن ثم ليس قضية الرسالة ان يأتي كل رسول تلو سابقة، بل وكذلك النبيون اللهم إلا أولي العزم منهم.

ثم التعبير الواضح الفاصح عن تنالي الرسل (ثم جاء كلاً منكم رسولٌ مصدق له) دون (ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم) بل (فجاء) دون (ثم) حيث الرسل كانوا تترى دون فصل، كل هذه واشباهها مما تبعد جمعية الأبدال في (رسول) بل وتحيلها.

هنا مادة الميثاق (لتؤمنن به ولتنصرنه) هي منقطع النظير عن كل بشير ونذير، إلا من يكون رسولاً إلى الرسل وإماماً في جموع النبيين.

نجد (آمن معه) (آمن له) من نبي لنبي، ثم ولا نجد (لتؤمنن به) إلا هنا (ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به) وبذلك التأكيد الأكيد.

صحيح ان على كل رسول سابق تصديق اللاحق، وعلى كل لاحق تصديق السابق، واما الايمان به فلا يصح إلا لمن هو إمام النبيين ورسول إلى المرسلين كما هنا. وهنا (النبيين) جمعاً محلي باللام تعني مستغرق النبوات، فلا تعني بعضاً دون بعض، ولا كل الرسل إلا بطريقة أولى، فانما (النبيين) وهم أولوا النبوة والرفعة بين المرسلين ومن نبوتهم (لما أتيتكم من كتاب وحكمة)^١ وليس كل رسول يأتيه كتاب مهما أتمته حكمة، فكما أن أولي العزم من الرسل خمسة، كذلك النبيون منهم وهم اصحاب كتب الوحي ليسوا إلا قسماً من المرسلين، فهم الأخصاء المتميزون بين المرسلين.

وهنا (ثم جاءكم رسول) لها دور العناية بختم الرسالة الإلهية العظمى وانها موجهة إلى النبيين سلفاً كما وجهت إلى أمة الإسلام الأخيرة خلفاً.

١. اللام في «لما» للتأكيد و«ما» بمعنى الذي وصلته «آتيتكم..» والجمله ظرف تحمل الحكمة الحكيمة لـ «لتؤمنن به، وقد يحتمل أن اللام للقسم توطئة لبيان حكمة مادة الميثاق، واللام في «لتؤمنن» جواب القسم.

وفي (رسول) هنا رغم نبوته العليا، عناية خاصة الى رسالته الروحية الواسعة إلى كافة النبيين قبله، والرسول الى النبيين هو - بطبيعة الحال - يفوقهم رسالة ونبوة. ف (جاءكم نبي) لا تعني رسالته اليهم، وإنما مجيء نبي قد يعني التزاور بينهم ولكن (جاءكم رسول) هو مجيئه بالرسالة الإلهية اليهم. فموقف الرسالة هو حمل الوحي ببلاغ الدعوة الرسالية كما هنا الى النبيين وفي غيرها الى سائر الأمم الرساليين.

وموقف النبوة هو بيان محتد الرسول النبي في نفسه او بين المرسلين. و(جاءكم رسول) تضم الموقفين، أصالة في رسالته إليهم، ولحمةً بمحتد هذه الرسالة السامية انها الى النبيين، فهو فائق على كافة الرسالات والنبوات. ونرى القرآن يعبر بـ (الرسول - الرسل) في موقف البلاغ الى المرسل اليهم، وقد يعبر بـ (النبي - النبيين) في موقفهم الذاتي شخصياً ام بين المرسلين. والرسالة قد تكون الى مرسل اليهم عاديين فرسالة عادية، ام الى رسل غير نبيين فأنبى وأعلى، أم الى نبيين غير اولي العزم وهي الرسالة العليا مختصة بأولي العزم من الرسل، ام الى اولي العزم وهي فوق العليا وهي التي تعنيها (ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم).

ف (جاءكم نبي) تثبت فقط نبوته مهما كانت فوق رسالة، ولكنها لا تثبت رسالة اليهم، وهي تثبت إمامته الرسالية على النبيين اجمعين. فالروح الرسالية المحمدية محلقة على كل الأرواح الرسالية قبل خلقها في الجسد، وهي محلقة عليها بعد خلقها في الجسد وبعثها لرسالتها الختامية. ومن ميزات هذه الرسالة الى النبيين واجب الايمان به ونصرته كشرط أصيل لآتياءهم كتبهم، وكما منها رسالته لبلاغ الدين ككل مهما اختلفت شرائعهم مع بعض البعض ومع شريعته، ومنها زرق الروح البلاغي إستقامة لهم كما أمر، وتضحية في الدعوة كما له وعلى أضواءه القدسية.

و(مصدق لما معكم) تعني تصديق رسالاتهم بكتاباتهم، فلولا تصديقه لما معهم لما

صدقتم رسالاتهم، كما ان (ثم جاءكم) دليل خاتمية الرسالية العليا، وآية (خاتم النبيين) دليل خاتمية النبوة له، فهو - اذاً - خاتم النبيين والمرسلين على الاطلاق. و إن خاتمته هي لزوم نبوته الرسالية، فنكرانها - اذاً - نكران لرسالته. ترى ومتى (جاءكم) هذا الرسول الأخير وهو الجائي بعدما مضوا وقضوا برسالاتهم. (جاءكم) هنا تطوي الطول التاريخي الرسالي وعرضه الجغرافي، تعاضياً عن فواصل الزمان والمكان، بياناً لمحتد الرسالة الاخيرة انها لا تحُصّ الأمة الأخيرة، بل وتشمل بروحيتها العالية كافة النبيين، ولأنهم بكتبهم وحِكْمهم تقدمت لقرآن محمد ومحمد القرآن حيث يهيمنان على النبيين بكتاباتهم، (اما علمت ان الله تبارك وتعالى بعث رسول الله 3 وهو روح إلى الأنبياء (عليهم السلام) وهو ارواح قبل خلق الخلق ...)

١. البحار ١٤:١٥ ح ١٧ بسند متصل عن المفضل قال قال لي أبو عبد الله Δ يا مفضل أما علمت .. بألفي عام؟ بلى، قال: أما علمت أنه دعاهم إلى توحيد الله وطاعته واتباع أمره ووعدهم الجنة على ذلك وأوعد من خالف ما أجابوا إليه وأنكره النار؟ فقلت: بلى - الخبر ..

و فيه ١٥ ح ١٩ بسند متصل عن ابن نباتة قال قال أمير المؤمنين Δ ألا إني عبد الله وأخو رسوله وصديقه الأول قد صدقته وآدم بين الروح والجسد ثم إني صديقه الأول في أمتكم حقاً فنحن الأولون ونحن الآخرون الخبر.

و فيه ح ٢٠ عن ابن سنان قال قال أبو عبد الله Δ أول من سبق من الرسل إلى «بلى» رسول الله 3 وذلك انه كان أقرب الخلق إلى الله تبارك وتعالى.

و فيه ح ٢١ عن أبي عبد الله Δ قال: إن بعض قريش قال لرسول 3 بأى شيء شبقت الأنبياء وفضلت عليهم وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ قال: إني كنت أول من أقر بربي جل جلاله وأول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم؟ قالوا: بلى فكنت أول نبي قال «بلى» فسبقتهم إلى الإقرار بالله عز وجل.

و فيه ص ١٨- ح ٢٨ عن مرزوم عن أبي عبد الله Δ قال قال الله تبارك وتعالى يا محمد إني خلقتك وعلياً نوراً - يعني روحاً - بلا بدن قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري فلم تنزل تهليلني وتمجديني ثم جمعت روحيكما فجعلتهما واحدة فكانت تمجديني وتقديسني وتهليلني ثم قسمتها ثنتين وقسمت الثنتين ثنتين فصارت أربعة محمد وعلي والحسن والحسين ثنتان ثم خلق الله فاطمة من نور ابتدأها روحاً بلا بدن ثم مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا.

و فيه ٣٤:٢١ كتاب فضائل الشيعة بإسناده إلى أبي سعيد الخدري قال: كنا جلوساً مع رسول الله 3 إذ أقبل إليه رجل فقال يا رسول الله 3 أخبرني عن قول الله عزوجل لإبليس «استكبرت أم كنت من العالمين» فمن هم يا رسول الله 3 الذين هم أعلى من الملائكة؟ فقال رسول الله 3: أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين كنا في سرادق العرش نسيح الله ونسبح الملائكة بتسبيحنا قبل أن يخلق الله عزوجل آدم بألفي عام فلما خلق الله عزوجل آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له ولم يأمرنا بالسجود فسجدت الملائكة كلهم إلا إبليس فإنه أباي أن يسجد فقال الله تبارك وتعالى: «استكبرت أم كنت من العالمين»، أي من هؤلاء الخمس المكتوب أسماءهم في سرادق العرش.

و فيه ٣٩-٢٣ عن أبي حمزة قال سعت علي بن الحسين H يقول: إن الله عزوجل خلق محمداً 3 وعلياً والأئمة الأحد عشر عليهم السلام من نور عظمتهم أرواحاً في ضياء نوره يعبدونه قبل خلق الخلق يسبحون الله عزوجل ويقدمونه وهم الأئمة الهادية من آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين. و فيه ٤٠:٣٣ عن الصادق Δ إن الله تبارك وتعالى خلق أربعة عشر نوراً قبل خلق الخلق بأربعة عشر ألف عام فهي أرواحنا فقيل له: يا ابن رسول الله 3 ومن الأربعة عشر؟ فقال: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين آخرهم القائم الذي يقوم بعد غيبته فيقتل الدجال ويظهر الأرض من كل جور وظلم.

و فيه ٤١:٣٢ عن أبي جعفر H قال: يا جابر كان الله ولا شيء غيره لا معلوم ولا مجهول، فأول ما ابتدأ من خلقه أن خلق محمداً 3 وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمتهم فأوقفنا أظلة خضراء بين يديه حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر الخبر.

و فيه ح ٤٣ عن جابر بن عبد الله قال قلت لرسول الله 3 أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيك، يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير، وعن جابر أيضاً قال قال رسول الله 3 أول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره واشتقه من جلال عظمتهم.

و فيه ح ٤٥ عن المفضل قال قلت لأبي عبد الله 3 كيف كنتم حيث كنتم في الأظلة؟ فقال: يا مفضل كنا عند ربنا ليس أحد غيرنا في ظلة خضراء نسبحه ونقدسه ونهلله ونمجده وما من ملك مقرب ولا ذي روح غيرنا حتى بدا له في خلق الأشياء فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم ثم أنهى علم ذلك إلينا.

و فيه ح ٤٦ عن أبي عبد الله Δ قال: إن الله كان إذ لا كان فخلق الكان والمكان وخلق نور الأنوار الذي نورت منه الأنوار وأجرى فيه من نوره الذي نورت منه الأنوار وهو النور الذي خلق منه محمداً وعلياً فلم يزالا نورين أولين إذ لا شيء كونهما فلم يزالا بجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة حتى افترقا في أظهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب H.

مهما جاءهم برسالته اليهم بعدهم مبعثاً، فهو على حد قوله 3 (أول النبيين ميثاقاً
وآخرهم مبعثاً).

ذلك، ولكن الآية ليست لتعني الإيمان به والنصرة له قبل خلقهم في الجسد، إذ لم
تكن لهم حينذاك كتب ولا نبوات ولا أنه إذا جاء بعدهم، فإنه خلق قبلهم.

إنما تعني الإيمان والنصرة (ثم جاءكم) طياً لطول الزمان فعليهم أن يؤمنوا كل في
زمانه بهذا الرسول وينصروه، كما عليهم ذلك الإصر عن الرجعة.

ففي مربع فرض الإيمان والنصرة كمحتملات، لا تدخل في نطاق الآية إلا ما بعد
خلقهم في الجسد.

و تلك الهيمنة الكبرى من قضيتها الإيمان السابق والنصر من كافة النبيين لصاحب
هذه الرسالة السامية.

و لقد لمحت او صرحت آيات عدة بهذه الهيمنة لذلك الرسول كآية الشورى: (شرع
لكم من الدين وما وصى به نوحاً والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى
وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه...)(١٣).

حيث اعتبر الوحي إلى الاربعة الآخرين من أولي العزم وصية امام الوحي إلى
إمامهم محمد 3 لان كتاباتهم تحمل - كأصل - توصيات لهذه الرسالة الأخيرة، مهما
حملت شرائع مؤقتة لأمم مضت قبلها.

ذلك وكما نرى (رسولنا) في آياتها الأربع و(رسوله) في الاربعة والثمانين، تعنيان
هذا الرسول وكأنه هو الرسول لا سواه، مهما شملت جمعية الصيغة الرسالية كل الرسل.

و كما نرى - وبأحرى - (النبي) معرّفاً تختص في عديدها الواحد والأربعين بهذا
النبي لا سواه.

و فيه ح ٤٧ عن جابر بن يزيد قال قال لي أبو جعفر H يا جابر إن الله أول ما خلق خلق محمداً
وعترته الهداة المهتدين فكانوا أشباح نور بين يدي الله، قلت: وما الأشباح؟ قال: ظل النور، أبدان
نورانية بلا أرواح وكان مؤيداً بروح واحد هي روح القدس كان يعبد الله

و ليس ذلك الإفراد في الرسول والنبي لهذا الرسول النبي صدفه غير مقصودة، بل هو مقصود لبيان محتده الفريد بين كافة الرسل والنبیین.

ففي مثلث الوحي والرسالة والنبوة محمد 3 هو الأصل والكل فروعہ، وكأن الوحي إليه هو الوحي فقط اذا قورن بسواه كما في آية الشورى، وان الرسالة والنبوة تخصّصانه كما في كل الآيات التي أتت بهما بإفراد.

و لقد خصت الرسالة المحمدية بميزات بين كافة الرسل، وعلى حد قوله 3: (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) فكينونات الرسالة المحمدية أربع لا يشترك سائر الرسل إلا في أولادها وهي الكينونة الرسالية في علم الله، دون الثلاثة الأخرى وهي كيان الإيمان به ونصرته بالتبشير به قبل خلقه وبعثه، وكيان رسالته في الأرواح الرسالية كراس الزاوية، وكيان الإيمان به ونصرته في رجعتہ.

و قد نحتمل أن روحه الرسالية كانت مخلوقة قبل الرسل كلهم، إنبعاثاً إليهم فقط - دون سائر المكلفين، وقد يعنيه المروي عنه 3 في جواب السؤال: متى نبئت؟ نبئت وآدم بين الماء والطين - وآدم مجندل في التراب (...).

فقد كانت الروح الرسالية المحمدية مشرفة في واقعها - كما يعلم الله - على ارواح النبيين اجمع، هيمنة عليهم وسياجاً لهم عن أية تبعثرات في رسالاتهم.

و آية الميثاق هذه تذكر من ميزات هذا الرسول النبي انه خاتمهم ومصدقهم والرسول اليهم فعليهم (لما آتيتكم من كتاب وحكمة... لتؤمنن به ولتنصرنه) - ثم ياخذ منهم الاقرار بما اخذ عليهم ميثاقه: (قال: ءاقررتم واخذتم على ذلك إصرى) اقراراً بهذه الرسالة الختمية والايمان به ونصرته، وأخذاً بكامل القوات (على ذلكم) العظيم، الثقيل الثقيل (إصرى) إصرأ في مثلث التصديق والايمان والنصرة (قالوا أقرنا) إقراراً - بطبيعة الحال - شاملاً لأخذ الإصر (قال فاشهدوا) على ما أقررتم (و أنا معكم من الشاهدين).

و الإصر - ككل - هو الحمل الثقيل على الآصر وكما (ربنا ولا تحمل علينا إصرأ كما حملته على الذين من قبلنا) (٢٨٦:٢) (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت

عليهم) (١٥٧:٧) .

و ترى لو أن الإصر موضوع عن الأمة المرحومة رحمة عليهم كما في آيته فكيف يحمله النبيون أجمعون وهم أحرى بوضع الإصر عنهم، ثم كيف يصبح واضع الإصر عن أمته إصرأ على زملاءه النبيين؟! .

الإصر لغوياً هو عقد الشيء وحبسه بقهره كمأصر السفينة الذي يحبسها بقهر عن تفلتها، ولكنه قد يكون عقداً وحسباً بشراً أو ما لا طاقة به كما في آيته، وأخرى بخير وهو يطاق، وهكذا يكون إصر الاقرار بالتصديق والايان بمحمد 3 لهم ونصرته، فانه يخلق على كل حياتهم الرسالية أن يكرسوها - فيما يكرس - للتعريف والبشارة بهذه الرسالة السامية، فذلك - إذاً - إصر في حمله على النبيين، وإصر في حمل أمهم على التصديق به! .

فالإصر والإصار هما الطنب والأوتاد التي يعمد بها البيت، والرسالة المحمدية هي عماد كل بيوتات الرسالات، لولاها لما قام لها عمود، ولولا زندها لما كان لها وقود. و قد يصعب - بطبيعة الحال - لكل نبي أن يعرف نفسه بين أمته انه - كما هم - من أمة رسول يأتي بعدهم كلهم، وكما يصعب على الأمم ان يسمعوا منهم ويصغوا كأن رسلهم ليسوا أصلاء في رسالاتهم، بل هم مبشرون بهذه الرسالة. و يصعب في الأجواء المتعنتة التي لا تقبل الرسالات التي تعيشها، ان تبشر بالرسالة الأخيرة.

ثم يصعب الإيمان به ونصرته على طول الخط، قبل ان يجيئهم بم يبشرون ويوطنون لمجيئه، وبعد مجيئه ان يحشروا الحاضر الايمان به ونصرته.

تلك صعوبات وصعوبات يعبر عنها هنا بـ (إصري) الحمل الرباني على كواهل النبيين في مثلث تصديقه والإيمان به ونصرته.

و هنا تنحل مشكلة (ثم جاءكم - لتؤمنن به - ولتنصرنه) كيف جاءهم ثم كيف ينصرونه وقد قضاوا نحبهم قبله؟ .

فإنه (جاءهم) في الروح الرسالي تاماً، ما ينير عليهم دروب الرسالات بما عرفهم

رهبهم به في الشبوح الروحي والقيمة الرسالية، كما (جاءهم) يوم الرجعة فقد يرجع بعدهم كلهم، رسولاً إليهم، فهم - إذاً - من أُمَّته الرسميين.

و (جاءهم) فيما بشروا به كأنه المحاضر أمامهم وهو إمامهم، فليبشروا به أمهم وانهم من امته^١.

و (جاءهم) وقد قضاوا نحبهم إلا مسيحيهم، فليؤمنوا به بعد موتهم كما آمنوا به قبله ولينصروه.

و (جاءهم) في الرجعة المهذوية حيث يرجع الرسول 3 وعترته المعصومون والنبيون كلهم راجعون أعضاءاً لدولة الحق الأخيرة^٢.

و من ثم (ثم جاءكم) لها بُعد الجمعية والإفراد: ثم جاء كل واحد منكم حين يتنبأ فرداً فرداً، ومن ثم جاءكم ككل بعد انقضاء النبوات بأسرها، وتقيد مجيئه إياهم فيما يروى بـ (لئن بعث وهو حي) تفسير بمصدق له مختلف فيه وهو زمن الرجعة^٣.

١. نور الثقلين ١: ٣٥٩ عن المجمع وروي عن علي Δ أن الله تعالى أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبينا 3 أن يخبروا أمهم بمبعثه ونعته، يبشروهم به ويأمرهم بتصديقه.

٢. المصدر العياشي عن فيض بن أبي شيبه قال سمعت أبا عبد الله Δ يقول - وتلا هذه الآية - قال ولتؤمنن برسول الله ولتنصرن أمير المؤمنين، قلت: ولتنصرن أمير المؤمنين؟ قال: نعم من آدم فلهم جرأً ولا يبعث الله نبياً ولا رسولاً إلا رد إلى الدنيا حتى يقاتل بين يدي أمير المؤمنين Δ .

و فيه عن سلام المستنير عن أبي عبد الله Δ قال: لقد تسموا بإسم ما سمي الله به أحداً إلا علي بن أبي طالب Δ وما جاء تأويله، قلت جعلت فداك متى يجيء تأويله؟ قال: إذا جاءت جمع الله إمامة النبيين والمؤمنين حتى ينصرونه وهو قول الله «وإذا أخذ الله ميثاق النبيين..» فيؤمئذ يدفع رأية رسول الله 3 اللواء إلى علي بن أبي طالب Δ فيكون أمير الخلائق كلهم أجمعين، يكون الخلائق كلهم تحت لواءه ويكون هو أميرهم فهذا تأويله.

أقول: وذلك من الجرى والتأويل كما في نفس الحديث، فعلي Δ هو ممثل الرسول 3 في الرجعة كما هو قبلها.

٣. الدر المنثور ١: ٤٧ - أخرج ابن جرير عن علي بن أبي طالب Δ قال: لم يبعث الله نبياً آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأمره فيأخذ العهد على قومه ثم تلا هذه الآية.

فذلك - إذاً - إيمان متواصل به ونصرته في هذه المسارح كلها، لم يسبق له نظير ولن، لكل بشير ونذير.

و لقد نرى بشارات له تترى في كتابات الوحي على تحرفها ولاسيما في تلك البشارات! نراها بعشرات وعشرات هي عشرات للوحي الرسالي على طول الخط، فيها نبرات الايمان والنصرة من النبيين لهذا النبي العظيم، نذكر قسماً منها بطيات آيات تناسبها، وقد جمعناها في كتابنا (رسول الاسلام في الكتب السماوية) .

فلقد اخذ الله تعالى ميثاقاً رهيباً عجيباً شهده هو وأشهد عليه أنبياءه، طياً لكل الفواصل زمانياً ومكانياً بين النبيين المتتابعين في مختلف الأزمنة والأمكنة، يجمعهم في ذلك المسرح الصارخ وهو يخاطبهم (أأقرتم: قالوا أقرنا ..) .

ذلك المشهد الهائل الجليل يرسمه ذلك التعبير العبير، فيجف له القلب، وليتذكر السامعون.

و هنا لك (إصري) لمكان العصبية الذاتية، لشخص الرسول رسالياً ولقومه قومياً وعنصرياً، والاتباع ككل نحلة لهم، أمأذا من عصبيات، تراها كلها تنحني وتتمحي أمام (رسول مصدق لما معكم) تناكراً لكل الآصار:

(قال فاشهدوا) لدي ولدي أممكم^١ (و أنا معكم من الشاهدين) لدى الكل.

فذلك المجيء هو غير متعود المجيء بين المرسلين، فانه المجيء في كل حقوله، رسالياً ورسولياً: إيماناً به في الروح قبل مجيئه في الجسم، وهذا ما يعنيه الجائي نفسه في قوله: (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) فلا يعني نبوته في علم الله إذ تعم سائر النبيين، بل نبوته في قسم عظيم من لزاماتها وأهمها الإيمان به، والميثاق للايمان والنصرة له، وكما

١. الدر المنثور ٢: ٤٨ - أخرج ابن جرير عن علي بن أبي طالب Δ في قوله تعالى: فاشهدوا، يقول: فاشهدوا على أممكم بذلك وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم فمن تولى عنك يا محمد بعد هذا العهد من جميع الأمم فأولئك هم الفاسقون هم العاصون في الكفر.

يروى عنه (انا اول النبيين ميثاقاً وآخرهم مبعثاً)^١ .

(فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (٨٢:٣) .

(فمن تولى) عن خاتمته في رسالته ونبوته (بعد ذلك) الميثاق المؤكد الجمعي (فأولئك هم الفاسقون) لو كانوا من هؤلاء النبيين ولن - وليس هنا (منهم) حتى تختصهم التولي - او كانوا ممن يدعون نبوة قبله او بعده، ام كانوا من الامم المبشّرة بتلك الرسالة الختمية.

ذلك، فحتى ولو كانوا من النبيين، فكما لا تصدق نبواتهم إلا بمختم وتوقيع من خاتم النبيين، كذلك لا يؤثون كتاباً وحكمة إلا شريطة الإيمان به ونصرته.

ذلك! فضلا عن المرسل إليهم، فقد انضم النبيون كلهم بأمرهم الى موكب هذه الرسالة السمية رسالة واحدة الى امة واحدة، كما وان الرسالات واحدة الى امة واحدة: (و إن هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون. فتقطعوا امرهم بينهم ذبّراً كل حزب بما لديهم فرحون) (٥٣:٢٣) .

ولو ان ميثاق الايمان والنصر كان - فقط - بين النبيين انفسهم، كلٌّ لا حق لسابقه، لم يكن لذلك التهديد دور، فانما تهدد هنا الأمم الناكرة لخاتم الرسل 3 .

و لو ان (ميثاق النبيين) كان ميثاقاً لهم على امهم لكان صحيح التعبير (ميثاقاً للنبيين على امهم) أم لو عني من الخطاب في (ثم جاءكم) الأمم، لأتى بذكرهم وإن مرة يتيمة! .

فالرواية الهارفة الخارفة أن اقرءوها: (و إذ اخذ الله ميثاق أمم النبيين)^٢ هي صادرة

١. راجع لتفصيل هذه الروايات إلى أية «خاتم النبيين» في الفرقان: الأحزاب.

٢. نور الثقلين ١: ٣٥٨ في تفسير العياشي عن حبيب السجستاني قال سألت أبا جعفر H عن قول الله «و إذا أخذ الله...» فكيف يؤمن موسى بعيسى وينصره ولم يدركه وكيف يؤمن عيسى بمحمد 3 وينصره ولم يدركه؟ فقال: يا حبيب إن القرآن قد طرح منه آي كثيرة ولم يزد فيه إلا حروف أخطأت بها الكتبة وتوهمتها الرجال وهذا وهم فاقرأوها «و إذ أخذ الله ميثاق أمم النبيين ..» هكذا أنزلها الله

من مصدر الجهالة والحمافة، ممن لا يعرف معاني كلام الله ومغازيه فيتورط في ورطة التحريف والتجديف! .

ذلك الدين الشرعة الذي يحمله خاتم النبيين هو الدين كله، وليس ما سبقته من شرعة إلا شرعة من ذلك الدين: (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبِغُونَ وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) (٨٣:٣)

(دين الله) هو طاعته بمختلف شكليات الشرائع الخمس، وفي كل بأشكال مختلفة المظاهر، والكل تتوحد في أنها (دين الله) وطاعته، فالذي يبغى دين الله عليه ان يبغى شرعته المتشرعة منه كما يشاء، دون إخلاد إلى شرعة ألفها، وتصلب عليها نكراناً لشرعة تلحقها.

و المكلف هو بطبيعة الحال يبتغي ديناً وطاعة إما للرحمن أو للشيطان أم نفاق بينهما عوان، فالذي يدعي الإيمان، عليه أن يبتغي دين الله واصباً لأنه دين الله، لا لأنه ألفه هو وآبائه الأولون، فالمبتغي دين الله هو في سبيل الحق ولما يصل فانه شك مقدس يتحرى فيه الشاك عن دين اليقين، والراسب على شرعة منسوخة دون تحر عن ناسخها او تجر عليه هو على دين غير مقدس، فانما ابتغاء دين الله هو الصالح مجنب الله لا سواه مهما تقشف وتزهد في شرعة منسوخة مضى دورها.

ف (دين الله) هو طاعته بمعرفته، خالصة غير خليطة بسائر الطاعة، إذاً (أفغير دين الله يبغون) من طاعة لما سوى الله، إلحاداً في الله أو اشراكاً بالله، فالكافر بالشرعة الأخيرة تتاقلاً على السابقة هو كافر بدين الله، متبع لهواه، تارك لأمر مولاه، لانه غير

يا حبيب، فوالله ما وفّت أمة من الأمم التي كانت قبل موسى بما أخذه الله عليها من الميثاق لكل نبي بعثه الله بعد نبيها.

أقول: لقد أخطأ الراوي في فهم «ثم جاءكم» زعماً منه أن «رسول» هو كل رسول بعد رسول، ثم أخطأ في الفرية على باقر العلوم في «قد طرح منه آي كثيرة» وهو خلاف العصمة الربانية للقرآن «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»، ثم لم يزد في «لم يزد فيه إلا حروف» إلا أن القرآن الموجود كله حروف أخطأت بها الكتبة وتوهمتها الرجال، فبعداً للقوم الظالمين المختلفين هذه الروايات الزور!

مبتغ لدين الله، فانما يبتغي هواه مهما أظهرها بمظهر شريعة الله! .
 (و له أسلم) لله ولدين الله (من في السماوات والارض طوعاً) هو المؤمنون
 الحقيقيون، إسلاماً لطاعته في كل قليل وجليل (و كرهاً) حيث لا يستطيعون الخروج
 عن سلطان علمه وقدرته مهما كفروا.

فالإسلام هنا يعم تكوينيّه إلى تشريعيه وتشريعيه إلى تكوينيه، فهما يجتمعان في
 المؤمنين ويفترقان في الكافرين حيث هم مسلمون كرهاً مهما تركوه طوعاً، والكل (اليه
 يرجعون) .

و قد يعني الاسلام طوعاً بالنسبة للكفار ايضاً حيث أسلمت فطرهم بما فطر الله
 وعقولهم إن كانوا يعقلون، مهما كفروا بما طغت أهوائهم، ثم الطّوع بالنسبة للمؤمنين فيه
 زيادة اتباع أهوائهم لفطرهم وعقولهم ووحى الله.

و بوجه عام قد يعني ذلك الإسلام أن ألقوا اليه السّلم - كلهم - بما يظهر من
 حاجتهم إلى إرفاقه وفقدهم الى أرزاقه، ونقائصهم التي لا تتم إلا بحسن تدبيره لهم،
 ونعمه السابغة عليهم، فقد دانوا له طوعاً وكرهاً ووَلَّهوا إليه فقراً وضعفاً.

فالذين أسلموا له هم الملائكة والنبيون، ثم المؤمنون، والذين أسلموا كرهاً هم إبليس
 أشباهه من الجن والإنس وكما قال (رب فأنظرني إلى يوم يبعثون) فقد يدل استنظاره
 على إقراره بأنه مملوكٌ مدبّرٌ ومصرفٌ مسخّرٌ، وأنه لا يعتصم من الله بمذهب ولا ينجو
 بمهرب ولا يبقى إلا أن يُبقيه، ولا يأمن إلا أن يؤمنه، فهو - إذاً - ممن أسلم في وجه
 مهما كان في آخر شاردة عن طاعته، مارداً عن قيادته.

فـ (و له أسلم) هنا تطبيق يشمل كل مراحل الاسلام تكوينياً وتشريعياً، طوعاً وكرهاً
 بحيث لا يفلت عنه قالت، ولا يفوت عنه فانت.

فكما الإسلام الإيمان هو باكتساب واختيار، كذلك الإسلام التسليم قبل الإيمان كما
 (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم)
 (١٤:٤٩) فإسلام التسليم ظاهراً عن حين يشمله (و له أسلم) مع إمكانية المنعة
 والحياص، مهما كان سببه الخوف والفرق.

و إسلام التسليم طمعاً في الرغائب ومنى في الفوائد ايضاً إسلام مهما كان سببه الرجاء، وإسلام التسليم جباً لله وفي الله إسلام ولا سبب له إلا حب الله، وهذه ثلاث كلها الإسلام طوعاً.

ثم الإسلام كرهاً كمن يسلم نفسه للموت إذا حان حينه ولم يكن له سبب للفرار عنه وما أشبهه.

فابتغاء غير دين الله إنغزال في زاوية بئيسة تعيسة تخالف الفطرة والعقلية السليمة وشرعة الحق، وتخلف عن موكب الكون ككل، فد (ان كل من في السماوات والارض الا آتي الرحمن عبداً. لقد أحصاهم وعدّهم عدداً).

نزول القرآن دفعة وتدرجياً

٦

(قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُسْلِمِينَ) (١٠٢:١٦) .

الضمير المذكور في (نزله) راجع الى (آية) لأنها القرآن ولو كان القصد الى آية
ناسخة لكان حق التعبير (نزها)؛ ثم (ليثبت ..) لا تمت بصلة لآية ناسخة فانها ترزعزع
ضعفاء الايمان، ويحير اقوياءه، فضلاً عن المسلمين الذين هم دون المؤمنين.

و ترى كيف تكون آية ناسخة مزعزعة لفريق من المؤمنين بشرى للمسلمين، اللهم
إلا آية القرآن الخالدة فانها تثبت لايان المؤمنين على طول خط الزمن الرسالي
خلودها على مر الزمن بمر الحق، وبشرى سارة متلاحقة للمسلمين الذين أسلموا ولما
يدخل الايمان في قلوبهم، فان مزيد التفكير فيها والمراس لتدبر آياتها بشرى تلو بعض
لكونها آية إلهية منقطعة النظر عن كل بشير ونذير.

ثم الصيغة الصالحة للنسخ: (و إذا بدلنا حكماً مكان حكم) حيث النسبة بين الآيه
والحكم عموم من وجه لا يجتمعان إلا في وجه تحمل كل من الناسخة والمنسوخة
حكماً، فقد لا تحمل آية حكماً أم تحمل ازيد من حكم.

و (روح القدس) المذكور هنا لا يذكر في سواه إلا للمسيح Δ في آيات ثلاث
(وايدناه بروح القدس) (٨٧:٢ و ٢٥٣) (اذا أيدتك بروح القدس) (١١٠:٥) .

و هذه الاربعة تقول ان (روح القدس) منفصل عن الرسول في الكون، مهما اتصل
به في الكيان لإبلاغ الوحي المفصل، فهو ملك الوحي المعبر عنه في سائر القرآن بالروح
الامين: (نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين) (١٩٣:٢٦) وروح الله
(فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً) (١٧:١٩) وجبريل: (من كان عدواً لجبريل
فانه نزله على قلبك باذن الله) (٩٧:٢) .

و (روح القدس) إضافياً دون (الروح القدس) وصفاً، يبرهن ان جبريل ليس

قدساً ملائكياً كسائر الملائكة، بل هو روحهم وسيدهم مهما كان منهم^١، فكما ان روح محمد 3 هو روح الارواح، وقرآنه روح الارواح، فليكن الملك الحامل لوحيه روح الارواح، ارواح ثلاث في اعلى القمم الروحية تجتمع في الكيان القدسي المحمدي 3، فروحه - اذاً - اقدس الارواح الملائكية والبشرية أما هيه.

و لأن القدس هي الطهاره القادسية، فروح القدس هي روح الطهارة ولها مصاديق ثلاثة: روح القدس الملائكي وهو جبريل، وروح القدس الوحي وهو القرآن، وروح القدس الرسالي وهو 3 روح الأرواح الرسالية.

و (نزله) قد تعم ارواح القدس الثلاث إلا روح القدس فانها منزلة لا منزلة، ثم هو القرآن المفصل في (نزله) بين تنزيل فاعلي (من ربك بالحق) وهو جبريل، وتنزيل قابلي هو قلب الرسول محمد 3 .

فكما انه لولا تنزيل جبريل من ربك لم يكن للرسول وحي القرآن المفصل كذلك لولا قابلية وجاذبية قلب الرسول لذلك الوحي لم ينزله جبريل من ربك بالحق. فقد نزل روح القدس القرآن، روح القدس جبريل فاعلياً على روح القدس الرسول قابلياً، فاجتمعت - اذاً - ارواح القدس الثلاث في وحي القرآن نازلاً ومُنزلاً ومُنزلاً. (روح القدس من ربك) حيث خلقه وبعثه إليك لحمل الوحي وبلاغه، ف (روح القدس من ربك) (نزله من ربك) كما (نزله بالحق من ربك بالحق).

و تراه يقول كما امر (نزله روح القدس من ربك بالحق) ام (من ربي بالحق)؟ إنه بطبيعة الحال لا يقول إلا مقالة الرب دون تحويل حتى في قوله (قل) فضلاً عما سواه، و(من ربك) بديل (من الله) للتدليل على بالغ الرحمة والعناية في حقه، وان

١. المصدر في تفسير العياشي عن محمد بن عرامة، الصيرفي عن ابن ابي عبد الله قال: ان الله تبارك وتعالى خلق روح القدس فلم يخلق خلقاً اقرب اليه منها وليست باكرم خلقه عليه ...

القرآن يحمل التربية القممة المحمدية، ثم الخطاب هنا يعم في توسعة على الأبدال كافة المخاطبين بالقرآن، اجل وانه مسرح القممة التربوية، صاعدة الى الرسول، ونازلة الى اقل العالمين تفهماً، وبينهما عوان، فانه رحمة للعالمين كما الرسول: (و ما ارسلناك الا رحمة للعالمين).

و (من ربك بالحق) لا منه، ولا هو من عند الرسول نفسه، ثم ولا تعثناً على الرب ان ينزله، وانما (من ربك بالحق) فهو الحق مصدراً وصادراً ومحطة دون أية ريبية. و لماذا (نزله روح القدس)؟ الحاجة الرسول الى وسيط في ذلك التنزيل؟ وهو اعلى محدثاً واوسع صدرأ من جبريل ومن فوقه! وقد اوحى اليه ليلة المعراج دون اي وسيط ملائكي وسواه!

كلا! وإنما ذلك (ليثبت الذين آمنوا) على الإيمان بانه بشر رسول كما يشبههم على أنه آية إلهية، فلو أوحى اليه دون وسيط لحيل إلى بسطاء الإيمان آمن فوقهم معهم - أنه إله، كما قالوا في المسيح Δ إذ ولد دون أب، ومعجزة القرآن أعلى بكثير وأقوى من هذه الولادة بسائر الآيات لوليدها وسائر رجالات الوحي.

صحيح ان المؤمنين لم يكونوا ليروا روح القدس، ولكن إخبار الصادق الأمين انه نزله روح القدس يكتفيهم تصديقاً لهذا الواقع المكرور طيلة الرسالة، وكما صدقوا رسالته من ذي قبل.

و(الذين آمنوا) هنا تعم من كان يفتش عن ذلك الإيمان قبل وصوله اليه، متشبثاً عنه حتى وصل اليه فثبتته على ذلك الإيمان لأن آية إلهية تمس القلوب والعقول، ومن آمن به حيث يزداده ذلك التنزل تدريجياً إيماناً على إيمان، وانه ليس وحيأ لفترة قصيرة قاصرة، وانما هو أجزاء متلاحقة لصق بعض نوراً على نور، ثم والذين يؤمنون بعد ارتحال الرسول، حيث الآية الباقية بعد الرسول تثبتت على الإيمان، دون الآية الماضية مع الرسول حيث المؤمن الآتي بعده لا يجد سبيلاً لتثبيت الإيمان فضلاً عن بدايته.

ومن ثم (و هدى ويشرى للمسلمين) الذين اسلموا ولما يؤمنوا، فانهم يهتدون على نجومه المتواترة المتقاطرة، فلو انزل دفعة واحدة لكان عبثاً عليهم بل وعلى المؤمنين

إيضاً.

كما وهم يستبشرون بنجومه العِدَّة تلو بعض ولصق بعض، حيث تزيدهم إسلاماً على إسلام ومن ثم ايماناً، ثم (هدى وبشرى للمسلمين) المتكاملين في الايمان، تسليماً لله خالصاً دونما أية شائبة.

ف (المسلمين) هنا تعم مثلث الاسلام، الايمان وقبل الايمان وبعد الايمان في تكامله، ففي أصل نزول القرآن آية معجزة أخيرة، وفي تنزله نجوماً هدى متواصلة وبشرى للمسلمين اياً كانوا وايمان (فبأي آلاء ربكما تكذبان)!

ففي تنزيل روح القدس هذه الآية الأخيرة جنبات عدة من المصلحة، لصالح المؤمنين والمسلمين، ذوداً عن التنبئ لله او الإشراك به في سواه، وعن خمول الايمان أم زواله بخمول الآية المعجزة ام زوالها بزوال الرسول.

(وَ لَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَ هَذَا لِّسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) (١٠٣:١٦) .

فرية قاحلة خاوية اخرى على رسول الهدى (انما يعلمه بشر) ومن هذا الذي يعلمه القرآن ولا يدعيه هو لنفسه ؟ واي بشر او غير بشر ممن سوى الله يقدر على ان يأتي بسورة ام آية من مثله ؟ والقرآن بنفسه آية كونه من عند الله: (و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)!

ثم و(لسان الذي يلحدون اليه) - اياً كان سلمان وسواه^١ (اعجمي) فارسي ام

١. قيل إنه سلمان الفارسي كما في الدر المنثور اخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابني حاتم عن الضحاك في الآية قال: كانوا يقولون انما يعلمه سلمان الفارسي وانزل الله...

وقيل كان رسول الله 3 يعلم قيناً بمكة اسمه بلعام وكان اعجمي اللسان فكان المشركون يرون رسول الله 3 يدخل عليه ويخرج من عنده فقالوا انما يعلمه بلعام فانزل الله ... اخرج ابن جرير وابن ابني حاتم وابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عباس. وقيل هو عبدة بن الحضرمي اسمه عداس وهو صاحب الكتب وقد كان لسانه رومياً اخرج الحاكم وصححه والبيهقي في شعب الايمان عن ابن عباس.

رومي، وهو لم يتقن بعدُ اللسان العربي، فكيف يعلمُ محمداً العربي هذا العربيَّ المبين الذي يعجز عن الإتيان بمثله العالمون.

و الأعجمي مهما اتقن العربي فلا يصل الى مدرجة التعليم لعربي قاصع متضلع قاطع كمحمد 3 مهما ساواه ام ساماه، وحتى اذا تفوقه كمعلم فكيف يؤمن بتلميذة ولا يدعيه هو لنفسه، ام كيف يعلمُ هذا العربي المبين ؟

هنا القرآن يترك هذه المشاكل واضرابها في هذه الفرية، صارحاً في ذلك المسرح اللعين بأوضح المشاكل: (لسان الذي يلحدون إليه اعجمي) فلو كان عربياً ام ذا لسانين عربياً واعجمياً لما صح تخصيص لسانه بانه اعجمي، إلا ألا يعرف العربي، ام لم يتقنه بعدُ وهو في طريق تعلُّمه، حيث بالامكان ان يصبح اي اعجمي بارع عربيَّ اللسان، متضلعاً متفوقاً عربياً أمياً وسواه، كما ان الكثير من ادباء العربية هم من الأعاجم! ولكن الذي لسانه اعجمي ليس بإمكانه ان يعلمُ ذلك العربي المبين، وهو القمة العليا من الفصاحة والبلاغة، فالفاقد لشيء كيف يعطيه؟!

ثم (و هذا لسان عربي) لا كسائر العربية حتى يتمكن الاعجمي المتضلع من تعليمه، ام العربي الضالع من تدوينه بل هو (مبين) لمن يتبين، انه ليس إلا من الله، فاين - اذاً - الاعجمي وهذا اللسان العربي المبين ؟

و من اعجب العُجاب ان هؤلاء السبعة المتردد بينهم الذي يلحدون اليه، كلهم عبيد اعجميون، كانوا يتعلمون عند الرسول 3 ام سواه، ثم حماقي طغيان الإشراك ألحدوا اليه هذا العربي المبين، فاين الثرى والثريا، واين الأعجمي القحُّ من عربي مبين ؟

و لماذا هذه الدركة النازلة من حماقة الفرية على رسول القرآن، وهم عارفون لغة القرآن، وهم اخبر ممن سواهم بقيمة هذه القيِّمة في قمة الفصاحة والبلاغة، فلماذا لمن ينسبوه الى متضلع في العربية، وهم على نخوتهم القومية لا يرتضون تقديم اعجمي على عربي في اللغة ؟

وقيل هو مقيس كان النبي 3 يقرء وهو غلام لبني المغيرة اعجمي - اخرجه ابن جرير عن عكرمة، وقيل هو عبد لبني عامر بن لؤي يقال له يعيش وكان يقرء الكتب، وقيل عداس غلام عتبة بن ربيعة، وقيل جبرا انه كان يعلم خديجة وهي تعلم محمداً.

هكذا يريد الله ان يفضحهم فيما بينهم وعلى مر الزمن، انهم يلحدون القرآن الى عبد اعجمي، وهم على نخوتهم وضخامة الفصاحة فيهم عاجزون عن ان يأتوا بسورة من مثله.

فاليوم - وبعد ما تقدمت البشرية في فنون الفصاحة واذواق البلاغة - لم تأت بما يسامي القرآن في آية منه وان في لفظه فضلاً عن معناه، وحتى الماديين الملحدون الذين لا يؤمنون الله، في روسياً الشيوعية، عندما أرادوا ان يطعنوا في هذا القرآن في مؤتمر المستشرقين عام ١٩٥٤ كانت دعواهم انه لا يمكن ان يكون من عمل شخص واحد - ايا كان - وهو محمد، بل هو من عمل جموع كبيرة، صرفوا طاقات كثيرة في نضده ونظمه، وانه لا يمكن تأليفه في الجزيرة العربية القاحلة الجاهلة!

فيالحماقي الطغيان العرب، والناكرين لهذه رسالة السامية، من حمق في عمقهم، وحنق وحنق في حلوقهم، ان يخرج منها تلك الفرية الفاضحة (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره المشركون)!

و لئن قلت: عليهم كانوا يلحدون المعاني القرآنية الى اعجمي والالفاظ لمحمد نفسه، كما قد تلمح له (انما يعلمه) حيث التعليم هو للمعاني دون الالفاظ.

فالجواب ان (ه) في (يعلمه) راجع الى القرآن ككل بالفاظه ومعانيه، والتعليم يعمهما حيث يتعلم اللسان كما يتعلم معاني اللسان.

ثم الأعجمية راجعة إلى الالفاظ دون المعاني، فإنه لسان اعجمي ولغة اعجمية دون معان اعجمية، فما لم تلفظ المعاني بلغة فليست هي لا اعجمية ولا عربية، بل هي معان مدلولة بأية لغة كانت.

إذاً فعكس الصورة أخرى بالشبهة ان التعليم كان في الالفاظ دون المعاني، فالمعاني - إذا - من محمد والالفاظ من غلام أعجمي، وهنا الجواب أوقع (لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين) اضافة الى ما طوي عن ذكره في هذه الصورة، ان المعاني القرآنية هي ارقى من الفاظه، فالعارف بها هو أعرف بالفاظه وهو عربي وذلك اعجمي!

و لكن (انما) تحصر تعليم القرآن ككل بـ (يعلمه بشر) فجاء الجواب حسماً لمادة الكل!

محمد 3 في رسالة عالمية

٧

(قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٣٤:٢٧) .

(اروني) هؤلاء الشركاء الملحقين المقحمين، الذين هما مادة الخلاف - الأصلحة - بيننا، لكي تقدم فتحاً هنا بيننا قبل الأخرى، (اروني) من ربوبياتهم مثقال ذرة، بل هم المربوبون كسائر الخلق اجمعين (كلا بل هو الله العزيز) على (الذين الحقتم به شركاء) - (الحكيم) في ربوبيته دون حاجة الى شركاء مقحمين!

فجزته تعالى وحكمته هم حجتان قاطعتان كل شركة في الوهيته، دامغتان كل شريك له، ولو ان عزته وحكمته غير كافية فبأحرى شركائه الفروع هم أذل وأوهى (كلا بل هو الله العزيز الحكيم)!

(اروني) اياهم رأى البصر والبصيرة، هل فيهم من ميزات الربوبية شيء، فاصنامهم ميتة، وطواغيبهم طاغية من حزب الشيطان، وكرمائهم كالملائكة والنبين هم (عباد مكرمون). لا يسبقونه بالقول ويفعلون ما يؤمرون) فأين الربوبية في سواه؟ كلا بل هو الله العزيز الحكيم)!

و في (اروني) لمحات من استنكارات واستخفافات: أرونيهم ما هم؟ من هم، اين مكانهم ومكانتهم؟ وكيف استحقوا ذلك الإلحاق، وإذا هم آلهة كما الله فكيف ما ألحقهم هم بنفسه، ام ما لحقوا هم انفسهم اليه، حتى كنتم انتم عبدتهم تلحقونهم بالله؟ (كلا بل هو الله العزيز الحكيم)!

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)

(٢٨) .

آية منقطعة النظر بحق البشير النذير، عن رسالته الكافة للناس، دلالة صارمة على ان رسالته خاتمة الرسالات حيث تكف الناس كل الناس عما يجب كُفهم عنه من مختلف المحظورات والمحذورات.

فذلك الرسول هو كافة للناس مبالغة بالغة في الكف والكفاف، مهما كانت الرسائل السابقة كفاً دون كفاف، فإنما كانت رسائل تحضيرية تعبد الطريق لهذه الكافة للناس. و الكافة من الكف العضو حيث يكف، ومن الكف مصدرأً، وهما المعنيان مبالغة فيهما هنا، فهو كف فيه الكفاية ليكف كل الناس عن كل المحاذير، فقد تشمل الدعوة كل الناس ولكنها لا تكفهم، وقد تكفهم كلهم ولكنها لا تشملهم، وهذه الدعوة الكافة تشملهم كلهم^١ في كف واحدة وتكفهم، ف (يا ايها الناس ادخلوا في السلم كافة) (٢:٢٠٨) دخولاً للكل وكفاً عن خطوات الشيطان بوحدة جامعة! .

انه (كافة للناس) ككل (و لو كان لربك شريك لآتتك رسله) واذا لشريكه او شركائه رسل فأرونيهم، فاذا لا رسل لمن الحقتم به شركاء فأين الربوبية؟.

١. الدر المنتور ٥:٢٣٧ - اخرج ابن المنذر عن ابي هريرة قال: قال رسول الله 3: اعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي بعثت الى الناس كافة الى كل ابيض واحمر ... وفي تفسير البرهان ٣:٣٥١ القمي باسناده الى حفص الكناسي قال سمعت عبد الله بن بكر الدجاني قال: قال لي الصادق جعفر بن محمد Δ اخبرني عن رسول الله 3 كان ارسل عامة للناس؟ اليس قد قال الله في محكم كتابه «و ما ارسلناك الا كافة للناس» لأهل المشرق والمغرب واهل السماء الأرض من الجن والأنس هل بلغ رسالته اليهم كلهم؟ قلت: لا ادري، قال يا ابن بكير ان رسول الله 3 لم يخرج من المدينة فكيف ابلغ اهل المشرق والمغرب؟ قلت: لا ادري، قال: ان الله تعالى امر جبرئيل فاقتلع الأرض بريشة من جناحه ونصبها لرسول الله 3 فكانت بين يديه مثل راحة في كفه ينظر الى اهل المشرق والمغرب ويخاطب كل قوم بالسنتهم ويدعوهم الى الله والى نبوته بنفسه فما بقيت قرية ولا مدينة الا ودعاهم النبي بنفسه.

اقول «مثل راحة في كفه» استفادة لطيفة من «كافة للناس» ولكن الكافة لا تستلزم الدعوة بنفسه، فان لزم فهل دعاهم بعد موته؟ ايضاً - بنفسه، ولو انه دعى كلاً بلغته كانت فيها الكفاية عن الكتب التي بعث الى الملوك والرؤساء، وكفاهم حجة قبل ان يسمعوا الى قرآنه ويروا سائر برهانه، وأظن تنمة الحديث من مقدمات الوضاعين! .

ثم المروي عن النبي 3 تعارضه الايات الدالة على عمومية الرسالة لاوى العزم ورواياتها، إلا ان تعني الكافية في طول الزمن الى يوم القيامة مع المشاركة في عرض المكان لردح من الزمن.

انه (كافة للناس) في رسالته المبشرة المنذرة، وحين يحصل الكفُّ للناس كل الناس، عن كافة المخطورات طول الزمان وعرض المكان فليكيف عن ارسال رسول بعده، فماذا بعد الكافة إلاّ تحصيلاً لحاصل ام تضييعاً؟ فهذه الآيات من آيات رسالته العالمية، الخاتمية، فلا يرسل بعده من رسول، كما لم يرسل معه، والذين اتوا قبله كانوا رسلا لتعبيد الطريق لرسالته السامية الخالدة.

(و لكن اكثر الناس لا يعلمون) رسالته وكافته وبشارته ونذارته، او (لا يعلمون) الرباط العريق بين رسالته الوحيدة والربوبية الوحيدة. كما (لا يعلمون) ان الرسالة الكافة لا تسمح لرسالة اخرى معها او بعدها عن الله الواحد فضلاً عن (الحقتم به شركاء)!. .

و (لا يعلمون) انه وهو رسول ليس له من الأمر شيء إلاّ (بشيراً ونذيراً) فهم يتطلبون إليه آيات إلهية خارقة العادة كأنه مخول فيها، ام موكل عليها، كما ويقترحون عليه علم الساعة:

(يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) (٢٩) ترى وما هي الرباط بين حق الوعد والعلم بمتاهة؟ وحتى لو اخبرهم بمتاهة وهم ناكروه في اصله فما هي - اذا - الفائدة، إلا نكراناً على نكران؟

اترى احدهم حين يُسأل متى تموت وهو لا يدريه، هل له اولك نكران موته وكل يعلم موته؟

أم حين يسأل متى ولدت وهو لا يدري؟ هل يحصل هنا شك في انه ولد لوقت ما؟ ذلك السؤال، المتعنت الجاهل مكرور مدور على ألسنة الناكرين ليوم الدين، معتبرين جهله 3 بمتاهة ويجهل اصله في مُداه، ولا رباط عقيدياً وعلمياً بين مُداه وامتاه؟! .

سؤال ساقط ممن ينكر يوم الدين ام يقر، وليس الا تعنتاً وزوراً وغروراً من سائل (يسأل ايان يوم الدين) ثم الجواب الحاسم المكبت:

(قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ) (٣٠) .

ان وعد الله واقع لا ريب فيه، علمتموه ام لم تعلموا متاهة (لكم ميعاد يوم) موتاً، ان

هلاکاً، ام جمعاً (ليوم الجمع لا ريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير) - (لا تستأخرون عنه ساعة) لرغبة عنه (ولا تستقدمون) عنه ساعة لرغبة فيه، فليس وعد الميعاد فوضى جزاف، يؤخر لرغبة، او يقدم لأخرى، فكل شيءٍ مسيرٍ ومصيرٍ بقدر، وكل امر منه متصل بالآخر بحكمة مستورة، لدى العزيز الحكيم.

محمد 3 في اولى العزم من الرسل

١

(وَ إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَ أَخَذْنَا مِنْهُمُ مِيثَاقًا غَلِيظًا) (٧) لَيْسَتِ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا) (٣٣:٨) .

ميثاق واحد مطرد يشمل كافة (النبیین) فانه جمع محلى باللام يفيد استغراق مدخوله، و(ميثاقهم) يوحي باختصاصه بهم لا يعدوهم الى سواهم من نبي او مرسل غير نبي حيث (النبیین) هم اولوا النبوة والرفعة بين المرسلين فضلاً عن دونهم من نبي لم يرسل فضلاً عن ان ينبو في رسالته!

فلو كان الميثاق لعامة المرسلين لكان (من المرسلين) ام ولعامة من يوحى اليهم وان لم يرسلوا لكان (النبیین) ام لعامة الصديقين او الصادقين لكانوا هم ام اولاء ولكنه (من النبیین) .

هنا ميثاق منهم يعمهم، لامر ما يهمهم كلهم في هامة النبوة، وفي أخرى ميثاق آخر منهم كلهم لايمانهم ونصرتهم لآخرهم مبعثاً واولهم ميثاقاً: (و إذا أخذ الله ميثاق النبیین لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقرنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) (٨١:٣) هنا إصر باقرار وشهادة لميثاق الايمان والنصرة بهذا الرسول 3 وهنالك ميثاق غليظ، فأين ميثاق من ميثاق، كما البون بينهم وبين خاتم النبیین!

و فيما هنا لك ايضاً نراه يتصدّر في ميثاقهم: (و منك) وهو آخرهم، مما يوحي بأوليته ميثاقاً ونبوة ورفعة ومن ثم (من نوح) ومن بعده حسب الترتيب الرسالي لا الرسولي.

و هنا ترتيب ثلاثي بعموم النص لـ - (النبیین) واختصاص صاحب الرسالة الاخرة بينهم (و منك) ثم اختصاص ثان بين من دارت عليهم الرحي، يهدف الى بيان محتده

الاول في نبوته وميثاقه ومنازله الرسالية والرسولية بينهم، وكما يبين ان الخمس المذكورين هم افضل النبيين ككل^١.

فقيم يسئل: متى اخذ ميثاقتك؟^١ (متى استنبثت)؟^٢ (متى كنت نبياً)^٣ (متى وجبت لك النبوة)^٤ (متى جعلت نبياً)^٥؟ يجيب: (و آدم بين الروح والجسد) - (و آدم مُجندل في الطين) (و آدم بين الروح والطين) وكان اذا قرأ الآية قال: بدىء بي في الخير وكنت آخرهم في البعث^٦ (كنت اول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث فبدىء بي قبلهم)^٧ وعلى الجملة (كنت نبياً و آدم بين الماء والطين)^٨ فهل يعني من نبوته (و آدم بين الروح والجسد) نبوته في علم الله؟ وقد كان يعلمها قبل ان يخلق الخلق! وكان يعلم نبوة سائر النبيين كذلك، وذلك مخصوص به.

او يعني كونه مخلوقاً قبل خلق آدم ابيه؟ ولم يخلق إلا من ابيه! ام يعني نبوته في الروح قبل ان يخلق جسده من آدم، فكونه قبله - إذاً - ليس كونه ككل فأنما هو نبوته؟ والقرآن ينص على ان واقع نبوته كان بعد رده من خلقه في

١. الدر المنثور ٥: ١٨٤ - اخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله 3:!
٢. المصدر اخرج ابن سعد قال قيل يا رسول الله 3: ...
٣. المصدر اخرج البزار والطبراني في الاوسط وابو نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله 3: . اخرجه مثله احمد والبخاري في تاريخه والطبراني والحاكم وصححه وابو نعيم والبيهقي معاً في الدلائل عن مسيرة الفخر قال قلت يا رسول الله 3: . واخرج مثله ابن سعد عن مطرف بن عبد الله بن الشخير ان رجلاً سأل رسول الله 3: ...
٤. المصدر اخرج الحاكم وابو نعيم والبيهقي عن ابي هريرة قال قيل للنبي 3 .. قال بين خلق آدم ونفخ الروح فيه.
٥. المصدر اخرج ابو نعيم عن الصناجعي قال قال عمر: ...
٦. المصدر اخرج ابن ابي شيبة عن قتادة قال كان النبي 3 اذا قرأ: ...
٧. المصدر اخرج الحسن بن سفيان وابن ابي حاتم وابن مردويه وابو نعيم في الدلائل والديلمي وابن عساكر من طريق قتادة عن الحسن عن ابي هريرة عن النبي 3 في الآية: ...
٨. كما استفاض من طرق الامامية.

جسده!

ام يعني منها كيان نبوته حينذاك لا كونها كما كان يوم مبعثه، وكما تدل عليه آية الميثاق له (إذ اخذ الله ميثاق النبيين .. لتؤمنن به ولتنصرنه) ولا نبي كمثلته يوخذ على من قبله ميثاق نصرته والايان به وهو لم يبعث بعد ؟ وهذا صحيح في نفسه ولكنما الميثاق المأخوذ عليه بينهم وقبلهم هنا يتطلب له كوناً يجنب ذلك الكيان، فهم كلهم مشتركون في كونٍ ما، اخذ عليهم فيه الميثاق العام، وهو قبلهم في ذلك الكون اضافة الى ذلك الكيان.

فقد كان قبل ان يخلق ويبعث نبياً له كيان الايمان به والنصرة له من النبيين أجمع، كم له كون في الروح قبل خلقه ككل وقيل بلوغه ذروة النبوة، وقد يصلح هذا المعنى لقوله 3 اخذ علي الميثاق واستنبت آدم بين الروح والجسد.^١
عرفنا الميثاق له منهم في نصرته له وايمان به هما لزام نبوتهم، وايتاء الكتاب والحكمة لهم، فما هو الميثاق الذي يعمه معهم (و أخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) ؟ .

١. تفسير البرهان ٣: ٢٩٤ ح ١ بن ابراهيم قال حدثني ابي عن النضر بن سويد عن ابن سنان قال قال ابو عبد الله Δ اول من سبق الى الميثاق رسول الله 3 وذلك انه كان اقرب الخلق الى الله وما كان بالمكان الذي قال له جبرئيل لما اسري به الى السماء تقدم يا محمد لقد وطئت موطئاً لم يطأه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولو لا ان روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدر ان يبلغه، فكان من الله عزوجل كما قال الله كقاب قوسين او ادنى اى بل ادنى، فلما خرج الامر وقع من الله الى اوليائه Γ ، فقال الصادق Δ كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالربوبية ولرسوله 3 بالنبوة ولا مير المؤمنين والائمة عليهم السلام بالامامة فقال: ألسنت بربكم ومحمد 3 نبيكم وعلي Δ امامكم والأئمة الهادين E ائمتكم ؟ قالوا: بلى فقال الله: شهدنا ان تقولوا يوم القيامة اى لثلا تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين، فأول ما اخذ الله الميثاق على الانبياء له بالربوبية وهو قوله: «و اذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ..» فذكر جملة الانبياء ثم ابرز عزوجل افضلهم بالاسامي فقال: ومنك يا محمد فقدم رسول الله 3 لانه افضلهم ومن نوح و ابراهيم وموسى وعيسى بن مريم فهؤلاء الخمسة افضل الانبياء ورسول الله 3 افضلهم ثم اخذ بعد ذلك الميثاق لرسول الله 3 على الايمان به وعلى ان ينصروا امير المؤمنين Δ فقال: واذا اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم يعني رسول الله 3 لتؤمنن به ولتنصرنه يعني امير المؤمنين Δ فخيروا امكم بخبره وخبر وليه من الائمة Δ .

قد يعنيهما (منهم) دون (منكم) وقد كان يتطلبه (و منك) خطاب الحاضر، (اخذنا منهم) لك كما في آية آل عمران، واخذنا منهم وانت فيهم كما هنا، فغلظ الميثاق علّه لغلظ الموثوق له، فميثاقهم ككل (ميثاقهم) و(ميثاق النبيين) لك (ميثاقاً غليظاً) أمّاذا ؟ قد نتعرف الى ميثاقهم كلهم من (ليسأل الصادقين عن صدقهم) ومن سؤا لهم انفسهم ألا يتخرجوا في الانذار كما امروا:(كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين. اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون .. فلنستلن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين. فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين) (٧:٧) (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل) (٢٣٨:٣٣) .

و أوّل الانذار الجماعي هو عن الإشراف بالله (و اسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا أجمعنا من دون الرحمن آلهة يُعبدون) (٤٥:٤٣) وألاً يسألوا أجراً على بلاغهم ويستقيموا اليه.

كذلك والسنة الجماهيرية الرسالية (ان هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) (٩٢:٢١) (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) (١٣:٤٢) .

ثم و(ليسأل الصادقين عن صدقهم) لها واجهتان كما للميثاق، فـ (الصادقين) المسئولين عن ميثاقهم له 3 هم النبيون، اذ يسألون عن صدقهم في إقرارهم وأخذهم الإصر في ميثاقهم (ليؤمنن به ولينصرنه) (و أعد للكافرين) بهذه الرسالة الاخيرة (عذاباً اليماً) وفي واجهة عامة يُسأل الصادقون - النبيون - عن صدقهم في ميثاقهم، والصادقون سواهم كذلك، والمسئول والمسئول عنه شاهدا صدق على صدقهم Γ فيما كان عليهم.

و كما يسأل الصادقون الآخرون عن صدقهم في تصديقهم لهم (صلوات الله عليهم) وتطبيقهم شرعتهم (و أعد للكافرين) تصديقاً او تطبيقاً (عذاباً اليماً) .

ثم وفي واجهة عامة (ليسأل الصادقين) من نبيين وسواهم (عن صدقهم) فيما حُمّلوا، هل عملوا بما تحمّلوا من تبليغ ومن تطبيق، وقد تعنيها الآية كلها، فالكل

مستولون عما ارسلوا وعما حملوا وتحملوا عما اعتقدوا .. (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم ...) (١٠٩:٥) .

ذلكم ميثاق غليظ على النبيين اجمعين ليسئلهم (الصادقين) عن صدقهم^١ و ليسأل الصادقين المرسل اليهم عن صدقهم اولاء وعن صدقهم انفسهم في تصديقهم، مما قد يلمح باخذ الميثاق من المرسل إليهم مع المرسلين، وعله من فطرهم اماذا مما هو حجة عليهم، إذ لم يكونوا قبل كونهم في كون أو كيان به يعقلون^٢ وقد يعنيه الرسول³ فيما يرويه (خلق الله الخلق وقضى القضية وأخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء فأخذ أهل اليمين بيمينه واخذ أهل الشمال بيده الاخرى وكلتا يدي الرحمن يمين، فأما اصحاب اليمين فاستجابوا اليه ... قال قائل فما العمل فقال³ يعمل كل قوم لمنزلتهم^٣)^٢ فاهل اليمين هو من استجاب لفطرته خلاف أهل الشمال، دون ان يسبقهم عالم قبل خلقهم إذ لا يذكره احد فكيف يكون حجة عليه اللهم إلا أحكام الفطرة التي فطر الناس عليها!

١. الدر المنثور ٥:١٨٣ - اخرج الطبراني وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل عن ابي مريم الغساني ان اعربياً قال يا رسول الله³ ما اول نبوتك؟ قال: اخذ الله مني الميثاق كما اخذ من النبيين ميثاقهم ثم تلا «و اذ اخذنا من النبيين ميثاقهم...» ودعوة ابي ابراهيم قال: وابتعث فيهم رسولا منهم وبشارة المسيح ابن مريم ورأت ام رسول الله³ في منامها انه خرج من بين رجليها سراج اضاءت له قصور الشام.

٢. المصدر اخرج أبو نعيم والديلمي عن ابن مسعود قال قال رسول الله³ ليس من عالم الا وقد اخذ الله ميثاقه يوم أخذ ميثاق النبيين يدفع عنه مساوي عمله لمحاسن عمله الا انه لا يوحى اليه.

٣. المصدر اخرج الطيالسي والطبراني وابن مردويه عن ابي العالية قال قال رسول الله³ ... فاستجابوا اليه فقالوا لبيك ربنا وسعديك قال أأست بربكم قالوا بلى فخلط بعضهم ببعض فقال قائل منهم يا رب لم خلطت بيننا فان لهم اعمالاً من دون ذلك هم لها عاملون؟ قال: ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ثم ردهم في صلب آدم Δ فأهل الجنة اهلها واهل النار اهلها فقال قائل فما العمل فقال رسول الله³ : ... فقال ابن الخطاب اذن نجتهد يا رسول الله³ .

محمد3 في اولي العزم من الرسل

٢

(فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ بِرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ) (٣٤:٤٦) .
 ألا يا أيها الرسول! إنه لطريق شاق مرير، فيه دماء تسيل من أشلاء تفرش فيه ألوان الأذيّات والحرمات، وفيه ما لا يتصبر عليه إلا أولوا العزم الراسخ وبعون الله (فاصبر):

صبراً يصدك في وجه الطغيان، صبراً يقدمك في اجتياز تلك العقبات، فانظر إلى سيرة أولي العزم من الرسل ماذا تحملوا من المشاق والعقوبات (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل): ولقد صبر كما أمر على مكروها ومحبوبها.
 و ترى من هم أولوا العزم من الرسل؟ من الواضح أنهم أفضلهم قبل أن نعرف معنى عزمهم، لمكان (من): فهم بعضهم، وأن خاتمهم - وهو أفضلهم أجمع - لا يؤمر إلا بتصبر البعض الافضل، بل وأفضل منهم، ولأنه يحمل أفضل الشرائع وأعظمها وأعزمها.
 ثم العزم هو الثبات والجد والفرض والصبر والحزم: أن سبقوا الأنبياء في اقرارهم بالله، وثباتهم دون تفلّت في الدعوة إلى الله^٢ وحزمهم في سبيل الدعوة إلى الله،

١. الدر المنثور ٤٥:٦ - اخرج ابن ابي حاتم والديلمي عن عائشة قالت: ظل رسول الله 3 صائماً ثم طوى ثم ظل صائماً ثم طوى ثم ظل صائماً قال: يا عائشة! ان الدنيا لا تبغي لمحمد ولا لآل محمد، يا عائشة! ان الله لم يرض من اولي الي العزم من الرسل الا بالصبر على مكروها والصبر على محبوبها، ثم لم يرض مني الا ان يكلفني ما كلفهم فقال: «فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل» - واني والله لا صبرن كما صبروا جهدي ولا قوة إلا بالله.

٢. بحار الأنوار ج ١١ ص ٣٣ ح ٣٠ عن الامام الصادق Δ في معنى أولي العزم «أي انهم سبقوا الأنبياء الى الاقرار بالله وأقروا بكل نبي كان قبلهم وبعدهم وعزموا على الصبر مع التكذيب لهم والأذى» .

وعموم شرعتهم إلى عباد الله^١ واستقلالها عن مضي من يوم لقاء الله، فبقاء شريعتهم وعزمها حتى يأتي ولي عزم آخر من الله أم إلى أنبياء الله^٢.

فهم إذاً أصحاب عزم في طاعة الله ثباتاً على عهده، لا كآدم Δ: (و لقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً) (١١٥:٢٠): في عهدنا إليه ألا يطيع الشيطان: (و عصى آدم ربه فغوى) (١٣١:٢٠).

و أصحاب عزم في الدعوة إليه، لا مثل ذا النون: (إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ألا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) (٨٧:٢١): من المنتقسين في الدعوة! .

ثم وأصحاب عزم في شعاع الدعوة أن تشمل المكلفين أجمع دون تفكُّت أحد فانه خلاف العزم الشامل! وعزم في أصل الدعوة استقلالاً عن سبق، وعزم في بقاء الدعوة لفترة طالت أم قصرت ثم تنسخ أم إلى يوم القيامة، وفي صيغة واحدة: عزم في كل ما تتطلبه الدعوة والداعية والمدعو إليهم، في مثلث حازم عازم صارم! .

١. المصدر ج ٢٥ عن الامام الصادق Δ «بعثوا الى شرق الأرض وغربها» «و جئها وانسها» كما في ج ٦١ ص ٥٦.

٢. اصول الكافي باسناده عن سماعه بن مهران قال قلت لأبي عبد الله Δ في قول الله عزوجل: فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل: فقال: نوح و ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد 3 قلت: كيف صاروا أولوا العزم؟ قال: لأن نوحاً بعث بكتاب وشريعة، وكل من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح وشريعته ومنهاجه حتى جاء ابراهيم بالصُّحف، وبعزيمة ترك كتاب نوح لا كفرأ به، فكل نبي جاء بعد ابراهيم أخذ بشريعته ومنهاجه وبالصُّحف حتى جاء موسى بالتوراة وشريعته ومنهاجه وبعزيمة ترك الصُّحف، فكل نبي جاء بعد موسى أخذ بالتوراة وشريعته ومنهاجه حتى جاء المسيح Δ بالانجيل، وبعزيمة ترك شريعة موسى ومنهاجه، فكل نبي جاء بعد المسيح أخذ بشريعته ومنهاجه حتى جاء محمد 3 فجاء القرآن وبشريعته ومنهاجه، فحلاله حلال الى يوم القيامة وحرامه حرام الى يوم القيامة فهو لاء أولوا العزم من الرسل. ومثله في عيون أخبار الرضا عنه Δ بزيادة: وهم أفضل الأنبياء والرسل وشريعة محمد 3 لا تنسخ الى يوم القيامة ولا نبي بعده الى يوم القيامة فمن ادعى بعده نبوة أو أتى بعد القرآن بكتاب فدمه مباح لكل من سمع ذلك منه.

و لقد دلت آيات، ومن ثم روايات أنهم سادة النبيين والمرسلين: من دارت عليهم الرحى: (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد) عليهم: الذين أخذ الله عليهم خصوص العهد بعد عمومه: (و إذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً. ليستل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً) (٨:٣٢) .

و الذين شرع لهم من الدين دون سواهم: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) (١٥:٤٢) .

ثم و(محمد - صلى الله عليه وآله وسلم -) آخرهم مبعثاً وأو لهم ميثاقاً، فبعثه إلى أرواحهم في الروح كما توحى آية الميثاق: (و إذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) (٨١:٣) فهو رسول مصدق لما معكم: النبيين، جاءكم في الروح قبل مجيئه بسواه: جاءكم رسول فأنتم كأمته: (لتؤمنن به)؛ ولم يؤمر أي نبي أن يؤمن بآخر وان كان أفضل منه، وهو من أولى العزم - إلا تصديقاً بسواه وان كان أدنى منه - اللهم إلا إيماناً بعد تصديق بخاتم المرسلين^١، لذلك تُقدمه في ميثاق النبوة آية الميثاق الأخرى: (و منك ومن نوح ...) رغم تأخره في البعثة! وتفردّه في آية الشرعة بـ (الذي أوحينا) دون تعميم بـ (ما أوصى-) كأن شرعته فقط هي الوحي الذي تدور عليه الرحى دون غيرها، إحياء بأن الشرائع كلها شرعة من (الذي أوحينا) تحمل (ما أوصى) الى نوح وسائر الأنبياء الذين دارت

١. والكافي باسناده عن ابن ابي يعفور قال: سمعت ابا عبد الله Δ : سادة النبيين والمرسلين خمسة وهم أولوا العزم من الرسل وعليهم دارت الرحى: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وعلى جميع الأنبياء.

٢. التفصيل الى محله في تفسير آية الميثاق.

عليهم الرحي، توصيات تنحو نحو (الذي أوحينا) فما تقدمها على (الذي أوحينا) الا كتحضيرات بخطوات، تشي بها تعبيداً لطريقها وتعويداً عليها.
فهي هي كلها وزيادات: نسخاً لشيء من أحكامها الموقته، واستمرارية التكملة لها كلها لحد لا تنسخ إلى يوم لقاء الله، مشعة وضاءة على قلوب وأفكار العالمين^١: (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه ومهيماً عليه) (٤٨:٥) هيمنته الإمام على المأمومين، وكما الله مهيم على العالمين: (الملك القدوس السلام المؤمن المهيم) (٢٢:٥٩).

من هذا المثلث البارع في.. براعة الرسول نعرف أن عزمه أعزم من عزمهم، وأعظم، كما شرعته أعظم من شرعتهم وأعزم، فلا يعني التشبيه: (كما صبر) إلا أصل المشابهة، لا المساواة في عزمهم، فإن لكل داعية ودعوة عزمًا يناسبها (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) ومن فروعه:

(و لا يستعجل لهم): العذاب رغم ما يستعجلون. ف (كأنهم يوم يرون ما يوعدون) إذا هم من أجداتهم إلى ربهم يحشرون (كأنهم .. لم يلبثوا): في الحياة الدنيا وفي البرزخ (إلا ساعة من نهار) إذ يستقلون الأولى - مهما كانت طويلة - يجنب الأخرى^٢: (و يوم يحشرهم كان لم يلبثوا إلا ساعة من نهار يتعارفون بينهم) (١٠:٤٥) (و يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون. وقال الذين أتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم تعلمون) (٥٦:٣٠) فمهما كان لبثهم قليلاً فليس ساعة من نهار وإنما لبث إلى يوم البعث برزخاً وقبله، فهو قلة ليست كتلك القلة: (ساعة) وإنما يجنب الأخرى! (فما بين الأولى

١. اصول الكافي باب الشرائع علي بن ابراهيم باسناده عن أبي عبد الله Δ قال: ان الله تبارك وتعالى أعطى محمداً 3 شرايع نوح و ابراهيم وموسى وعيسى .. وفضلته بفاتحة الكتاب وبخواتيم سورة البقرة والمفصل.

٢. راجع ج ٣٠ من الفرقان ص ١٠٣ حول الآية «كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها».

والأخرى إلا غمضة عين) فاعمض عينك في الأولى عما تهوى حتى تقر في الأخرى فيما تهوى - وذلك:

(بلاغ) للناس أجمعين، وللناكرين (فهل يهلك إلا القوم الفاسقون): الخارجون عن طاعة الله، بما خرجوا عن حكم العقل والفترة، إذاً فليصبر الداعية، وليصمد في الدعوة، فما هي إلا حياة خاطفة أياهاً قلائل تنقضي فيعذبون بها طويلاً (فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً) ثم وتتعلم أنت والمؤمنون طويلاً! .

١. روضة الواعظين للشيخ ابن الفثال: قبل النبي 3 كم ما بين الدنيا والآخرة؟ قال: غمضة عين، قال الله عزوجل: «كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار» .

محمد 3 بين اولى العزم من الرسل

٣

(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَ الَّذِي أُوحِيَنا إِلَيْكَ وَ ما وَصَّينا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَ موسى وَ عيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) (١٣:٤٢) .

هذه الآية توحد الدين الحق وتحمس الشرائع إليه، وفي الحق إنها تحقق حقائق عدة عديمة النظير أو قليلته في الذكر الحكيم.

منها أن دين الله واحد والشرائع إليه خمس، وقد توحىه (.. لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً. ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) (٥:٥٤)^١ وقد يعبر عن الدين بالأمر حيث الدين هو الطاعة وهي إتمام الأمر: (و آتيناهام بيّنات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون. ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) (١٨:٤٥) كما وفيما يهدد ويندّد بالمشركين يربط آية شرعة من الدين بإذن الله: (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ...) (٢١:٤٢) . وفي آية الشرعة تشرىف هؤلاء الخمسة من الرسل الذين دارت عليهم رحى الوحي وكما في

١. «منكم» هنا كافة المكلفين طوال تاريخ الرسالات لا الأمة الإسلامية إذ ليست لها إلا شرعة واحدة هي الاسلام.

٢. ان الدنيا دار بلاء وابتلاء والدين وابتلاء، واختلاف الشرعة ابتلاء، وعلى المسلم لله في هذا البين ان يستسلم لشرعة الله دون ان يتأقل الى ما تعود عليه من شرعة عنصرية أو إقليمية أم ماذا! «فاستبقوا الخيرات» وهي شرعة الله الجديدة بعد التي مضت، استبقوا في الحصول عليها تسابقاً في تصديقها دون تباطىء، كما وهي داخل الشرعة ان تتسابقوا في تعلم خيراتها والتأديب بها والتخلق والتطبيق ونشرها، «إلى الله مرجعكم جميعاً» فالله واحد ودينه واحد والرسالة لهذا الدين الواحد واحدة وانتم أمة واحدة مهما اختلفت الشرائع الى هذا الدين الواحد.

آية الميثاق: (و إذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً. ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً (٨:٣٣) وهؤلاء هم أولوا العزم من الرسل: (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم) (٣٥:٤٦).

و قد سبقت إلى هذه الوحدة الجذرية الإشارة في مطلع السورة: (كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) إذ كانت إجمالياً إلى وحدة المصدر والصادر ووحدة المنهج والناهج والاتجاه في الدين كل الدين، وهنا يفصل ما أجمله من قبل.

(شرع لكم من الدين ما وصّى ...) توحى فيما توحى أن هذه الشرائع الخمس مثل بعض مصدراً، وكذلك صادراً في الجذور وكثير من الفروع، فالشرعة الإسلامية هي شرعة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى مهما اختلفت عنها في ظواهر طقوس أم ماذا؟ . حقيقة الأصل الواحد والنشأة الغابرة فـ (إن الدين عند الله الإسلام وما اختلفت الذين اتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم) (١٩:٣) وقضية التسليم لأمر الله وطاعته السليمة هي الإجماع على شرعة حاضرة للدين دون اختلاف.

فليس إقامة الدين في إقامة أصوله، والفروع متشجرة، حيث الدين يعم الأصول والفروع، فعلى المكلفين عامة أن يقيموا الدين كله في الشرعة الحاضرة: أن يتضام الجميع تحت راية واحدة: نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمد صلوات الله عليهم اجمعين، ولا يتفرقوا في الدين، حيث التفرق في الشرائع تفرق في الدين الطاعة الى المعصية.

(كبر على المشركين ما تدعوهم اليه) يا محمد! من وحدة الدين ودينك الموحد بين صفوف المكلفين، سواءً أكانوا مشركين وثنيين أم كتاييين متحزبين: (.. ولا تكونوا من المشركين. الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون) (٣٢:٣٠) .

١. راجع ج ٢٦ من الفرقان ص ٧٣ تفسير آية اولى العزم.

كبر على المشركين الأولين أن ينزل عليك القرآن ولا ينزل على رجل من القريرتين عظيم! كبر عليهم ان ينتهي سلطان الشرك المفرق الى سلطان الإسلام الموحدًا: (أجعل الآلهة الهاً واحداً إن هذا لشيءٌ عجاب) (٥:٨٨).

كبر عليهم القول: إن آباءهم ماتوا على ضلالة الجاهلية فأخذتهم العزة بالإثم! ثم كبر على المشركين الآخرين، على المتعصبين المتعنتين من أهل الكتاب، أن ينزل هذا الدين على رجل إسماعيلي، لا اسرائيلي، فتضمحل السلطات الإسرائيلية العنصرية، والسلطات المسيحية القومية أم ماذا.

و لكن رغم اولاء وهؤلاء وأضرابهم (اللّٰه يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب) وقد اجتبي محمداً 3 واصطفاه لهذه الرسالة السامية، وليفتح الطريق الأخيرة والشرعة الأبدية الى الدين المتين، ويهدي به الله من ينيب.

(وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ وَ لَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ) (٤٢:١٤).

(وَمَا تَفَرَّقُوا) في الدين: ابراهيميين - هوداً - نصارى أم ماذا - رغم وحدة الدين: الأمر والطاعة (إلا من بعد ما جاءهم العلم) بوحى الكتاب أن كل شرعة بعد أخرى هي شرعة من ذلك الدين، تتفق مع بعض في جذور واحدة، والشارع لا يرتضي في كل دور من الخمس إلا شرعة واحدة.

فما تفرق الذين أوتوا شرعة من الدين إلا بغياً بينهم، اللهم إلا القاصرين الأتباع منهم: (وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ) (٤:٩٨) (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) (١٥٩:٦).

إن التفرق في الدين شركٌ وتمزقٌ من سنة المشركين، والواجب الجماهيري لعامة المكلفين إقامة الوجه للدين فطرة وشرعة (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون).

منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين. من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون) (٣٢:٣٠) .

إن دين الفطرة ودين الوحي الشرعة متجاوبان في ثلاثم تامم، فالتحزب في شرعة الدين تخلف عن دين الفطرة ودين الله: دين التكوين ودين التدوين المكتوبين بقلم الربوبية الصادقة، إذاً فهو في الحق شرك بر رب العالمين!

و إذا كان التفرق في شرائع الدين شركاً رغم تفرقها في قسم من طقوسها، فليكن التفرق في شرعة واحدة، تشجراً في مذهبيات وتشاجراً فيها رغم وحدة الشرعة، ليكن هذا التفرق إلحاداً إذ كان بغياً: (و اعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) (١٠٣) . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جائهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) (١٠٥:٣) .

فهناك تفرق عن دين الله شركاً أو إلحاداً في الله، ثم تفرق في دين الله تحزباً في شرعة وشرعة هوداً أو نصارى أم ماذا، ثم تفرق في شرعة الله كما تفرقوا في كل شرعة، فاليهود إلى فرق والنصارى إلى فرق والمسلمون إلى فرق، وكل هذه التفرقات محكمة في ميزان الله.

إن للدين حَمَلَةً أولين ومتحملين آخرين، وفي الأكثرية الساحقة يختلف تفرق الآخرين عن الأولين، فالحَمَلَةُ الأولون - في الأكثر - لا يختلفون ويتخلفون إلا بغياً بينهم: ظلماً قاصداً بالنسبة لبعض في شرعة، أو لآخرين في شرعة أخرى، حسداً بينهم وظلماً للحقيقة ولأنفسهم، حيث تفرقوا أيادي سباً تحت تأثيرات الأهواء والشهوات.

(و لولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى): (و لكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) (٣٦:٣) (لقضي بينهم) بما تفرقوا، أن يُهلكهم بعذاب الإستئصال، وفيما أهلك قروناً ليس لمجرد الاختلاف، وإنما للتطرف في الترف والتخلف عن شرعة الله لحد لا يتحملة المجتمع.

هم أولاء حملة أولون عليهم ما عليهم وهم ما لهم ، ولكننا المتحملون الآخرون (الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب)!

اولئك اختلفوا على علم ويقين بغياً بينهم، ثم الذين ورثوا الكتاب اختلفوا على شكٍ مريب، ولا يصدق هذا الفرق بين الأولين والوارثين إلا في كتابات الوحي قبل القرآن، حيث حرفها الأولون على علم، فتفرق فيها الوارثون على شكٍ مريب، وهو المسنود إلى ما يعتبر كحجة^١.

فالتفرق الحاصل عن شكٍ مريب أهون ضلالاً من التفرق عن شكٍ غير مريب أو عن علم، وإن اشتركت في ضلال، ولكن أين ضلال من ضلال! ثم التفرق الحاصل قصوراً دون تقصير لا عن علم ولا شك كما يحصل عند المجتهدين إذا كان عن اجتهاد صحيح يتبنى الكتاب اصلاً والسنة فرعاً، هذا التفرق ليس محظوراً ولا يفرق حيث الكل يستنبطون أحكام الله من كتاب الله وسنة رسول الله، 3 للمصيب أجران وللمخطيء اجرٌ واحد، فلا عليهم ولا لهم أن يتباغضوا، وإنما عليهم التشاور لكي ينقصوا من الخلافات ثم يرجع من سواهم إلى الأكثر بعد التشاور، كمرجعية واحدة هي الأكثرية بين المتشاورين.

آية التفرق إنما تُندد بالتفرق بعدما جاءهم العلم بغياً بينهم، ثم الذين ورثوهم فهم في شكٍ مريب، وأما العلماء الربانيون المسلمون فهم لا يجتهدون على شكٍ مريب ولا تخلفاً عن علم بغياً بينهم، وإن كان بين من يجتهد مقصرين حيث لا يستندون كما يجب إلى كتاب الله، وفيما تعودوا على ترك الكتاب اعتماداً على الأقوال والروايات فأصبحوا قاصرين في الرجوع إلى كتاب الله فهم أيضاً مقصرون في قصورهم تشملهم على أقل تقدير (و إن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شكٍ منه مريب) إذا لم تشملهم - ولا سمح الله - (و ما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم)!

و إن العقيدة هي الصخرة الصماء الصلبة التي يقف عليها صاحبها، فلا مأخذ لها إلا

١. الشك المريب ما يجعل الانسان في ريب بما فيه من مشكك في ظاهر الحجّة كايات توراتية او انجيلية دخيلة او محرقة يحسبها وارث الكتاب من الوحي، والشك غير المريب ما لا يستند الى حجة مشككة، كشك المتجادل العارف بالحق مثل الاولين.

قاطع البرهان دون شك مريب أو غير مريب، ولا يزعزعا أقاويل الأولين أم من ذا من القائلين.

المسلمون الذين يعيشون الوحي الأخير: القرآن العظيم، أولئك هم دوماً من الحملة الأولين: إذ لا تحرف في القرآن ولا في حرف أو نقطة أو اعراب ام ماذا، فقد جاءهم على خالص وحجة بينة كافية شافية لا تدع لهم مجالاً لشك مريب أم غير مريب، ولا لأي تفرق فيما المحجة من الكتاب قاطعة لا ريب فيها، ولو أنهم تبثوا القرآن كأصل أصيل لزال الكثير من خلافاتهم ولكن! ...

(فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَ قُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَ أُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبِّنَا وَ رَبِّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ) (١٥:٤٢) .

آية يتيمة عديمة النظير تأمر صاحب هذه الرسالة السامية إلى الدعوة والإستقامة كما أمر، وإلى عشرة كاملة من مناهي وأوامر هامة تتبناها الرسالة الإسلامية كأصول الدعوة: ١- دعوة ٢- واستقامة ٣- وتركاً فيها لأهواءهم ٤- (وقل آمنتم) ٥- (و أمرت) ٦- (اللهم ربنا ..) ٧- (لنا أعمالنا ..) ٨- (لا حجة بيننا ..) ٩- (اللهم يجمع ..) ١٠- (و إليه المصير)!

و قد تشبهها آية أخرى في أصل الإستقامة إضافة إلى من تاب معه وتركاً للبعض من هذه العشرة قضية الشركة كما أضيفت أمور أخرى لنفس القضية:

(فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير. ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله أولياء ثم لا تنصرون. وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين. واصبر فإن الله لا يضيع اجر المحسنين) (١١:١١٥) .

(فلذلك): لأجل ذلك التفلك العارم بين الأمم، والتحزبات المفرقة في شرعة وشرعة، وكذلك في نفس كل شرعة رغم أن الله واحد والدين واحد والشرعة واحدة كما الرسالة، لذلك (فادع) إلى وحدة الدين والشرعة، وشرعتك هي الدين كله، وهي كل

شرعة من الدين قبلك، وإنما شرعة القرآن (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (٤٢:٤١) (فلذلك) يا قائد القيادة الجديدة الحازمة الحاسمة المديدة .. (فادع) إلى هذه الوحدة العريقة الرفيعة الضاربة إلى أعماق الزمن (و استقم) في هذه الدعوة الوطيدة دون لفتة الى الاهواء المصطرعة حولك وحول دعوتك الموحدة اعلاناً بمجديد الايمان بقديم الدين المتين الذي شرعه الله للنبيين اجمعين.

و لانك النبيون أجمع حيث تجمع كافة النبوات، وأن هذه امتهم امة واحدة، فالمكلفون أجمع أمتك أمة واحدة (فلذلك فادع واستقم كما أمرت) .

هنالك دعوة تجمع دعوات الرسالات كلها، فاستقامة في هذه الدعوة تجمع الإستقامات كلها، كما أن نبوتك تجمع النبوات كلها، وشرعتك هي الدين كلّه، وهي الشرائع كلّها! .

(فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم) إذ هي تهوي إلى هوّة الخلافات والتحزبات المذهبية، إلى شفا جرف الهلكات (لذلك فادع): (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) (١٢٥:١٦) (لكل امة جعلنا منسكاً هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم) (٦٧:٢٢) (و لا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وأدع إلى ربك ولا تكونن من المشركين. ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلاّ وجهه له الحكم وإليه ترجعون) (٨٧:٢٨) .

هنا يمنع شرعته عن كيان الشرك أن يقول: أنا على شرعتي وأنتم على شرايعكم إبقاءً على التحزبات المذهبية - لا! وإنما هذه الدعوة دعوة إلى توحيد الأمم أن يتضاموا تحت راية واحدة.

١ - ٢ (فادع واستقم) أطلب القوامه: لزوم المنهاج القائم دون عوجٍ وعَرَجٍ، طلباً من ربك أن يقيمك كما أمر، ومن الأمم أن يستقيموا كما أمر، دون موآربة ولا مسايرة ولا أنصاف حلول، ومن استقامتك (أن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين) (١٠٥:١٠) (فاقم وجهك للدين القيم) (٤٣:٣٠) ف (إن هو إلاّ ذكر للعالمين. لمن شاء

منكم أن يستقيم) (٢٨:٨١) حيث الإستقامة في هذه الدعوة والداعية والمدعوة، إنها كيانها وقوامها، دون أن يحرفها حارف أو يحرفها جارف (فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم):

(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (١٣:٤٦) ..
تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون. نحن أولياءكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون. نُزِّلًا من غفور رحيم. ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) (٣٣:٤١) .

لقد أمرت الأمم قبلئذ (أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) فلم يأتروا إلا قليلاً، ثم الرسول محمد 3 يؤمر أخيراً أن يحقق هذا الأمر (و استقم كما أمرت) ومن ثم (ومن تاب معك) فقد حُمِّل هو ومن معه تحقيق هذه الرسالة الموحدة وقد حقق كما حُمِّل في دعوته الصارمة، وعلى الذين معه حمل هذه الرسالة حتى يحققوها كما وسوف تتحقق في الدولة المباركة المهدوية عليه آلاف التحية والسلام.

و لقد كانت هذه الرسالة الجمّة الهامة حملاً عليه ثقيلاً لحد (قال شمروا فما رؤي ضاحكاً) ١ وكما يروى عنه 3: (شيبيني هود وأخواتها) والشورى كبيرة أخواتها حيث تخصه آيتها بالإستقامة إذ قيل له 3: لم ذلك يا رسول الله 3! فقال: لأن فيها (فاستقم كما أمرت) ٢ ولم يذكر ومن تاب معك وإنما (كما أمرت) فهي في الشورى أعلى منها في هود، ولن تطق الأمة الإسلامية تحقيق الإستقامة التي أمر بها الرسول 3 إلا على حدها، لأنها الخروج من كافة المعهودات، والقيام بين يدي الحق على حقيقة الصدق

١. الدر المنثور ٣: ٣٥١ - أخرج ابن ابي حاتم وابو الشيخ عن الحسن (رضي الله عليه) في قوله تعالى «فاستقم كما امرت ومن تاب معك» قال شمروا .. اقول: فاذا هو شمر بعد نزول هذه الآية المشتركة بينه وبين من معه فما كانت اذا حالته لما نزلت آية الاستقامة الخاصة به 3 .

٢. تفسير روح البيان للحقي ج ٨ ص ٢٩٩ .

المطلق لتحقيق كافة الرسالات ولئها في العالمين.

الدخول في أمر الله - لا سيما إذا كانت الرسالة العليا - هو طبعاً صعب، ولكنما الإستقامة فيه أصعب فإنه التمكن في الأمور به لحد يصبح المأمور راسخاً فيما أمر به غير محتمل الزوال ولا الخمول، وحتى يصبح هو هو الأمر والإستقامة في الأمر كما أمر، وقد روي (ما نزلت آية كانت أشق على رسول الله 3 من هذه الآية)^١ حيث تحمل إثباتات ونفياً: ٣ - (و لا تتبع أهواءهم) وإنما هوى واحدة هي هدى الله: (قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذاً وما انا من المهتدين) (٥٦:٦) (و لئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير) (١٢:٢) (.. إنك إذا لمن الظالمين) (١٤٥:٢) (و لو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن) (١٧١:٢٣)

٤ - (و قل آمنت بما أنزل الله من كتاب) دون فرق في هذا الإيمان وإنما في التطبيق، حيث الكتاب الأخير يحتل دور التطبيق فلا يبقى بما أنزل قبله إلا إيمان وتصديق، رداً لإيمان العالمين كلهم إلى أصل واحد، ورداً على المفرقين بين الله ورسله: (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً. أولئك هم الكافرون حقا وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً. والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً) (١٥٣:٤).

فالرسول يؤمن هكذا إيمان، ويأمر الأمم أن يؤمنوا هكذا إيمان: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ..) (٢٨٥:٢) (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون. فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا

١. تفسير بيان السعادة ج ٢ ص ٣٤٢.

فإنما هم في شقاق فسيكفيكمهم الله وهو السميع العليم. صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون) (١٣٨:٢) .

٥ - (و أمرت لأعدل بينكم) (لأعدل) تعني كلا العدل والعدل، فقد أمرت لاجعلكم عدل بعض في هذه الدعوة الموحدة، كأسنان مشط على سواء، دونما ترجيح لجماعة على آخرين، وكذلك أن اعدل بينكم بحكم عدل.

ف (بينكم) حيث توحى إلى بينونات في هذه الأمم، يؤمر الرسول أن يدعو عدلاً ويحكم عدلاً لكي يزيل هذه البينونات فيجعلهم أمة واحدة، فيا لها من دعوة عادلة عاقلة لا تتبنى عنصرية أو قومية أو طائفية أو إقليمية أم ماذا، اللهم إلا (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون) (١٣٨:٢) .

إنها تسوية بين كتب الله إيماناً، وتسوية بين عباد الله دعوة إلى هذا الإيمان.

٦ - (الله ربنا وربكم) لا أرباب متفرقون لكي نتفرق هنا وهناك وإنما هي إعلامٌ عامٌ ربوبية واحدة فعبودية واحدة، فنحن كلنا كعبيد سواء في هذه الربوبية الواحدة: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) (٤٢:٣) .. وبعد إعلان الربوبية الواحدة تعلن فرديّة التبعة:

٧ - (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) لا ينفعنا صالح أعمالكم ولا يضرنا طالح أعمالكم، وكما لا تنفعكم أو تضركم أعمالنا، فليست هذه الدعوة الموحدة لنا تجارة أو لكم خسارة، وإنما (سلام عليكم): (و قالوا لنا أعمالنا ولكن أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين) (٥٥:٣٨) .

إنها ليست دعوة استثمارية لصالح هذه الشرعة الأخيرة أو رسوها والمتشرعين لها، وإنما هي بسط الرحمة الإلهية و(ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم) (إن حسابهم إلا على ربّي لو تشعرون) (١١٣:٣٦) (ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء) (٥٢:٦) .

٨ - (لا حجة بيننا وبينكم) وترى وما هي الحجة المنفية في هذا البين؟ وهذه كلها

حجج إلهية على هؤلاء الإنعزاليين!

أقول: إنها قد تعني بعد هذه الحجج الموحدة للدين، التي سلفت، حيث أزلت البيّنات، فلم تبق حجة لازمة لإزالة البين إلاّ يُبَيَّنَّتْ ف (لا حجة بيننا وبينكم) .. أم وتعني حجة - بعد ذلك - تبيّن وتفريق .. فبأية حجة تنفرق أيادي سبا إلى مسلمين وهود ونصارى، فقد استجيبت الحجة الموحدة لمن استسلم لله وأسلم وجهه لله، فلم تبق - إذاً - حجة إلاّ داحضة: (و الذين يحاجون في الله من بعدما استجيب له حجتهم داحضة ..) ف (لا حجة بيننا وبينكم) تنفي الحجة الحقة، سواء المثبتة لهذه الوحدة وقد تمت، أو المفرقة فليست اللهم إلاّ داحضة! أم ولا حجة بيننا وبينكم تثبت راحة شرعة على شرعة حيث الكل شرائع الله من دين واحد لله، أم ولا خصوم بيننا وبينكم، ولماذا نتخاصم والوحدة لائحة، اللهم إلاّ أن يخاصم داعي الوحدة الدينية دعاة التفرقة.

٩ - (الله يجمع بيننا وبينكم) إله واحد يجمعنا بجمع واحد في صعيد واحد بحساب واحد، (قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا وهو الفتح العليم) (٢٦:٣٤) (قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة) (٢٦:٤٥) (يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغاين) (٩:٦٤) وكما (الله - هناك - يجمع بيننا وبينكم) إنه ربنا جميعاً ف (إنا لله وأنا إليه راجعون). إنه يجمع بيننا وبينكم ليوم الجمع التغاين كما جمع بيننا وبينكم هنا ليوم الفرق والتعاون، جمعاً في دينه وشرعته، وسوف يفتح بيننا فيما كنا فيه مختلفين وهو الفتح العليم.

١٠ - (و إليه المصير) إليه وحده لا شريك له، لا إلى ارباب متفرقين، ف (إنا لله وأنا إليه راجعون) شرعة واحدة - سير واحد - إله واحد ومصير واحد فقيم إذاً نتباغض ونتعارض؟

(وَ الَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) (٤٣:١٦) .

الحجة هي الدليل القاصد لإثبات أمر أو إبطاله، والمحاجة هي تبادل الحجة وتضاربها، فقد تكون حقاً بالتي هي أحسن عن علم وحلم، أو تكون باطلاً فيما ليس

لهم به علم: (ها أنتم هؤلاء حاجتكم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) (٦٦:٣).

و الحاجة في الله قد تكون في كونه أو توحيده وكيانه، أو وحيه وشرعته: (قل أتحتاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون) (١٣٩:٣) (فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أتوا الكتاب والأمة أسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير العباد) (٢٠:٣).

هنا توحى (من بعد ما استجيب له) أن الحاجة كانت في شرعة الله الأخيرة، واعتبرت الإستجابة الصادقة له حجة قاطعة لا مرد لها ولا حاجة معها إلى حجة أخرى، لا مثبتة حيث ثبتت بالإستجابة، ولا نافية فإنها عند ربهم داحضة. وترى أن استجابة جماعة لشرعة هي برهان أنها إلهية؟ فلتكن كل شرعة حقة وإلهية! أم لهذه الإستجابة شروط ومقومات، فما هي مقوماتها حيث كانت في الشرعة الأخيرة فلا محاجة - إذا - إلا وهي داحضة؟! .

و لأن الدحض هو الزلق، فالحجة الداحضة هي الزالقة، الضعيفة غير الثابتة ولا متماسكة، الواطء الذي تضعف قدمه فيزلق عن مستوى الأرض ولا يستمر على الوطاء، وداحضة بمعنى مدحوضة بنفسها أنها تدحض نفسها بضعف سنادها ووهاء عمادها، فهي المبطله لنفسها من غير مبطل غيرها، لظهور أعلام الكذب فيها وقيام شواهد التهافت عليها، وإنما اطلق تعالى إسم الحجة عليها وهي شبهة واهية لاعتقاد المدلي بها أنها حجة، وتسميته لها بذلك في حال النزاع والمناقلة حيث يوردها موردها مورد الحجة، ويسلكها طريقها وقيمتها مقامها.

حجج داحضة:

من حجج اليهود والنصارى أن التوراة أو الانجيل متفق عليه بينهم وبين الذين أسلموا، والقرآن مختلف فيه، فليأت المسلمون لוחي القرآن برهان دوننا حيث الإستجابة للتوراة والانجيل تجمعنا دون القرآن.

فيقال لهم: إن هذه الحجة داحضة: باطلة زائلة في ميزان الحق لا تستحق إلفات نظر، نسألهم أولاً ما هي ماهية الإتفاق بيننا وبينكم في الكتابين؟ ألا أننا كلنا نؤمن بآله واحد، فاستجابتكم لكتاب سابق من الله بآيات صدقه وبيانات رسوله تحملنا على تصديقه، فعليكم كذلك تصديق القرآن لاستجابتنا له بآيات كمثلها أو هي أخرى وأهدى سبيلاً، إذاً فحجتهم داحضة!

أم لأن القرآن المستجاب لنا ببيانات صدقه القاطعة يحملنا على تصديق الكتابين دون حجة أخرى، حيث الحجة المصدقة لهما ليست فيهما، فإنها منفصلة عنها وهي معجزات موسى وعيسى حيث تحمل من شاهدها بتصديق كتابيهما، إذاً فاستجابة حجة القرآن هي التي تحملنا على تصديق الكتابين فكيف تنقلب حجة علينا تتطلب حجة أخرى بعد المتفق عليها ولا حجة لنا إلا هي، إذاً فحجتهم داحضة.

ثم القرآن لا يحملنا إلا على تصديق الكتابين المبشرين به وبنبييه: (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون. قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً.. فأمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلمكم تهتدون) (١٥٨:٧)، (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) (١٤٦:٢) .. الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) (٢٠:٦٩)!

إذاً فلا نشارككم في تصديق الكتابين دون شروط، إنما نصدق الذي بشر بنبينا وبكتابه، إذاً فحجتهم داحضة^١.

ثم الذي يستندون إليه في استجابتهم لتورات أو انجيل ليس إلا معجزات من الرسولين شهدا من حضرها دونهم، وإنما استجابوهم دون حجة حاضرة، وإنما لحسن الظن بأسلافهم، والكتابان محرفان لا حجة فيهما وحتى قبل التحرف إذ لا معجزة فيهما، فهذه إذاً استجابة فاشلة، ولكننا المسلمون يستجيبون دعوة القرآن لأنه معجزة بنفسه.

١. وفي حوار بين الإمام الرضا Δ وجاثليق عظيم النصارى ...

محمد3 في وحيه بين سائر الوحي

٤

(وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأُذُنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ) (٥١:٤٢).

هنالك تكليم الله في مثلث لا رابع له، فما هو تكليمه، ومن ثم ما هو (وحيًا) (أو من وراء حجاب) (أو يرسل رسولاً فيوحي بأذنه ما يشاء) ؟ فهل إن (من وراء حجاب) وحي كـ (وحيًا) فكيف يقابله ؟ ام ليس وحيًا فليكن بإرسال رسول فكيف يقابل (أو يرسل رسولاً) ؟

التكليم الإلهي:

إن التكليم الإلهي يعني فيما يعنيه الرباط العلمي وحيًا إلى بشر، كلامًا إلى سمع أو معنى إلى قلب، بواسطة أو دون وسيط، بحجاب أو دون حجاب الآ حجاب ذات الألوهية حيث يستحيل ارتفاعه، لارتفاع ذات الألوهية سموها عن أن يدرك دون حجاب (فلا يُحس ولا يُمس ولا يُجس ولا يُدرك بالحواس الخمس).

ليس كلامه بآلة في ذاته لساناً أم ماذا كمن سواه، إنما هو إيحاء يحمل صوتاً أو معنى دون صوت، يخلقه الله تعالى كسائر خلقه، إلا أنه يختصه من يصلح من ملائكته ورسله دون سائر خلقه: (و قال الذين كفروا لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون) (١١٨:٢) .. وليس الله مكلم الذين كفروا لا في الدنيا ولا في الآخرة مهما كان مكلم المؤمنين في الآخرة: (و لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم) (٧٧:٣) فلا تكليم إلهياً يوم الدنيا إلا مع المرسلين.

(ما كان لبشر) سلب للكيان البشري، يضرب إلى عمق الماضي أن يتحمل كلام الله مواجهةً برؤية أو بسماع لفظة كما يلفظ البشر فيسمع، لا هذا ولا ذاك، وإنما (وحيًا أو ..) وجوه ثلاثة لا رابع لها وكلها كلام الوحي.

فالوحي وهو الإشارة في رمز قد يكون من أرقاة في أعلى القمم الممكنة، وهو وحي دون حجاب ودون رسول، إلقاءً في قلب الرسول دون وسيط من شجرة كما أوحى بها إلى موسى، أو كلام لفظي كما (كلم الله موسى تكليماً) أو حجاب المنام، وإنما المعنى والمعنى فقط يُلقى دو أي وسيط إلى قلب الرسول، في حين ليس بين الرسول وبين الله أحدٌ حتى نفسه حيث يتناسى حينه عنها، ارتفاعاً الحجب الظلمة والنور إلا نور الذات المقدسة حيث تبقى حجاباً لن يزول.

هنا لا يبقى حجاب للوحي إلا حجاب هو لزام ذات الألوهية لمن سواه^١، فهو وحي دون أي حجاب ممكن الكون والإرتفاع، وكما الوحي إلى الرسول الأقدس محمد 3 ليلة القدر وليلة المعراج كان وحيًا بلا حجاب، حيث لا كلام ولا منام ولا شجرة أم ماذا؟ ولا جبريل ولا حجاب نفس الرسول المقدسة النورانية، حيث (لم يكن بينه وبين الله احد)^٢.

١. نور الثقلين ٥٨٧:٤ ح ١٣٤ في كتاب توحيد المفضل بن عمر المنقول عن ابي عبد الله الصادق Δ في الرد على الدهرية قال Δ بعد ان ذكر الله عزوجل، والعجز عن ان يدرك فان قالوا: ولم استتر؟ قيل لهم ما يستتر بجيلة يُخلص إليها كمن يحتجب عن الناس بالأبواب والستور، وإنما معني قولنا: استتر انه لطف عن مدى ما تبلغه الاوهام كما لطف النفس وهي خلق من خلقه وارتفعت عن ادراكها بالنظر.

و في كتاب التوحيد عن الرضا Δ كلام طويل في التوحيد وفيه: لا تشمله المشاعر ولا تحجبه الحجاب فالحجاب بينه وبين خلقه لا متناعه مما يمكن في ذواتهم وإمكان ذواتهم مما يمتنع منه ذاته ولافتراق الصانع والمصنوع والرب والمربوب والحاد والمحدود.

و فيه عن الرضا Δ ايضاً كلام وفيه قال الرجل: فلم احتجب؟ فقال ابو الحسن Δ ان الحجاب على الخلق لكثرة ذنوبها فأما هو فلا تخفى عليه خافية في آناء الليل والنهار.

٢. في التوحيد باسناده عن زرارة قال قلت لأبي عبد الله Δ جعلت فداك الغشبية التي كانت تصيب رسول الله 3 اذا نزل عليه الوحي؟ قال فقال: ذلك اذا لم يكن بينه وبين الله احد ذاك اذا تجلى الله له - قال ثم قال: تلك النبوة يا زرارة واقبل يتخشع.

و في امالي الشيخ باسناده عن ابن ابي عمير عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله Δ قال: قال بعض اصحابنا: اصلحك الله كان رسول الله 3 يقول: قال جبرئيل وهذا جبرئيل يأمرني ثم يكون في حال

و لم يسبق هكذا وحي لأحد من المرسلين، ولا الملائكة المقربين، لأنه يتطلب مقام (دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) حيث لم يسطع الرسول إلى الرسل، جبريل Δ ، أن يعرج إلى معراج الرسول ولا بروحه فضلاً عن جسمه.

هذا تكليم إلهي متحلل عن لفظية الكلام وعن أي وسيط، ثم يأتي دور تكليمه (من وراء حجاب) ولا يعني الوراثة وراءاً مكانياً للمكلم، وإنما الوراثة لكلامه الموحى إلى رسول، سواء أكان وراء الكلام اللفظ وهو أبسطه، أم وراء النوم، أم وراء شجرة كما لموسى، أم أي وراء هو حجاب، وليس رسولاً للوحي، وإن كان هو أيضاً من الحجاب، إلا أن (أو يرسل رسولاً) يختصه بوحي بعد (وحيماً أو من وراء حجاب) فلا يشملها هنا (حجاب) والوحيان يعينان ما لا وسيط له رسالياً، ومن ثم:

(أو يرسل رسولاً) إلى بشر (فيوحي) الرسول الملك إلى رسول البشر (بإذنه): الله (ما يشاء) الله، فالموحي الأصيل هو الله، والموحي الملك هو رسول الوحي، يشير في رمزٍ ما تلقاه من الله إلى الرسول البشري.

إن الوحي - حيث يحمل تكويناً أو تشريعاً - ليس إلا من الله، سواء أكان رمزاً في التكوين: (يومئذٍ تحدث أخبارها. بأن ربك أوحى لها) أو في الغريزة: (و أوحى ربك إلى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون) (٦٨:١٦). أو إلهاماً يحمل حكماً خاصاً إرشادياً: (و أوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم لا تخافي ولا تحزني إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين)

أخرى يغمى عليه؟ فقال أبو عبد الله Δ انه اذا كان الوحي من الله اليه ليس بينهما جبرئيل اصابه ذلك لثقل الوحي من الله واذا كان بينهما جبرئيل لم يصبه ذلك فقال: قال لي جبرئيل وهذا جبرئيل. وفي الدر المنثور اخرج البخاري ومسلم والبيهقي عن عائشة ان الحارث بن هشام سأل رسول الله 3 كيف يأتيك الوحي؟ قال: احياناً يأتيني الملك في مثل صلصلة الجرس فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وهو أشده عليّ وحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول - أقول وهو أشده علّه خاص بما يوحي إليه بواسطة ملك الوحي، فان أشده ككل ما يوحي اليه دون وسيط. ١. راجع الفرقان ج ٢٧ ص ٣٩٨ - ٤٠٥ من سورة النجم حو آية التدلي.

(٧:٢٨).

و من ثمَّ الوحي التشريعي الذي يحمل أحكاماً شرعية للموحي إليه شخصياً، أم له ورسالة إلى جماعة قَلُّوا أو كثروا، أم إلى العالمين أجمعين.

و (يوحي بإذنه ما يشاء) حيث يحمل وحي التشريع من ملك الوحي باذن الله، آية يتيمة في القرآن كله، على احتمال أن الموحي بإذنه هنا أيضاً هو الله، حيث الآية تتبنى التكليم الإلهي في هذا المثلث البارِع، فليكن المكلِّم الموحي في ثالثه هو الله كما في الأولين.

إذاً (أو يرسل) الله (رسولاً) ملائكياً (فيوحي) بواسطته كحجاب يعقل (بإذنه) تعالى لا بإذن الملك أو الموحي إليه أو مسيراً في وحيه (ما يشاء) الله - لا ما يشاء الرسول الملك أو الرسول البشر (إنه عليٌّ) عن أن يواجهه في كلامه بذاته، أو يكلم غير رسله وأنبياءه (حكيم) يوحي بحكمة بارعة إلى كلِّ كما يحق له ويتحمل، وكما يجب في رسالته.

لقد جمع محمد 3 بين مثلث الوحي: دون حجاب - ومن وراء حجاب المنام أو الكلام - وبواسطة جبريل، ووحيه الأول دليل أن الآخرين لم يكونا بحاجة منه إلى حجاب أو ملك، وإنما هو تثبيت للمؤمنين حتى لا يقولوا فيه ما قالوه في المسيح Δ:

(قل نزلَّه روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) (١٦:١٠٢) (و كان جبرئيل إذا أتى النبي 3 قعد بين يديه قعدة العبد وكان لا يدخل حتى يستأذنه) ١.

و لئن قلت: تنزيل جبريل لم يكن بمشهد للمؤمنين فكيف يصدقونه حتى يثبتوا على الإيمان أنه ليس كما قيل في المسيح Δ!

فالجواب نجده من (الذين آمنوا) حيث يصدقونه - لإيمانهم - قوله: إن تنزيل القرآن بواسطة روح القدس.

١. علل الشرائع باسناده عن ابن ابي عمير عن عمرو بن جميع عن ابي عبد الله Δ قال: ...

أو قلت: هلاً كلم الله تعالى إبليس وكما في مواضع من خطابه له، فهل يدخل في مثلث الوحي أم ماذا؟

فالجواب: أن الآية تتحدث عن تكليمه لبشر دون أي كائن من جن وشيطان أم من ذا؟ ثم قد يكون وحيه إلى إبليس من وراء حجاب الغضب والظلام دون حجب النور التي كانت لرسول الله، أو أنه لا يدخل في مثلث الوحي إذ لم يكن وحي رسالة وإنما وحي تنديد وتبكييت.

(وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَ لَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (٥٢:٤٢) .

(و كذلك) الذي يوحي ريك (وحيًا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا) (أوحينا إليك) والوحي إلى محمد 3 شمل هذا المثلث كله (روحاً من أمرنا) إن كان روح القرآن فمحكمه وما أوحى إليه ليلة القدر والمعراج أم ماذا (وحيًا) ومفصله: (أو يرسل رسولا): (نزل به الروح الأمين ..) وعوان بين ذلك في المنام أم ماذا.

أم (كذلك) الذي يوحي من وحي الكتاب (أوحينا إليك روحاً من أمرنا) الروح القدسي الرسالي الذي هو سند العصمة ولزام المرسلين وسائر المعصومين، وكل منهما روح من أمر الله وفعله، لا صنع للموحي إليهم فيه ولا أمر، اللهم إلا تحضيراً مستطاعاً لهم بتوفيق الله وجهودهم لكي يستأهلوا لنزولهما عليهم ووحيهما إليهم، وحي التكوين: روح العصمة، ووحي التشريع: روح الكتاب.

و قد يشملهما (كذلك) وكما في سائر القرآن، فالروح القرآن وهو روح الأرواح كلها: (و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) (٨٥:١٧) وهي تشمل روح القدس أيضاً، ولكن الروح المنزّل هو القرآن: (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون) (٢:١٦) اللهم إلا أن يعني التنزل التدريج الأرواح العدة التي تنزل عليهم واحداً تلو الآخر، أو تشملهما معاً، ثم الروح الملقى هو روح القدس، وروح الكتاب النازل دفعة كالقرآن

المحكم أم ماذا: (يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق) (١٥:٤٠) فبالروح القدسي الرسالي يتم الإنذار ويظم في الجو المنتظم، وبكتاب الوحي يبلغ الروح القدسي، فلولا عصمة القرآن لم يكف الروح القدس، ولولاه لم تكف عصمة القرآن، فالروحان متجاوبان متناصران في الدعوة الرسالية المتحللة عن أية أخطاء.

و كما أن من وحي القرآن إلى محمد (وحيًا) دون حجاب أو رسول، كذلك وحي الروح القدس إليه دون وسيط، فقد يلقيه الله كذلك أو (ينزل الملائكة بالروح من أمره) حيث يشمل روح القدس.

و قد يختلف (روحاً من أمرنا) عن (الروح من أمره) فـ (نا) حيث تلمح إلى جمعية الصفات تجمع - للموحي إليه في الروح الموحي - كتاباً وروحاً قدسياً، تجمع كافة الصفات والرحمات الإلهية، عصمة فوق العصم، وكتاباً فوق الكتب، كما العصمة المحمدية وكتابه يجمعان ما بالإمكان أن يوحي من الله.

ثم الرسول الحامل لوحي الكتاب هو جبريل - روح القدس (٨٧:٢ و ٢٥٣ و ٥: ١١٠) والروح الامين (١٩٣:٦) والحامل لوحي العصمة: الروح القدسي الرسالي في وحيه الوسيط - قد يكون هو أو الروح الذي ليس من الملائكة وهو يرأسهم، فهو يحمل هذه الروح القدسية إلى المعصومين، أنبياء وسواهم، ويتنزل مع الملائكة ليلة القدر من كل أمر (تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر) (٣:٩٧) كما (يقوم الروح والملائكة لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً) (٧٨:٣٨) و(تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) (٤:٧٠) ، ولكنما الروح القدس النازل على محمد 3 هو كمحكم القرآن نازلان عليه دون أي وسيط، وحيًا دون أي حجاب، كما وأن قبض روحه 3 عند ارتحاله لم يكن بوسيط.

فهناك أرواح أربع من الله إلى رسل الله، روحان ينزلان وحيًا: روح القدس وروح الكتاب، وروحان ينزلان وحيًا: ١ - جبريل - روح القدس: الروح الامين، وسيطاً في وحي الكتاب ، - ٢- والروح وسيطاً في وحي الروح القدسي أم ماذا من أمر، والرسول الأقدس محمد 3 يتلقى وحي الروح القدسي دون أي وسيط، كما قد يتلقى روح القرآن

دون وسيط، وقد يوحى إليه القرآن - كما في مفصله - بوسيط، أو يلقي إليه ليلة القدر من كل أمر بواسطة الروح.

و (روحاً من أمرنا) هنا تشمل الروحين، وعلّ أظهرهما روح القرآن، كما تلمح إليه (كذلك) وألمح منه (ما تدري ما الكتاب ولا الإيمان) فالروح القدسي ليس لزامه دراية الكتاب والايمان القرآني، لأنه اعم، وروح القرآن الموحى اليه لزامه الروح القدسي، وقد يكون تفسير (روحاً من أمرنا) هنا بروح العصمة تفسيراً باللازم او بمصدق خفي^١.

اللهم إلا ان تعني دراية الكتاب والايمان دراية اجمالية عنهما كما يحق للقمة الرسالية، ومن ثم تفصيل الكتاب، فالروح القدسي بما يوحى اليه من محكم الكتاب يتقدم تفصيل الكتاب، فـ (روحاً من امرنا) يشملهما اولاً الاول وثانياً الثاني، هما اللذان يتبينان الرسالة القدسية المحمدية كسائر الرسالات على شتى مراتبها.

ام يعكس الأمر فـ (روحاً من امرنا) تعني أولاً الروح الرسالي لمكان (اوحينا) الضارب الى اعق الماضي من زمن الرسالة، فلا يعني إلا هذا الروح السابق وحيه على وحي الكتاب محكماً ومفصلاً، ام ووحى الكتاب محكماً ليلة القدر بعد بداية البعثة قرابة خمسين ليلة.

ثم (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان) شاهدٌ ثان أنه قبل هذا الوحي ما كان يديرهما، ولو كان - فقط - روح القرآن المتأخر عن روح الرسالة فانه كان يدري ما الكتاب والايمان اجمالياً قبل وحي القرآن، كما دراهما ليلة القدر أكثر، ثم درى تفصيلهما بنزول تفصيل القرآن، اذاً فهو روح الرسالة اولاً ومن ثم روح القرآن.

١. نور الثقلين ٤: ٥٨٩ ح ١٣٩ في اصول الكافي باسناده عن ابي بصير قال: سألت ابا عبد الله Δ عن قول الله تبارك وتعالى: وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا ... قال: خلق من خلق الله عزوجل اعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله ﷺ يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده وفي ح ١٤٠ باسناده الى اسباط بن سالم قال: سأله رجل من اهل هيت وانا حاضر عن الآية فقال: منذ انزل الله عزوجل الروح على محمد ما صعد إلى السماء وانه لفينا وفي معناها روايات عدة وفي بعضها انه من الملكوت.

و قد يعتبر الروحان واحداً كما هنا (روحاً من أمرنا) وفي الخبر: روح القدس فيه حمل النبوة^١ ولأنهما متلازمان كلٌّ يلازم زميله في حمل النبوة وتبئياً الرسالة. و ترى أن الرسول قبل هذا الوحي ما كان مؤمناً كما لم يكن يدري القرآن؟ إنه كان مؤمناً منذ كان فطيماً (و لقد قرن الله به من لدن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليلة ونهاره)^٢. و لكننا الإيمان درجات، ولأن (الكتاب) هنا القرآن أم وسواه (و الإيمان) على ضوء وحي العصمة الرسالية والقرآن، فهو كبشر قبل الوحيين ما كان يدري ما هذا الكتاب ولا ذلك الإيمان، على إيمانه العقائدي والعملية بما كان يسلكه الروح الأمين. فما كان يدري هو من نفسه أو بأية دراسة وارتياض ما القرآن ولا الإيمان القرآني (و لكن جعلناه نوراً...).

أجل (و أنزل الله عليك الكتاب وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك كبيراً) (١١٣:٤) (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) (٤٩:١١).

لقد كان مؤمناً نبياً أم سواه قبل رسالته، وما كان يعلم الكتاب قرآناً وسواه: (و ما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تحطه يمينك إذا لارتاب المبطلون) (٤٨:٢٩) ما كان يتلوا ولا يحط بما أحال الله تعالى عليه قبل الوحي الرسالي (إذا لارتاب المبطلون)

١. سفينة البحار ١: ٥٣٧ زع ١٩١ ير عن المفضل عن ابي عبد الله Δ قال يا مفضل ان الله جعل للنبي 3 خمسة ارواح روح الحياة فيه دب ودرج وروح القوة فيه نهض وجاهد وروح الشهوة فيه اكل وشرب وأقى النساء من الحلال وروح الايمان فيه امر وعدل وروح القدس فيه حمل النبوة.
٢. نهج البلاغة عن الإمام على Δ - راجع «شريعة محمد قبل الإسلام» في ج ٣٠ ص ٣٤٧ - ٣٤٨ الفرقان.

و في الدر المنثور اخرج ابو نعيم في الدلائل وابن عساكر عن علي قال: قيل للنبي 3 هل عبت وتناً قط؟ قال: لا - قالوا: فهل شربت خمراً قط؟ قال: لا - وما زلت اعرف ان الذي هم عليه كفر وما كنت ادري ما الكتاب ولا الايمان وبذلك نزل القرآن «ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان».

فعدم القراءة والخط لهذه الغاية كما حيث يتبني قوام الرسالة.
و ما كان يدري ذلك الإيمان المحاصل بوحي الروحين (نحن نقص عليك أحسن
القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين) (٢:١٢).
فالإيمان هنا معرفٌ معروف حسب المقام أنه إيمان خاص، بحاجة إلى تعريف الوحي،
كما علم الكتاب بحاجة إلى الوحي، دون أن يملك الرسول قبل رسالته هذا العلم أو
يدري هذا الإيمان!.

هنالك بالنسبة لإيمان الرسول قبل رسالته مفرط ومُفرط، قولاً أنه كان ضالاً لم
يؤمن، وآخر أنه كان يعلم ما أوحى إليه قبل أن يوحى إليه، والحق المستفاد من القرآن
عوان بين ذلك^١.

(ولكن جعلناه) ما كنت تدري ولكن أدريناك بما (جعلناه): روحاً من أمرنا
والكتاب والإيمان (نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا) هداية الدلالة والإيصال إلى
الهدى، فخصوص الهداية الدلالة عام، والهداية الإيصال خاص بـ (من نشاء) وهم من
يشاؤون الهدى ويعلمون لها (و الذين اهتدوا زادهم هدى) (٧:٤٧)، (و إنك لتهدي إلى
صراط مستقيم) فقط هداية الدلالة دون إيصال تكويني إلى الهدى^٢.
و علَّ الهداية الأولى هي الهداية بوحي الروحين، ثم الثانية هي العامة وأين هدى من
هدى؟.

(صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ)

١. وإذا لم يكن الرسول ليعلم القرآن قبل وحيه فبأحرى لم يعلمه غيره، فالروايات القائلة ان الإمام
علي Δ قرء سورة المؤمنون حين ولادته مزورة مقحمة تعني تفضيله على الرسول، ونبوته قبل
الرسول!.

٢. تفسير البرهان ٤:١٣٣ ح ٩ باسناد عن جابر الجعفي عن ابي جعفر Δ في قول الله عزوجل: «و
لكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا» قال: ذلك علي بن ابي طالب - أقول: عله يعني روح
القدس النازل على علي Δ بعد الرسول، كما القرآن يعلمه علي بعد الرسول فهو Δ مزود بالروحيين
دون وحي إلا في روح القدس الذي هو مع الأئمة يسددهم كما كان مع الرسول 3.

(٥٣:٤٢).

للّه صراطان، صراط الربوبية المختص باللّه: (و ما من دابة إلاّ هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم) (٥٦:١١) وصراط العبودية المختص بعباد اللّه، حيث رسمه اللّه وخطه لعباده وجعل عليه الأدلاء اليه وأمرهم أن يدلوا العباد إليه (ألا إلى اللّه تصير الأمور).

شريعة الرسول قبل الاسلام؟

ترى أن محمداً 3 كان نبياً موحى إليه بشريعة تخصه قبل رسالته؟! - ١ - أم كان يسترشد فيها بأعظم ملك من ملائكة الوحي دون أن يوحى إليه ٢ - أم كان متعبداً بالشرعة المحكّمة زمنه: شريعة الناموس التوراة حسب الانجيل؟ بعد التدليل - وحيأ أم ماذا - على مواضع التحريف والتجديف - ٣ -؟ أم دون تدليل - ٤ - أم كان على شرعة إبراهيم: (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي) - ٥ - (٦٨:٣) رغم أنها نسخت بشرعة التوراة والانجيل؟ فضلاً عن شريعة نوح؟ أم لم يكن على أية شرعة وإنما على الفطرة الطاهرة التي فطره اللّه عليها - ٦ - أم كان ضالاً عن كل هذه الشرائع - ٧ - (و وجدك ضالاً فهدي) (٧:٩٣).

من المؤكد قرآنياً وفي السنة أن اللّه اصطفاه بين العالمين على العالمين أجمعين، وفيهم - طول الأربعين - عباد اللّه المخلصون من اهل الكتاب الموحدون، واصطفائه عليهم يتطلب - ولأقل تقدير - أنه كان مؤمناً كما هم، وعاملاً بالشرعة المحكّمة زمنه كما هو، ولكنما الإصطفاء يقتضي أنه كان بينهم أوّل المؤمنين والعاشرين، إضافة إلى تحضير رباني وتسديد دائب طول الأربعين ولكي يصلح للرسالة على العالمين أجمعين، هذه الرسالة السامية القمة التي تربوا الرسالات كلها ربوة تطمّنها وتتممها، أفلا يقتضى ذلك لمحمد 3 نبوءة قبل رسالته، أم استرشاداً بأعظم ملك من ملائكة الوحي يسلك به سبيل المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره، وإن لم يكن بوحى، أم لا أقل من اتباعه شرعة التوراة الأصيلة على ضوء الانجيل الإصيل، تدليلاً بوحى أم سواه في موارد التحريف أم ماذا.

و مهما يكن من شيء فهو كان أفضل المؤمنين العابدين على الإطلاق وإن كان (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) قرآنيّاً قبل نزوله ونزوح روح القدس عليه.
و قد يعني نبوّته الشخصية قبل رسالته قوله (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) واقع النبوة منذ كان فطيماً حتى رسالته، ونبأ النبوة وآدم بين الماء والطين.
أم يعني نبوّته في وجوب تصديقه قبل بعثته طول التاريخ الرسالي للرسل والنبیین أجمعين (و إذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) (٣: ٨١) .

محمد 3 النور بين الأنوار الرسالية

٥

(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥) فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (٣٨:٢٤).

الآيات الاربع الاولى مَثَلٌ للهداية الإلهية على درجاتها، واثنان بعدها مثل للضلالة على دركاتها، ثم الباقية بينات من الهدى امثالاً للهدى العامة الشاملة لعامة الكون طوعاً او كرهاً ولكن لا يفقهون!

آية النور هي المحور الاصيل فيها، ليس لها مثيل بين آياتها التسعة والاربعين بمختلف صيغها: النور - نوراً - نوركم - نورنا - نوره - نورهم - المنير - منيراً، عدد ابواب الجنة النور (نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ..)!

في هذه الانوار لا تجد إلا اربعاً تحنُّ الى المحسوس^١ والباقية لا تعني إلا سواه من نور الهدى والهادي ونور الوحي، وآية النور هي الوحيدة في وجهات، منها توصيفه سبحانه بـ (نور السماوات والأرض).

اجل فيها نور الرب: (و اشرفت الارض بنور ربها) (٦٩:٣٩) ونور الله (يريدون ليطفئوا نور الله) (٨:٦١) ونور من الله: (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) (١٥:٥)

١. وهي «و جعل الظلمات والنور» ١:٦ و«و القمر نوراً» ٥:١٠ «و جعل القمر فيهن نوراً» (١٦:٧) و«ذهب الله بنورهم» (١٧:٢).

و(نور من ربه): (٢٢:٣٩) حيث يجمعها مثلث النور: هدىً وهادياً ووحياً! .

و اما (الله نور) فليست إلا ناصية لهذه اليتيمة المنقطعة النظر، ولذلك سميت سورتها نوراً وكما هي نورٌ بين السور وكلها نور: نورٌ على نور يهدي الله لنوره من يشاء!
(الله نور) في اطلاقها دون اضافة كما (الله عليم) (الله قدير) (الله حي): صفات ذاتية ثلاث، وكما (الله خالق) (الله رازق) أماذا من صفات فعلية، فذاته نور وفعله نور وصفاته نور (نور على نور ..)!

اترى ان توصيفه بـ (نور) يجعله كسائر النور ؟ وتوصيفه بالوجود يجعله كسائر الوجود، كما توصيفه بانه شيء لا يجعله كسائر الاشياء ؟ فالله باين الأشياء بينونة ذات وافعال وصفات: (ليس كمثله شيء) مهما تشابها في تحبير اللغات (لا هو في خلقه ولا خلقه فيه - لا هو من خلقه ولا خلقه منه): تباعض الذات او الصفات والافعال! فانما إبداع وخلقٌ لا من شيء، او من شيء خلقه وأبداعه، لا من شيء ذاته فانه ولادة، ولا من غيره اذ لا خالق غيره!

هنالك بونٌ بين (الله نور) و(النور الله) فالاول يعني حقيقة النور التي لا ظلام فيه ولا حدٌ ولا حدود، ازلي، ابدى، سرمدي، غني، بينه وبين سائر النور ابعد من البون بين سائر الظلمة والنور!

و لكنما الثاني قد يعني ان كلَّ نور هو الله، وحدة حقيقة النور بمراتبها كوحدة حقيقة الوجود! والآية هي الاول: (الله نور) لا كل نور، وانما النور الإلهي الذي لا مثيل له، مهما كان له مَثَلٌ في صفات غير ذاتية وافعال!

و لأن النور هو الظاهر بذاته المظهر لغيره، وهو بين مطلق ومحدود، سرمدي وسواه، غني وسواه، ما يناسب الله وما لا يناسب إلا سواه، فمما يعنيه (الله نور): انه ظاهر بذاته رغم خفاءه، ومظهر لغيره في أي من مراحل الظهور.

اترى بعداً أنها صفة ذاتية له سبحانه كمثلاث الصفات ؟ وهو قبل غيره لم يكن إلا

ظاهراً لذاته لا مُظهِراً ولا مَظْهُراً لغيره، فلمن يُظهِر غيره قبل خلقه؟ أَلنفسه؟ وله كل شيء! فانما الإظهار بالخلق فظهور له لا بذاته كما عن الرسول 3 (نور إني أراه) رؤية البصيرة معرفياً بعد رؤية البصر لدلالاته الآفاقية والانسائية! (وقد خرق له في الحجب مثل سمّ الابرة فرأى من نور العظمة ما شاء الله ان يرى) ٢ ف (الله نور ..) كذلك الله عزوجل ٣ .

هو نور ومثله نورٌ آخر، ولا مثيل له في نوريته كما في سواها من صفاته تعالى، إذاً فلا يعني (الله نور) ظهوره بذاته وهو مستحيل إلا لذاته، وإظهاره لغيره وهو من صفات فعله لا ذاته!

فالنور إذاً هي من صفاته الفعلية، كما تعنيه (نور السماوات والأرض) فليس هنا قبل السماوات والأرض نوراً إلاّ ظهوراً لذاته دون اي اظهار! إلاّ ان يسمّى نوراً بمجرد ظهوره لذاته، وليس إلاّ عبارة اخرى عن علمه الذاتي، فليست إذاً رابعة لصفات الذات! بل صفة فعل حيث يعرفه خلقه بالنورانية، ولذلك سمى نفسه فيما سمى (نوراً) (يا نور، يا نور النور، يا منور النور ..) (اللهم اني اسألك بنور وجهك الذي اضاء له كل شيء) وأما (نور وجهك الباقي بعد فناء كل شيء) فهو ذاته النورانية حياةً وعلماً وقدرة، في

١. الدر المنثور عن ابي ذر قال: سألت رسول الله 3 هل رأيت ربك؟ قال: نور إني أراه، ورواه في م ايمان ٣٩١ ت تفسير سورة ٥٣، ٧ حم ١٥٧٢٥، ١٧١، ١٧٥ .

وفيه ٤٧:٥ - اخرج البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه والبيهقي في الاسماء والصفات عن ابن عباس قال كان رسول الله 3 اذا تهجد في الليل يدعو: اللهم لك الحمد انت رب السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد انت نور السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد انت قيام السماوات والأرض ومن فيهن انت الحق وقولك حق ووعدك حق ولقائك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت انت الهى لا إله الا انت .

٢. القمي باسناد متصل عن الامام الرضا Δ في حديث.

٣. فضيل بن يسار عن الصادق Δ سألته عن قوله تعالى «الله نور ..» قال: كذلك الله عزوجل ثم سألته عن «مثل نوره» فقال: محمد 3 .

ذاته، وامكانية الظهور لمن سواه قبل فناء كل شيء.

و قد كانت تدعو فاطمة النور بدعاء النور قائلة: (بسم الله النور، بسم الله الذي يقول للشيء كن فيكون، بسم الله الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور، بسم الله الذي خلق النور من النور، بسم الله الذي هو بالمعروف مذكور، بسم الله الذي انزل النور على الطور بقدر مقدور في كتاب مسطور على نبي محبوب^١).

و لأن (السموات والأرض) في المصطلح القرآني هي صيغة التعبير عن الكون كله بما فيه ومن فيه كما في سائر القرآن، إذاً ف: (الله نور السموات والأرض) تعني انه نور الكون كله، كصفة فعلية له سبحانه، لا ذاتية، فانها متحللة عن الكون، وهذه حيلة الكون: السموات والأرض!

أترى ان الظلمات ايضاً نور كما النور نورٌ وقد (جعل الظلمات والنور) (١:٦)؟ أجل إنها تحمل من النور نور الوجود، قبال النور التي تقابلها، حيث تحمل من الوجود وجود النور!.

فمن (نور السموات والأرض) تكوّنهما بعد مطلق العدم والعدم المطلق^٢ حيث أوجدهما من مادتهما، كما اوجد لا من شيء، فالعدم المطلق ظلمات مطلقة لا حظ لها من الوجود، فاليجاد لا من شيء إنارة عن الظلمة المطلقة الى نور تجمع (الظلمات والنور) حيث الوجود فيهما نور! (اللهم اني أسألك بنور وجهك الذي اضاء له كل شيء) فضوء كل شيء هو ضوء الوجود وتقديره وهدايته التكوينية!

و من (نور السموات والأرض) الهداية التكوينية لزاماً وغير لزام^٣ (الذي احسن

١. سفينة البحار ٢:٦١٧ دعاء النور لفاطمة Δ عانو ١٩٣ وعالو ١٢٢ وى ج ٢١ ايضاً دعاء النور لها برواية الدلائل للطبري.

٢. مطلق العدم قد يناسب وجوداً ما كما السموات والأرض كان موجودين في مادتهما الاولية اذ لا سموات ولا ارض، والعدم المطلق لا يناسب اي وجود فهو اذ كان الله ولم يكن مه شيء .

٣. الهداية الاولى هي الضرورية الاضطرارية التي هي لزام كل كائن، والثانية هي التي قد تتحول باختيار السوء اماذا؟

كل شيء خلقه ثم هدى) (٧:٣٢) .

و من (نور السماوات والأرض) انهما دالتان ببارع الصنع فيهما على خالقهما ومديرهما، فهما ظاهرتان ومظهرتان!

و من (نور السماوات والأرض) الهدات الى الله، الأدلاء على مرضات الله بوحى من الله وحملته الرسل المصطفون (الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس) (٧٥:٢٢) وهي كلها ظاهرات بينات، مظهرة للخفيات، وهذه هداية تشريعية وشرعية.

إذا فتكوينهما وتديرهما وهدايتهما تكوينية وتشريعية وشرعية والتدليل بهما على خالقهما ومديرهما، كل ذلك نورهما حيث أنار الله تعالى.

(مثل نوره) اضافة النور اليه دليل انها لا تعني - فيما تعني - ذاته، كما دلت اضافتها الى السماوات والأرض، فلو انها من صفات ذاته السرمدية، فلماذا خصوص الاضافة الى السماوات والأرض، فانما (الله نور) قبل الخلق وبعده، وانما هي من صفاته الفعلية - دون الذاتية - كالحالقية والمديريّة وانه الهادي بمظاهرها الثلاثة^١.

و كما ليس لذاته مثل، كذلك ليس لافعاله وصفاته، فليس - إذاً - لنوره الفعلي مثل فضلاً عن ذاته: (ليس كمثله شيء) فهل ليس له مثل كما ليس له مثل؟ (وله المثل الاعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم) (٢٧:٣٠) فإن المثل هو الآيه، وفي كل شيء له آيه، من ادنى فأدنى، ومن اعلى فأعلى، آيه على الوهيته وربوبيته وهدايته امّاذ من شؤون رحمته الرحمانية والرحيمية.

اترى ان لنورائيته في التكوين والتشريع مثل كما لسائر إلهيته؟ آيه له في التشريع والتكوين مثلاً، وان لم يكن له مثلاً؟ اللهم لا، اذ لا يتمثل احدٌ من خلقه فيهما فلا مكوّن سواه ولا مشرّع سواه، إلا في هداية شرعية تمثل هداة، فكل شيء مثل له آية على ربوبيته، ولا شيء مثلاً في تكوينه وتشريعه اللهم إلا على وحدته فيهما، إلا في الهداية الشرعية فوحيه تعالى وحملته المعصومون هم مثل نوره فيها، دون تمثل في

١. تكوينية - تشريعية - شرعية .

تكوين ولا تشريع (و ما محمد إلا رسول) (١٤٤:٣) (انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) (٥٦:٢٨) (ليس لك من الامر شيء) (١٢٨:٣) (ان عليك الا البلاغ) (٤٨:٤٢)! ولان المثل هو الآيه، وفي الكون له مثل الآيه تكويناً وتشريعاً وشرعاً، فقد يعمها (مثل نوره) ولكنه في مثاله (كمشكوة) يعني ثالث ثلاثة وهم حملة الشرعة بوحي الرسالة.

و (مثل نوره) في هدايته الدلالية (كمشكاة) وليس المثل هو المشكاة! بل هو آية نوره.

ف (الله نور) وجاه (مثل نوره) لا يعني إلا الهداية الشرعية، فكما الله (هادٍ لاهل السماوات وهادٍ لاهل الأرض)^١ كذلك الهداة - المعصومون - اليه بدلالته هم مثل نور هدايته، فقد (ضرب لكم مثلاً من نوره)^٢ لا كل الامثال (فالنبي والأئمة صلوات الله عليهم من دلالات الله وآياته التي يهتدى بها الى التوحيد ومصالح الدين وشرايع الاسلام والسنن والفرائض ولا قوة الا بالله العلي العظيم)^٣ فقد (بدء بنور نفسه)^٤ ثم

١. نور الثقلين ٣:٢٠٦ ج ١٧١ في كتاب التوحيد في آية النور عن الرضا Δ .

٢. المصدر ح ١٧٠ عن ابي جعفر Δ حديث طويل فيه ان الله تعالى بعث الى اهل البيت E بعد وفاة النبي 3 من يعزيهم فسمعوا صوته ولم يروا شخصه فكان في تعزيتهم «جعلكم اهل بيت نبيه واستودعكم علمه وأورثكم كتابه وجعلكم تابوب علمه وعصى عزه وضرب لكم مثلاً من نوره.

٣. المصدر ح ١٧٢ عن الصادق Δ في الآيه قال هو مثل ضربه الله لنا فالنبي 3 ...

٤. المصدر ح ١٧٩ عن الباقر Δ في الآيه قال: بدأ بنور نفسه «مثل نوره» مثل هداه في قلب المؤمن. و في سفينة البحار ٣:٦١٥ القمي عن ابي خالد الكابلي قال: سألت ابا جعفر Δ عن قوله تعالى: فأمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا فقال: يا ابا خالد! النور والله الاثمة من آل محمد الى يوم القيامة هم والله نور الله الذي انزل وهم والله نور الله في السماوات والأرض، والله يا ابا خالد لنور الامام في قلوب المؤمنين انور من الشمس المضيئة بالنهار وهم والله ينورون قلوب المؤمنين ويحجب الله نورهم عن من يشاء فتظلم قلوبهم، والله يا ابا خالد لا يجينا عبد ويتولانا حتى يظهر الله قلبه ولا يظهر الله قلب عبد حتى يسلم لنا ويكون سلماً لنا فاذا كان سلماً لنا سلمه الله من شديد الحساب وآمنه من فزع يوم القيامة الاكبر.

مثل مثلاً من نوره.

و حيث الانوار الدلالية في هداية الخلق تختلف بين خليطة بظلمة وخليصة عنها هي نور الأنوار، هنا الله يضرب مثلاً من نور هدايته ليس نوراً على ظلمة، بل هو (نور على نور) ليس فيها ظلمة، حجة من الله في الدلالة التامة التي لا قصور فيها ولا نقصان يعتربها!

و كما لله امثال في الكون، والكون كله امثاله وآياته، دون مَثَل واحد، كذلك له امثال في نور هداية، وهم الدعوات - المعصومون ت إليه، فلماذا (مثل نوره) لا أمثال نوره ؟

لأنه يعني هنا المثل الأعلى لنوره وهو الرسول محمد 3 فانه يجمع كافة الأمثال النورانية فهو النبيون اجمع، وكافة الامثال النورانية الإلهية مندكة في ذلك المثل الأمثل، فلذلك (مثل نوره) لا (امثال نوره) كما (له المثل الأعلى) لا (امثال العليا) فالكون كله امثاله تعالى ولكنما العليا هو الرسول محمد 3 الذي فاق العالمين في حمل الهدى الإلهية كما يمكن ويجب!

(مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ..):

و (نوره) في مثلث من الانوار متتالية متعالية، فمحمد هو نور الأنوار^١ وعترته المعصومون ويتلوهم النبيون اجمع، ومن ثم المؤمنون^٢.

و المشكاة هنا هي مشكاة النبوة: مجمع الانوار كلها ومصدرها: (الرسول الاقدس محمد 3! فانه النبيون اجمع وهو الهداة والصالحون اجمع، والمشكاة هي الكوة الزجاجية غير النافذة التي يوضع فيها المصباح، لتمنع شعلته عن الرياح، وتحصر نوره وتجمعه فيبدو قوياً متألقاً (المصباح في زجاجة) تقيّة الرياح، وتصفية النور، وزيادة التألق، لا سيما (و الزجاجه كانها كوكب دري): عظيم كثير النور، ثم المصباح داخل الكوكب

١. نور الثقلين ٣: ٦٠٣ ح ١٧٣ عن الصادق Δ قال: مثل نوره: محمد .

٢. المصدر ح ١٧٩ عن الباقر Δ مثل نوره «مثل هداية في قلب المؤمن ...» .

الدرّي داخل المشكاة (يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) فزيتته من (شجرة مباركة^١ وهي (زيتونة) لا كسائر الزيتون شرقية وغربية وهي ليست بالتي ترام بل هي (لا شرقية ولا غربية) فانما الشرق اوسطية وهي اصلح زيتونة على وجه الأرض وأطيبها، وهي في صفائها لحد: (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) إذا فنورها (نور على نور).

اترى لماذا يمثل النور المحمدي وهو نور الأنوار، بمثل هو ادنى منه بدرجات، والمثل أمثل - دوماً - من الممثل؟ لأن القصد هنا من المثل تقريب المحتد من النورية المحمدية إلى افكار من لا يعرفونه حق المعرفة، تمثيلاً من المحسوس لغير المحسوس، لان المحسوس اقرب الى معرفتهم، مهما كان غير المحسوس اعلى منه بما لا يُعد او يُحد، فهنا تكفي من الاولوية واجهة الاحساس.

ثم الاولوية المطلقة في المثل، هي فيما اذا كانا مثلين، محسوسين او غير محسوسين، وهذه سنة الله في تقريب الحقائق الى الأذهان.

و ترى ان المشكاة اخرى من الشمس مثلاً في هذه النورية؟ كلاً ولكنما الجهات المعنية من هذه النورية لا تعرف من نور الشمس الواحدة، بل من (مشكاة فيها مصباح..) انوار سباعية بعضها فوق بعض تقريباً للحالة النورية في روحه و صدره وقلبه أمأهيه؟

و ترى مثال مثل نوره مسبباً من النور بمثل المشكاة المصباح الزجاجية ومربّع الشجرة المباركة - زيتونة - لا شرقية ولا غربية - يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار! فهو نور على نور ثنائياً وسباعياً، وهذه السبع تخترق دركات الظلمات الى درجات انوار الجنات.

نور زيت الزيتون كان اصفى نور يُعرف زمن نزول القرآن، إضافة الى قدسية

١. الدر المنثور ٥: ٥٠ - اخرج عبد بن حميد في مسنده والترمذي وابن ماجه عن عمران عن رسول الله 3 قال: ائتموا بالزيت وادهنوا به فانه يخرج من شجرة مباركة.

شجرته المباركة بالواد المقدس في الطور (و شجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصيغ للآكلين) (٢٠:٢٣) شجرة معمرة بكل أجزائها زيتها وخشبها وثمرها، نوراً وإداماً وشفاء!

ذلك المثل الأمثل الأعلى لنوره هو الرسول محمد 3 وقد مُثِّل له بمثال المشكاة والشجرة الزيتونة ف (ان الله لم يضرب الامثال للشجر انما ضرب الامثال لبني آدم) لكي يعتبروا بها الحق الممثل.

فالمشكاة هي الروح المقدسة المحمدية، والزجاجة صدره، والمصباح قلبه الفؤاد حيث يتفأد بنور المعرفة الربانية، يوقد مصباح قلبه الفؤاد المنير من شجرة الرسالة القدسية الابراهيمية (لا شرقية) يهودية (ولا غربية) نصرانية، (يكاد زيتها) هذه الشجرة: الروح القدسي الرسالي في قلبه - يضيء بنور الوحي (و لو لم تمسسه) ناره: (القرآن) فاناره نور على نور حيث مهبطها النور: القلب القدسي الفؤاد، يتقبل نور الوحي في قمة المجانسة!

قلبه المصباح اصبح زيتاً يُضيء لشدة صفائه، بما اخلصه بخالص الطاعة والتسليم لربه حتى اصبح (اول العابدين) ثم اصطفاه ربه ان أسكن في قلبه والقي الروح القدسي الرسالي، لحد يكاد يضيء بالوحي ولما يوح اليه ثم انزل على قلبه محكم القرآن في ليلة مباركة هي ليلة القدر، فكاد يضيء بمفصله ولما يوح اليه: (ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علماً) (١١٤:٢٠) (لا تحرك به لسانك لتعجل به..) (١٦:٧٥) . فوحي القرآن المفصل اليه نور على نور قلبه بالقرآن المحكم، كما وحي المحكم اليه نور على قلبه بالروح القدسي الرسالي، وكما إلقاء الروح اليه نور على قلبه بما أخلصه، ومريع النور في قلبه مستكن في صدره الذي شرحه الله (الم نشرح لك

١. نور الثقلين ٣:٦٠٥ ح ١٧٦ في الكافي باسناده عن اسحاق بن جرير قال سألتني امرأة ان ادخل على ابي عبد الله Δ فاستأذنت لها فأذن لها فدخلت ومعها مولاتها فقالت يا ابا عبد الله! بقول الله «زيتونة لا شرقية ولا غربية» ما عنى بهذا؟ فقال أيتها المرأة ان الله ...

صدرك) ومخمس النور ما كن في روحه القدسي، ومسددس النور يعيش في بدنه النورانية الذي هو أشف والطف من ارواح من سواه، انوارٌ سبع تخرق الظلمات الى النور المطلق حيث لا ظلام فيه إلا أنه خُلِق! زأحمد تا أحديك ميم فرقت، همه عالم در ان يك ميم غرقست.

انه 3 (نور) (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار): (يكادون ان يتكلموا بالنبوة وان لم ينزل عليهم ملك).

(و يكاد العلم يخرج من فم العالم من آل محمد من قبل ان ينطق به^٢ و(يكاد العالم من آل محمد 3 يتكلم بالعلم قبل ان يسأل)^٣ أو كما يقول صادقهم - وكلهم صادقون -

١. المصدر ح ١٧٨ في روضة الكافي باسناده المتصل عن ابي جعفر Δ في حديث طويل: ثم ان رسول الله 3 وضع العلم الذي كان عنده عند الوصي وهو قول الله عزوجل «لله نور السماوات والأرض» يقول: انا هادي السماوات والأرض مثل العلم الذي اعطيته ونوري الذي يهتدي به «مثل المشكاة فيها مصباح فالمشكاة قلب محمد والمصباح النور الذي فيه العلم ... «يوقد من شجرة مباركة» فأصل الشجرة المباركة ابراهيم ... «يكاد زيتها يضيء ...» «يكادون ...» .

٢. المصدر ح ١٧٣ عن ابي عبد الله Δ في الآية «مثل نوره» محمد 3 «كمشكاة» صدر محمد «فيها مصباح» فيه نور العلم يعني النبوة «المصباح في زجاجة» علم رسول الله 3 الى قلب علي ... «يكاد زيتها يضيء ..» يكاد العلم ... «نور على نور» الامام في اثر الامام.

٣. المصدر ح ١٧٤ عن الباقر Δ في الآية قال: المشكاة نور العلم في صدر النبي «المصباح في زجاجة» الزجاجة صدر علي Δ صار علم النبي 3 الى صدر علي، علم النبي علياً «لزجاجة كانها كوكب دري ..» نور العلم «لا شرقية ولا غربية» لا يهودية ولا نصرانية «يكاد زيتها يضيء...» يكاد العالم ... «نور على نور» اماماً مؤيداً بنور العلم والحكمة في اثر الامام من آل محمد وذلك من لدن آدم الى ان تقوم الساعة، فهؤلاء الاوصياء الذين جعلهم الله عزوجل خلفاءه في ارضه وحججه على خلقه لا تخلوا الارض في كل عصر من واحد منهم، وفي ملحقات الاحقاق ٣: عن ابن المغازلي في المناقب في كفاية الخصام من ٤٤ روى بسنده عن علي بن جعفر Δ قال سألت موسى بن جعفر Δ عن قول الله تعالى: كمشكاة فيها مصباح .. قال، المشكاة فاطمة والمصباح الحسن والحسين والزجاجة كانها كوكب دري فاطمة بين نساء العالم يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية: لا يهودية ولا نصرانية - يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار نور على نور - يوجد من فاطمة امام بعد امام

(انا فرع من فرع الزيتون وقنديل من قناديل بيت النبوة، وأديب السفارة، وريبب الكرام البررة ومصباح من مصابيح المشكاة التي فيها نور النور، وصفوة الكلمة الباقية في عقب المصطفين الى يوم المحشر).

فالمشكاة هو روح محمد 3 وفيها صدره وقلبه، وهي (قلب محمد) 3 و(صدره)^١ فانهما فيها، وكذلك (نور العلم في صدره)^٢ كما المصباح القلب هو (النبوة) لأنها بالروح الملقى اليه والوحي النازل عليه، هي في قلبه.

و الشجرة الزيتون الاصل زمناً هي الشجرة الرسالية الابراهيمية وهي في الرتبة القمة الشجرة المحمدية، (شجرة مباركة لا شرقية) يهودية بلشوية اشتراكية او دعوية (ولا غربية): نصرانية امبريالية رأسمالية او منكرة.

و لأن محمداً هو النبيون اجمع، فالمشكاة في المثال هي النبيون اجمع وسائر المعصومين، فـ (مثل نوره) في الهدى الخالصة غير الخليطة بسواها (كمشكاة) ... في مسبع النور الخارق لمطلق الظلمات (نور على نور) كل في نفسه وكل تلو الآخر نبي بعد نبي وامام بعد امام.

ان لـ (مثل نوره) درجات عدة من اعلاها المحمدية ومعه المعصومون من عترته، ثم سائر الخمسة من اولي العزم، ثم سائر الرسل على درجاتهم، ثم المؤمنون على درجاتهم، فكما ان هذا المثل ينحوا منحى الأمثل، كذلك المؤمن يشمل على ضوئه المثل (فالمؤمن في خمسة من النور: مدخله نور، ومخرجه، نور وعمله نور، وكلامه نور، ومصيره يوم

يهدى الله لنوره من يشاء، ورواه مثله ابو بكر العلوي الحضرمي في رشفة الصادي ٢٩ وصاحب كتاب المناقب الفاخرة في العترة الطاهرة.

وفي الدر المنثور ٤٩:٥ - اخرج ابن مردويه عن ابي هريرة عن النبي 3 في قوله تعالى «زيتونة لا شرقية ولا غربية» قال 3 قلب ابراهيم لا يهودي ولا نصراني.

١. المصدر ح ١٧٨ في امالي الصدوق باسناده الى الامام الصادق Δ حديث طويل يقول فيه ...

٢. المصدر ح ١٨٠ القمي عن الامام الرضا Δ «لا شرقية ولا غربية»: لا دعوية ولا منكرة.

هذه الاعداد مكررة حسب مدلولات الروايات فلا تخلط.

القيامة الى الجنة نور)¹.

و قد تعني المشكاة كافة الرسالات الإلهية، وزيتها المضيء لمصباحها هو الرسالة المحمدية 3 فمصباحها هم اهل بيت العصمة، والزجاجة هي سائر الخمسة من اولى العزم (عليهم السلام).

(نور على نور) في كل من هولاء، وكل تلو الآخر (يهدي الله لنوره من يشاء) وهم السالكون سبيل الهدى، كل قدر همته واهتمامه (و الله بكل شيء عليم).
(في بيوت اذن الله أن ترفعَ و يُذكرَ فيها اسمه يُسبحُ له فيها بالغدوِّ و الآصالِ (٣٦) رجال لا تلهيهم تجارةٌ و لا بيعٌ عن ذكرِ الله و إقامِ الصلاةِ و إيتاءِ الزكاةِ يخافون يوماً تتقلبُ فيه القلوبُ و الأبصارُ) (٣٧:٢٤).

أترى بماذا تتعلق (في بيوت) ظرفاً؟ هل (الله نور)؟ وهو نور السماوات والأرض دون اختصاص ببيوت! وان ذاته النور وصفات ذاته النور لا تحويها السماوات والأرض فضلاً عن بيوت! علّه (مثل نوره) و(كمشكوة) و(يكاد زيتها يضيء) و(نور على نور) و(يهدي الله لنوره من يشاء) و(يضرب الله الأمثال للناس) و(الله بكل شيء عليم) فكل من هذه السبع تصلح متعلقاً به لذلك الظرف الظريف!

فمثل نوره في بيوت، كمشكوة في بيوت، يكاد زيتها يضيء في بيوت، نور على نور في بيوت، يهدي الله لنوره من يشاء في بيوت، ويضرب الله الأمثال للناس في بيوت، والله بكل شيء عليم في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه...!
و ما هي هذه البيوت؟ أهى بيوت الله؟ وهي دون شرعة الله وهدايته ليست لترفع ويذكر فيها اسمه، وان كان المسجد الحرام، اذ كان مجال المشركين، رجال تلهيهم كل

١. المصدر ح ١٧٩ علي بن ابراهيم القمي عن جعفر بن محمد عن ابيه Δ في الآية قال: بدأ بنور نفسه «مثل نوره» مثل هداه في قلب المؤمن «كمشكاة فيها مصباح» والمشكاة جوف المؤمن والمصباح النور الذي جعله الله في قلبه ... «يكاد زيتها يضيء» يكاد النور الذي جعله الله في قلبه يضيء وان لم يتكلم «نور على نور» فريضة على فريضة وسنة على سنة .. فهذا مثل ضربه الله للمؤمن فالمؤمن ...

شهوة فضلاً عن تجارة او بيع عن ذكر الله!

ام هي بيوت الرسالات الإلهية وفي قمتها وقلبها بيت الرسالة المحمدية حيث تحوي الانوار الاربعة عشر؟ اجل! فبيوت الله انما تُعمر وترفع ويذكر فيها اسمه بيوت الرسالات، فهي افضل من المساجد، حيث الشرعة الإلهية تصدر من تلكم البيوت الى المساجد وسواها، فبيت الرسالة المحمدية افضل من المسجد الحرام فضلاً عن سائر المساجد، مهما كان المسجد الحرام افضل من مسجد الرسول 3 انها بيوتات الانبياء والرسل والحكماء وائمة الهدى^١ بدرجاتها، وبيت علي وفاطمة H من افاضلها، وقد يسأل ابو بكر رسول الهدى يا رسول الله! هذا البيت منها لبيت علي وفاطمة؟ فيجيبه: نعم من افاضلها^٢ او (افضلها).

١. نور الثقلين ٣: ٦٠٨ ح ١٨٤ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة في باب اتصال الوصية من لدن ادم باسناده الى محمد بن الفضيل عن ابي حمزة الثمالي عن ابي جعفر محمد بن علي الباقر Δ حديث طويل يقول فيه Δ: انما الحجّة في آل ابراهيم لقول الله عزوجل «و لقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً» والحجة الانبياء واهل بيوتات الانبياء حتى تقوم الساعة لأن كتاب الله ينطق بذلك ووصية الله جرت بذلك في العقب من البيوت التي رفعها الله تبارك وتعالى على الناس فقال: «في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه» وهي بيوتات الانبياء.

٢. الدر المنثور ٥: ٥٠- اخرج ابن مردويه عن انس بن مالك وريدة قال قرأ رسول الله 3 هذه الآية «في بيوت ..» فقام اليه رجل فقال: اي بيوت هذه يا رسول الله 3؟ قال: بيوت الانبياء، فقام اليه ابو بكر فقال يا رسول الله 3... واخرجه مثله الحاكم المسكاني في شواهد التنزيل (ح ١ ص ٤٠٩ ط بيروت) قال حدثني ابو بكر ابن ابي الحسن المحافظ ان عمر بن الحسن بن علي بن مالك اخبرهم قال اخبرنا احمد بن الحسن الخزاز اخبرنا ابي عن حصين بن مخارق عن بحر السلمي عن ابي داود عن ابي برزة قال: قرأ رسول الله 3 «في بيوت ..» وقال: هي بيوت النبي 3 قيل: يا رسول الله أبيت علي وفاطمة منها؟ قال: من افضلها، واخرج نص المذكور في الدر المنثور بسندين متصلين عن انس بن مالك وريدة قالوا قرأ رسول الله 3: ... ومثله العلامة البدخشي في «مفتاح النجا» ص ١٣ مخطوط عنهما قالوا قرأ رسول الله 3: ... وفيه «بيت علي وفاطمة» بدون اللام، وابن حنوية يروي في درر المناقب ١٨ مخطوط عن ابن عباس قال: كنت في مسجد رسول الله 3 وقد قرأ الفارسي «في بيوت اذن الله ...» فقلت يا رسول الله ما البيوت؟ فقال: بيوت الانبياء وأوماً بيده الى منزل

ليس بيت علي وفاطمة وسائر البيت لآل البيت (عليهم السلام) ادنى من بيوت الانبياء ولا كبيوت الانبياء بل من افاضلها، ولأن الافضل المطلق هو بيت الرسالة المحمدية - اذاً - فبيت علي وفاطمة من هذا المطلق وكذلك سائر العترة الطاهرة كما يقول عنهم تاسعهم: (خلقكم الله انواراً فجعلكم بعرشه محدقين حتى من علينا بكم وجعلكم في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه)!

و من ثم بيوت الله علي ضوء انوار الوحي من بيوت الانبياء، هي ايضاً من (بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ..) (و مساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً) (٢٢:٤٠) (و من اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه) (٢:١١٤) (و ان المساجد لله فلا تدعو مع الله احداً) (١٨:٧٣) .

فالبيت هو محل البيوتة الرباحة، ان بدنياً فبيت حجر وشجر ومدرج بمن فيه من

فاطمة (عليها السلام)، وروى التعليبي في الكشف والبيان مخطوط عن انس ويريدة قالوا: قرء رسول الله 3 هذه الآية فقام اليه ابو بكر فقال يا رسول الله هذا البيت منها يعني بيت علي وفاطمة ؟ قال: نعم من افاضلها. ورواه مثله الامر تسري في ارجح المطالب ٧٥ .

و في نور الثقلين ٣:٦٠٧ ح ١٨١ عن تفسير القمي عن ابي جعفر Δ في الآية قال: هي بيوت الانبياء وبيت علي منها، وفيه ١٨٥ عن روضة الكافي عن ابي عبد الله Δ عن الآية قال: هي بيوت النبي 3، وفيه عن كتاب المناقب ح ١٨٢ ابو حمزة الشمالي في خبر «لما كانت السنة التي حج فيها ابو جعفر محمد بن علي Δ ولقيه هشام بن عبد الملك اقبل الناس يتساءلون عليه فقال عكرمة من هذه عليه سيماء زهرة العلم ؟ لاخزينه، فلما مثل بين يديه ارتعدت فرائصه واسقط في ايدي ابي جعفر Δ وقال: يا ابن رسول الله 3 لقد جلست مجالس كثيرة بين يدي ابن عباس وغيره فما ادركني ما ادركني آنفاً فقال له ابو جعفر Δ وبلك يا عبيد اهل الشام انك بين يدي بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه.

١. نور الثقلين ٣:٦٠٨ ح ١٨٦ في اصول الكافي عن ابي عبد الله Δ انه قال: وصل الله طاعة ولي امره بطاعة رسوله وطاعة رسوله بطاعته فمن ترك طاعة ولاة الامر لم يطع الله ولا رسوله وهو الاقرار بما انزل من عند الله عزوجل «خذوا زينتكم عند كل مسجد» والتمسوا البيوت التي اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه فانه اخبركم انهم «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ..» .

نساء آمنَ ذا ممن يساعدون في تلك الرياحة، وان روحياً معنوياً فبيت هداية وتربية، وقد تعنيه (في بيوت) فانه مثل نور الهدى، فليس بيت النبي 3 كمسكن لأهله من هذه البيوت، ولا اهله النساء اهل بيته إلا من القبيل الأول، فانما الثاني محال معرفة الله ومنازل سرِّ الله ومساكن بركة الله، بيوت حلَّ فيها اهل الله، فانما هم أهم اهل الله وقد اذن ان ترفع ويذكر فيها اسمه من مساجد وبيوت الانبياء، (يسبِّح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله)! فهل هم - اذاً - نساء النبي آمنَ ذا من اهل بيت المسكن بدنياً كلا! انهم هم المعنيون بأية التطهير (انما يريد الله ليزهد عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً) (٣٣:٣٣) وتصديقه في مواصفاته وأهله: (في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه) فمن رَفَع المساجد تعميرها لعبادة الله، وتطهيرها وإبعاد كل قذارة عنها وكل ذكر فيها إلا ذكر الله وان الصلاة فيها تعدل مضاعفات في غيرها امّاذ من ميزات ؟

و من رفع بيوت الانبياء انها تقصد كقبلة للمقبلين السائلين وقد تعنيه (و اجعلوا بيوتكم قبلة) (٨٧:١٠) وكما الكعبة البيت الحرام قبلة المصلين ومطاف الطائفين.

بيوت السكن البدنيّة لا تحتاج في رفعها الى اذن، فانما هي بيوت الهداية لا تُرفع إلا بإذن، فليس لايّ بيت دعوى الدعوة الى الله، وان يُقصد للسؤال عن شرعة الله، إلا ما اذن الله، وهي بيوت النبوة والوحي حيث لا تصدر إلا عن الله ولا تدعو إلا الى

وفيه ١٩٠ عن الكافي عن ابي حمزة الثمالي قال قال ابو جعفر Δ لقتادة من انت ؟ قال: انا قتادة بن دعامة البصري فقال له ابو جعفر Δ انت فقيه اهل البصرة ؟ قال: نعم - فقال له ابو جعفر Δ : ويحك يا قتادة ان الله خلق خلقاً من خلقه فجعلكم حججاً على خلقه فهم اوتاد في ارضه قوام بأمره نجباء في علمه اصطفاهم قبل خلقه، اظلة عن يمين عرشه قال: فسكت قتادة طويلاً ثم قال: اصلحك الله والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدامهم فما اضطرب قلبي قدام واحد منهم، اضطرب قدامك فقال له ابو جعفر Δ اتدري اين انت ؟ بين يدي «بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ..» فانت ثم ونحن اولئك، فقال قتادة: صدقت والله جعلني الله فداك والله ما هي بيوت حجارة ولا طين.

اللَّهِ، معصومة عن القصورات والتقصيرات، تلقياً لوحي الله وإلقاءً، وتطبيقاً لشرعة الله فلذلك، (أذن الله ان ترفع) على سائر البيوت رفع النار على المنار والشمس في رابعة النهار، مهما كانت بناياتها متواضعة، و(أذن الله ان ترفع) تلمح انها بيوت قبل رفعها، فهي ترتفع بشرياً بجهود متواصلة مستطاعة كافضل ما يمكن، ثم الله ياذن برفعها في عصمة إلهية!

فبيت النبوة رفيعة على بيت الخلافة، وهي رفيعة على سائر بيوت العلم على درجاتها، وبيوت العلماء رفيعة على سائر البيوت، رفعة الرتبة والدرجة حيث تُقصد للسائلين عن شرعة الله!

فـ (أذن الله ان ترفع) إذن تكويني حيث جعلها معصومة عن الخطاء، ومن ثم تشريعي حيث جعل لها الولاية الشرعية على الآخرين ...
ثم (و يذكر فيها اسمه) كذلك الأمر، فذكر اسم الله زماناً ومكاناً ومكانة وكيفية بحاجة الى اذن من الله دون فوضى كما يريد الذاكرون الله في مثلث القلب واللسان والاركان، تجمعها شرعة الله في كل دقيق وجليل فـ (لا قول ولا عمل ولا نية إلا باصابة السنة).

(يسبِّح له فيها بالغدو والآصال رجال ..) ترى الغدو والآصال هما - فقط - الأصباح والأعصار؟ ولا يخصهما التسبيح لا في المساجد ولا في بيوت الانبياء؟ عليهما - بما انهما ركنا النهار - يعنيان ليل نهار، ام لان الغدو جمع الغدوة والغداة تعني من اول النهار، فهي إذاً تسبيحة مستمرة منه الى الآصال، وهي جمع الاصيل: القاعدة، ولأن العصرقاعدة النهار نهاية وقاعدة الليل بداية، فالغدو منذ الأصباح حتى الأعصار؟ والآصال هي منذ الاعصار حتى الأصباح، فالغدو والآصال تعنيان اصلي الاوقات بما بينهما، فالمعنى: ليل نهار، تسبيحاً في سائر درجاته.

أ (رجال) هل هم الذكران فقط دون الاناث؟ وفيهن فاطمة الصديقة ومريم ابنة عمران! ام يعنيهما تغليياً لقبيل الرجال كما في (ليذهب عنكم الرجس اهل البيت) وقد شملت فاطمة الصديقة! فالرجال الموصفون هنا اكثر عدداً واكمل عدداً من نساءهم

بأوصافهم، ام تعني رجولة التسييح بالغدو والآصال رجالاً ونساء واطفالاً، فيحيى الذي اوتي الحكم صبياً، وصاحب الامر Δ الذي ولي امر الامة وهو ابن خمس، وجده الجواد Δ وهو ابن تسع، هم من (رجال) وأرجلهم تسييحاً، كما وفاطمة الصديقة ومريم الصديقة واضراهما هن من (رجال) وأرجلهم تسييحاً، فـ (رجال) تعني رجولة التسييح لا - فقط - الذكورة!

و قد تعني كما تعنيه (فيه رجال يجبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين) (١٠٨:٩) و(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) (٢٣:٣٣) (و على الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم) (٤٧:٧) .
و قد تعني (رجال) - فقط - هنا وهناك، دون اناس، سنة التستر في النساء مهما كن معصومات، وان نور الهدى لا تظهر منهن على رؤوس الاشهاد كما يظهر من الرجال، فلا نبوة ولا إمامة وان كانت فاطمة الصديقة ؟ .

(لأنه يبيعهم تجارة ولا يبيع عن ذكر الله) حيث يعيشون ذكر الله، ويتعاملون في ذكر الله، ومهما كانت لهم تجارة او يبيع اماذا من الأشغال الدنيوية، فهي ليست لتلبيهم عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فلا يلتهمون عن واجبه تجاه الله: (ذكر الله وإقام الصلاة) ولا عن واجبه بأمره تجاه الخلق: (و إيتاء الزكاة)، إذ يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار) .

و في مقابلة (اقام الصلاة) وهي افضل ذكر الله، بـ (إيتاء الزكاة) وهو ذكر عملي لله، في مقابلتهما بـ (ذكر الله) اشعار لموقفهم تجاه الله بذكرين: عام يعم الغدو والآصال على اية حال، في احوال واقوال وافعال، وذكر خاص يعني الصلاة للخالق والزكاة للخلق! ولماذا البيع بعد التجارة وهي تشمله ؟ لأن البيع اربح تجارة، فالربح فيه يقين ناجز، والربح في سائر التجارة من شراء اماذا مستقبل قد يحول دونه حاجز، فهو في الإلهاء أدخل، فعدم إلهاءه عن ذكر الله اعضل، فقد تعني (لا تلبيهم ..) ألا ملهي لهم في تجارة من سهل وعצל، من محتمل الفائدة ولا مقطوعها، فلا ملهي لهم عن ذكر الله، فهم في شغل عن كافة الملهييات، لا يلتهمون بها في شغلها او تركها، فان كان الهاء لزاماً

تركوه كخاصة الملهييات، وان لم يكن لزاماً تغلبوه، فـ (لا تلهيهم ..) ايّ ملهٍ عما يتوجب عليهم من ذكر الله وهم يعيشون ذكره دائبين، ومن اقام الصلاة وايتاء الزكوة ؟ فهم هنا يقلبون قلوبهم عما سوى الى الله وابصارهم عن الملهييات الى آيات الله، فلا ترى بصائرهم وأبصارهم إلا ما يذكرهم الله: (ما رأيت شيئاً الا وقد رأيت لله قبله وبعده ومعهم وفيه) ولا تحن قلوبهم الى شيء، ولا تكن إلا حب الله ومعرفته، ولأنهم يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار، فهم يقلبونها هنا كيلا تتقلب هناك، فهم وافدون الى ربهم متقلبين اليه وكما امروا (موتوا قبل ان تموتوا)!

فالابصار هي التي تبصر انوار الهداية الإلهية بصرًا وبصيرة، والقلوب هي التي تتلقى تلك الانوار، وهؤلاء الرجال هم اصول تلك الانوار، اذ هم (مثل نوره) فليكونوا دائبين في ذكر الله حيث اذن الله لبيوتهم ان ترفع ويذكر فيها اسمه!

و لأن القيامة (خافضة رافعة) بروزاً للحقائق كما هي، فقد تعني تقلب القلوب والابصار - فيما تعنيه - ان قلوباً فرحة من الكفار تتقلب الى قرحة، كما قلوب قرحة للمؤمنين تتقلب قرحةً وتتقلب ابصار منفتحة الى الشهوات، منغمزة عامية او شاخصة خاشعة، وابصار خاشعة من خشية الله منغمزه عن حرمان الله تتقلب منفتحة ناظرة ناضرة.

ثم قلوب خاوية عن اليقين تتقلب الى يقين، اذ تكشف الغطاء عن ابصارها، دونما قائدة إلا اثبات الحجّة وخوض اللجّة، وأبصار ابصرت الى الدنيا دون ان تُبصر بها فعमित، تتقلب هناك بصيرة تبصر ما عميت عليها.

و قلوب المؤمنين تتقلب الى يقين اعلى، وابصارهم الى بصائر اظهر واسمى، تقلبات وتقلبات (و ان ليس الانسان الا ما سعى)!

فهناك تقلب لاحوال القلوب من الخوف والرجاء، والسرور والعناء، اشفاقاً من العقاب، ورجاءً للثواب، والاولى صفة اعداء الله والاخري صفة اولياء الله. و كما تقلب الابصار، من تكرير لحظ الكافرين الى مطالع العقاب وتكرير لحظ المؤمنين الى مطالع الثواب.

ثم وليست الرجولة ترك البيع والتجارة، إنما هي ألاّ تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله (وإن للذكر لأهلاً أخذوه من الدنيا بدلاً، فلم يشغلهم تجارة ولا بيع عنه يقطعون به أيام الحياة، ويهتفون بالزواج عن محارم الله في اسماع الغافلين، وبأمرون بالقسط ويأتمرون به، وينهون عن المنكر ويتناهون عنه قطعوا الدنيا إلى الآخرة وهم فيها، فشاهدوا ما وراء ذلك، فكأنما اطلعوا غيوب أهل البرزخ في طول الإقامة فيه وحققت القيامة عليهم عذابها فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا، حتى كأنهم يرون ما لا يرى الناس ويسمعون ما لا يسمعون).^١

و كما أن نورهم ضوء الأنوار كالشمس في رابعة النهار في مثلث الذات والافعال والصفات، كذلك جزاءهم بين العالمين عند رب العالمين هو احسن الجزاء:

(لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَ يَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَ اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ

حِسَابٍ) (٣٨)

هنالك تقدمات لهم إلهية وبشرية كأحسن ما يمكن، ليجزيهم الله احسن ما عملوا، فـ (مثل نوره كمشكاة ... يهدي الله لنوره: نور على نور .. في بيوت اذن الله .. يسيح له فيها بالغدو والأصال (لا تلهيهم .. يخافون .. تقلب ليجزيهم الله احسن ما عملوا ذلك نور أوّل في الجزاء، ثم (يزيدهم من فضله) نور ثان، فجزاءهم نور على نور كما هو نور على نور!).

و ماذا تعني (ليجزيهم الله احسن ما عملوا)؟ هل هو الجزاء الاحسن مما عملوا؟ (ويزيدهم من فضله) يعنيه! ثم ولا يعنيه إلاّ الاحسن مما عملوا لا احسن ما عملوا حيث الجزاء بالعمل وليس نفس العمل (اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا) (١٦:٤٦) فانه قبول للعمل الأحسن لا الجزاء فانه فعل الرب؟ ثم الجزاء يعم الحسن دون اختصاص بالاحسن؟

١. نور الثقلين ٣: ٦١٠ ح ١٩٢ عن نهج البلاغة عند تلاوته Δ «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع...».

٢. إذا فجزاءهم هو عن ثمانية كعدد ابواب الجنة.

ام يعني ان اعمالهم هي الأحسن وجاه العالمين فانهم رجال بيت النور، وأحسن ما عملوا هو جزاءهم حيث الجزاء هو العمل بظهور حقيقة (انما تجزون ما كنتم تعملون) (٧:٦٦) بفارق ان السوء قد يظهر قدره عدلاً والحسن بمزيد من فضله رحمة زائدة.

ثم العمل الاحسن قد يكون مطلق الاحسن كما لرجال النور، ام نسبياً كما (الذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون) (٧:٢٩) (ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئاً يعيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين. ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً الا كتب لهم به عمل صالح ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون) (١٢١:٩) .

فجزاء الاحسن هو الاحسن وجزاء الحسن هو الحسن (ويزيدهم من فضله) ثم جزاء السيء والأسوء هو هو دوغما زيادة فانه خلاف فضله وعدله! بل هي اقل ف (رحمتي وسعت كل شيء) .



فهرس المطالب

٥	المدخل
٦	سورة العلق - مكية - وآياتها تسع عشر
١٣	سورة المدثر - مكية - وآياتها ستة وخمسون
٢٢	سورة المزمل - مكية - وآياتها عشرون
٥٣	محمد 3 معروف عنه اهل الكتاب
٥٨	توصيلات لوحى الله
٥٨	حتى وصل لوحى القرآن فى ختامه وهو خير ختام
٦٥	محمد 3 هو بشير ونذير بالحق كله
٧١	محمد 3 جاء على فترة من الرسل
٨٣	هل درس محمد القرآن عند اهل الكتاب؟!
٨٧	محمد 3 فى كتابات الوحي
١٠٤	محمد 3 من دعوات ابراهيم الخليل Δ
١٠٩	محمد رسول من انفسهم
١١٣	المسيح Δ يقفّى الرسل الاسرائيليين فحسب
١٢٢	أحمد ومحمد 3 فى الإنجيل
١٣٣	محمد 4 يظهر على الدين كله
١٣٧	محمد 3 «يظهر على الدين كله» فى كتابات السماء
١٣٩	مثل الذين مع محمد 4 فى التورات والإنجيل
١٤٧	آيات الرسالات
١٤٧	١
١٤٤	آيات الرسالات

١٦٦.....	٢
١٨٦.....	محمد 3 اول من اسلم
١٩٥.....	محمد 3 على بينات ثلاث
٢٢٩.....	محمد 3 ليس بدعاً من الرسل
٢٥٠.....	محمد 3 كسائر الرسل فى وحي الرسالة
٢٥٨.....	محمد 3 ليس ابا احد من رجالكم وهو خاتم النبيين
٢٧٣.....	محمد 3 رسول الى الرسل
٢٨٨.....	نزول القرآن دفعة وتدرجياً
٢٩٤.....	محمد 3 فى رسالة عالمية
٢٩٨.....	محمد 3 فى اولى العزم من الرسل
٢٩٨.....	١
٣٠٣.....	محمد 3 فى اولى العزم من الرسل
٣٠٣.....	٢
٣٠٨.....	محمد 3 بين اولى العزم من الرسل
٣٠٨.....	٣
٣١٩.....	حجج داخضة:
٣٢١.....	محمد 3 فى وحيه بين سائر الوحي
٣٢١.....	٤
٣٣٢.....	محمد 3 النور بين الأنوار الرسالية
٣٣٢.....	٥